منبر الإسلام

العدد الثالث ـ السنة ٢١ ـ ربيع الاول ١٣٨٣ ـ أغسطس ١٩٦٣

عدد ممتاز

الثمن ٥ قروش

مِنبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

ربيع أول ١٣٨٣

أغسطس ١٩٦٣

العدد ٣ السنة ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- لا طبقية فى الاســلام ـ السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة
- دور الشباب فى المجتمع ـ تحقيق صحفى مع السيد طلعت خيرى وزير الدولة للشباب
- فضيلة الشيخ محمود شلتوت يفتتح مؤتمر ابى بكر الصديق
- المسلمون فى الفيليبيين ـ السيد أحمد النتو زعيم مسلمى الفيلبين
- حديث مع سفير العراق بالقاهرة الدكتور عبدالرحمن البزاز
- أهداف الاسلام الكبرى ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- الوشيجة الروحية بين اللـه والناس ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- أكاذيب على الاسلام ـ الدكتور أحمد الحوفى
- كلوا من الطيبات ـ الأستاذ البهى الخولى
- وحى المولد النبوى فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى
- أوكالو أو جوال ... الذى أصبح جمال عبد الناصر

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

« من خطاب السيد الرئيس الذى وجهه الى الأمة مساء الاثنين الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٢ من قصر الجمهورية بالقبة » ..

فرصة مفتوحة

... وأنا باعتقد ان العمل الثورى يجب أن يخلق قيادات . ودى مهمة من أكبر المهام اللى قدامنا . أحب أقول ان الفرصة المفتوحة فرصة مفتوحة لكل الشباب ، لكل القيادات انها تدخل وتقوم بدورها فى العمل الوطنى . فرصة مفتوحة علشان هـذا الشعب يدعم انتصاراته ثم يزيد هذه الانتصارات . وأنا باقول انى أنا فى دورى سأدعم هذه القيادات وأحمى تقدم هذه القيادات خلال التجارب حتى تصل الى حيث تستحق زى ما قلت فيه ذخيرة من الشباب لازم كل واحد يحمل مسئوليته وبهذا يبقى الاتحاد الاشتراكى العربى اللى هو التنظيم الشعبى له كل المسئوليات اللى وضعناها، بدون خلق قيادات، وبدون مايكون قويا لن يكون قادرا على أن يقوم بدوره واحنا قلنا ان احنا لا بد أن نخلق التنظيم الشعبى علشان يقوم بدوره من اجل تطبيق الميثاق .

تكوين الاتحاد الاشتراكى مش عملية سهلة . تكوين الاتحاد الاشتراكى عملية عايزة جهد حتى لاتتسلل الينا الرجعية والانتهازية . احنا قلنا ان الاتحاد الاشتراكى العربى حيكون التنظيم الشعبى اللى بتنشق منه كل السلطات ، تنبثق منه السلطة التنفيذية

وبتنبثق منه جميع المنظمات الشعبية والمنظمات الجماهيرية .

تلافى أخطاء الماضى

اذن علشان يؤدى هذا التنظيم الشعبى دوره الكامل ، علشان نتلافى أخطاء وقعنا فيها فى الماضى ، لازم ندى كل جهد .

أنا اتكلمت على التنظيم وعلى الطريقة اللى حينظم بها الاتحاد القومى فى مؤتمر القوى الشعبية . أنا شايف ان احنا يجب أن نباشر هذه العملية بنفسنا . وان احنا بنختلط بالجماهير فى كل محافظة على حدة وبنشوف الناس وبنقوم بهذه العملية بنفسنا . ومانقلش زى ما قلنا الاول كلنا هيئة التحرير . وده قلت ان ده كلام غلط لأن كلنا هيئة التحرير معناها ان مافيش حد فى هيئة التحرير وبتبقى العملية فى وقت الانتخابات كل واحد بيروح ياخد ، يدخل فى الانتخابات وبعد النتيجة كل واحد بيروح . الاتحاد الاشتراكى سيضم العناصر الراغبة فى العمل الوطنى والصالحة للعمل الوطنى والصالحة للقيادة الوطنية .

لجنة بكل قرية

وفى كل قرية حتكون فيه لجنة تأسيسية ، يجب أن تكون هذه اللجنة من العناصر الصالحة فى كل مصنع ، فى كل عملية جماهيرية وبعدين حتحصل انتخابات من كل الناس . علشان هذه اللجان . ولكن العناصر فى عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى ستكون قاصرة على العناصر التى تستطيع أن تعمل وأن تقود ، مش العناصر السلبية ، أو العناصر الانتهازية ، أو العناصر الرجعية هى التى تعمل وأن تقود بل العناصر اللى مؤمنة بالميثاق .

كده بنضمن فعلا أن التنظيم الشعبى بيكون تنظيم ناجح . وبعد كده عن طريق الانتخابات من القرية أو من المصنع أو من أى مؤسسة جماهيرية الى المحافظة ، ومن المحافظة الى المؤتمر اللى يمثل أعلى سلطة والمؤتمر يختار اللجنة التنفيذية العليا اللى هى بتمثل الاتحاد الاشتراكى . كل هذه العمليات يجب أن تكون عمليات مظبوطة ، ما تتركش لرجال معينين ، أو تترك لناس معينين ، لازم نقوم بيها .

يعنى أنا متصور ان احنا بنأخذ بعضنا وبنطلع على محافظة وبنشوف قرية قرية ، أو عدة قرى ؛ وبتأخد المحافظة أسبوع .

بعد فتح القيد لمن يريد أن ينضم كعضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى العربى .

ثم بعد هذا بنقبل بنفسنا منديش هذه السلطة لناس آخرين وانا أكون موجود ، بنقبل الناس اللى حيدخلوا فى كل قرية مع أعضاء طبعا اللجنة التنفيذية العليا .

وبهذا نضمن أن العملية حتكون عملية سليمة .

عمل عدة أشهر

ده قد يأخذ عدة أشهر .

ولكن عدة أشهر تضمن لنا السلامة فى العمل بدل ما نترك العملية تمشى عملية صورية ، أو بيمشى فيها شىء من الخلل ، **وبعد كده بنقول ان احنا تركنا أكبر عمل وأهم عمل النهارده ، ونقدم على هذا .**

اللى أنا أنويه ان شاء الله انى حدى أكبر جزء من وقتى لهذه العملية .

نظام القيادة الجماعية

طبعا علشان ده بيحصل يبقى اذن لازم نبتدى فى تنظيم الدولة .. بقية الكلام اللى اتكلمت عليه فى المؤتمر **أنا قلت فى المؤتمر ان حنباشر نظام القيادة الجماعية ، حيكون فيه رئيس جمهورية ولكن حيكون فيه مجلس رئاسة له كل السلطة الموجودة فى الدستور .. النهارده بالنسبة لرئيس الجمهورية ثم حيكون فيه رئيس حكومة وحيكون فيه مجلس وزراء ووزراء مسئولين وكلنا بقى نشتغل بالطريقة الجماعية .**

الحقيقة انا لاحظت بعض المراحل فيه خطأ كبير ، الطريقة المؤدية اللى يمكن مشينا بها تعبنا منها لانه نتج عنها الفردية والسلبية . كل واحد بقى يشتغل فردى ثم بالتالى اذا وجد أن واحد بيشتغل فردى فيمشى ، بدنا بقى النهاده فى عمليتنا الجديدة نقضى على الفردية وعلى السلبية بكل الوسائل بكل الطرق ، الفردية والسلبية بنقضى عليها ، الفردية ونحط بدلها الجماعية واول ما حتوضع الجماعية موضع التنفيذ فى الحال بتنتهى السلبية لأن كل واحد حايجد أن له مجال للعمل ليعمل .

زعماء العالم الإسلامى .. فى القاهرة

المشير
عبد الله السلال
رئيس جمهورية اليمن

فى القاهرة .. قلعة العروبة ، وقاعدة النضال العربى ، ومنطلق الثورة العربية ، وملتقى جناحى الوحدة العربية .. فى المشرق والمغرب العربيين .. وفى أول يونية عام ١٩٦٣ وصل الزعيم الثائر المشير عبد الله السلال رئيس جمهورية اليمن فى زيارة رسمية استغرقت أسبوعين .

وصل السلال الى القاهرة وهو يحمل رغبة الشعب العربى فى اليمن لتحقيق الوحدة .. وللدخول فى دولة الوحدة الكبرى ..

وخرجت القاهرة كلها لاستقبال الضيف العظيم أروع استقبال ، وهذه أول مرة يزور فيها السلال القاهرة ، ويلتقى بالرئيس جمال عبد الناصر .

وبدأت المحادثات الرسمية بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الله السلال والوفد اليمنى الذى رافق سيادته .

وعلينا أن نذكر نص البيان المشترك الذى يؤكد تلاقى وجهات النظر فى جميع المسائل التى تناولتها المحادثات .. وهى ايضا تعبر عن صدق العلاقات الوطنية التى تربط بين الشعبين .. وايضا عبرت عن التفاهم التام بين البلدين ..

وقد صدر البيان المشترك التالى عقب انتهاء المحادثات :

نص البيان المشترك :

« بناء على دعوة من الرئيس جمال عبد الناصر قام الرئيس عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية بزيارة للجمهورية العربية المتحدة فى الفترة ما بين السبت أول يونيو والاثنين العاشر من يونيو . وجاءت هذه الزيارة فى أعقاب النصر العظيم الذى حققته الثورة التحررية فى اليمن ايمانا بوحدة الهدف بين الشعبين الشقيقين . وبفضل معارك الفداء والبطولة التى خاضها جيش الجمهورية العربية المتحدة جنبا الى جنب مع الجيش والشعب اليمنى ضد القوى المعتدية التى حشدتها الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى المنطقة للحيلولة دون تحقيق ارادة الأمة العربية فى الحرية والعدالة الاجتماعية .

ودارت بين الرئيسين عبد الله السلال وجمال عبد الناصر مباحثات رسمية حضرها من الجانب اليمنى كل من السادة أعضاء مجلس الرئاسة العقيد عبد اللطيف ضيف الله رئيس المجلس التنفيذى وعلى محمد سعيد والشيخ سنان أبو لحوم والشيخ أمين عبد الواسع نعمان والعقيد محمد الهنومى والشيخ احمد سيف الشربجى والنقيب حسين الكبس ، ومن السادة الوزراء مصطفى أحمد يعقوب وزير الخارجية والعقيد حسين الدفعى وزير الحربية وعبد الغنى على أحمد وزير الخزانة وأحمد محمد باشا سفير الجمهورية العربية اليمنية فى الجمهورية العربية المتحدة .. كما حضرها من الجانب العربى السادة عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة والمشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة وزكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة وانور السادات عضو مجلس الرئاسة وعلى صبرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذى والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ومحمد عبد الواحد القائم بالأعمال العربى فى الجمهورية العربية اليمنية .

وقد استعرض الجانبان خلال هذه المحادثات تطور العلاقات بين البلدين الشقيقين وخاصة بعد أن أكدت معارك النضال المشترك التى خاضها الشعبان مما عمق الصلات الأخوية بين أبناء الشعب العربى وقدرة الجيوش العربية المؤمنة

بدورها الطليعى على انتزاع الحق العربى وتحقيق النصر الباهر فى مواجهة جميع التحديات والقوى المتحالفة المعتدية والمتربصة بآمال الأمة العربية . وعبر الرئيسان عن ارتياحهما الكامل لما حققته الثورة العربية فى اليمن من تحول رائع فى معركة المصير التى تدور على الارض العربية بين القوى التحررية ، والفلول الرجعية والاستعمارية والانتهازية . ويعبر الرئيسان عن اعتقادهما بأن التعاون الكامل بين البلدين الشقيقين لا يمكن أن يقف عند حد احراز النصر العسكرى على حدود اليمن بل ان معارك البناء والتطور وتحقيق العدالة الاجتماعية لتتطلب مزيدا من التعاون الخلاق حتى يشمل جميع الميادين الاقتصادية والفنية والمجالات الثقافية والزراعية والنواحى الاجتماعية والسياسية الى جانب التعاون العسكرى .

ويؤكد الرئيسان ان تبادل الزيارات بين أبناء الشعب العربى على جميع مستوياته لمما يعمق من الصلات الاخوية والتعاون الكامل فى مختلف المجالات ويكشف عن الآفاق الجديدة للعمل المشترك الخلاق .. كذلك قد تناولت محادثات الرئيسين تطور الأوضاع فى المنطقة العربية نتيجة للانتصارات التى حققها نضال الشعب العربى فى كل من الجزائر واليمن والعراق وسوريا ضد الاستعمار والاستبداد والرجعية وعناصر الانفصال والمرتدين والانتهازيين .

وقد اشاد الجانب اليمنى بميثاق القاهرة التاريخى الذى وقعه فى السابع عشر من شهر أبريل سنة ١٩٦٣ ممثلو الشعب والجيش والقيادات الثورية فى كل من العراق وسوريا والجمهورية العربية المتحدة لاقامة دولة عربية اتحادية تضم الاقطار الشقيقة الثلاثة تعبيرا عن ارادة الشعب العربى واmانيه وسعيا الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة وعبر الوفد اليمنى باسم الشعب العربى فى اليمن عن التاييد المطلق لكل ما تضمنه الميثاق فى نصه وروحه . وابدى الجانب اليمنى فى هذه المناسبة وهو الممثل للشعب والجيش والقيادات الثورية فى اليمن الرغبة الاجماعية لأبناء الجمهورية العربية اليمنية فى الانضمام الى ميثاق القاهرة .

فعبر الجانب العربى عن ترحيبه وموافقته على هذا الطلب الذى يعبر عن الرغبة فى تحقيق الوحدة الشاملة أمل الأمة العربية كما عبر عن تأييده الدائم ومساندته للارادة الحرة للشعب اليمنى ولغيره من الشعوب العربية .. ويعلن الرئيسان اصرار الشعبين الشقيقين على العمل المشترك وبذل كل الجهود والمساعدات الادبية والمادية للقضاء على بقايا الاستعمار فى المنطقة وتحرير أجزاء الوطن العربى التى ما زالت تحت حكم الاستعمار كما تساند الدولتان بجميع امكانياتهما الحقوق المشروعة للشعب العربى فى عمان والجنوب اليمنى المحتل . ويحبطان جميع المخططات الاستعمارية فى هذه المنطقة من الوطن العربى . كما يؤكدان حق الشعب اليمنى شماله المتحرر وجنوبه المحتل فى الحرية والوحدة .

كما يؤكد الرئيسان عزمهما على مواصلة العمل لمحاربة الرجعية المتآمرة مع الاستعمار فى المنطقة حتى يتم تطهير الارض العربية من جميع العوائق التى فرضت على الشعب العربى طوال العهود الغابرة واحتى يتدعم حق الانسان العربى فى حياة اجتماعية افضل تمشيا مع شريعة الله فى الارض واحقاقا لشريعة العدل بين الناس .

ويعبر الرئيسان عن ادراك شعبيهما للمسئوليات الملقاة عليهما خلال هذه الفترة الحاسمة مع التطور الثورى التى يجب أن يتحول المجتمع العربى فيها مما كان والى ما ينبغى ان يكون . ويؤمن الشعبان بمسئوليتهما تجاه النصر العظيم الذى حققه النضال التحررى بالبذل والفداء والذى هو وديعة غالية تحرص الأمة العربية كلها عليه وتدافع عنه بكل ما تملك تحت كل الظروف والتحديات . كما يؤمن الشعبان الشقيقان ايمانا راسخا بحاجة الشعوب وهى تبنى نفسها الى السلام العادل . وفى الوقت نفسه فان الرئيسين يعلنان باسم الشعبين فى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية ان السلام الذى لا يمكن ان يكون على

الارض العربية سلام غيره هو السلام العربى فى نواياه وفى أهدافه وارادته • ولن تستطيع قوة مهما بلغت أن تفرض على الارض العربية سلام الأمر الواقع . وبهذا الايمان والتصميم فان الرئيسين يؤكدان من جديد باسم الشعبين الشقيقين أن الارض العربية لن تشهد سلاما حقيقيا قبل أن تحرر الثورة العربية أرض فلسطين العربية وتعيد الحق المسلوب الى أصحابه الشرعيين فى فلسطين . وقد انتهك العدوان الاستعمارى الصهيونى حرية أرض عربية وأعطاها قسرا وبالخديعة وبالتآمر مع الرجعية الخائنة الى الفئات الدخيلة على الامة العربية .

وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر خلال هذه المحادثات ما تم تحقيقه فى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الافريقية الذى عقد بأديس أبابا وما أحرزه ذلك المؤتمر التاريخى من نصر حينما أجمعت الادارة الافريقية على ميثاق للوحدة الافريقية والتقت على طريق الحرية والتطور للامم الافريقية وتعهدت بالعمل معا للقضاء على بقايا الاستعمار فى هذه القارة ومواجهة تحديات التخلف .

ويعبر الرئيسان عن ايمان شعبيهما بأن معارك النضال التى تخوضها جميع الشعوب المتطلعة الى الحرية والنصر فى أى جزء من أجزاء العالم ضد القوى الاستعمارية والنفوذ الصهيونى والتحكم الاجنبى انما هى معارك متصلة الحلقات ذات هدف واحد وان تعددت ساحات النضال التى تدور من فوقها معارك الحرية ضد الاستعمار بأشكاله وأقنعته العديدة . وان انتصار قضية الحرية فى اى مكان انما هو تدعيم واحتداء لانتصارات الشعب العربى وهزيمة للاستعمار والقوى المعادية لارادة الشعب فى الحرية والتطور .

ولقد عبر الجانبان عن تمسك شعبيهما بسياسة عدم الانحياز ويندان بمحاولات جر الشعب العربى الى مناطق النفوذ الأجنبية واقامة القواعد العدوانية التى تحتمى من خلفها بعض الحكومات الرجعية واهمة أن التطور الحتمى للتاريخ سوف يتوقف وأن الزحف التحررى قد لا يلحق بها .

ويعلن الوفد اليمنى أن الثورة التحررية فى اليمن قد أزالت منذ اليوم الأول لقيامها الاسوار التى فرضتها العهود البالية وحكم الاستبداد لعزل الشعب اليمنى عن التطور العالمى . ويقرر الوفد اليمنى باسم الشعب فى الجمهورية العربية اليمنية انه يشارك اشقاءه من الشعوب العربية ويحمل فى ثقة مسئولياته فى المجال العالمى ويتعاون مع جميع الدول على أساس المساواة والاحترام المتبادل ويقوم بدوره الفعال الجدير به على مسرح الاحداث التى يعيشها المجتمع البشرى .

وقد أكد الرئيسان ضرورة تنسيق التعاون بين حكومتى الدولتين الشقيقتين فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية بما يؤكد الفائدة المتبادلة للشعبين ويحقق القوة الايجابية التى تعمل لخدمة أهداف الأمة العربية ولاقرار السلام العالمى العادل بين جميع الدول •

كما اتفق الجانبان على وجوب استمرار التشاور وتبادل الرأى حول جميع المسائل التى تهم البلدين الشقيقين والعالم العربى خاصة والمشاكل العالمية بوجه عام لاستمرار التفاهم المشترك والوصول الى الهدف الواحد الذى يتطلع اليه الشعبان الشقيقان .

ولقد دارت المحادثات العربية اليمنية فى جو من الاخاء والمودة وكانت وجهات النظر متلاقية فى جميع المسائل التى تناولتها المحادثات • ولقد عبرت بصدق عن مدى العلاقات الوطيدة التى تربط بين الشعبين كما عبرت عن التفاهم الكامل الذى تتسم به روح القادة والمسئولين فى الدولتين الشقيقتين وكانت هذه الزيارة فرصة استطاع خلالها الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة أن يبدى شعوره العميق نحو قائد الثورة العربية اليمنية الظافرة وصحبه من القادة والزعماء اليمنيين كما أتيحت الفرصة خلال هذه الزيارة لكى يطلع الوفد اليمنى على مدى التطور الذى حققته وتحققه الجمهورية العربية المتحدة فى جميع المجالات .

ولقد قدم الرئيس عبد الله السلال الدعوة الى الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة الجمهورية العربية اليمنية . فقبل سيادته الدعوة شاكرا » .

"نؤمن برباط روحى وثيق
يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

اللاطبقية فى الاسلام

السيد / حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

- التحرر من الخوف ومن الحاجة هو الحرية الحقيقية
- عندما يتجمع الأحرار ويترابطون ويتحدون لا يستطيع أن ينفذ بينهم محتل أو مستغل أو محتكر
- عبودية الفرد لربه تكسبه الحرية والعزة والسيادة
- تحالف قوى الشعب هو الحصن الوحيد لحراسة الاشتراكية والديمقراطية لكل الشعب

• الاتحاد الاشتراكى العربى يحمى الحرية ويدفع الاشتراكية ويحقق الوحدة .

• المرأة العاملة تستطيع التحرر من الخوف ومن الحاجة .

دعته جمعية نساء الاسلام الى اجتماع عقدته يوم ١٧ محرم ١٣٨٣ - ٩ يونية سنة ١٩٦٣ ، بدار الغرفة التجارية فى القاهرة ليتحدث الى عضوات لجان الاتحاد الاشتراكى فاختار أن يتحدث عن « الحرية بجناحيها الاشتراكية والديمقراطية » فجعلت الجمعية الدعوة عامة ، وتمثلت المرأة فى الاجتماع بأكبر عدد ، وتحدث السيد نائب الرئيس الى الحاضرين وقد غصت بهم القاعة ، وقوطع حديثه فى أكثر من موضع بالتصفيق .. قال سيادته بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله :

حديث الحرية .. يأخذ بمجامع القلوب ..

ونحن فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا العربية ، نقدم المثل الناجح فى كل ميدان من ميادين العمل ، العمل الذى هو حق للمرأة وللرجل معا ، عمل يندفع فيه المجتمع بكل قوته ، لبناء مستقبله ، وهو يذكر قوله تعالى **« لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »** .

اننا حينما نبدأ الحديث عن الحرية بجناحيها الاشتراكية والديمقراطية ، نجد حديث الحرية يأخذ بمجامع القلوب ، فهو الحديث المحبب الى الذين يعيشون نهضة وثورة عرفت النجاح ومارست النصر .. نجد أن ثورة ٢٣ يوليو قد نبعت من تنظيم الأحرار ، قوية مؤمنة ماضية تدرك منذ البدء أن الوطن القوى لا تقاس قوته بقلة تستشعر الحرية ، ولكن بالغالبية ، بقاعدة من الأحرار ، هى وحدها التى تستطيع العمل الكبير لمستقبل أجيال من الأحرار .

من أجل هذا كان المبدأ الأول الذى نادى به الأحرار وزعيم الأحرار جمال عبد الناصر هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .

ومن هنا كان المدخل الطبيعى لاقامة الوطن الحر الذى يعيش فيه الأحرار .. ويبنى الأحرار ..

ولما كانت شجرة الحرية لا يمكن أن تنمو فى ظل الاقطاع وتحكم رأس المال ، فلا يمكن أن تقوم الحرية فى وطن تتحكم فئة قليلة منه فى رقاب الملايين .. لم يكن ميسورا على الفلاح أن يمارس الحرية وعلى رقبته سيف الاقطاع .. لم يكن ميسورا على العامل أن يمارس الحرية وهناك رأس مال متحكم مستغل ظالم .. فكان القضاء على الاقطاع من أجل تحرير الفلاح .. وكان القضاء على الاحتكار وتحكم رأس المال من أجل تحرير العامل ..

ان الحرية لا تتحقق ولا تثبت الا بتحرير لقمة العيش .. كما قال الله تعالى لقريش ، ان التحرر من الخوف ومن الحاجة هو الحرية الحقيقية .

حرية القرآن

« لايلاف قريش ايلا فهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

هذه هى معانى الحرية .. الألفة والمحبة قاعدة الحياة .. والعمل هو الحياة .. ليستحق العاملون المناضلون الأمن من الخوف والأمن ضد الجوع ..

والا كيف تقوم الحرية ، وهناك اقطاع قائم ورأس مال يتحكم فى صوت الانتخاب ، ويشيع الجهل بين الناس ، ولا يسمح بالفرصة المتكافئة لكل مواطن ليتعلم أو يعالج أو يعيش .

ولكننا اليوم نستطيع أن نقول اننا أحرار بحق ، واننا نمارس الحرية بحق .. فقد وجد الفرد فرصة الحرية ، وهو قادر على أن يقول نعم عندما يريد ، ويقول لا عندما يريد ..

الشعار الخالد ..

وان الاسلام حينما ينادى بالشعار الخالد : « لا اله الا الله » ، يعنى به ناطقه وهو يعرف أنه السيد ، وأنه خليفة الله ، وأنه العزيز

بكل ما تعنيه العزة من قـوة ، ومن كرامة ، لا يمكن أن يكون عبد مال ، أو تقاليـد أو مصلحة ، انه عبد لله وحده ، وهذه العبودية وحدها هى التى تكسبه الحـرية والعزة والسيادة ٠

من أجل هذا كان لزاما علينا قبـل أن نخوض معركة الاشتراكية ومعركة الديمقراطية أن نسأل أنفسنا هل يمكن أن نخوض هاتين المعركتين وفى البلد استعمار أو اقطـاع أو تحكم ؟

من أجل هذا كان البدء بطرد المستعمر ، وتحطيم الاقطاع ، والقضاء على الاستغلال ٠٠ ليشعر كل فرد بأنه حر ٠٠

ونحن ندعو الى الحرية الفردية لا من أجل تمييز مواطن على مواطن ، ولا أن يتمـرد فرد على أخيه ، ولكن ليعود للانسان احساسه ٠٠ وتعود اليه كرامته وعزته وسيادته التى قضى الله له بها حينما أمر الملائكة أن تسجد لآدم ، وحينما نادى الرسول ـ صلوات الله عليـه وسلامه ـ بقوله : « **رحم الله امرأ عرف قدر نفسه** » ٠٠ وأنه خليفة الله فى أرضه ٠

رسالة الجيش

وحينما حرصت الثورة على اقامـة جيش وطنى قوى ، يقف حارسا أمينا على الحرية ضد كل أنواع الاستغلال الداخلى والخارجى، والاستعمار أبشع أنواع الاستغلال ، والمستغل يستغل تفكك المجتمع ٠٠ أما عندما يتجمـع الأحرار ويترابطون ويتحدون لا يستطيع أن ينفذ بينهم محتل أو مستغل أو محتكر ٠

واننا حينما نبنى الاتحاد الاشتراكى العربى ممثلا لتحالف قوى الشعب العاملة ، انما نقيم سدا عاليا للاشتراكية والديمقراطية معا ٠

حكم الشعب

وحينما صدرت قوانين يوليو الاشتراكيـة لتؤكد قيام العدالة الاجتماعية ، لم نقصد بها عدالة التـوزيع فحسب ، بل كان الجانب المعنـوى هو الهدف ، فقد أحس العمـال بكيانهم عندما وجدوا أنفسـهم شركاء فى الانتاج ، وفى ادارة الانتـاج ٠٠ وفى أرباح الانتاج ، والحد الأدنى للاجور الذى لم تسمح به عهود الرأسمالية المستغلة .

لم يكن سهلا أن يتكلم أحد فى البرلمانات السابقة عن هذه الحقوق المشروعة لقـوى الانتاج ، فان تلك البرلمانات كانت تمثل حكم الطبقة ، **والطبقة دائما تحتكر لنفسـها كل شىء ، وتحرم كل الشعب من كل شىء ٠**

أما تحالف قوى الشعب فهو الحصن الوحيد لحراسـة الاشتراكية والديمقراطيـة لكل الشعب ٠٠

المجتمع كله يبنى

واذا كانت المساواة بين المرأة والرجـل فى مجال البناء الاشتراكى ، وقد أصبحت حقا مقررا يجسم معنى الديمقراطية ، فانما نعنى أن يشترك المجتمع بكل قوته فى حـق العمـل ، وفى شرف العمـل ، وفى واجب العمل ، ونحن نتمنى أن ترتفع نسبة العمالة ٥٠ فى المائة ، وبذلك يزيد انتاج الشعب كله للشعب كله ، ليشعر كل فرد بأنه ينتمى الى وطن جدير بالفداء ٠٠

لقد كانت الغالبية العظمى من المواطنين فى الماضى تشعر بأنها لا تملك شيئا فى هـذا الوطن ٠٠

كان الجندى يحارب فى فلسطين من أجل الطبقة الحاكمة المتحكمـة ، لم يكن يفكر فى حق الدفاع عن وطنه ، فاذا قلنا له اهجـم سألنا لصالح من ؟

ان الموقف الآن يختلف ٠٠

عندما ذهب جنودنا الى اليمن ، للدفـاع عن حق شعب عربى شقيق فى أن يتحرر ، كل منهم كان يستشعر أن من خلفه وطنا لن يتخلى عن أبنائه وزوجته ، وطنا حرا يحميـه ويموت فداء مبادئه أحرار ٠

كما انتشر الاسلام ٠٠

والآن ٠٠ حينما تسعى البلاد من حولنـا لتتحد مع الجمهورية العربية المتحدة ، تسعى الى المثل الناجح ٠٠ بنفس الطريقـة التى انتشر بها الاسلام ٠٠ ابدا لم ينتشر الاسلام بحد السيف كما يروج أعداء الاسلام ٠٠ ان الاسلام انتشر بالقدوة الصالحة ٠٠ بالاسوة الحسنة ٠٠

ان المثل الناجح قد جعل أممـا كثيرة فى المنطقة ، وفى القارة الافريقية ، وفى أوربا ،

وفى أمريكا اللاتينية .. تقتدى بمثلنـــا الناجح ..

تحالف الشعب

المثل الناجح الذى نريد أن نعطيه فى اقامة الاتحاد الاشتراكى العربى .. وهنا يحضرنى تساؤل البعض : انه صـورة من الحزب الواحد .. ونجيب على هذا الادعاء بأن الحزب هو الطبقـة .. والطبقة تتحكم وتســتغل وتحتكر ..

ولكنا نقيم الاتحاد الاشتراكى العربى كما أراده الرئيس جمـال عبد النـاصر لتكون الديمقراطية كل الديمقراطية للشعب ، وفتح باب العضوية فى الاتحــاد الاشتراكى لكل مواطن ومواطنة ..

وعلينا نحن أن نحمى هذا التنظيم .. لأنه التنظيم الذى يكفل لنا تحقيق الحرية الكاملة .. الحرية بجناحيها الاشتراكية والديمقراطية

والاشتراكية تعنى العدالة ..

والديمقراطية تعنى حكم الشعب ..

ان المثل الناجح لجمهوريتنا يفرض علينـا أن نقيم الاتحاد الاشــتراكى العربى ليحمى الحرية ويدفع الاشتراكية ويحقق الوحدة .. طريق الثورة هو طريق الحرية .. هو طريق الاشتراكية .. هو طريق الوحدة .. ولايمكن لنا أن نحقق الاشتراكيــة والوحدة الا اذا استشعر كل مواطن الثورة فى نفسه ، علـى قاعدة الحرية .

ديمقراطية العمـل ..

ومن أجل هذا كان العمل حقا .. وكان لا بد من تأمينه .. وحينمـا اتجهت الدولة الاشتراكية الى تثبيت **المعاشات** لجميع العمال انما كانت تهدف الى تحقيق الحرية الاجتماعية وهى هدف الاشتراكية .

وحينما أشركت العمال فى **مجالس الادارات** كانت تهدف الى الديمقراطية فى العمل بعـد تحريره فى الأرض من الاقطاع وتحريره فى المصنع من التحكم والاستغلال .

ضمانات الحرية ..

وقد نص **الميثاق** فى البـــابين الخامس والسادس على ضمانات الحرية .. حرية العلم مكفولة لكل مواطن .. وحرية العمل حق لكل مواطن .. وحرية الرأى حق لكل مواطن ..

لقد كانت **الصحافة** فى الماضى مطية لرأس المال ، ولكنها اليوم بملكية الاتحاد الاشتراكى لها ، ملك للشعب ، تجسم فيه احدى ضمانات الحرية .. حرية الرأى بجانب حـرية العلم وحرية العمل .. **ثم حرية التصـــويت فى** الانتخـابات بعد تحرير لقمـة العيش .. ونصيب عادل من الثـــروة .. التخلص من القلق ..

الاتحاد .. اتحاد ..

كل هذه الحقوق لايمكن أن تمنحها طبقـة أو حزب للشعب العامل .

ومن هنا تمحى صورة الحزب من نظـام الاتحاد الاشتراكى العربى ، فالحزب مجموعة معزولة عن الشعب، تباشر ديكتاتورية الحزب والاتحاد يمارس الديمقراطية لأنها صورته .. وان تذويب الفوارق بين الطبقات ضمان هـام للحرية ..

لا طبقية فى الاسلام ..

وعند تذويب الفوارق أقف لحظـة لأقول ان هناك من ينسبون الى الاسلام طبقية .. وانى أعلنها صريحة مدوية أنه لا طبقيـة فى الاسلام .. فهو يقرر بنص القرآن الكريم : « **ان أكرمكم عند الله أتقـاكم** » .. وبنص الحـديث الشريف : « **كلكم لآدم وآدم من تراب** » ، « **ولا فضل لعـربى على عجمى الا بالتقوى** » ..

وتاريخ الاسلام حافل بالمساواة ..

لا طبقية فى الاسلام ، وانما هو درجات ، « **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** » .

« **قل هل يسـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » .

« **الرجال قوامون على النساء** » .

وهذه **القوامة** لم تشرع ليأخذ النـاس **الشطر الأول من التشريع « قوامون على النساء فقط »** .

ان لهــذه القوامة شرطين حددتهمـا الآية الكريمة : « **الرجال قوامون على النســاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقــوا من أموالهم** » .

فضل الله الرجل بقوته ليحمى المرأة من الزلل أو من العدوان .

وبما ينفق الرجل من ماله ، ومن يفقد أحد الشرطين ، يفقد عنصرا أساسيا من عنصرى القوامه .. الحماية والكفالة .

معنى تحرير المرأة

اننا حينما ننادى بتحرير المرأة ، انما نريد لها التحرر الواعى ، نريد لها أن تعرف وتحس بأنها ليست سلعة تباع وتشترى ، نريد لها التحرر من الخوف ومن الحاجة ٠٠ والمرأة العاملة تستطيع التحرر من الخوف ومن الحاجة ٠

اننا ونحن نبنى المجتمع الأفضل ، يجب أن نؤمن المرأة على كيانها ، وكرامتها ، وأنها فى كل هذا سواءمن الرجل ، وحينما تقوم الشركة بينهما فى بيت الأسرة ، يجب أن يمارس الرجل القوامة ، وحكمة التشريع فى هذا هو ايجاد قيادة فى الأسرة تحسم أمورها ولا تعيش الأسرة فى مهب الرياح ٠

ان واجب القوامة يعنى الرحمة بالمرأة ، والأسرة ، والاستقرار الاجتماعى ٠

ونحن نجد الأسر التى تحاول الخروج على هذا المفهوم دائما تتعرض للضياع ٠٠ فأية مجموعة من الناس لا بد أن تكون لها قيادة ، والأسرة هى المجموعة الأساسية فى الوطن ولا بد أن تمارس الحرية الحقيقية ، والاشتراكية الحقيقية ، والديمقراطية الحقيقية ، ولا يصلح ذلك كله بغير قيادة

واننا حينما نناقش عمل المرأة ، يجب أن نذكر أساسا **أن عمل المرأة داخل بيتها ، لا يقل قيمة فى بناء المجتمع عن عملها خارج البيت ، فانها حين تنشىء رجلا فاضلا ، تكون قدمت للوطن خدمة لاتعدلها خدمة ، وعملا لا يعدله عمل آخر ٠٠**

واننا حين نفتح أبواب العمل أمام المرأة فلا ينبغى أن يكون ذلك على حساب الطفولة ، صانعة المستقبل ، أو على حساب الأسرة الخلية الحية والتى يجب أن تبقى حية ليكون المجتمع كله حيا .

واننا عندما نعبىء كل القوى ، رجالا ونساء ، لمواجهة العمل الضخم فى اعادة صنع الحياة ، يجب أن نطمئن الى أن الدولة ملزمة بتوفير الخدمات الواجبة لكى توفق المرأة بين عملها فى البيت وبين عملها خارج البيت ٠

ان المجتمع الاشتراكى مسئول عن رعاية الطفولة ، صانعة المستقبل ، فكلما أكثر من دور الحضانة فى معركة البناء ، كلما زاد أمن الأم ، وزاد انتاجها ٠٠ ان نصف الأمة يجب أن يعمل ، وعلى الأمة أن تتعاون على تمكين الأجيال الصاعدة من النمو الصالح لممارسة الحياة فى مجتمع الكفاية والعدل ٠

سقط حكم الطبقة ٠٠

وعندما تلتقى القوى العاملة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، بلا تفرقة بين طبقة وطبقة ، ورجل وامرأة ، فانما تسقط بيد الوحدة الوطنية حكم الطبقة ، ليقوم فى مكانه حكم التحالف الوطنى لقوى الشعب العاملة ، لتكون كل الديمقراطية للشعب ، ولتكون سلطة الشعب فوق الأجهزة التنفيذية ٠

فهذا هو ضمان للحرية ٠٠ يعززه ضمان آخر هو اشتراك الفلاحين والعمال فى قيادة التنظيمات الشعبية بنسبة ٥٠ ٪ على الأقل ، حتى لا تكون الفوارق الطبقية حاجزا يمنع وصول صوت الغالبية الشعبية ٠

فان الديمقراطية عندما تمارس بحق ، تجعل للشعب الكلمة الأولى فى اعادة صنع حياته وفق ارادته ٠

وان الاشتراكية هى العمل الجماعى الأمين المنظم ، هى انتاج المجتمع ، وغاية الانتاج كما ينص الميثاق هى الخدمات ، يعنى تحقيق العدالة بعد تحقيق الكفاية كاملة ٠

ولن تقوم للديمقراطية مفاهيمها المجسمة ، ولن تتحقق الاشتراكية فى معناها الملموس ، الا اذا أقمنا المجتمع على قاعدة من الأحرار ، فان العبيد يستطيعون فقط قطع الأحجار ، أما الأحرار فهم يستطيعون التحليق بأفكارهم مع النجوم .

وهنا تبدأ مسئولية الاتحاد الاشتراكى العربى ، فهو التنظيم الديمقراطى الثورى ، هو التحالف الشعبى لكل القوى العاملة ، من أجل حماية التطبيق الاشتراكى ، لتبقى الحرية للشعب بجناحيها ، الديمقراطية والاشتراكية ، فيحلق الأحرار بأفكارهم الى النجوم ٠

تحقيق صحفي

مع

السيد طلعت خيري

وزير الدولة للشباب

يقدمه : عبد العظيم ملوك

- الشباب العربي قوة هائلة
- حكومة الثورة أرست الثورة في نفوس الشباب
- الشباب طليعة الزحف المقدس
- القيم الروحية هي السراج الذي نهتدي به .

تحدث السيد محمد طلعت خيرى وزير الشباب الى مجلة منبر الاسلام عن الشباب .. ودوره فى المجتمع الجديد ..

تناول السيد الوزير فى حديثه : التربية الاسلامية وأثرها فى اعداد المواطن الصالح ..

وأجاب السيد الوزير عن أسئلة المجلة عن دور الشباب فى التنظيمات الشعبية ورسالته فى اتحاد الشباب الاشتراكى العربى ..

وتحدث السيد الوزير .. حديث الأرقام .. عن مكاسب الشباب العربى فى ظل رعاية الثورة التى لم تبخل عليه ـ منذ قيامها ـ بالرعاية الكاملة وتوفير الامكانيات ..

لقد آمنت الثورة ـ فيما آمنت به ـ أن الشباب العربى قوة هائلة وخامة طيبة لو أحسن الاستفادة بها بالرعاية الحقة، والتوجيه السليم ، وتوفير المنشآت الرياضية ، ووضع البرامج المختلفة التى تسهم ـ فى مجموعها ـ فى اعداده ليكون مواطنا صالحا ، قادرا على تحمل اعباء المستقبل .

ازالة انقاض الماضى :

ومنذ أن قامت الثورة كان لرعاية الشباب الجزء الأكبر فيما حققته الثورة من مشروعات.

فمنذ البداية وجهت حكومة الثورة عنايتها الى ازالة أنقاض الماضى ورواسبه من ذهن الشباب التى علقت به كنتيجة لما مرت به البلاد من عهود الملكية الفاسدة .. والاقطاع المتحكم والاستعمار المستبد والراسمالية الجشعة . فارست الثورة فى نفوس الشباب القيم السليمة والمبادىء النبيلة التى نادت بها الاديان .

الشباب طليعة الزحف المقدس :

وان الأمة العربية تعلق الآمال الكبيرة على الشباب .. وما يعيشه الشعب العربى اليوم من معارك ضد الرجعية وقوى البغى والعدوان يتطلب من الشباب أن يقوم بدوره الايجابى ليكون نصيرا للحرية ومدافعا عن كرامة الانسان العربى الذى فرض نفسه على التاريخ رغم القيود التى كبلته والسدود التى وضعت على طريقة تحاول أن تعوق نهضته أو توقف زحفه المقدس نحو تحقيق آماله وتطلعه الى الحرية والاشتراكية والوحدة .

دور الشباب فى معركة البناء :

وكل ما أرجوه من الشباب أن يعيش فى واقع حياة الأمة العربية وأن يرتفع بحاضره الى مستوى أمانى أمته .. ولا سبيل الى ذلك الا بالاطلاع والثقافة ، والتفاعل مع المجتمع ، والاسهام فى المشروعات القومية والاجتماعية والاستفادة من الاجازة الصيفية بالاشتراك فى معسكرات العمل على المستوى القومى وعلى مستوى المحافظة .

الثورة ورعاية الشباب :

وشهد الشباب من الرعاية فى سنوات الثورة – التى نحتفل فى هذه الأيام بعيدها الحادى عشر – ما يتحقق فى قرون وأجيال .

فثورتنا قادها طلائع من الضباط الشبان الذين آلوا على أنفسهم أن يطهروا الوطن ، ويحرروا المواطن .

فتصبح الأرض ملكا خالصا ينعم أبناؤها بخيراتها فى ظل الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا ومن خطنا المتميز فى الحياة، وشخصيتنا المستقلة التى لا نرضى لها أن تتلاشى مع شخصيات الدول الأخرى ، فان ما يصلح فى دولة قد لا يصلح فى دولة أخرى .

وقد رات الثورة أن تتوج مجهودها فى ميدان رعاية الشباب بتشكيل وزارة الدولة للشباب لتقوم بالرعاية القومية والثقافة الاجتماعية والعسكرية والرياضة الفنية للشباب .

رسالة الشباب فى التوعية القومية :

كذلك على الشباب أن يقوم بالتوعية الثورية للمواطنين – الذين لم ينالوا حظهم فى التعليم – وخاصة ونحن الآن مقبلون على تكملة مراحل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى .

الشباب والميثاق :

ومن واجب الشباب أن يدرس الميثاق الوطنى دراسة واقعية ، والتعمق فيما حواه من قيم خالدة ، ومبادىء العمل الثورى وأن يعمل على تطبيقه وتوضيحه لمن يحيطون به .. فان فى الميثاق الوطنى من المبادىء ما نستطيع به تحقيق آمالنا فى اقامة المجتمع الجديد الذى ننشده .. مجتمع الكفاية والعدل .

انكار الذات والقيادة الجماعية :

ومن المبادىء التى أرساها الميثاق الوطنى العمل المخلص وانكار الذات والوفاء بالمسئوليات ومراعاة المصلحة العامة وخير المجموع ووضعهما فوق كل مكسب شخصى أو طمع مادى .

كذلك مبدأ القيادة الجماعية وهو ضمان للديمقراطية وعاصم من انحراف الفرد .. وهو مبدأ أرسى الاسلام دعائمه حين قال الله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » « وشاورهم فى الأمر » ..

مبادىء سامية :

وهناك مبادىء النقد والنقد الذاتى والمصارحة والاعتراف بالأخطاء وكسب ثقة الشعب بالاقناع وفى هذا تحقيق للمبادىء السامية التى نادى بها الاسلام الحنيف الذى ندد بسياسة القسر والقهر فيقول تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » .

تمسك الشباب بالقيم الروحية :

وانتهز هذه المناسبة لأوجه نظر الشباب الى ضرورة التمسك بالقيم الروحية النابعة من الأديان السماوية فهى السراج الذى نهتدى به، وصمام الأمن للنفس البشرية ، وتجديد للايمان ، واضاءة للعقل الانسانى بنور الثقافة والمعرفة .

وفقنا الله لما فيه خير الشباب والوطن بقيادة الزعيم الشاب الرئيس جمال عبد الناصر .

والله ولى التوفيق .

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت يفتتح مؤتمر أبي بكر الصديق

افتتح فضيلة الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت مؤتمر أبى بكر الصديق الذى يقيمه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالاسكندرية والذى يضم ممثلى سبعين دولة اسلامية من مختلف الشعوب الأفريقية والآسيوية والدول الأوربية ..

وقد رحب بسيادته السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالكلمة التالية :

يسرنى كل السرور أن أرحب باسم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بامام المسلمين فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ويسرنى فى هذه المناسبة أن أقدم لفضيلته أعظم هدية وهى أن طالبا من أوغندا كان وثنيا وأسلم هنا منذ ثلاثة أيام وسمى نفسه جمال عبد الناصر وكان اسمه الحقيقى أوكيلو جول . وقد رحب به فضيلة شيخ الأزهر وقال له : « يا بنى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » وقد شرح الله صدرك ، فالله قد أراد هدايتك ويهديك حتى يسلم على يديك المئات والآلاف والملايين من أهالى أوغندا .

وقد ذكر السيد السكرتير العام أن هذا الشاب قد حضر الى القاهرة من ثلاثة أسابيع وكان فى أوغندا وليس عنده فكرة عن الاسلام وزميله عرض علينا أن يشرف المعسكر فقبلنا ، وأبدى رغبته فى الحضور ، وفى فترة حضوره بالمؤتمر اطلع على تعاليم الاسلام فأسلم وأصبح من المسلمين وهو يقول : عند رجوعى الى أوغندا سأحاول نشر الاسلام ما استطعت الى ذلك سبيلا .

كلمة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت

أبنائى واخوانى سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. وبعد ،

فان هذه الصورة التى قابلتمونى بها ترحيبا وتكريما قد أخذت على سمعى وملكت على حواسى وأقسم لكم أن نبرات قلبى أسمع صوتها كما أسمع ضربات أكفكم بعضها على بعض ولو أتيح للقلوب أن تتحدث أو أتيح

للأسماع أن تسمع حديث القلوب لأغانى ما تسمعونه وما يحدثكم به قلبى عن أن أتكلم بلسانى ..

ابنائى ... من عوائد المصريين جميعا أنه متى شعروا بدخول شهر يوليو أخذت الأسر تستعد بأهلها وأبنائها الى الرحيل من بلادهم المقيمين بها خلال السنة الى شاطىء من شواطىء الجمهورية مثل الاسكندرية أو رأس البر ترويحا للنفس وتغييرا للبيئة التى يعملون فيها .. وهكذا كان الأزهر بالنسبة لأبنائه الوافدين من أفريقيا وآسيا فهم أسرة واحدة قد أحسوا بما تحس به سائر الأسر جميعهم تحت رعاية أخيهم توفيق عويضة وكلف نفسه أو كلفته الأمة بأن يذهب مع اخوانه الى شاطىء الاسكندرية ليتمتع معهم بالهواء الطلق والنسيم العليل تماما كالاخوة لكى ينالوا شيئا من الترفيه الذى يخفف عنهم متاعب السنة الماضية والسنة المقبلة ، والأزهر بالنسبة لكم هو أسرة أنتم أبناؤها وتوفيق عويضة أخوكم الأكبر وهكذا يتولى جميع شئونكم حتى اذا اكتملت فيكم الآفاق والأفكار واستقامت الألسنة وتزودتم بالعلم سرحتم الى بلادكم تدرسون تعاليم الدين وتحملون راية الاسلام وبذلك يعود الاسلام كما بدأ فى القارتين، وانى حرصا منى على افادتكم جسمانيا فانى سمعت هذه الآيات من قارىء القرآن « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون** » هذه آية « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .. ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ..

أريد أن أقول لكم ان هذه الآيات المتوالية تضع مبادىء ثلاثة تبين كيف تتكون جماعة المسلمين .

فالعنصر الأول الذى وضعه الله : اللبنة الأولى فى تكوين الجماعة الاسلامية هو ما تضمنته الآية الأولى :

« **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** » مبدأ أول وهو ما تتضمنه الآية الأولى هو الايمان فليس الايمان دعوة تدعى أو كلمة تقال عنوانها لا اله الا الله محمد رسول الله، وليس الايمان كلمة تجرى على اللسان انما الايمان انفعال القلب بعظمة الله وقوة الله وسلطانه حتى تتمثل تلك العظمة فى كل مكان فيما ترى .. فيما تسمع .. فيما تلمس ... فيما تحس .. ومن هنا تتقى الله حق تقاته والتقاة التى يجب أن تتقدم بها الى الله هذه هى اللبنة الأولى ...

اللبنة الثانية : انك اذا آمنت واتقيت الله حق تقاته فلا تنظر الى نفسك فقط بل انظر الى نفسك وأخيك وضع يدك فى يده واعتصم معه بحبل الله هذه هى اللبنة الثانية « **واعتصموا بحبل الله** » وحبل الله هو القرآن حبله الممدود من السماء الى الأرض من تمسك به رفع ومن تركه هوى ونزل ... هذا حبل الله اعتصموا به جميعا تضمنوا الحياة الآخرة بالثواب الدائم المقيم فى ظل رؤية الله سبحانه وتعالى « **ولا تفرقوا** » ثم يذكر الله لنا مثلا من الأمثلة التى نرى فيها فائدة التمسك بحبل الله « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار** » نار التفرق نار الهوى نار الشهوة نار الطغيان « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم** » ومسح بيده صدوركم فطهرها من الحقد والفساد والطغيان « **فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته** » لتتعقل بها نفوسكم « **لعلكم تهتدون** » . « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف** » والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مهما تعددت أنواعهما أو تعددت ألوانهما تدور حول كلمة « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم** » هذه اللبنات التى تذكرها الآيات الثلاث هى الأساس فى بناء الجماعة الاسلامية ... تفهموها وانشروها بين اخوانكم وفى دولكم وفى معاهدكم وبين اخواتكم وفى أسركم وفى مؤتمركم هذا وبين أنفسكم ، انشروها بين كل

اثنين اثنين من المسلمين هذه مبادىء مطلوبة من كل مسلم تقويتها فليتواصوا بالحق وليتواصوا بالصبر « **والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » بنى لكم بيتا من أربع لبنات :

اللبنة الاولى: الايمان «إلا الذين آمنوا» اللبنة الثانية : العمل الصالح وفى مقدمته طلب العلم وحرب المفسدين الضالين الذين يعملون على حساب الدين . فكروا ببصيرتكم الحية وفرقوهم وطهروا البلاد منهم فلينتصر بكم الحق فى جميع الهيئات التى تستمعون فيها الى كلمة الدعوة .. الى الله .

أما بناتى طالبات معهد الفتيات فانا سعيد بكن أمهات المؤمنين ومعنى هذا انكن تقمن بالتربية العلمية والعملية .. كن أمهات المؤمنين فى زيهن وفى كلامهن وفى سلوكهن وفى تنظيم بيوتهن وفى تدبير معيشتهن وفى تربية أولادهن وقد انتفعنا بهن علما وعملا وسننتفع بكن ان شاء الله مرتين ومرات فى جيلكن وأبنائكن وأحفادكن .. وبعد هذا كله لا ننسى من أجرى تلك النعمة على يديه فاشكروه بعد أن تشكروا الله الذى انشأ هذه المعسكرات لأبناء المسلمين من الغرب والشرق. كل ذلك من أكبر نعم الله التى قد اجراها الله سبحانه وتعالى على يدى جمال عبد الناصر فاعرفوا للنعمة صاحبها واشكروه كما تشكرون الله كما أمركم الله « **عبدى لم تشكرنى اذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه** » والله يتولانا ويتولاكم ويوفق توفيقكم توفيقا على توفيق ويوفقكم لتنفيذ أوامره .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

كلمة الدكتور محمود حب الله

مولانا الأستاذ الأكبر . السيد السكرتير العام . ايها الاخوة . أيتها الأخوات : انه لم يكن يدور بخلدى أننى سأتكلم فى حضرة الامام الأكبر وأنتم تعلمون أنه اذا حضر الماء بطل التيمم، والامام فيه ناحية التوجيه وهوامامنا. ولكن وجودنا اليوم أمام نيف وستين بلدا من بلاد العالم الاسلامى لا بد أن يثير فى نفوسنا رغبة فى التحدث اليكم . من بضع سنوات كان لنا فى المجال الدولى الاسلامى احدى وعشرون دولة والآن بالعالم الاسلامى ثلاثة وثلاثون دولة مستقلة فانكم الآن تدرسون وتتعلمون لتجعلوا كل مسلم مستقلا فى البلد الذى يعيش فيه . ولست أعنى مستقلا فى الفكر فحسب فالمسلم مستقل ولا يمكن أن يكون مستقلا الا اذا كان له تفكير مستقل . المسلم بطبيعته لا يستعبد أبدا فحقا كان لدينا بعض البلاد الاسلامية احتلت احتلالا جغرافيا ولكنه لم يكن فى يوم من الأيام احتلالا فكريا أبدا لو كان لديه ذرة من الايمان فالايمان والاستعباد لا يجتمعان ، وفى القريب العاجل ستكونون أنتم نواة الاستقلال ليس لبلدكم فحسب ، ولكن لكل بلد مسلم أمين يعيش فيها مسلم . والاستقلال ليس غاية ولكنه وسيلة الى غاية . هذه الغاية هى أن نحيا حياة حرة كريمة على ضوء المثل والتعاليم الدينية ، ومن أوليات ذلك أن يتذكر أن المسلمين امة واحدة مهما بعدت الديار وأنه شعب واحد يسكنون فى بقاع متعددة من الأرض . فواجبكم الآن وأنتم فى هذه الفترة أن تعيشوا لهذه المثل العليا وتعاهدوا الله الا تعيشوا لأنفسكم فمن عاش لنفسه هلك وانكم حين تعيشون لغيركم لا تفقدون الحياة فحسب ، بل تعيشون مخلدين ، فواجبكم أيها الاخوة بعد أن تتزودوا بالعلم والعرفان وقد غادرتم بلدكم وجئتم بلدكم أيضا ان تربطوا هذا البلد ببلدكم وتربطوا بلاد الاسلام بعضها ببعض وحينئذ يفرح المسلمون بنصر الله وحينئذ يستفيد العالم بنهضتكم فليست نهضتكم من أجل العدوان أو الاستعباد ولكنا وحدة فى الله ومن أجل الله ولتعلوا كلمة الحق على وجه البسيطة ويعم الرخاء وينتشر الاسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة فضيلة شيخ معهد الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم . . نستعينه ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من

شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ونصلى ونسلم على محمد الأمين امام المتقين وخاتم المرسلين - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - والذين اتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . سيدى ومولاى الأستاذ الأكبر . أيها السادة .. انني لسعيد كل السعادة أن أقف اليوم فى المعسكر أشتم منه رائحة الجنة فروائح الجنة فى الشباب فانه المعسكر الذى يحمل اسم أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أول من آمن بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وأول من تعذب معه العذاب فى سبيل الدعوة الاسلامية. انني واثق أن هذا المعسكر سيتخذ من روح أبى بكر المؤمنة الصادقة قوة وعزما وايمانا وسيحمل رسالة محمد كما حملها أبو بكر وكما حملها اخوانه المؤمنون الصادقون ... أيها السادة انني ليسعدنى أن أقف فى هذا المعسكر الذى شرفه امام المسلمين الأكبر وقائد الدعوة الاسلامية فى العالم الاسلامى فضيلة الشيخ محمود شلتوت وانه لمن يمن الطالع وسعادة الفأل أن يكون هذا الامام فى الاسكندرية اليوم ليشهد هذا الشباب المؤمن الذى يعقد عليه المسلمون أكبر الأمانى واعظم الآمال وانني لواثق أن هذا الافتتاح الميمون المبارك الذى تولاه الأستاذ الأكبر سيكون بشير يمن وخير على العالم الاسلامى وان أمة يقود شئونها فى الداخل والخارج جمال عبد الناصر ويتولى قيادتها الدينية والاسلامية فضيلة الامام الأكبر الشيخ شلتوت لأمة جديرة بالعزة والمجد . وحقيقة بأن تحقق كل الآمال . وانى ليسعدنى أيها الشباب أن اسمعكم جزءا من قصيدة بعنوان « **الشعر مع الله ومع الذرة** » والذى دفعنى الى صياغتها أن أحد المواطنين فى جريدة الأهرام قال لآخر : أما زلت بعد انطلاق الأقمار والصواريخ فى حاجة الى الايمان بالله ؟ فقال سأفكر فى ذلك . وهذه هى بعض أبيات منها :

يا رب هذا العصر الحد عندما
سخرت يا ربى له دنياكا
علمته من علمك النووى ما
علمته فاذا به عاداكا
ما كاد يطلق للعلا صاروخه
حتى أشاح بوجهه وقلاكا
واغتر حتى ظن أن الكون فى
يمنى بنى الانسان لا يمناكا
أو ما درى الانسان أن جميع ما
وصلت اليه يداه من نعماك
أو ما درى الانسان أنك لو أردت
لظلت الذرات فى مخبأكا
لو شئت يا ربى هوى صاروخه
أو لو أردت لما استطاع حراكا
يأيها الانسان مهلا واتئد
واشكر لربك فضل ما أولاكا
واسجد لمولاك القدير فانما
مستحدثات العلم من مولاكا
الله مازك دون سائر خلقه
وبنعمة العقل البصير حباكا
أفان هداك بعلمه لعجيبة
تزور عنه وينثنى عطفاكا
ان النواة ولكترونات التى
تجرى براها الله حين براكا
ما كنت تقوى أن تفتت ذرة
منهن لولا الله قد قواكا
كل العجائب صنعة العقل الذى
هو صنعة الله الذى سواكا
والعقل ليس بمدرك شيئا اذا
ما الله لم يكتب له الادراكا
لله فى الآفاق آيات لعل
لـ أقلها هو ما اليه هداكا
ولعل ما فى النفس من آياته
عجب عجاب لو ترى عيناكا
والكون مشحون بأسرار اذا
حاولت تفسيرا لها أعياكا
قل للطبيب تخطفته يد الردى
يا شافى الأمراض : من أرداكا ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما
عجزت فنون الطب : من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة
من بالمنايا يا صحيح دهاكا ؟

قل للبصير وكان يحـذر حفرة
فهوى بها من ذا الذى أهـواكا ؟

بل سائل الأعمى خطـا بين الزحام
بلا اصـطدام : من يقود خطاكا ؟

قل للجنين يعيش معـزولا بـلا
راع ومـرعى : ما الذى يـرعاكا ؟

قل للوليد بكى وأجهش بالبـكا
ء لـدى الولادة : ما الذى أبكاكا ؟

واذا ترى الثعبـان ينفث سـمه
فاسأله : من ذا بالسموم حشـاكا ؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبـان أو
تحيـا وهـذا السم يملأ فـاكا ؟

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
شـهدا وقل للشـهد من حـلاكا ؟

بل سـائل اللبن المصفى كان بيـ
ـن دم وفرث ما الذى صـفاكا ؟

قل للهـواء تحسـه الأيدى ويخـ
فى عن عيون النـاس من اخفـاكا ؟

واذا رايت النخـل مشقوق النـوى
فاسـأله : من يا نخل شـق نواكا ؟

واذا رايت الليـل يغشى داجيـا
فاسأله : من يا ليـل حاك دجاكا ؟

واذا رايت الصـبح يسفر ضـاحيا
فاسأله : من يا صبح صاغ ضحاكا ؟

هذى عجائب طالما أخـذت بهـا
عيناك وانفتحت بهـا اذناكا .

والله فى كل العجـائب ماثل
ان لم تـكن لتراه فهـو يراكا

يأيهـا الانسان مهـلا ما الذى
بالله جل جـلاله اغـراكا ؟

حاذر اذا تغزو الفضـاء فربما
ثار الفضـاء لنفسـه فغزاكا

اغز الفضـاء ولا تـكن مستعمرا
أو مستغلا باغيـا سـفاكا

اغز الفضـاء ودع كواكبه سوا
بح ان فى تعويقهـن هـلاكا

ان الكواكب سـوف تفقد رشدها
وتحطـم الابراج والأفـلاكا

والجاذبيـة سوف يفسـد أمرها
وتسىء عقبـاها الى عقبـاكا

ولسوف تعلم أن فى هذا قيـا
م الساعة الكبرى هنا وهناكا

أنا لا أثبـط من جهـود العلم أو
انا فى طريقـك اغرس الأشـواكا

لكننى لك ناصـح فالعـلم ان
اخطـأت فى تسخيره أفنـاكا

سخر نشاط العلم فى حقل الرخا
ء يصـغ من الذهب النضار ثراكا

سخره يملأ بالسـلام وبالتعـا
ون عالما متنـاحرا سـفاكا

وادفع به شر الحيـاة وسوءها
وامسح بنعمى نوره بؤسـاكا

العلم احيـاء وانشاء وليـ
ـس العلم تدميرا ولا اهـلاكا

فاذا اردت العـلم منحرفا فما
اشـقى الحياة به وما اشـقاكا

القـرارات

أولا : الميثاق الذى جاء به السيد الرئيس جمال عبد الناصر منبثقا عن شريعة العدل شريعة الله يؤمن بوحدة عربية وجامعة افريقية وتضامن آسيوى أفريقى ورباط يشده بالعالم الاسلامى وبميثاق الأمم المتحدة ونحن شباب العالم الاسلامى نعلن فى ايمان وقوة تأييدنا المطلق لمبادىء الميثاق القويمة كما نعلن تأييدنا المطلق لقائد العروبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى نضاله وكفاحه من أجل الحرية والسلام .

ثانيا : علماء الاسلام لهم قداستهم ومكانتهم الروحية لعظم الرسالة التى يضطلعون بها فى سبيل اعلاء كلمة الله وفى سبيل اسعاد البشرية لذا نعلن استنكارنا وغضبتنا للتصرفات الهوجاء تجاه علماء الاسلام فى ايران ونطالب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها

(البقية ص ٢٥)

المسلمون في الفلبين

بقلم السيد
أحمد دموكا ألنتو
زعيم مسلمي الفلبين

تقع الفلبين في جنوب شرقي آسيا وهي عبارة عن عدة جزر تبلغ ١٧٥٠ جزيرة تقريبا . ويبلغ عدد المسلمين بالفلبين نحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة من مجموع السكان الذين يبلغ عددهم ٣١٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة .

مقدمة عن الاسلام في الفلبين :

١ ـ دخل الاسلام الى الفلبين في أواخر القرن الرابع عشر ، وان شئنا قلنا قبل مجيء المسيحيين بحوالي مائتي عام على يد الدعاة العرب والايرانيين ، والهنود والملاياويين والتجار والرحالة .

٢ ـ وعندما قهرت أسبانيا الفلبين في القرن السادس عشر كان الاسلام قد انتشر الى حد أن معظم الطبقة الحاكمة في مئات السلطنات والامارات والجماعات القبلية كانوا مسلمين .

٣ ـ جاءت اسبانيا سنة ١٥٢١ وبدأت في غزو المنطقة ، وفرض المسيحية في آن واحد .. وقد سقطت المناطق التي لم يكن الاسلام قد تأصل فيها فريسة سهلة أمام قوة اسبانيا الأكثر تقدما . الا أن المسلمين في المناطق التي كان الاسلام قد استقر فيها قد واصلوا مقاومتهم حتى نهاية القرن التاسع عشر حين أتت الولايات المتحدة فطردت أسبانيا .

٤ ـ ولما اضطلعت أمريكا بالأمر من بعد أسبانيا كانت المساحة غير المغلوبة من الفلبين تشتمل على سلطنة سولو ونحو نصف جزيرة ماندوناو ، حيث احتمى مليون ونصف مليون من الناس نصف البدائيين المتخلفين في كل مرحلة من مراحل الحياة الانسانية نتيجة لقتال مستعمر متصل قتال حياة أوموت دام ثلاثة قرون مع الغزاة الأجانب ، وكانت تلك كل ما تبقى من مساحات المسلمين.

٥ ـ استمرت المقاومة في عهد الأمريكيين ، ولكن هؤلاء كانت لهم سياسة مختلفة ولم يفلحوا قط في ادماج المناطق الاسلامية وشمولها تحت الرقابة الادارية لحكومة الفيلبين .

ب) حالة الاسلام من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٥٠ :

١ ـ وفي بداية الحكم الأمريكي كانت الروح الاسلامية عالية وقوية جدا كعهدها عبر القرون الطويلة من النزاع المسلح . ومع ذلك فقد كانت المعرفة الأساسية بالدين ناقصة جدا ، ومرد ذلك الى طول فترة الانعزال .

٢ ـ ان تأثير الثقافة الاسلامية أو الغربية لم يكن بطبيعة الحال ، مشجعا لنمو الاسلام نموا صحيحا سليما، خصوصا بعد جفول الشبيبة الاسلامية وفرارها الى التعليم الحديث الذي تقدمه الحكومة لكي يتكيفوا بالمجتمع الجديد ويتمشوا معه . وينطبق هذا الوصف بصفة خاصة على سنة ١٩٣٠ وما تلاها حتى وقتنا الحالي .

٣ ـ أن الاستيعاب وتبني الأفكار والعقائد الغريبة على الاسلام والفكر الاسلامي والمعادية لهما ، كل أولئك بدأ ينتشر بين الأجيال الجديدة للمسلمين الذين وفدوا في اثر اختفاء العداء بين الجماعات الدينية .

٤ ـ وكل معرفة أو علم بالاسلام كان يكتسب عن طريق «المدارس أو الكتاتيب الأولية» التي عفا عليها الدهر ومضى زمانها ، ومدرسوها العاجزون القاصرون الذين فيما عدا تقواهم ، ليس لديهم ما يؤهلهم لتلقين المعرفة الصحيحة ، وحتى هذه الأنواع من المدارس قليلة جدا ولا تدوم لنقص التلاميذ الذين ينتمون اليها .

ج) بدء اليقظة :

١ ـ وأتت سنة ١٩٥٠ بتحول في الاتجاه نحو الاسلام، خصوصا بين الجيل الذي تلقى العلم في ظل النظام الجديد وغير الاسلامي وقد برز هؤلاء آنئذ كقادة للفكر بين المسلمين وسبب هذا التبديل راجع الى زيارة قام بها الداعية الهندي مولانا عبد العليم صديق القادوي،

ان هذه الزيارة حركت المسلمين ورجتهم وأيقظتهم وفتحت أعينهم على أخطار ضياع الاسلام فى هذه البقاع .

وكان بعض أثر زيارته أن ظهرت أنواع مختلفة من النشاط بعضها صائب وبعضها غير سديد وقد قامت ثورات مسلحة منفصلة أخمدت لأنها عدمت السند الشعبى ولأن العمل لم يكن متفقا عليه وكان الباعث عليه غالبا تعصبا فى غير موضعه راجعا الى معتقدات غير اسلامية .

٢ ـ أن بعض القوى التى وجدت حديثا كنشاط جمعية المسلمين التى أنعشت ودبت فيها الحياة والمدارس التى أنشئت حديثا وفق الأساليب الجديدة قد غدت أدوات مفيدة للدفاع عن الاسلام .

٣ ـ أن روح الدفاع عن الاسلام ونشره بين المسلمين قد اكتسبت حافزا وقوة دافعة محركة بفضل الاتصال الجديد بالعالم الاسلامى وعلى الأخص عن طريق نشاط جمعية المسلمين بالفيلبين ، ان العطف الذى لاقوه فى البلاد الاسلامية ولاسيما فى الجمهورية العربية المتحدة التى قدمت كثيرا من المساعدات التى هم فى أشد الحاجة اليها فى صورة منح دراسية فى الأزهر الشريف وفى معاهد العلم الاخرى فى القاهرة وايفاد أساتذة ووعاظ عرب الى الفيلبين قد شحذ عزائمهم وزاد وجدد من قواهم .

ان زيارات كبار الشخصيات الاسلامية من مصر قد اضافت المزيد من القوة الدافعة والحافزة الى روح المسلمين العالية الناهضة ..

وقبل كل شىء فان الاهتمام الشخصى الذى يبديه السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالاسلام والمسلمين فى كافة أرجاء العالم ويدخل فى ذلك المسلمون بالفيلبين وقد كانت لزعامته الديناميكية الماهرة وخلقه الشخصى المتين والأعمال الباهرة المعجزة التى أنجزتها الثورة التى قادها شخصيا فى الجمهورية العربية المتحدة والتى أسفرت عن نتائج عظيمة ودائمة فى سائر ميادين الاجتهاد الانسانى كل ذلك كان فيه القدرة التى قادت الى الاتجاه الاسلامى الجديد الآخذ فى الاتساع فى المدى ..

ان مسلمى الفيلبين كانوا ضمن المستفيدين من هذه الروح الثورية من خلال أجهزة الجمهورية العربية المتحدة المختلفة كالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وجامعة الأزهر ووزارة التربية والتعليم ووزارة الخارجية والأوقاف .

ان عرفان مسلمى الفيلبين يتجه الى هؤلاء وغيرهم لقاء ما أبدوه من عطف ورعاية واهتمام .

د) الحالة الراهنة للمسلمين :

١ ـ ان الروح السائدة بين المسلمين خلال أيام كفاحهم ضد الاسبان وقد كانت القوة الرئيسية التى عضدتهم وسندتهم فى دفاعهم البطولى عن الاسلام تعود اليهم قليلا قليلا ، غير أن المشاكل التى تواجههم متعددة النواحى والأنواع ويرجع ذلك الى أسباب عدة من جملتها :

أ) الفقـر :

ان المسلمين وقد أملقوا (افتقروا) نتيجة لكفاح دام قرونا طويلة بالاضافة الى جهلهم بالفنون والصنائع الحديثة والتخصص الفنى يلاقون صعوبات فى اللحاق بالتقدم الاقتصادى فى البلاد وهو يسير حقيقة ..

ب) الجهـل :

ومع أن هناك الآن جفولا (فرارا) فى تحصيلهم للعلم ، فان الارتفاع فى نفقات التعليم العالى مقترنا بفقرهم يجعل من المتعذر تقريبا مدى التفاوت (الثغرة الواسعة) بينهم وبين باقى السكان .

جـ) التفـرق :

ان حالة التفرق للانقسام، وهى بقية من البقايا المترتبة المتهلة من بقايا الاستعمار الماضى ، والسياسات الاستعمارية للعهود البائدة ، عامل من عوامل تدمير وتخريب مساعيهم وجهودهم لاستعادة توازنهم .

د) التمثيل والاستيعاب :

١ ـ ولو شئنا أن نتحدث بدقة ، لقلنا أن هذا أثر أكثر منه سبب واذا اعتبرنا نوع التعليم وأسلوبه ونظرنا الى حالتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الوقت الحاضر الى جانب تعرضهم لمعتقدات وأفكار أجنبية منوعة ، لاحظنا أن هناك عملية للتمثيل والاستيعاب فى مجموع السكان ـ والمسيحيون فيهم كثرة غالبة ـ تجرى بطريقة ذات خبث بارع ، وحيلة ودهاء .

الجهود الحالية لمسلمى الفيلبين

أ) التاريخ :

ان جهود المسلمين فى الآونة الراهنة من الناحية الدينية تتركز حول مشروعات الجمعية الاسلامية للفيلبين، وهى هيئة دينية ـ اجتماعية ـ حضرية « مدنية » أسسها فى الأصل الهنود المسلمون ، المقيمون فى مانيلا ، عاصمة الفيلبين عام ١٩٢٦ لحاجاتهم المحلية على الأرجح وبعد يقظة مسلمى الفيلبين تولى قادة الفكر زعامة هذه الجمعية وجعلوا منها أداتهم الوطنية لنهضتهم الاجتماعية والدينية وفى نفس الوقت فرخ « بنت » فى كل المناطق الاسلامية عددا من المنظمات المحلية ذات البواعث المختلفة بعضها عديم الجدوى وبعضها ضار وشيد البعض هذه المدارس قائما ، على حين انطفأت نار بعضها الآخر لأسباب عدة أولها وأهمها أن واحدة منها لم تنظم تنظيما كفيلا بمواجهة مقتضيات العصر وسد حاجاته .

ب) المشروعات :

١ ـ الناحية النفسية : أ) المركز الثقافى فى مانيلا :

ان هذا مشروع أصلى للجمعية الاسلامية يرجع الفضل فى دفعه وتشجيعه ليرى النور الى الجمهورية العربية المتحدة عن طريق وزارة الأوقاف ويشتمل المركز على مسجد ومكتبة وقاعة للمحاضرات ومدرسة وستكون هذه المشروعات سندا عظيما للمسلمين فى المنطقة وحافزا على رفع روحها المعنوية وذلك لأن مانيلا مركز المذهب الكاثوليكى فى جنوب شرقى آسيا وفى عاصمة الفيلبين .

كذلك سيكون المركز مصدر الهام روحى ، واشعاعا ينشر الثقافة الاسلامية الصحيحة والبحوث والأفكار الرشيدة لا فى الفلبين فحسب .. بل وفى جميع أنحاء جنوب شرقى آسيا ، وتدخل فى ذلك اليابان وكوريا ، وتتضمن المشروعات أيضا مركزا للطباعة والنشر ومحطة للاذاعة .. وليس ثمة فى آسيا مكان آخر أكثر صلاحية وتأهبا للقيام بهذه المهمة الخطيرة .. ومانيلا فى هذا الميدان بلا منازع فان طبيعتها ومدى حرية الصحافة والخطابة فيها لا تقاس بغيرها من بلاد جنوب شرقى آسيا.

وبينما أرسى حجر أساس المركز رسميا فى حفل محكم أقيم لهذه المناسبة وحضره مندوب عن الجمهورية العربية المتحدة فى مارس سنة ١٩٥٨ ، فان المشروع لم ينفذ للعديد من الأسباب وقد روجع المشروع الهندسى ولم ينته الا أخيرا وترك الموقع الأول لأنه لم يكن ملائما ، ورئى من المناسب اقتناء آخر ، الامر الذى استغرق وقتا طويلا وبخاصة لمناورات رجال الكنيسة واليهود ، وينعم كلاهما بنفوذ عريض فى الحكومة وفى ميدان الأعمال .

وسيتكلف تشييد المركز فى مانيلا زهاء أربعة ملايين بيزو أعنى مليون دولار أمريكى ، أكثر من ثلاثمائة وخمسين ألف جنيه مصرى بقليل ويدخل فى ذلك ثمن الارض ، والمسجد والمبانى المختلفة وكانت وزارة الاوقاف قد وعدت بتقديم مائة وخمسين ألف جنيه وقد أرسل فعلا خمسون ألف جنيه وتملك الجمعية الاسلامية الآن قطعتى أرض يقدر ثمنها بنحو مائة ألف دولار أو أربعين ألف جنيه مصرى وستجمع تبرعات من المسلمين المحليين ومن بعض البلاد

التى تعطف على مسلمى الفيلبين ، ولاسيما باكستان واندونيسيا والملايو .

ب) مراكز اسلامية فى المدن الهامة فى المناطق الاسلامية:
وهذه تتكون من ثمان مراكز فى المدن الهامة تديرها الفروع المحلية للجمعية الاسلامية ويوجد الآن من هذه المراكز واحد يعمل فى مدينة مراوى أقيم بمناسبة افتتاح مسجدها هناك ، وقد مول هذا المركز باكتتابات واشتراكات محلية .. أما المركز الاسلامى فما برح فى مرحلة التخطيط .

جـ) المطبوعات :
وتعتزم الجمعية انشاء مركز للطباعة والنشر فى مانيلا، مزودا بجهاز طباعة بالحروف العربية والانجليزية لطبع المجلات والكتب وغير ذلك من الموضوعات الاسلامية مع ترجمتها الى اللغات واللهجات المحلية وتقوم الجمعية فى الوقت الراهن باصدار مجلة اسبوعية اسمها « مجلة الهلال » ونظرا لافتقاد التسهيلات ولعدم انتظام العون المالى فان صدور المجلة غير منتظم كما ينبغى أن يكون وقد وعد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بتقديم اعانة للمجلة قدرها ألف جنيه مصرى فى العام ولا شك أن هذه الاعانة ستأخذ بيد المجلة .. الا أن مصاعب تنقل العملة الأجنبية حالت دون تسليم المبلغ حتى الآن .

د) مشروع الاذاعة والتليفزيون
حصلت الجمعية الاسلامية عن طريق كلية كامل الاسلام على رخصة « امتياز » من الكونجرس باقامة مجلة محطة اذاعة وقد أرجىء العمل باقامتها لأسباب فنية ومالية ويرجى أن تسير الاجراءات قدما وحثيثا فى مشروع مشترك كشركة تجارية يديرها مسلمون .

٢ ـ الناحية التعليمية :

أ) أن الحاجة الى أن يرتشف الشباب المسلم فى الفيلبين من مناهل العلوم والثقافة الاسلامية قد شعروا بها منذ زمن طويل ، رغبة منهم فى أن يبقى الاسلام فى المنطقة الى الأبد وفى وقف التمثل .

ب) وقد كانت الجمهورية العربية المتحدة أول من استجاب الى هذه الرغبة وعمل على سد الحاجة فلقد قبلت جامعة الأزهر بالتعاون مع المؤتمر الاسلامى بعض الطلاب الفيلبيين وقدمت اليهم منحا دراسية خاصة .. ويبلغ عدد الطلاب الفيلبيين بالازهر الشريف حوالى ثمانين وعدد منهم بجامعات الجمهورية العربية المتحدة وقدمت لهم وزارة الأوقاف منحا دراسية ، بالتعاون مع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية قدرها عشرون .

جـ) وقد أعقب هذه المنح الدراسية ايفاد مدرسين عرب بعضهم من الأزهر وبعضهم من وزارة التعليم العالى وتبلغ جملة عددهم عشرة .

د) ومع أن هذا البرنامج قد رحب به مسلمو الفيلبين ترحيبا حارا واستحق شكرهم وثناءهم فانه ليس كفيلا ـ وحده ـ بحل المشكلة الجبارة ، اذ يجب توزيع المدرسين ونشرهم بين الكتاتيب ذات النوع القديم ومن هنا ، ومن أجل هذا ـ الهمت الجمعية الاسلامية انشاء كلية اسلامية وفق الأساليب والطرق الحديثة هى كلية كامل الاسلام .

هـ) ان هذه المدرسة بدأت فى سنة ١٩٥٥ بجماعة من المسلمين تحددهم النوايا الطيبة والرغبة الصادقة ولقد نظمت وفق برامج ومستويات المدارس الحكومية فاستطعنا انتزاع اعتراف من الحكومة ويدرس الدين الاسلامى كما تدرس اللغة العربية كجزء من برامج التعليم .

وقد تقدمت الدراسة بها منذ عام ١٩٥٥ وتطورت حتى تحولت من مدرسة ثانوية الى كلية .

وبدأت بمائة وستين طالبا ، فاضحى عدد الطلاب اليوم ألفا وستمائة ومن مدرسة ثانوية بسيطة سنة ١٩٥٥ اصبح لها ـ ومنذ العام الماضى ـ برنامج تعليمى أولى وابتدائى وثانوى ولثلاث كليات ، وانشأ بها قسم لتدريب المدرسين لمدارس الحكومة ، وأعدت بها محاضرات لتخريج مدرسى المدارس الأولية والابتدائية بعد الحصول على شهادة خاصة بذلك ، وهى الشرط الأدنى لمدرس الحكومة فى المستوى الأولى والابتدائى ، بكالورية العلوم فى التعليم الأولى وبكالورية العلوم فى تعليم الفنون الحرة لاعداد الطلاب للدخول فى المحاضرات المبنية أو محاضرات الخارجين .. والدراسات فى هذه الكليات تؤدى الى درجة بكالوريا « بكالوريوس » الآداب ، ادارة الأعمال لتدريب الطلاب فى المحاضرات المختلفة فى الاقتصاد أو التجارة أو ادارة الاعمال وتؤدى الى الدرجات العلمية المقابلة .

و) وتمول الكليات ، حتى الآن من مصروفات الطلاب الأمر الذى جعلها تتطور تطورا بطيئا .. وقد بدأت ويوجد اليوم الى جانب الوحدة الرئيسية كما وصفنا، فرع فى جماعة أخرى . وستفتح هذا العام فرعا اخر فى صولو . وفى نيتها أن تفتح فرعا جديدا فى كوتاباتو ، وكذلك فى مدن البجان ، باسيلان ، زامبوانجا ، وفى بلدتى بالاباجان ومالابانج فى مقاطعة لاناد دل سورا .

ز) كما تعتزم انشاء كليات أخرى، مثال ذلك الحقوق والطب والزراعة والهندسة والصيدلة والتمريض ومعهد للفنون والصناعات حسبما تسمح به تيسيراتها وميزانيتها، ويأتى فى المرتبة الأولى بين هذه المشروعات ويحتل مركز الصدارة منها قاطبة انشاء معهد للدراسات الاسلامية .

٢ ـ معهد الدراسات الاسلامية .

أ) مشروع انشاء معهد الدراسات الاسلامية هو ثمرة فكرة اختمرت لدى الجمعية الاسلامية للفيلبين زمنا طويلا .. ويعتبر خير حل للمشكلة التى حيرتهم ، وهى التعليم اللائق بمسلمى الفيلبين وقد غدا المشروع باقامة كليات كامل الاسلام ، أيسر منالا وأدعى الى التحقيق ، وقد وافقت كليات كامل الاسلام على منح الدرجات العلمية فى الآداب والفنون والفلسفة والعلوم الانسانية من أصول الدين والفقه الاسلامى والفلسفة والتاريخ واللغة العربية وآدابها كمواد أساسية وحصلت على اعتراف الحكومة بذلك .

ب) ان الفكرة الأساسية لمعهد الدراسات الاسلامية هى انشاء قسم بكليات كامل الاسلام يعنى بالآتى :

١ ـ اعداد البرنامج التعليمى للدراسات التى تفضى الى اجراءات الشهادات العلمية المشار اليها آنفا .

٢ ـ اعداد برنامج الدرس للموضوعات التى يحتاجون اليها فى الدين الاسلامى واللغة العربية بالتعليم الأولى والابتدائى والثانوى والكليات المختلفة للدراسات الاخرى.

٣ ـ اعداد برامج الدرس لتدريب المدرسين فى عام دراسى خاص على تعليم الدين الاسلامى فى مدارس الحكومة وفقا للتعليم الدينى الاختيارى .

٤ ـ الحصول والموافقة على المدرسين اللازمين والأساتذة والباحثين .

٥ ـ انشاء ادارة مركز للابحاث فى الدراسات الاسلامية واصدار الجرائد وتحرير المقالات وترجمتها الى اللغات العربية والانجليزية والمحلية .

جـ) طريقة التنفيذ :

١ ـ تنظيم كلية تتكون من :
أ) الموظفين الاداريين .
ب) المدرسين .
جـ) الباحثين .

٢ ـ تشييد مبنى معهد اسلامى يؤدى الآتى :
أ) المكتبة .
ب) مركز البحوث .
جـ) غرف المحاضرات والفصول .

د) مكاتب للموظفين .

٣ - تنظيم وتحسين وتطوير مكتبة بجميع الكتب باللغتين العربية والانجليزية أو اللهجات المحلية أواللغات الاخرى عن طريق التبرع والشراء .

٤ - انشاء مركز طباعة لطبع الجرائد والكتب والمقالات ذات القيمة وترجمة البحوث التى فيها أو الواردة من مصادر أخرى .

د) برنامج العمل :

١ - مباشرة القيام بالاشتراك مع كليات كامل الاسلام ببرنامج شامل ومتعمق بقدر الامكان لمدة عام دراسىلاعداد مدرسين لتعليم الاسلام للتلاميذ المسلمين فى مدارس الحكومة ، وهو برنامج مدته خمس سنوات يهدف الى تخريج ألف مدرس فى نهاية الفترة ويوجد الآن نحو مائة ألف تلميذ مسلم بمدارس الحكومة الأولية والابتدائية وينتظر أن يتضاعف هذا العدد خلال العشر سنين القادمة .

٢ - طويل الأجل : وبالاشتراك مع بقية فروع الكلية « كامل الاسلام » يمكن اعداد خريجى الشهادات الثانوية للحصول على شهادة بكالوريوس فى التعليم الابتدائى .. وهذه الدرجة تكفى للعمل كمدرسين فى مدارس الحكومة وبهذه الطريقة يمكن فى المستقبل الاستغناء عن المدرسين المؤقتين الذين سبق الاشارة اليها .

والواقع أن كليات كامل الاسلام كانت قد بدأت بتخريج بعض الطلبة من هذا القسم منذ سنة ١٩٥٧ وقد عين كل الخريجين فى المدارس الحكومية .. وبلغ عدد الخريجين من حملة شهادة التعليم الابتدائى المتوسطة « دراسة سنتين بعد التعليم الثانوى » حوالى الخمسين.

ومع ذلك فان البرامج الدراسية الدينية فى هذا القسم بوضعها الحالى لا تعتبر كافية لمراهم بأسس الاسلام وعقائده الأساسية .

٣ - وبالاشتراك مع الكليات الاخرى ينظم « معهد الدراسات الاسلامية » برنامج معدل ويعد المدرسين للبرامج الدراسية الأخرى التى تؤدى للحصول على درجة البكالوريوس فى الآداب مع التخصص فى الدين الاسلامى - الفلسفة والتاريخ - أو اللغة العربية وآدابها .

٤ - بالاشتراك مع الكليات الأخرى فيعد البرامج الدراسية والمدرسين للمواد الدينية لاعداد الخريجين بالمعارف الاسلامية الكافية .

٥ - يعد « المعهد » الوسائل للحصول على منح دراسية الدراسات العليا للطبقة المتقدمة فى كافة المعاهد الاسلامية مثل معاهد الجمهورية العربية المتحدة لاعداد أساتذة ومدرسين كليات كامل الاسلام ومعهد الدراسات الاسلامية .

٦ - النهوض بأهداف المعهد الأخرى «التمويل» :

لقد تبينا منذ البدء مدى ضخامة هذه المشاريع وبالتالى فان تمويل مثل هذه المشاريع ليعتبر مشكلة حتى بالنسبة للحكومات .

ومع ذلك فان المسئولين من مسلمى الفيلبين تملأهم الثقة والأخوة فى رحمة الله الواسعة التى لا تحد ، وأن روح الأخوة الاسلامية لقادرة على تحقيق هذه الآمال العظيمة وان الدعوة لتمويل هذه المشروعات مستمرة تدعو مسلمى الفيلبين واخوانهم خارج الفيلبينللاشتراك فى تمويل هذه المشاريع .

بارك الله الاسلام والمسلمين .

(بقية) شيخ الأزهر يفتتح مؤتمر أبى بكر الصديق

مشاركتهم كفاحهم ضد شاه ايران والوقوف بجانبهم فى معركتهم المقدسة .

ثالثا : الاستعمار البغيض عدو التقدم عدو الشعوب أقام مسخا كريها اسمه اسرائيل على أساس من السلب والنهب والاغتصاب ونحن شباب العالم الاسلامى نعلن اليوم أننا لن يهدأ لنا بال ولن يستقر لنا جفن حتى تعود أرض فلسطين السليبة الى أبنائها الشرعيين كما نعلن نداء الحرص واليقظة من التغلغل الصهيونى فى قارتى آسيا وأفريقيا مخافة حدوث جريمة فلسطين أخرى .

رابعا : الرجعية السعودية حليفة الاستعمار والصهيونية وجب على كل مسلم قتالهم لخروجهم عن طاعة الله وصدهم المسلمين عن تادية الفريضة وتدنيس الأرض المقدسة بجنود الصهيونية المرتزقة ومحاربتهم لشعب اليمن الشقيق .

خامسا : قاتل الله الفتنة قاتل الله دعاة الرجعية والانفصال قاتل الله أعوان الاستعمار الذين يتخذون منالشعارات الجوفاءوالنداءات الزائفة ستارا يستترون به لتضليل الأمة العربية وتفتيت صفوفها والرجوع بها الى الوراء بغية مصالحهم الشخصية وتنفيذا لمطامع الاستعمار، ونحن شباب العالم الاسلامى نناشد الشباب فى كلمكان الحرص من الوقوع فى براثن التسلط الحزبى الأعمى حتى تسلم أوطانهم من بلاء الانتهازية وتجار السياسة .

سادسا : مؤتمر القمة الافريقى انطلاقة للحرية ودعامة للسلام وانصاف للانسانية ونحن شباب العالم الاسلامى نعلن فى قوة وعزم تأييدنا المطلق لقرارات المؤتمر ونطالب بأن تكون هذه القرارات هدى ومرشدا لكل دولة أفريقية فى مجال التطبيق حتى تصبح أفريقيا للافريقيين .

حديث مع سفير العراق الدكتور عبد الرحمن البزاز

● **ما هو تاريخ سيادتك وكفاحك ونشاطك حتى أصبحت سفيرا للعراق بالقاهرة ؟**

ـ بعد أن تخرجت فى كلية الحقوق ببغداد عام ١٩٣٥ اخترت عضواً بالبعثة للدراسة فى جامعة لندن وتخرجت فيها عام ١٩٣٩ ثم عدت الى الوطن بعد الحرب العالمية الثانية وعينت فى التدريس فى كلية الحقوق العراقية ، وبعد العمل عامين دراسيين تقريبا قام كفاح بين العراق وبريطانيا بسبب تعنت بريطانيا أثناء الحرب واخلالها بشروط المعاهدة المعقودة بينها وبين العراق عام ١٩٣٠ وحدث ما كان يسمى بثورة رشيد عالى الكيلانى ، وقد أسهمت فى الخدمة العامة بمنظمة كتائب الشباب التى كانت مسئولة عن الدفاع المدنى وعما يشبه ما صار يسمى اليوم بالحرس القومى .

وبعد فشل الحركة وعودة الانجليز الى العراق ورجوع الأمير عبد الاله (الوصى على عرش العراق حينذاك) الى بغداد تحرسه حراب الانجليز أخذ ينكل بأحرار العراق ، وكنت من بين الذين شملهم التنكيل فبقيت محتجزا الحرية خلال ثلاث سنوات تقريبا تنقلت فيها بين معتقلات الغاو (فى أقصى الحدود العراقية الجنوبية على شط العرب) والعمارة ونقرة السلمان (فى أقصى الحدود العراقية السعودية بالصحراء الجنوبية الغربية) .

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية أطلق سراحى وعدت للعمل الحر فى المحاماة ، ثم فى القضاء والتعليم العالى الى أن أصبحت عام ١٩٥٥ عميدا لكلية الحقوق .

وفى خريف عام ١٩٥٦ وبسبب العدوان الثلاثى على مصر قمت مع فريق من زملائى من عمداء الكليات وأساتذة الجامعات لتقديم عريضة الى الملك والأمير عبد الاله نحتج فيها على موقف الحكومة العراقية المزرى من دول العدوان وعدم قيامها بما يفرضه الواجب القومى والانسانى تجاه الشقيقة الكبرى مصر ..

ولقد أغضبت الصراحة التى اتسمت بها تلك العريضة الحاكمين وأثارت حفيظتهم ، فقرروا فصلى من عمادة كلية الحقوق وتوقيفى واحالتى بعد ذلك الى محكمة عسكرية بتهمة ترويج الشيوعية وصدر الحكم بنفى لمدة سنة الى مدينة نائية تقع فى أقصى شرقى العراق واسمها بنجويل .

● **وماذا حدث بعد زوال الملكية والحكم الرجعى بثورة ١٤ تموز (يولية) ؟**

ـ أبطل قرار الفصل وعدت عميدا لكلية الحقوق وعرضت على مناصب عديدة أخرى

رفضتها ومنها منصب السفير وآثرت البقاء في بغداد لنشر الوعى القومى ومقاومة التيار الشيوعى والفوضوى الذى أخذ يتفشى فى العراق بصورة مذهلة بسبب تشجيع عبد الكريم قاسم وبعض أنصاره بقصد ضرب القومية العربية ودعاة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

◉ ما هو نشاط سيادتك فى هذه الفترة ؟

– اصدرت كتيبى المعنون (الدولة الموحدة والدولة الاتحادية) ودعوت الى لزوم اقامة دولة عربية اشتراكية اتحادية من العراق (الذى سميته الاقليم الشرقى) وسورية ومصر . ولقد أغضب هذا الكتاب الشيوعيين وعبد الكريم قاسم فابتهلوا ثورة الشواف فى ربيع عام ١٩٥٩ ابتهالا .. فكنت مع أول قافلة مكونة من خمسة أشخاص ألقى القبض عليها حينما أعلنت ثورة الموصل .. ولقد بقيت فى معتقلات (أبى غريب) ومعتقل الدبابات الرهيب الذى كان الشيوعيون يسمونه بمعتقل المتآمرين والخونة بضعة شهور لقيت خلالها عنتا شديدا وتعرضت للتعذيب وكان من المقرر (سحلى) لولا أن الله سلم .

وبعد أن أخذ الشيوعيون يطالبون عبد الكريم قاسم بالسماح لهم بحكم العراق ، وعلى حد تعبيرهم « حزب الشيوعى بالحكم » مطلب عظيمى » ، وشعر عبد الكريم قاسم بخطر الشيوعيين عليه شخصيا فأطلق سراح بعض القوميين وأخذ يحسن معاملاتهم فى المعتقلات وكنت فيمن أطلق سراحهم .

ولما كنت أشكو من اعياء وتعب شديد اتيح لى السفر الى لبنان للاستجمام والراحة فى صيف عام ١٩٥٩ وكانت الأحداث تتوالى وتسير فى جوهرها بأننى لن أكون نافعا اذا عدت الى بغداد وأن صوتى فى الدعوة القومية لن يسمع بمعنى لن يتاح لى أن أسمع صوتى لأحد فآثرت الحرية واستقلت من منصبى تاركا خلفى بعض أفراد عائلتى وسكنى ومكتبى والكثير مما أعتز به .

وحين اقامتى فى لبنان عرضت على حكومة الكويت مشكورة عملا مجزيا كما عرض على بعض المسئولين فى القاهرة أن أنتقل اليها أستاذا فى احدى الجامعات فلبيت الطلب شاكرا وآثرت المجىء الى أرض الكنانة وشعرت أننى قادر على أن استمر فى حمل رسالة القومية العربية والفكرية من على منبر القاهرة الحر .

◉ ما هى انطباعات سيادتك عن الجمهورية العربية المتحدة ؟

– حينما تنقلت فى التعليم بين جامعة القاهرة وجامعة الأزهر ، وجامعة عين شمس وقسم معهد الدراسات العربية العالية الذى أخترت فيه أستاذا للقومية العربية ثم مديرا للمعهد مع الحفاظ بكرسى القومية العربية وذلك بعد وفاة المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال .

وقضيت فى القاهرة نحو أربعة أعوام دراسية قبل أن تقوم ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك لتقضى على قاسم العراق وزمرته من الشيوعيين .. والشعوبيين .. والانتهازيين . ولقد أتيح لى أثناء اقامتى بالقاهرة اصدار عدد من الكتب القومية والتاريخية أحدثها كتاب « أبحاث فى القومية العربية » وهو شرح للفكرة القومية وفلسفتها ومقوماتها وأهدافها ووسائلها ومصيرها .

ثم عدت الى بغداد بعد أيام قلائل من ثورة الرابع عشر من رمضان وكانت عزيمتى مستقرة على لزوم العودة الى القاهرة والاستمرار فى أداء الرسالة القومية عن طريق معهد الدراسات العربية العالمية ولكن المسئولين فى بغداد من رجال الثورة أبو الا أن تناط بى مهمة السفارة بين القاهرة وبغداد ولشعورى بأننى قد أقدم فعلا نافعا فى هذه المهمة السامية .

◉ ما هى مقترحات سيادتكم لتوثيق الروابط بين الشعوب الاسلامية عامة ، والعربية خاصة ؟

– سيبقى من مدعاة فخارى العظيم أننى أسهمت فى محادثات الوحدة الثلاثية وأبديت رأيى أكثر من مرة بصراحة تامة وكان رأيى راى الرجل الذى يؤمن بعروبته ايمانا تاما ويرى أن العروبة أولا وبعبارة ثانية لم أكن أنطق أثناء تلك المفاوضات بلسان سفير دولة لدى دولة أجنبية .

أهداف الإسلام الكبرى

التى استهدفتها الثورة

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

يصدر هذا العدد من مجلة « منبر الاسلام » فى غرة الشهر المبارك الذى يحمل أكرم ذكرى للاصلاح البشرى العام ، كما جاءت به خاتمة الرسالات الالهية ، وهى ذكرى ميلاد الرسول الأعظم الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين .

وفى هذا العام تتوافق الأيام الأولى من هذا الشهر المبارك مع أعياد الثورة المصرية التى رجت الشرق والغرب ، واقتبست تعاليم الاسلام ، واستهدفت أهدافه .

ويسرنا فى هذه المناسبة أن نجلى بعض وجوه التوافق على ضوء ما جاء به هذا الدين الحنيف :

١ - ان أول أصل جاء به الاسلام هو تقرير « الوحدانية » لله جل وعلا .. وذلك الأصل هو الذى تعبر عنه كلمة الاسلام الأولى التى لا يدخل أحد فيه الا اذا نطق بها ، وهى كلمة « لا اله الا الله » ، ومعنى هذه الجملة : ليس فى الوجود من يستحق العبادة بحق الا الله ، وبذلك أبطلت الوثنية فى أى شكل من اشكالها ، وتخلص المؤمن من الخضوع لما سوى الله .

وقد كان العالم مقتسما بين الطوائف والرياسات ، قبل أن تبزغ شمس الاسلام ، فكان هناك الشعب المحكوم ، وكان هناك الأمراء والنبلاء والحاكمون المسلطون ، وكان هناك الأحبار والرهبان الذين يزعمون أن لهم مركزا دينيا الهيا ، يخولهم حق الغفران أو الطرد من رحمة الله .

فلما جاء الاسلام أعلن أن الله واحد ، وانه لا سلطان لأحد الا لله ، وأن الله قريب من عباده لا يحتاج الى واسطة بينه وبينهم .. **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ، « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .**

وبهذا علم الناس أن لا حجاب بينهم وبين خالقهم من كاهن أو قسيس ، وأن الانسان يستطيع أن يناجى ربه بدون واسطة ، وان يتوب اليه مما اقترف دون أن يحتاج الى أحد من الناس .

فكان هذا أعظم تكريم للانسانية ، وأكبر صدمة **للذين جعلوا لأنفسهم حق استغلالها وتوجيهها باسم الدين .**

٢ ـ وقد مشى مع هذا الأصل الذى هو توحيد الله ، أصل آخر ، بكر به الاسلام من أول الأمر ، وهو **تقرير المساواة بين الناس** ، لأن هذا هو منطق « التوحيد » فان الناس ما داموا جميعا مخلوقين لله وحده ، مكلفين بألا يعبدوا الا الله ، يعتبرون بهذا متساوين أمام خالقهم والههم المعبود ، ولا شيء هناك يتميز به بعضهم عن بعض ، ولذلك يقول القرآن الكريم :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى فضل الا بالتقوى » .

وهذا الأصل الانسانى العظيم يعتبر من أعظم الأصول خيرا وبركة على الناس ، فانه يهدر كل نظام يستند الى « الطبقية » والى تمييز بعض الأفراد أو الأجناس على بعض ، ويجعل التفاضل بين الناس انما هو بالأعمال الصالحة .

وقد عرف التاريخ القديم ، والتاريخ الحديث أمما تفرق بين أفرادها وتجعل المواطنين طبقات بعضها عال ، وبعضها دان ، وتعطى من الحقوق للطبقات العليا ما لا تعطيه للطبقات الدنيا ، وتحمل على أفراد الشعب ما لا تحمل على الرؤساء والأغنياء ، وتفرق فى العدل ، وفى اعتبار الجرائم ، وفى العقوبات تبعا للتفرقة بين الطبقات ، وتجعل بعض الناس مستحقين لأن يتولوا الوظائف العليا ، وبعض الناس مستحقين لأن يكونوا أبدا من العمال والخدم والفعلة فى الأعمال الشاقة .

كما ان التاريخ شهد فى قديمه وحديثه من يفرق بين الناس باعتبار الدم والأصل ، فهذا آرى ، وهذا سامى ، وهذا أوربى وهذا شرقى ، الى غير ذلك .

وما زلنا الى الآن نقرأ عن التفرقة العنصرية والتفرقة بالألوان حتى فى مجتمعات المتمدينين **الذين يقودون الآن ركب الحضارة ، ويزعمون أنهم زعماء التقدم والاصلاح البشرى .**

ولكن الاسلام سوى بين الناس تسوية مطلقة ، لا تفرق بين الغنى والفقير ، ولا بين القوى والضعيف ، ولا بين الأبيض والأسود ، والأحمر .. ولا بين العجمى والعربى ، ولا بين الآرى والسامى ، كلهم لآدم ، وكلهم مخلوق لله ، عبد لله .

ويلاحظ أن الأصل الذى يقرر « الوحدانية » والأصل الذى يقرر « المساواة » كلاهما يخدم الآخر ويركزه فى المجتمع .

فان الانسان اذا آمن بأن له الها واحدا لا شريك له ، لم يعد يقبل أن يؤخذ باسم التفرقة بينه وبين غيره من ذى سلطان أو غنى أو حسب ، لأن يقول : انى مساو لهؤلاء جميعا أمام الله ، فالله وحده هو ربنا ، أى مالكنا وخالقنا والهنا الذى نعبده ونخضع له ، **فليس من منطق هذه الوحدانية قبول الطبقية أو التفضيل والامتياز بين الناس .**

واذا عرف الانسان أنه مساو لأخيه وانه لا فضل لأحد على أحد من حيث الأصل ، وانما التفاضل بين الناس بالتقوى والأعمال الصالحة ، أدرك أن فوق هؤلاء المتساوين ربا واحدا ، هو الهم الذى يجب أن يعبدوه وحده .

وبذلك نرى الأصلين الأولين متساندين متعاونين على تكريم البشرية ، والربط بينهما وبين الخالق جل وعلا ، على نحو ينتج التوحيد والمساواة جميعا .

٣ ـ ثم ان « المساواة » تقتضى أصلا آخر من الأصول الأولى التى جاء بها الاسلام ، وهو « العدل » .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول فى كتابه **العزيز :**

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » .

ويقول فى آية أخرى :

« **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط** » .

والقسط هو العدل ، وقد نوع الله تعالى التعبير فى الآيتين ، فأمر فى الأولى بأن يكون المؤمنون « **قوامين بالقسط** » ، « **شهداء لله** » وعكس الوضع عكسا لفظيا فى الآية الثانية فأمر المؤمنين بأن يكونوا « **قوامين لله** » ، « **شهداء بالقسط** » وذلك ليوحى لنا بأن « القوامية بالقسط » هى عين « القوامية لله » وأن « الشهادة بالقسط » هى عين « الشهادة لله » حتى انه ليجوز أن يوضع أحدهما فى موضع الآخر عند التعبير .

وهذا يدل على أن العدل أصل عظيم من أصول الاسلام حتى استحق أن يخرج فى هذه الصورة الكريمة .

والله تعالى يعرفنا فى كثير من آيات كتابه العزيز أن الأمم انما تقوم على أساس العدل ، وانما تنهدم وتهلك اذا سادها الظلم ، فالعدل سبب من أكبر أسباب العمران ، والظلم سبب من أول أسباب الخراب :

« **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين** » .

« **وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** » .

٤ ـ ومن الأصول الأساسية التى جاء بها الاسلام تقرير مبدأ الشورى فى الحكم ، وفى سائر الشئون الاجتماعية .

ونرى ذلك فى قوله تعالى مخاطبا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** » .

وفى القرآن سورة كريمة تسمى سورة « الشورى » لقوله تعالى فى بعض آياتها وصفا للمؤمنين :

« **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » .

وهى آية تجمع بين أصل الاستجابة لداعى الايمان ، وبين أهم ركن من أركان الصلة بين الله وعباده وهى الصلاة ، وأهم ركن من أركان الصلة بين الناس غنيهم وفقيرهم ، وهى الانفاق مما رزقهم الله لمن يحتاجون الى هذا الانفاق ، وبين هذه الأركان ذكر مبدأ الشورى عاما مطلقا حيث يقول : « **وأمرهم شورى بينهم** » فنفهم من ذلك أنه يريد الشورى فى كل أمر من أمورهم المشتركة سواء فى الحكم ، أو فى تفاصيل ما يتناولون من أعمال وقرارات أسرية أو اجتماعية أو نحو ذلك .

وقد كان الناس قبل الاسلام يضطربون فى مهامه الفوضى والحكم الاستبدادى ، وكان الملوك والأباطرة لا يعرفون للشعوب حقوقا ، ولا يرونهم الا سوائم تساق كما تساق الأنعام .

ومن فروع مبدأ الشورى اشعار المجتمع كله بأن عليه واجبا أساسيا هو « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » أو هو كما نقول فى عصرنا الحاضر ، تربية رأى عام يحس بالفضيلة والحق والعدل وكل ما هو خير وصلاح فيشجعها ويأمر بها ، ويحاسب العاملين عليها ، ويحس بالرذيلة والباطل والفساد والشر فينهى عنها ويحاسب مقترفيها وينكر عليهم اقترافها .

والأمم اذا ساد فيها هذا اللون من الوعى ، وتعاونت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صلح حالها ، واستقام أمرها ، وعرف الحكام وولاة الأمر فيها واجبهم ، وخافوا مغبة الانحراف عن الصراط السوى ، وبذلك تسعد الأمة ، وتستقر فيها دعائم الشورى والمثل العليا ، ويندرىء عنها كل شر وكل سوء .

وما ابرع القرآن الكريم حيث يستعمل فى هذا كلمتى « المعروف » و « المنكر » فيوحى

بذلك ان الامر والنهى فيهما انما هو لما استقر فى المجتمع من عرف أو نكر بالنسبة لهذا وذاك ، ولا شك أن المجتمعات الراشدة المتقيدة بأحكام الله ، تعرف ما هو خير ، وتنكر ما هو شر ، وان الله يجعل لها فرقانا تحكم به بين هذا وذاك ، فيصلح أمرها : **« يأيها الذى آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم »** .

٥ ـ ومن الأصول الأساسية التى قررها الاسلام احترام العلم ، وتكريم العقل .

فاذا كانت التعاليم القديمة فى ظل الأحبار والرهبان تنفر من العلم ، وتراه خطرا عليها ، فان ذلك انما كان لأنها تخافه على نفسها ، وتعلم أن العقول تنأى عن قبولها والاذعان لها اذعانا صادقا ، ولذلك عرفنا فى القديم كيف كانت الجفوة بين أهل العلم وأهل الدين ، وكيف كان العلماء يقتلون وتسفك دماؤهم لمجرد أنهم اكتشفوا أمرا ترى الكنيسة أنه متعارض مع الدين ، بل ما زلنا نرى هذا حتى فى عصرنا الحاضر ، وان كان الاضطهاد الدينى لم يعد يؤدى الى القتل وسفك الدماء الا قليلا .

ولقد ظن الأوربيون أن بين الاسلام والعلم تعارضا ، قياسا على ما عندهم ، ولو انهم تأملوا ما جاء به القرآن تكريما للعلم لما زعموا ذلك .

فالله تعالى يقول : « ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » .

وهذه الآية تقرر أن الذين أوتوا العلم يرون ما أنزل الى الرسول هو الحق ، وهو الهادى الى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد ، ولا يمكن أن يكون المراد بالعلم فى هذه الآية العلم الدينى فحسب ، والا لكان استدلالا على صحة الدين بعلم هو مستمد من الدين ، ولكن لفظ العلم أعم من العلم الدينى والعلم الدنيوى الشامل للعلوم الكونية ، والطبية ، وعلوم الحيوان ، والنبات ، والكواكب ، والفضاء وما الى ذلك من علوم أوتيها الانسان ، فكلها دالة على الله ، مثبتة لوجوده وقدرته وحكمته أنه ـ جل شأنه ـ هو صاحب الأمر خلقا وتصريفا وتشريعا دون سواه .

هذا هو ما يراه أولو العلم المنصفون الذين لم تغلب بهم الأهواء .

ويقول الله تعالى فى تكريم أهل العلم :

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » .

وأى تكريم بعد ذكر أولى العلم فى معرض الشهادة بوحدانية الله تعالى ، وقيامه بالقسط أى التوازن بين الكائنات على وجه يحفظها ويقسط أمرها ويعدله ، ثم ان ذكرهم جاء عطفا على ذكر الله نفسه ، وعلى ذكر الملأ الأعلى وهم الملائكة .

والقرآن الكريم مملوء ، والسنة المطهرة مملوءة ، بالثناء على العلم والعلماء .

وكلاهما يذكر العقل ويعتد بأحكامه ، بل يتحاكم اليه فى قضايا الدين كلها ، ويقرر أن ما جاء به الاسلام انما يعقله أولو الألباب ، أى أصحاب العقول .

ويطلب من الناس أن يسيروا فى الأرض فينظروا ويعتبروا وأن يفكروا بعقولهم ، ويأتوا بالبراهين ان كانوا صادقين ، ويسمى البرهان والحجة سلطانا فى مثل قوله تعالى : **« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين »** .

وذلك ايذان بأن الحجة والبرهان لهما تسلط على القلوب ، وإلجاء الى الاذعان والتصديق لا يمكن أن يدفع .

والأمر واضح جدا فى عناية الاسلام بالعلم ، وحثه على استعمال العقل ، واتباع البرهان .

وذلك لأنه قد جاء بالحقائق فهو لا يخشى الأداة الكاشفة عن الحقائق وهى العلم ، ولا

يخشى التحاكم الى العقل والدليل ، لأنه واثق من أنهما سينصرانه ويؤازرانه •

٦ ـ ومن الأصول التى قررها الاسلام : الغاء التفرقة بين الناس من حيث الذكورة والانوثة ، فهو يسوى فى الخطاب والمسئولية بين الرجل والمرأة ، فيقول مثلا :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، « انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » ، « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » •

وقد اعتبر الاسلام للمرأة شخصية مستقلة كالرجل ، فجعل لها أن تملك وأن تتصرف فيما تملك كالرجل تماما ، بينما بعض الأمم الأوربية تقيد المرأة فى الملك والتصرف وتجعلها تحت سلطة زوجها على نحو يمنعها من التصرف فى مالها منفردة •

وما شرع الاسلام حكما من الأحكام فيه تقييد لحرية المرأة الا بالقيود الطبيعية التى تتفق ووظيفتها فى الحياة ، ومركزها من الأسرة والمجتمع ، أو التى يراد بها صون كرامتها ، والحفاظ على خلقها وعفتها ، والحرص على شرفها وكرامتها •

وقد جعل نصيبها فى الميراث على النصف من نصيب الرجل ، لأنه أعفاها من كل النفقات والأعباء المالية وجعلها جميعا على الرجل ، فالرجل هو الذى يدفع لها المهر عند الزواج ، وهو الذى يقدم لها هدايا الخطوبة ، وهو الذى ينفق على البيت والأسرة ، ولو أن الأم أرادت ألا ترضع ولدها فعلى أبيه أن يحترم ارادتها ويحققها لها بأن يستأجر له مرضعة بأجر منه ، أو يدفع للأم أجرا على ارضاع ابنها ، ويجب عليه أن يهيىء لها الخادم الذى يقوم بخدمتها ، فان لم يجد كان عليه أن يقوم هو بخدمتها فيما ليس من الشأن أن تقوم به النساء ، فكل هذه الأعباء يحملها الرجل دون المرأة ، فاذا كان الاسلام قد ميز الرجل فى مقابل ذلك كله بميزة يسيرة فى الارث فانه لا يكون مضيعا لحق المرأة ، ولا ظالما لها ، ونقول : ميزه بميزة يسيرة لأننا لو نظرنا لوجدنا هذه الميزة لا تزيد عن السدس اذا قارنا بين نصيب الرجل ونصيب المرأة ، فاذا فرضنا أن المال ستة أسهم ، فاستحق الرجل أربعة أسهم واستحقت المرأة سهمين ، فان معنى ذلك ان الرجل أخذ سهما من المرأة لو أنها تساوت معه ، اذ يكون لها عند المساواة ثلاثة ويكون له ثلاثة ، فهل السهم الذى أخذه من نصيبها على فرض المساواة يعد كثيرا فى مقابل ما بينا أنه عليه من الأعباء والتكاليف دونها ؟

وكذلك يقال فى كون الاسلام جعل الرجل قواما على المرأة ، اذ يقول القرآن الكريم :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » •

فان الأسرة مجتمع صغير ، لا بد فيه ـ ككل مجتمع من أن يكون فيه رئيس يرجع اليه الأمر ، ويكون قوله هو الفصل ، والا لفسد حاله ، واضطربت أموره ، وتعقدت مشاكله وتراكمت مصاعبه اليومية ، ولا يعقل أن تسند هذه الرياسة الى أضعف الطرفين وأقلهم احتكاكا بالحياة ، ومكابدة لها ، واحتمالا لألوان المشاق فيها ، فالرجل اذن هو أولى بهذه الرياسة وأقدر عليها بما منحه الله من مميزات جسمية ونفسية تمكنه من هذه الوظيفة وتعينه على حمل أعبائها ، وليست المرأة بأقدر الطرفين على ذلك لا من ناحية قوتها الجسمية ، ولا من ناحية طبيعتها النفسية •• ثم ان الرجل هو الذى عليه الانفاق ، وقاعدة المجتمع أن الذى عليه الانفاق له المراقبة والمحاسبة وهما من شئون الرياسة والاشراف ، وهذا هو معنى ما ذكرته الآية من قوله جل شأنه : « **بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** » فليس التفضيل الا الامتياز الطبيعى فى وظائف الجسم والنفس ، ولا يراد به فى نظر الاسلام أن المرأة أقل قيمة من الرجل ، أو أقل اعتبارا فى انسانيتها •

الوشيجة الروحية

بين الله والناس

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

لم تكن لله حاجة فى تعبدنا بما شرع لنا ، فان الله غنى عن عباده ، والناس هم الفقراء اليه ، وليس على عظمة الله حرج أن يعصيه من خلقه من يعصيه ، فان جبروت الله لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض .

وانما هو فضل يشاء الله أن يسبغه ، ورحمة أراد أن يبسطها ، واحسان يضفيه على عباده .. كل هذه الكمالات العلوية تعلقت بخير الناس ، وآثرتهم بالبر الموصول من جانب الله .

فرسم الله لعباده وشيجة الاتصال الروحى به ـ سبحانه ـ لينعموا برضاه ، ووضع لهم معالم هدايته فيما دعاهم اليه : من عقيدة ، وعمل ، وما رتب على احسانهم فيهما من جزاء . وازاء هذا يكون الناس على بينة من أمرهم ، وعلى أهبة السير فى طريقهم .. ويكون شأنهم فى الاختيار موكولا الى ميولهم ، وجزاؤهم من جنس أعمالهم « **ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها** » « **وما ربك بظلام للعبيد** » .

وأنت ترى اطار التشريع الدينى على اتساع مداه لا يعدو هذه الجوانب الثلاثة : عقيدة ، وعمل ، ثم جزاء .

وفى هذا الاطار تعاقبت الرسالات النبوية ، وتسابقت فى مجاله الانسانية : بحسن اختيارها لما اهتدت اليه بتقواها .. أو تخلفت عن السبق وراء شيطانها وهواها .. وقد قضى ربك أن كل امرىء بما كسب رهين .

ذلك شأن ظاهر الملامح فى كل مقام نتعرض له من سياق القرآن ، أو ننظر اليه فى توجيهات الرسول .

ومع تحديدنا له فى هذا المنطق اليسير فهو مجال اتسع مداه قديما لبحوث مترامية ، وجالت فيه عقول وأفهام ، حتى فلسفوا كل جانب منه ، وانقسمت فيه الجماعة الى فرق ، ومذاهب ، وقد حدثنا الرسول بأنها تجاوزت أو تتجاوز اثنتين وسبعين فرقة .. والحق لا يتعدد وما كان التدين لله بحاجة الى ذلك ، وقد كان الناس يسألون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عقيدة الايمان ، فلا يزيد على تعريفهم :

أن الايمان تصديق بالله ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء ، وبالقدر من عند الله ، وذلك هو الجانب الاعتقادى الحق ، لا سواه وكانوا يسألونه عن الجانب العملى ـ الاسلام ـ فيقرر لهم : أنه شهادة ألا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت الحرام مرة للمستطيع .

وفى هذا الايجاز يعلم الناس حدود ايمانهم وأعمالهم .

اما جزاؤهم فلا يدريه على التحديد أحد ، لأنه غيب يعلم الله مداه ، وان كان حصوله مقطوعا به ، والبيان عنه مستفيض غير محدود .. هكذا كانت الوشيجة الروحية مرسومة لنا ، ولمن قبلنا ، وهى شاخصة لمن بعدنا فيما شرع الله .

ولكن تشعبت الجدليات ، وتعددت السبل « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » « .. ولا يزالون مختلفين ـ باختلاف ميولهم ـ الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » .

ولا بأس علينا أن ندع الاسهاب فيما أسهب فيه الآخرون ، فذلك انحراف الى فلسفة جدلية فيها شطط لم يقف بالناس عند جانب الأمن على عقائدهم .

ومن أجل ذلك ترى كثيرين من سلف الأئمة تحاشى الفلسفة ، وخافها على نفسه ، وعلى الناس وكانوا يسألون الله العصمة ، ويقولون : اللهم ايمانا كايمان العجائز .

يريدون : ايمانا صحيحا ، راسخا ، لا تهزه الشبهات ، ولا يلاحقه الجدل الفلسفى وكأنه دعاء مستمد من القرآن .. فى مثل قول الله ـ سبحانه ـ « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور »

فاسلام الوجه الى الله ـ معناه : صدق الايمان . وتمام الاعتماد على الله ، مع الاحسان فى القول وفى العمل .. فمن كان كذلك فقد أمن الفتنة على نفسه فى دينه ودنياه ، وكان كالمتمسك بعروة حبل وثيق ، فلا تزل قدمه أبدا .. وحسبك أنه فى رعاية الله ولائذ به « وكفى بربك هاديا ونصيرا » .

وهذه العروة الوثقى التى يعتصم بها من يخاف الزلل ، والتى تعتبر مثلا للدين فى حمايته لمن يلوذ به ـ هى : الوشيجة الروحية بين الله والناس ـ كما سميناها فى صدر الكلام ـ هذا .. وقد سبق لنا ولغيرنا أن فصلنا القول تفصيلا فى ضرورة العقيدة الايمانية الصحيحة كأصل لما بعدها من شئون فى الدين والدنيا .

وهى الطرف الأول فى تلك الوشيجة ، أو فى الحبل الوثيق الذى يعتصم الانسان بعروته ، فمن لم يكن آخذا بهذا الطرف الأول كان فى مهب الريح ، وكانت حياته فرطا .

« ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا » .

ثم يأتى مجال العمل المشروع كله كترجمان للعقيدة ، ومظهر صحيح لها .

ومن غير عمل المرء بما تقتضيه العقيدة يكون تدينه مجهولا ، ولا يعتد به مستجيبا لله ، ان المتدين بعقيدته دون عمله يكون متناقضا مع نفسه ، اذ كيف يكون مصدقا بقلبه ، ومتخلفا عن العمل بمقتضى ايمانه ، ثم يكون على الايمان المنشود .

ان القرآن يذكر الايمان فى عشرات من آياته ولا يذكره الا مقرونا بالعمل الصالح والقصد من العمل الصالح كل عبادة وكل جهاد فى الدنيا يكون وسيلة الى الخير .

والقرآن فى كل مقام يذكر فيه الايمان والعمل يقرنهما بذكر الجزاء الحسن ، ويؤكد وعده وبشراه لهؤلاء المؤمنين العاملين .

كما يذكرنا كثيرا بتفاوت الدرجات فى الجزاء ، تبعا لتفاوت مراتب الأعمال : كثرة ، وقلة ، واتقانا ، وغير اتقان ، واخلاصا ، وغير اخلاص .

وان عناية القرآن بذكر الايمان مقرونا بالعمل لتدل فى يقين على أن بينهما ارتباطا ذاتيا فى نظام التشريع .

والعقيدة من غير عمل ككنز مدفون لا يعرف سبيله ، ولا أثر له خارجا فهو أشبه بالمعدوم ، حتى يكون له مظهر وجودى كما يريد الله .

كما أن العمل وحده دون عقيدة متأصلة يعتبر بناء على غير أساس ، فهو بناء متهدم من أوله : وذلك عمل أهل الكفر والنفاق .

والعجيب أن جمهرة من الناس حتى المثقفين يكتفون باعتقادهم عن أعمالهم ، فلا ترى لهم ناحية ايجابية ، وان رأيت لهم علما ، وعقلية ، ومظاهر أدبية ، وكأن العقيدة عندهم هى كل شىء ! كما أنك ترى كثيرين يعملون عملا طيبا ، ولكن الخبرة تدلك على أنه من طريق غير اعتقادى بل هو وليد العادة ، وهم يتحللون منه لأقرب الأسباب ، وكثيرا ما تجد الواحد منهم بين العمل ونقيضه ، فالتدين عند هؤلاء ليس كما فهمت : عقيدة يرتبط بها عمل .. بل هو تلون ، مع المناسبات ، **والله ـ سبحانه ـ طيب ، لا يقبل من العمل الا ماكان طيبا ، وغيره مردود على صاحبه .**

وما أحب أن أستطرد فى ذكر الآيات ، أو الأحاديث فى هذا الصدد ، فذلك شأن يطول .. واذ تعرضنا للأعمال وجزائها عند الله يعترضنا خاطر من الخواطر عن مذهب قديم يعرف بمذهب الجبر والاختيار .

وهو مذهب مطبوع بطابع الفلسفة ، ويقرر أن العبد غير مخير فى عمله ، بل هو مسير أو مجبور ، فى كل شىء ، فلا ارادة له .

ومما دعانا الى التعرض لهذا المذهب أن بيننا أفرادا يتأثرون به ، ويحسبونه صوابا .

ولو طاوعنا هؤلاء الجبريين فى مذهبهم لوقعنا فى الخطأ الفاحش ، بل لوقعنا فى الكفر من حيث لا ندرى .

وذلك أنه على القول بأن العبد مجبور دائما ولا خيار له لا تكون لرسالة الأنبياء فائدة ، حيث لا جدوى لها فى صرف الناس عن شرورهم ، ولا توجيه لها الى نواحى الخير ما دام العبد لا يختار ، ولا يتزحزح عما قدر له من عمل لامحيد له عنه وهذا انتقاص على الله فى بعثه للرسل للهداية والارشاد .

كذلك لا يكون العبد مسئولا عن عمله مطلقا ، لأنه مغلوب على أمره فى زعمهم فلا يحاسب ، ولا يعاقب عند الله ، لأنه ما أخطأ عن ارادة واختيار ، بل هو مضطر مع أن القرآن يلقى مسئولية الأعمال الاختيارية على العبد ، ويهدده بالعذاب على فعل المنكر مختارا بارادته **« كل امرىء بما كسب رهين » « بما كنتم تكسبون » « بما كسبت أيديكم » « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها » « ان الله لا يظلم الناس شيئا »** ومذهب الجبر يقتضى أن ننكر الحساب والجزاء ، وهذا كفر بالقرآن .

أو نعتبر العذاب ظلما من الله للعبد ، وهو كفر آخر .

وأقوال الجبريين على العموم غير مأمونة ، ويجب أن نطرحها جانبا ، وأن ننظر الى الأمر فى ضوء الواقع الذى نحسه ، حتى نهتدى الى الحق فى اطمئنان .

فكلنا يحس من نفسه أن له اختيارا لما يلبسه ، أو يأكله ، أو يقوله ، وأنه يفضل شيئا على شىء فيؤثر الأول ، ويترك الآخر ، أو يعود فيفضل الآخر على الأول .

وهكذا من تصرفات يزاولها المرء فى كل ساعاته .. وذلك الاختيار هو مجلبة الحساب ، والجزاء لأنه وليد الارادة التى تملك أنت توجيهها ، أو الاحتفاظ بها حتى

لا تكون مدخل الشيطان الى نفسك وحيث أسأت فى اختيارك فالجزاء من جنس عملك •

وانظر : لو انطلق من يدك المسدس • فأصاب انسانا عن غير قصد منك فلا اثم عليك ، ولا عقوبة ، لأنك غير متعمد ، ولا خيار لك فى هذا •

ولو أن الاصابة نفسها كانت متعمدة فالمسئولية عليك ، لأن لك اختيارا فى هذا • وقس على ذلك أمورا تحتمل الارادة وعدمها ، والمسئولية فيها رهينة بالقصد • وكلها يفصح لك عن وجود ارادة لها أثر فى العمل ، فيكون الجزاء منوطا بها لئلا تهدر الدماء والحقوق مع وجود الارادة فى التعدي •

وينعدم أثرها اذا لم يكن لها تعلق بالعمل• لئلا تصير الأعمال القهرية كالعمد فى مسئولياتها ، وهذا تكليف بما لا يطاق •• والله يعفى الناس مما لا يطيقونه •

وهكذا فى جانب العبادات • فالمفطر فى رمضان عاق آثم ، وعليه القضاء • وغير المتعمد كالناسى ، والمكره ، غير آثم ، ولا قضاء عليه ، وذلك لانعدام الارادة فى حالة الاضطرار • ومن هذه الايضاحات يكون العبد مسئولا عما يرتكبه من سوء باختياره ، وقد تأكد لدينا أن له اختيارا أحيانا •

وهذا مجال يتسع للكثير من التوجيهات ولعل قليله يغنى عن كثيره ، ولعلنا نرجع عن التأثر بمذهب الجبريين ، ولا ننسى التكليف الدينى بما كلفنا به بمقتضى ما لنا من مواهب، وارادة ، وقدرة على التنفيذ ، وعلى الاحجام •

اما ما يقوله البعض : ان فلانا وقع فى المحظور • وهو مقدور عليه ، ولا يمكنه التخلص من المقدور فكلام بعيد عما نقوله •• فان حديثنا عن اختيار العبد الذى كان منه قبل التنفيذ ، ثم ترتب عليه التنفيذ بعد • والعبد حين اختياره أولا لم يكن علم بالمقدور ، ولا تأكد وقوعه وانما هو يختار ويتسبب ثم يظهر له بعد انه كان مقدورا عليه ، وحسابه على ماكان من تصرفه الذى ترتب عليه الفعل •

وعند بعضنا شبهة تعرض له فى موقفنا هذا ••

وهى ـ اذا كان اختيار الانسان سببا لوقوعه فى المحظور فكان الخير له أن يخلق الله فيه اختيار الخير فقط ، حتى لا يقع فى سوء اختياره بعد •

ونحن نفهم أن قصر الاختيار على نوع واحد يعتبر تحديدا للمواهب ، وتقييدا لحيوية الانسان •• والخير أن يكون اختياره فسيحا، وأن تطلق مواهبه وارادته فى مجالها الانسانى وأن يزود بالتوجيهات التربوية ، ليكف من نزواته الشريرة ، وينطلق فى الجانب الخير، فيكون للانسانية نفع من مواهبه ، ويكون له ثواب الجهاد لنفسه ، فى قمعها عن ميولها السيئة ولا يكون الانسان أشبه بالحيوان الأعجم •

ثم ان الله لم يخلق اهل الشر اخيارا لما سبق فى علمه قبل أن يذرأهم فى دنياهم أنهم سيختارون الشر بميولهم الشخصية ، فهو يعلم مقدماتهم ، ويعلم نتائجهم قبل أن يعلموها عن أنفسهم •

ولذلك يقول سبحانه « •• **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** » •

هذا ـ ومن الخير للمسلم أن يقتصد فى النقاش ، أو التهريج على مذهب الجبرية لئلا تتولد عنده الشبه ، فلا يستقر ايمانه ، او يفتن عن بعض ما يعتقده حقا وقد لا يصادف من يصحح له الشبهة العارضة فيعيش على ضلالة •

وكان من دعاء السلف الصالح

اللهم انا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منه وما بطن •

أكاذيب على الإسلام

عربي

الدكتور احمد محمد الحوفي

يعمد بعض الذين يحاولون أن يطعنوا الاسلام الى طريقة ماكرة ، تشبه تغليف السم بقشرة من الحلوى ، لأنهم يعلنون فيما يكتبون بعض مزايا الاسلام ، ويمزجون بها أو يضيفون اليها ألوانا من الثلب والتجريح ، كأنما يحسبون أن المسلمين ينخدعون بما يشهد به هؤلاء لدينهم ، فيصدقون كثيرا أو قليلا مما يفترونه على الاسلام .

وقد نشرت مجلة ((المعرفة الجديدة)) التى تصدر باللغة الانجليزية مقالا عنوانه ((محمد مؤسس الاسلام)) هو فى حقيقته من ذاك الطراز الماكر ، فقد أشاد كاتبه ببعض مزايا الاسلام اشادة اعتقد أنها ليست الا وسيلة للزج بالسهام المغلولة التى صوبها .

والحق أن مطاعن الكاتب أباطيل ، من السهل أن تكشف مناقشتها عن جهله أو تعصبه أو عنهما معا .

فقد زعم الكاتب أن محمدا أسس أعظم دين عرفناه ، هو الدين المحمدى ، وأنه هو الذى سماه الاسلام ، وأنه رأى بعض الرؤى ، واعتقد أنها الطريقة التى يكلمه بها الله ، وبدأ يكتب ما تعلمه فى كتاب سماه القرآن ، هو انجيل المسلمين .

وليس هذا الادعاء باطلا فحسب ، بل انه يجمع الى بطلانه الجرأة على انكار الحق ، وابطال التاريخ ، والغاء العقول .

فما كان محمد ليدعى النبوة ، فيتحمل فى دعواه أفدح المخاطر ، وأقسى الشدائد ، ويصبر على ما لا يحتمل ثلاثة وعشرين سنة ، لا ينعم فيها براحة ولا أمن ولا اطمئنان ، ومعه عشرات الألوف من أتباعه يتعرضون لفقد الأرواح والأموال والقلق الدائم على الحياة ، وهو لم يجن من وراء دعواه مايجنيه أصحاب الدعاوى من رغد وثراء وأبهة وسلطان .

ولو أن محمدا كان مدعيا للنبوة لآثر على دعواه الرضا بما عرضه عليه قومه من ملك تارة ، ومن مال تارة ، حينما يئسوا من تراجعه عن دعوته الى الاسلام الذى يلغى أديانهم ، ويسفه عقولهم ، ويبطل كثيرا من عاداتهم ومعتقداتهم ، ويهدد مصالحهم الشخصية بالزوال ..

ولو أن محمدا كان مدعيا للنبوة لأقام نفسه ملكا على الجزيرة العربية بعد أن دانت له ، ووافته القبائل لتعلن اسلامها ، وتدين له بالولاء .. لكنه لم يفعل ذلك ، وقد كان ميسورا عليه ، بل آثر أن يقضى حياته فقيرا مبغضا لمظاهر الجاه والسلطان ..

ثم لماذا يتهم محمد وحده بادعاء النبوة ولا يتهم غيره من الأنبياء ؟

اذا كانت المعجزات هى الفيصل فى تصديق دعواهم فان معجزة محمد الكبرى وهى القرآن الكريم كانت الفيصل فى تصديق دعواه ..

وزعم كاتب المقال أن القرآن من عمل محمد ..

وهذه فرية مكررة لا تستطيع أن تبقى بعد تفنيدها والكشف عن زيفها .

١ - فقد صدع النبى بالدعوة الى الاسلام ، فكذب دعوته أكثر قومه ، وعارضوه ، لكنهم فى معارضتهم له ، وفى مقاومتهم دعوته لم يستطيعوا أن يتهموه بكذب سابق ، اذ لم يعرفوا عنه فى حياته أنه من أصحاب الكذب والادعاء ، بل اتهموه بأنه شاعر ، وبأنه ساحر ، وبأنه مجنون .

وليس من المعقول أن يصدق محمد الناس ويكذب على الله .

لهذا أحب أن يتفهم الكاتب معنى الآية الكريمة :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

ليتبين أن محمدا ما كان لينفى عن نفسه تهمة الكذب بهذا التصوير المخيف .

٢ - ولقد كانت تقع أحداث جسام ، يتطلع فيها محمد الى الهداية ، ويتشوق الى الحكم الفصل ، فينتظر وهو ملهوف حتى ينزل عليه القرآن بالحكم الحاسم .

حدث هذا فى حالات كثيرة ، منها قصة الافك التى نسجت حول زوجته السيدة عائشة وأبطأ الوحى ، والناس فى قلق واضطراب ولغط ، والنبى نفسه حائر لا يقول الا انه لا يعلم عنها الا خيرا . وبعد شهر كامل نزل الوحى ببراءتها مما افتروا عليها .

فلو كان القرآن من صنع محمد لسارع منذ اليوم الأول بتبرئة زوجته ، وحماية عرضه ، ولكان من السهل عليه أن ينسب الى السماء ما يدعيه ، ليكف المتخرصون عن أراجيفهم ، وليطمئن المخلصون الى براءة زوجة نبيهم .

٣ – ثم ان الوحى كان ينزل بالقرآن أحيانا مجملا ، ثم ينزل بيان لهذا المجمل •

وذلك يدل على أن النبى – صلى الله عليه وسلم – مبلغ لا مؤلف ، ووسيط لا أصيل ، ومأمور لا آمر •

من الأمثلة على هذا قوله تعالى :

« وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » •

فقد فهم الصحابة أنهم سيحاسبون على كل شىء ، حتى حركات القلوب وخطرات النفوس فقالوا : يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها • فقال لهم : أتريدون أن تقولوا كما قال بنو اسرائيل من قبلكم : **سمعنا وعصينا ، بل قولوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » •**

فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات ، حتى أنزل الله بيانها فى قوله :

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، فعلموا انهم لا يحاسبون الا على ما يطيقون من النوايا والعزائم ، لا من الخواطر والهواجس •

فلو أن القرآن من عمل محمد لبين لهم تأويلها من أول الأمر ، ولمحا شبهتهم وحيرتهم ، ولكنه كان ينتظر التأويل كما ينتظرونه •

٤ – على أن الوحى كان ينزل على النبى – صلى الله عليه وسلم – أحيانا بما لم يكن يتوقعه ، فيخطئه فى رأى رآه ، أو يأذن له فى شىء لا يقبل عليه ، أو يلومه فى عمل عمله •

من هذا قوله تعالى : **« يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ، تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم » •**

وقوله تعالى : « عفا الله عنك ، لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين » •

وقوله تعالى : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » •

وقوله تعالى : « عبس وتولى ان جاءه الأعمى •••• أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » •

فليس بمعقول أن يكون القرآن من تأليفه ثم يخطىء نفسه ويلومها ، ويأمرها بما تركت ، وينهاها عما فعلت ، لأن هذا يناقض المكانة التى يريدها المدعى لنفسه بين أتباعه ، ولا يلائم التمويه الذى يموه به على الناس ليجتذبهم اليه •

٥ – ثم ان الذى يوازن بين أسلوب القرآن وأسلوب النبى – صلى الله عليه وسلم – يجد لكل منهما طابعه المميز ، فى النسق والنظم والتصوير والسمات العامة التى تتسم بها الأساليب الفنية •

وقد أعلن القرآن انه معجز ، وتحدى بلغاء العرب جميعا أن يأتوا بسورة من مثله ، بآية من مثله ، فبان عجزهم ، على حين أن النبى لم يدع أن كلامه معجز ، ولم يدع أحد من المسلمين أن كلام النبى معجز •

٦ – على أن القرآن حافل بأمور شتى كان النبى – صلى الله عليه وسلم – لا يعلمها ، وكان العرب يجهلونها ، ففيه أخبار عن الماضين صحيحة ، كان بعضها مجهولا للعرب وغيرهم ، وكان بعضها أساطير •• مثل تاريخ عاد وثمود وسد مأرب وابراهيم ونوح • وفيه تشريع مغاير لما كان فى العصر كله فى الزواج والطلاق والميراث والبيع والوصية وغيرها •

وفى القرآن عبادات تغاير العبادات التى كانت معروفة حينذاك •

وفيه أنباء ببعض أحداث ستقع ، ثم وقعت فعلا كانتصار الروم على الفرس بعد الهزيمة ببضع سنين •

وفى القرآن كثير من الآيات التى فسرت فيما بعد تفسيرا مطابقا للحقائق العلمية ، لم يكن معروفا من قبل ، بل لم يعرف الا فى الزمن الحديث ، فمن المستحيل أن يستطيع

النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا معاصروه الالمام بشىء من هذه الحقائق .. وهذا الضرب كثير ، منه قوله تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ،، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ولقد أيد العلم الحديث ما جاء فى الآيات تأييدا علميا مجمعا عليه ، من حيث نشأة الخلق وأطواره ، وتتابع هذه الأطوار تتابعا يجعل العطف بالغا دقيقا غاية الدقة الى أن يكسو اللحم العظام .

وكذلك أيد العلم الحديث ما ذكرته الآيات الكريمة من أن العظام تخلق فى الجنين قبل اللحم .

فمن أين لمحمد أن يعرف شيئا من هذا الذى لم يعرفه العلماء الا منذ زمن قصير .. ؟ وكذلك قوله تعالى :

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » .

فان هذه الآية تنطبق على ما عرفه العلم الحديث من وجود الهواء فى طبقة معينة محددة فى الجو ، ينعدم بعدها ، فلا يستطيع الانسان أن يتنفس ولا يستطيع أن يعيش ، والذى يصعد فى الجو الى مسافة معينة يبدأ يشعر بالضيق شيئا فشيئا حتى يبلغ منطقة الفراغ فلا يستطيع الحياة .

وهذه حقيقة كشف عنها العلم الحديث ، لم يكن محمد ولا أحد من معاصريه يعلم منها أى شىء .

وهكذا تتكرر فى القرآن الكريم آيات تنطبق على الحقائق العلمية الحديثة ، وفى هذا ما يقطع باليقين بأن القرآن من عند الله بارىء الأرض والسماء ، لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعلم من هذه الحقائق أى شىء ولم يكن معاصروه يعرفون منها شيئا .

- ٣ -

ثم تمادى الكاتب فى بهتانه ، فزعم أن محمدا تعرف فى سفره على اليهودية والنصرانية ، وعلى كتبهما » وأنه سمى اليهود والنصارى أهل الكتاب ، واستقى من الانجيل والتوراة كثيرا من أفكاره .

والعجب أن الكاتب يتجاهل الحقائق الآتية ، أو يجهلها ثم يتهجم :

١ - ان محمدا - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يعرف من اليهودية والنصرانية الا ما يعرفه قومه من ظواهر لا تكفل الدراية والعمق .

٢ - أن سفره الى الشام كان فى المرة الأولى وهو صبى ، وهى المرة التى لقيه فيها الراهب المسيحى « بحيرى » ، وكان معه عمه أبو طالب وغيره فى هذه المرة ، ثم سافر الى الشام مرة ثانية وهو شاب ، ولم يلق أحدا من اليهود أو النصارى .

على أن السفر التجارى العابر لا يتيح المعرفة والتأثر والاطلاع .

٣ - ولو أنه تلقى من اليهود والنصارى شيئا ، أو نقل من كتبهم بعض المعارف لكان مشركو مكة أول من اتهموه بهذا حينما جهر بدعوته ، وأصروا على مخالفته ومعارضته وحربه ، ولكان اليهود والنصارى سراعا الى الجهر بأنه نقل من كتبهم ، واصطبغ دينا نسبه الى نفسه .

٤ - ثم ان الاسلام يخالف اليهودية والنصرانية فى كثير من الأصول والعقائد والعبادات .

فاليهود يدعون أن عزيرا ابن الله ، والاسلام دين التوحيد الخالص .

واليهود يحرمون العمل فى يوم السبت ، والاسلام لا يحرم العمل فى يوم ما .

واليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، والاسلام دين قائم على أن الناس جميعا اخوة

واليهود يحرمون البنت من الميراث اذا كان لها أخ ، فاذا لم يكن لها أخ ورثت أباها ، بشرط أن تتزوج رجلا من عشيرته ، أما الزوجة فلا نصيب لها من تركة زوجها ، وبعضهم يورث الرجل من زوجته ، وبعضهم لا يورثه ، والاسلام يخالف هذا كله .

واليهود يحلون الربا ، والاسلام يحرمه .

واليهود يحرمون لحوم الابل ، والاسلام يحلها ، ويحرمون أكل الشحم ما خلا شحم الظهر ، والاسلام يحله ، ولليهود صيام وصلاة ، وللمسلمين صيام وصلاة يغايران صيام اليهود وصلاتهم .

كذلك يغاير الاسلام النصرانية من عدة وجوه ..

فالنصارى يعتقدون أن المسيح صلب ، ويؤثرون الرهبنة ، ويدعون أن المسيح ابن الله ، ويعبدون السيدة مريم ، ويحرمون تعدد الزوجات ، ويحرمون الطلاق . والاسلام يناقض هذا كله ..

على أن الاسلام يغاير المسيحية مغايرة جوهرية فى أنه عقيدة وتشريع ، أما المسيحية فعقيدة ، وتشريعها قائم على اليهودية فى أصوله .

٥ ـ واذا كان القرآن يتفق مع اليهودية والنصرانية فى بعض القصص والتشريع ، فليس فى هذا ما يدعو الى الدهشة والاستسلام للفروض الباطلة ، لأن الأديان الثلاثة سماوية يكمل اللاحق منها سابقه ، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة مرات .

٦ ـ ثم ان الذى يقرأ القرآن يجد فيه مجادلات لليهود والنصارى، وتسفيها لعقائدهم وأحكامهم وضلالهم .

فكيف يستمد النبى من التوراة والانجيل، ثم يسفه اليهود والنصارى ؟

نجد ذلك فى قوله تعالى :

« وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا » .

وفى قوله تعالى :

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

وقوله ـ جل شأنه ـ :

« وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

وقوله :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » .

وقوله :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » .

ـ ٤ ـ

زعم الكاتب أن السبب فى انتشار الاسلام هو ارتباط الحماسة الدينية بالطوح الحربى على الرغم من أن انتصار المسلمين بدأ سنة ٦٣٤ م بعد موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعامين .

ولا شك أن الكاتب يتجاهل ما أثبته التاريخ من أن انتصار المسلمين بدأ فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ موقعة بدر ، وأنه استمر حتى دانت له الجزيرة كلها .

ثم انه يتغافل عن حقيقة لا مجال للشك فيها ، هى أن الاسلام انتشر بقوته الذاتية الجاذبة ، لا بالقسر والاكراه والاغراء ، لأن القرآن يقرر صراحة أنه لا اكراه فى الدين ، ولأن تاريخ الفتوح الاسلامية يسجل أن المسلمين لم يجبروا أحدا على أن يسلم ، بل كانوا يتركون الناس أحرارا فى عقائدهم وعبادتهم ، حتى لقد شجعوا المسيحيين واليهود على اقامة الكنائس . ولا يصح أن يتغافل باحث عن هذه الحقيقة وهى أن الاسلام كان ينتشر فى أوقات فقد فيها المسلمون نفوذهم الحربى والسياسى ، ومازال ينتشر الى اليوم بقوته الذاتية ، ويعتنقه كثير من المفكرين الذين يعرفون حقيقته .

وفى هذا يقول السير توماس أرنولد : لقد تصدعت أركان الامبراطورية الاسلامية العظمى وتضعضعت قوة الاسلام السياسية ، ولكن ظلت غزواته الروحية مستمرة دون انقطاع ٠٠ وعندما خربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م وأغرقوا فى الدماء مجد الدولة العباسية ، وعندما طرد فرديناند ملك قشتالة وليون المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة - آخر معاقل المسلمين فى اسبانيا - الجزية للملك المسيحى ، فى هذا الوقت كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت أركانه فى جزيرة سومطرة ، وكان على أهبة أن يحرز تقدما ناجحا فى جزر الملايو ٠

وعلى الذين يتهجمون على الاسلام زاعمين أنه انتشر بحد السيف أن يتذكروا أن الاسلام قد شق طريقه الى قلوب الغالبين المسيطرين من خصومه وهم أصحاب الحول والطول ، أولئك هم الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر ، والمغول فى القرن الثالث عشر ، اذ سارع الفاتحون الغالبون الى اعتناق دين المغلوبين ٠

كذلك نجد دعاة الاسلام الذين لا سلطان لهم قد حملوا عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية وغيرها ، فنشروها فى يسر وحسنى ٠

واذن فلا صحة لما ادعاه الكاتب من انتشار الاسلام بالقوة ، أو انتشاره مصحوبا بحماسة حربية ٠

وانى لأنصح الكاتب بأن يقرأ ما قاله هوبير ديشان ، حاكم المستعمرات الفرنسية بأفريقية الى سنة ١٩٥٠ ، وهو فرنسى مسيحى :

« لم تقم دعوة الاسلام على القسر ، بل قامت على الاقناع الذى كان يتولاه دعاة متفرقون ، لا حول لهم ولا طول الا ايمانهم العميق بالله ٠

وكثيرا ما انتشر الاسلام بتسرب سلمى بطىء من قوم الى قوم ، فاذا ما اعتنقه السادة وهم هدف الدعاة الأول تبعتهم القبيلة كلها ٠

ولقد يسر انتشار الاسلام أمر آخر ، هو انه دين فطرة ، سهل التناول ، لا لبس فيه ولا تعقيد ، سهل التكيف والتطبيق فى جميع الظروف ٠»

- ٥ -

ادعى الكاتب أن النبى - صلى الله عليه وسلم - علم العرب أن محاربة أعداء المسلمين حرب مقدسة ، وأن المسلم الذى يقتل فى الحرب ثوابه الجنة ، كما كان الصليبيون يفعلون فيما بعد حينما حاربوا المسلمين ٠ وهذا الادعاء باطل ، لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن داعية حرب ، بل كان داعية سلام ، وكان يؤثر السلام ما وسعته الدعوة والايثار ، فان لم يجد بدا من الحرب لحماية العقيدة وصيانة الأرواح اضطر اليها اضطرارا ، فحروبه كلها حروب دفاع لا حروب عدوان ٠

ومع هذا فقد ضرب النبى - صلى الله عليه وسلم - للناس أروع المثل فيما سنه من قوانين شريفة فى اعلان الحرب ، وفى مقدماتها وفى سيرها ، وفى نتائجها ، وفى معاملة الأسرى ، وفى معاملة المغلوبين ٠

أما تنظير الكاتب بين المسلمين الأولين وبين الصليبيين ، اذ كان الصليبيون يعتبرون المسلمين كفارا كما كان المسلمون الأولون يعتبرون مخالفيهم كفارا ، وكان المسلمون الأولون والصليبيون يتهافتون على قتال خصومهم ، وعلى الموت المقدس فى حربهم ، فانه تنظير باطل ٠

وشتان ما بين المسلمين الأولين والصليبيين ٠٠ لأن المسلمين اذ كانوا يحاربون المشركين كانوا يرتخصون أرواحهم فى الذود عن عقيدتهم وعن حريتهم وعن وطنهم ، فيدفعون عن أنفسهم شرا واقعا ، أو شرا يوشك أن يقع ٠

أما الصليبيون فقد كانوا معتدين مستعمرين مخربين حانقين على الاسلام وعلى المسلمين ، وانه لفرق كبير بين حرب همجية مبعثها الظلم والجشع والحقد ، وحرب مشروعة مبعثها الدفاع عن العقيدة والنفس والحرية والوطن ٠

فاذا رجع الكاتب الى التاريخ تبين أن المسلمين كانوا فى حروبهم ذوى مروءة وشرف ورحمة ورعاية للقيم الانسانية ، وتبين أن الصليبيين كانوا يمثلون الوحشية والطغيان والهمجية .

ولن يستطيع بعد الموازنة المستندة الى الوقائع الصحيحة الا أن يضرب صفحا عن هذا التنظير ، ويشهد للحروب الاسلامية بأنها سنت من النظم السامية والمثل العالية ما لم تستطع أمة أن تأخذ نفسها به فى القديم ولا فى الحديث .

وهنا أنصح الكاتب مرة أخرى أن يقرأ قول « جستاف لوبون » :

« لم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى أتبعوها فى معاملة المسلمين ، بل عقدوا مؤتمرا اتفقوا فيه بالاجماع على ابادة سكان القدس جميعا من مسلمين ويهود ، وقد بلغ عدد الذين أبادوهم فى ثمانية أيام ستين ألفا لم يستثنوا منهم امرأة ولا شيخا ولا وليدا ».

وان يقرأ قول « غليوم الصورى » :

« ان الصليبيين كانوا من السفهاء الفاسدين والملاحدة الفاسقين ، ولو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية لخرج من طور المؤرخ ليدخل فى طور القادح الهاجى . »

- ٦ -

ثم ادعى أن حكام المسلمين عقدوا الحياة أمام غير المسلمين ، اذ أوجبوا عليهم أن يدفعوا كل الضرائب ، على حين أنهم سهلوا الأمر على الذين يعتنقون الاسلام .

وأعتقد أن الكاتب لو عرف حقيقة الضرائب فى الاسلام لما تورط فى هذا الادعاء ، بل لشهد للاسلام بأنه فرض على أتباعه ضرائب أكثر مما فرض على غيرهم .

١ ـ فقد فرض على كل مسلم يمتلك عشرين ريالا من الفضة أو عشرة جنيهات ذهبية ، اثنين ونصف فى كل مائة كل عام .

وفرض عليه فى عروض التجارة ما يعادل ذلك .

وفرض عليه فى الابل والغنم والماعز ضريبة تختلف نسبتها باختلاف العدد .

وفرض عليه فى الأرض الزراعية عشر المحصول أو نصفه تبعا لطريقة رى الأرض ، اذا ما بلغ المحصول خمسين كيلة .

وفرض عليه زكاة الفطر فى كل رمضان عن نفسه وعمن يعولهم .

٢ ـ ولم يفرض على أهل الذمة الا ضريبة على الرءوس مقدارها أربعة دنانير فى العام عن الغنى ، وديناران عن متوسط الحال ، ودينار واحد عن الفقير .

وأعفى منها الشيوخ والأطفال والنساء والعاجزين عن الكسب والمنقطعين للعبادة والأرقاء والمجانين .

ومعنى هذا أن فرضها على الرجال الأحرار العقلاء القادرين على العمل وكسب المال ، وهم فى الحقيقة القادرون على الحرب والاشتراك فى الجندية .

فلو أنهم كانوا مسلمين لوجب عليهم الجهاد .

وهذه الضريبة لقاء الخدمات العامة التى تكفلها الدولة لرعاياها من المسلمين وغيرهم كالدفاع واقامة الجسور وشق الترع ومرتبات القضاة والجنود .. وهى فى الوقت نفسه نظير الاعفاء من الجندية ، اذ كانت الجندية واجبة على المسلمين وحدهم ، أما أهل الذمة فمعفون منها .

كذلك فرض الاسلام على الأرض الزراعية خراجا ضئيلا ، لقاء مرافقها العامة . والذى يدرس الضرائب فى الاسلام يتبين أنها أقل مما كان يتقاضاه الروم والفرس بكثير ، ويتبين أن المسلمين كانوا أرحم من عرف العالم فى فرض الضرائب وفى جبايتها ، كما شهد بذلك مونتسكيو والكونت هنرى دى كاسترى وجستاف لوبون والسير توماس أرنولد ونورمان بينز وغيرهم .

فليراجع الكاتب نفسه ، ولينزع رداء التعصب ، ليعرف الحق ويذعن له ويدعو اليه .

كلوا من الطيبات

الأستاذ البهي الخولي

- ١ -

يقول الله تعالى : « يايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » .

فما هي الطيبات ؟.. وما معنى الأكل منها؟ .. وما داعية الحديث عن ذلك والعالم في عصر نهضة حاسمة ، وتطور فاصل ، تنهار فيه دول وتقوم أخرى ، وقد يستدعى المقام لهؤلاء واولئك حديثا غير حديث الطعام والشراب ؟

اما داعية الحديث فهى نهضة الناهضين ، وعلة المرضى ، فان كلا فى أشد الحاجة الى فقه هذه الآية الكريمة ، فانه بالنسبة للناهض أسس بنائه ، وبالنسبة للمريض رحيق عافيته وبرئه .. وما اضطراب كيان العالم وشقوة الانسانية الا لأنهم لم يدركوا حقيقة الطيبات ، ولم يعرفوا كيف يقيمون صلتهم برزق الله على أساس صحيح ..

والآية مع انها سهلة المأخذ ، ذات أعماق تبدو من وراء الوضوح ، كما تبدو أعماق من البحر الكبير خلال أمواهه الصافية .. فاذا أرسلت فكرك وبصيرتك مع ما يبدو منها ، تنقلت بك فى لباب العلم الحق حتى تبلغ غاية ليس وراءها شأو لمستبق ..

يقول الزمخشرى فى تفسير الآية الكريمة : « طيبات الرزق : حلال ، وصاف ، وقوام .. فالحلال : الذى لا يعصى الله فيه .. والصافى : الذى لا ينسى الله فيه .. والقوام : الذى يمسك النفس ويحفظ العقل » .

ولم يذكر الزمخشرى فى معنى الطيبات قدرة الطعام على الامتاع ، واثارة النفوس الى درك ما له من لذة - كما يتبادر الى فهم من لافهم له - فان همم الأنبياء وأرباب الرسالات تدور فى مستوى من القيم لا توجه منه الى مثل تلك المقاصد الفانية .

وقد لا نكون بحاجة الى بيان قول الزمخشرى فى معنى طيب الرزق : انه « الحلال الذى لا يعصى الله فيه » فالحرام خبيث بالاجماع ، ولا طيب له فى ميزان الله على وجه من الوجوه ..

وأما قوله فيه : انه « القوام الذى يمسك النفس ويحفظ العقل » فيريد به المقدار الذى يقيم البدن ، ويحفظ قوى العقل أن تضطرب أو تضعف .. ومعنى الطيب فى هذا ، تحقق الاعتدال الذى أمر الله - سبحانه - به فى قوله :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » .

وانما يتحقق القوام بتحقق الكفاية ، فاذا جاوزها بزيادة أو نقص ، فقد فقد القوام ، وتنحى عنه وصف الطيب ، لأنه اسراف أو تقتير نهت عن كليهما الآية الكريمة ، ولا خير فيما نهى الله عنه ..

وأما قوله فى معنى الطيب : انه « الصافى الذى لاينسى الله فيه » فهو قول دقيق يدل على صفاء الذوق الروحى لدى الذمخشرى - رضى الله عنه - الى ما هو معروف عنه فى تفسيره من صفاء الذهن ونفوذ الى أعماق المعانى ، فانه قد يبدو لأول وهلة أن الآية استوفت حقها من بيان معنى الطيب بذكر « الحلال » و « القوام » . وانه لا ضرورة لذكر « الصافى الذى لا ينسى الله فيه » ولا سيما أن فى التزام الحلال والقوام معنى من ذكر الله وطاعته وعبادته .. ولكن ذلك الصافى هو لب حقيقة الآية ، وما المعنيان الآخران الا من اجتهاد الزمخشرى ، فانا كثيرا مانقرأ فى كتاب الله مثل قوله سبحانه « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » فيفصل بوضوح بين الحلال والطيب اذ يأمر سبحانه أن ناكل رزقه حلالا وأن ناكله طيبا ، فاذا استقل الحلال بمعناه ولفظه ، واستقل الطيب بمعناه ولفظه ، ثبت لنا - بنص القرآن الكريم - أن لب معنى الطيب فى هذا المقام هو الا ننسى الله تعالى فى أكلنا من رزقه على ما قرره الزمخشرى .

- ٢ -

ومعنى الا ننسى الله فى أكلنا من رزقه ، أن نشهد صلته - سبحانه - بكل ثمرة ، كما نشهد الصلة بين الأثر والمؤثر ، والصلة بين الصنعة والصانع ، مع فارق شاسع هو أن الثمرة - فوق أنها أثر يدل على مؤثر - تحمل الوانا من الطاقة سبحانه ، فتجد اللون الجميل ، والطعم اللذيذ ، والرائحة الطيبة ، والنفع لأبداننا ، والرفاهة لعيشنا ، على اختلاف فى الصنوف ، وتباين فى الألوان .. فاذا الضمائر تستبين فضل الواهب ، وكرم الرزاق ، وسعة عنايته بخلقه ، ولطف تودده اليهم باناقة تلك النعم .. . فاذا تاملنا فى رزق الله ذلك التأمل ، وشهدت بصائرنا فيه تلك الحقائق ، فذلك هو الذكر الذى اراده الزمخشرى ، ويؤيده أن الله - سبحانه - حين دعانا فى سورة الأنعام أن نأكل من ثماره التى أخرج لنا ، لم يكتف بتوجيه الدعوة الى الأكل حتى قرنها بدعوة أخرى الى التأمل وانعام النظر فى تلك الثمار . وذلك قوله تعالى :

« كلوا من ثمره اذا أثمر » و « انظروا الى ثمره اذا أثمر » .

والمراد بالنظر - بطبيعة الحال - هو نظر الاستبصار الذى يشهد فضل الله فى النعمة ، ويستخرج العبر من آثار قدرته وحكمته ودقيق صنعه فى كل ثمرة .

واذا كان التأمل على هذا المقال هو حقيقة ذكر الله الذى يعنيه الزمخشرى ، وكان لب ما تطيب لنا به النعمة هو ذلك الذكر المعتبر المتفكر .. فان حقيقة النعمة ، هى فضل الله فيها .. وجوهر الخير فى الثمرة ، هو دلالتها الرائعة على صفات الخالق سبحانه ، وما عدا هذه القيم القدسية الشريفة ، فهو عرضها المادى ، والثفل الذى تزدرده المعدة ، وتتلقاه الأمعاء ..

ومما يجب الالتفات اليه : ان نعم الله فى ذاتها طيبة .. طيبة بخلق الله اياها ، وتضمنها حقائق فضله ، ودلائل صفاته .. أى أنها طيبة لأنها دلائل ايمان .. وبصائر حكمة .. وآيات معرفة وعلم .. ومعارض زينة وحسن .. ومصدر حياة وعبرة .. فالأمر الوارد بأن ناكلها طيبة لا يعنى - اطلاقا - أن نكسبها وصف الطيب ، أو أن ندخل عليها عنصرا من عناصره ، بل معناه أن ننتفع بها طيبة كما هى «كلوا من الطيبات» بأن نبذل جهد التامل الذى يصل ضمائرنا بحقيقة فضل الله فيها ، وأن نجنبها جهالتنا التى تصرفنا عن مشاهدة حقيقتها ، فنجعلها مجرد ماكلة ولذة ومتعة ، ونحرم نفوسنا زادها وحظوظها من حقائق الطيب التى ذكرنا ، وذلك هو شقوة النفس ومورد الهلاك ، والله - سبحانه - يقول :

« ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ؟ »

فهو نص صريح بأن الأصل فى نعمة الله انها بصيرة ايمان ، وأن الانسان يبدلها كفرا باعراضه عن شهود فضل الله فيها .

ولقد جهد بنو اسرائيل فى الصحراء بالجوع والعطش، فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، فكانوا بازاء نعمة تحمل رحمة الله وعنايته ، وبازاء آية تحمل دليل الاعجاز فى قدرته - سبحانه - وذلك لب الطيب فى هذا الرزق ، ولقد ناداهم الله - سبحانه - اليه بقوله :

« وظللنا عليكم الغمام ، وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم » .

وكان اجراء المعجزة وحده خليقا أن يلفتهم الى شهود ما دعاهم الله اليه ، ولكنهم لم يشهدوا ولم يأكلوا سوى مادته المحسة ، فحرموا أرواحهم زادها القدسى ، وبدلوا رزق الله حجاب تهلكة وشقوة ، ولذا ختمت الآية بقوله تعالى : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

- ٣ -

ونخلص من ذلك بالحقائق الآتية :

أولا - ان لنا فى كل نعمة مطعومة نوعين من الزاد : أحدهما حسى ، هو مادتها المعروفة .. ولآخر روحى ، هو فضل الله فيهما ، وما تتضمنه من حقائق صفاته سبحانه .

ثانيا - أن حقيقة النعمة ومعدن الطيب فيها ، هو ما لنا فيها من زاد روحى .. وأن الزاد الروحى بذلك خير وأبقى من الزاد الحسى ..

ثالثا - ان قانون الانتفاع بالنعمة - الذى يصلح به أمرنا - هو تحصيل ما لنا فيها من حظ روحى ، وحظ حسى .. فاذا تخلف الحظ الروحى ، فسدت الملكات الباطنة ، وشقيت الحياة الروحية ، واضطرب نظام الحياة الظاهرة تبعا لذلك «بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار» ، «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

واذا - فقول الله تعالى : « كلوا من الطيبات » هو دعوة الى « حقيقة الانتفاع » بنعمة الله ، أو هو ارشاد الى كيفية ذلك الانتفاع .. وهو بذلك دعوة الى « قانون المصلحة » الذى تتم به أسباب الحياة الطيبة .

واجابة تلك الدعوة، أو تحقيق ذلك القانون يقتضينا أن يكون لنا بكل نعمة من نعم الله صلتان : احداهما صلة حسية ظاهرة ، هى التى نحصل بها على الثمرة ، ونسويها ، ونعدها للانتفاع والاستهلاك ، على ما هو معروف لنا جميعا .. والأخرى صلة روحية باطنة ، تقوم على التأمل البحث فى آيات النعم ..

وبكلتا الصلتين وتمام النفعين يتحقق أمران خطيران ، هما فى الحقيقة مقصود الآية الكريمة :

الأول - أن يتم للانسان «كيانه» الكامل، اذ يستوفى نواميس حياته الحسية والروحية جميعا .. فانه اذا كان الغذاء الصالح بتفاعله مع الجسم السليم ، يدعم الحياة فى البدن ، ويولد طاقات القوة فى أنواع العقل ، ويوفر السلامة لمختلف الحواس والمدارك ، فان العبر التى نستخلصها بالتأمل فى ألوان النعم والثمار ، زاد معنوى ، يقوم لكائننا الروحى فى الضمير مقام الحياة فى البدن ، والحس فى العصب ، والنور فى العين ، والمنطق فى الذهن ، والقوة فى الأعضاء ، على ملاحظة الفارق بين القوة العضوية التى ترفع الأثقال، وتقطع المسافات ، والقوة الروحية ، قوة الضمير التى تحرس الحق ، وتفرضه على الحياة ، وتجهر بحجته فى مواطن قد يجبن فيها العضل ، ويتخاذل رواء الأبدان .. وذلك الكيان الروحى ، هو حقيقة وجود الانسان ، وهو الذى يعنيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » .

فاذا حيى الانسان فى « كائنة الحسى » وحده ، فهو مجرد بدن يدب على الأرض كأى حيوان أعجم ، وهو بذلك « قشرة انسان » لا تنطوى على حقيقة ما .. قشرة لا أثر لها فى

عالم الحق ، وحراسة قيمه ، وابداع فضائله فهى والموت بالنسبة لذلك سيان .. وليس أخسر ولا أخزى من الانسان حين يكون وجوده بالنسبة للحق كعدمه .

والأمر الثانى : أنه اذا تسنى للانسان وجوده الكامل على هذا النحو ، بكائنه الحسى ، وكائنه الروحى ، فقد اتخذ مكانه واستوفى مجاله فى الكون بأجمعه : الكون الحسى ، والكون الروحى .. أخذ مجاله فى الكون الحسى - الذى هو عالم الطبيعة ومادة الأرض - على قدر ماترشحه له مواهبه وقواه المعروفة .. وأخذ مجاله فى الكون الروحى - الذى هو حقائق صفات الله سبحانه - على قدر ما يكون له من سعة استبصار ، ونفوذ وتأمل فى دلالة الكائنات .. وهذا الوجود الباطن للكون ، هو حقيقة الوجود ، ولا اعتبار فى ميزان الله للمادة الظاهرة اذا غفل بها الانسان عما وراءها ، والله - سبحانه يقول : **« ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون »** .. فثمة ظاهر للحياة وباطن ، وقد أسقط قيمة الظاهر ، وجعل العلم به كلا شىء بالنسبة الى حقيقة الباطن .

فاذا حيى الانسان فى ظاهر الطبيعة ، أوفى الكون الحسى وحده فقد حيى فى الحيز الضيق المحدود ، لافى الكون الفسيح الذى لاحدود لمعانيه وحقائقه .. حيى فى غير محيط الحياة .. حيى على السطح دون أن يكون له جذور تصله بما فى الأعماق من رحيق طيب وزاد صالح ، فهو كشجرة ميتة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .. وليس أشقى ولا أذل ممن هيىء له مكانه فى ملكوت الحقائق الباقية ، حيث آفاق البهاء ومعين الخلد والرفعة ، ورشح بالخصائص التى تجعله ملء ذلك الكون الكبير وجدانا وكرامة . فأبى الا أن يعتقد مكانا مجدبا فى القشرة الصماء حيث ظلمة الموت ، ونكد الضيق ، وخسة القدر ..

فقانون المصلحة الذى تدعونا اليه الآية الكريمة والذى به تتم أسباب الحياة الطيبة ، يقتضى الانسان أن يحيا على نظام وجوده الكامل الذى سواه الله على سنته .. وان يحيا فى مجاله العظيم المقدور له من الكون العظيم ، وحسب أى كائن صلاحا أن يستوى على نظام سنته الذى اختاره الله له ، وبرأه عليه .. فاذا كان ذلك النظام هو أن يتفاعل مع الكون تفاعلا كاملا بحسه وروحه ، فيحيا فى ملكوت الحقائق بفكره ووجدانه ويحيا ملكوت الحقائق فى ضميره بما حصل من عبرة واستصفى من حقائقه فتلك كرامة عرضها السموات والأرض لم تقدر لغير الانسان .

- ٤ -

ولا نستطيع أن نحصى فى مقال أو كتاب ألوان المعارف ، والعبر ، والقيم ، والحقائق التى يستخلصها الانسان حين يحيا فى حقائق الكون ومعانيه ، ولا أن نحصى أثر ذلك فى واقعنا ورسالتنا فى الحياة .. ولكنا نستطيع أن نقرر حقيقتين على وجه الاجمال لنقارب ذلك أو نشرف على أفقه .

الحقيقة الأولى : أن الزاد الروحى كالزاد الحسى : كلاهما صنوف وألوان ، وأننا حين ننظر فيما أخرج الله لنا من النبات والحيوان من صنوف النعم المطعومة من حب ، وخضر ، وفاكهة ، ولبن ، وعسل ، ونحوها .. ونتأمل فى أنواع الصنف الواحد ، وتعدد طعومه .. وأشكاله ، وألوانه .. وملاءمة ذلك كله لأذواقنا ومصالحنا .. حين ننظر فى ذلك نظر المعتبرين ، نلمح فيه عناية الرفيق الودود المتلطف الينا بجميل الطرف ، وانيق التحف ، حتى لكأن كل نعمة رسالة ود ، وتحية حب يلفتنا بها الى لطفه ، ورحمته ، وعنايته برفاهتنا .. فلا يكون من أثر للتأمل فى تلك الرسائل ، وتلاوة ما فيها من معان قدسية سوى اقبال ينابيع القلب بالحب لذلك الذى يتلطف الينا بكل واعية حب ، وثناء ، وشكر ..

* ونلمح مدى كرمه فى اسباغ النعم ، ووفرة المواهب ، وامتداد العطاء .. والابتداء

بالمنح ، والاعطاء بدون سؤال ، والفضل الموصول بلا جزاء .. فلا يكون من أثر للتأمل فى معالم ذلك الكرم وآياته ، **الا نفتح الضمير بالسماحة ، والفضل ، وخصال الندى والمروءة وبواعث البذل والمواساة .**

* ونلمح فى تلك النعم منذ أن توضع فى الأرض بذرة صلبة الى أن تصير حبا متراكبا أو ثمرا دانيا ، من آثار الخالق - سبحانه - فى عجيب الصنع ، وسعة العلم ، واعجاز القدرة ، وسداد الحكمة ما يمحق فى نفوسنا رخاوة الهزل والغفلة .. ويملأ وجداننا **حزما ، وجدا ، ومهابة للكون وخالقه .. ويقوم فى ضمائرنا طاقات ناهضة بالحق ، وضرورات واعية للعلم ، ورشدا يرى مكان النعم والثروات من مقاصد الحق - سبحانه -**

* وهى - بعد - أثر الصانع الذى أتقن كل شىء ، وهبة الجميل الذى جعل الجمال سمة كل مواهبه .. وحسب الشىء جمالا أن يكون صنع الصانع الذى تفرد بالاتقان ، فاذا كان مع ذلك هو هبة الجميل ، **أسفر الكون لبصائرنا عما لا يقدر قدره من آيات الحسن ، وحلل الزينة ، ومعارض الجمال .. وحيث ضمائرنا فى كون من البهجة والمسرة ، لاتجد به قلقا ، ولا تحس فيه نبوة ..**

فاذا كان قوت البدن خضرا ، أو فاكهة ، أو خبزا ، فقوت الكائن الروحى هو تلك الواردات التى تحل فى الضمير بحقيقة الحب ، وسماحة الندى ، وبواعث الحق ، ونور اليقين لمقاصد الله ، وبهجة الاطمئنان لجمال الحياة ، ونحوها مما لم نورده .. ولا حياة لهذا الكائن ، ولا قيام له الا بهذا الزاد .. وما يقال عن جدوى الفنون ، والآداب ، والثقافة ونحوها فى اقامة الحياة الروحية . لغو محض ما لم يكن واردا من ذلك المعين .. فاذا انقطع عن هذا الكيان زاده الفطرى ، أو أقمناه على زاد وبيل من الهوى والشهوة والجهل والغرور ، حل به ما يحل بالبدن اذا انقطع زاده ، أو عاش على زاد فاسد لا يأتيه بغير العلة والعطب ، اذ تنقطع الواردات التى تبنى ذلك الكيان ، فينقطع أثرها أو ينعدم فى حياة المرء ، ويصبح مجرد بدن حشوه الفراغ والتفاهة ، والاثم والشر .. وذلك هو معنى حياة الباطن أو موته ..

واذ خوطبنا فى أشخاص الرسل بقوله تعالى :

« **كلوا من الطيبات** » كان الخطاب دعوة الى اقامة هذا الكيان الطيب فى ضمائرنا ، فانا لا نتصور غاية جديرة بهذا النداء القدسى ملتقية على مقاصد الله تعالى الا عمارة ضمائر البشر بتلك القيم الطيبة العليا التى أوردنا بعضها .

والحقيقة الثانية - أن الكيان الروحى كالكيان الحسى : كلاهما ذو اقتدار على الانتاج والايجاب والتصرف .. فالكائن الحسى له نشاطه فى الأرض سعيا وحركة وفكرا وتثميرا وعمارة .. والكائن الروحى - المؤلف من طاقات المثاليات التى أوردنا بعضها - له نشاطه واقتداره على تحويل طاقاته الى مثل انسانية عملية فى الحب ، والمواساة ، والبذل وأوضاع فاضلة فى رعاية الحق وسيادة أحكامه سيادة تقمع وتمحق كل ما عداها .. وسلوك يمثل الجد وهيبة الخالق ، والحكمة فى توجيه نعم الله الى حيث يحب سبحانه ..

وذلك الانتاج الانسانى الأعلى هو لب رسالة الانسان فى الحياة .. ويراه الحكماء بحق رباط المجتمعات ، وروح الحضارات ، وما جهود الانسان فى الانتاج الحسى - تثميرا وعمارة ، واختراعا - الا الشكل الظاهرى الذى يقوم بذلك الروح .. فاذا خلا ذلك المظهر من ذلك الانتاج القلبى الانسانى ، فهى حضارة بلا روح ، لاتمت الى حقيقة الانسان بصلة ..

واذا رحنا نمتحن بهذا المقياس حضارة الغرب التى تظل الدنيا الآن ، ألفيناها قائمة على الانتاج الحسى الآلى وحده .. أما الانتاج الروحى الذى عرضنا بعض سماته ، فلا أثر له لدى القوم ، ساستهم ، وجمهرة شعوبهم .. أما الساسة والقادة فنحن نعرف ما يتورطون فيه علانية من جرائم النفاق والغدر والغش

واختلاس حقوق الشعوب ، دون أن يشعروا لذلك بأى عار ، بل دون أن يدركوا أنهم يدمرون معنى الانسانية ، وحقيقة الحضارة ، وأما جمهرة الشعوب فيكفى للحكم عليهم انهم يأكلون السحت من أيدى ساستهم مغموسا بدموع الضعفاء ودماء الضحايا فى رضا وتأييد ، فهم شركاء ساستهم فيما يأتون من عار واثم .

هذا ، وعلامة ذلك الكائن الروحى التى تميزه من سواه فى انتاجه : أنه يبذل ولا يأخذ .. ويؤثر ولا يستأثر .. ويؤاخى ولا يسيطر .. ويبدع ولا يستهلك .. ويذكر ولا يغفل .. ويحب ولا يحقد ..

فالآية الكريمة اذ تدعونا بقوله تعالى : «كلوا من الطيبات » الى أن نحيا حياتنا الكبيرة فى ظاهر الكون وباطنه ، انما تريد أن يأتلف للانسان وجوده الكامل بكيانه الحسى والروحى على التقويم الذى أراده ـ سبحانه ـ وأن تكون له رسالته الفاضلة ، وحضارته الكاملة ، بانتاجه فى أفق الحس والروح ..

- ٥ -

المخاطبون بهذا النداء من لدن آدم ـ عليه السلام ـ الى أن ختمت النبوات بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ هم قادة الانسانية فى كل بيئة أرسلوا اليها ، وواضعوا أسس الاصلاح الأصيل فى كل قوم بعثوا فيهم .. فوحدة النداء الموجه اليهم جميعا ، على اختلاف بيئاتهم وعصورهم « كلوا من الطيبات » تدل على وحدة النهج الذى تصلح به البشرية فى كل بيئة وعصر .. أى على « عالمية » ذلك المنهج ، وعموم « انسانيته » ، فاذا كان بعضهم قد بعث لبيئة خاصة ، أو قوم معينين فقد كان يحمل فى اصلاحه المحلى أصل الاصلاح الذى يتصل «بفطرة الله فى الانسان» أو يتصل « بالعنصر الزائد على الطبيعة الحيوانية فى الانسان » ، فلم يكونوا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كالمصلحين المدنيين يتناولون قشور العيوب وسطوح المسائل ، وظاهر السلوك ، بل ينفذون الى جرثومة العلة ، وأصل الداء ، وهو الانحراف عن « التقويم » الذى سوى عليه الانسان .. وقد رأينا الآية الكريمة التى خوطبوا بها جميعا ، تجمع فى معانيها : أن لنا فى كل نعمة مطعومة زادين أحدهما حسى والآخر روحى .. وكلاهما مطلوب لأن كلا منا سوى على أنه كائن حسى روحى ، لا يحيا حياته الكاملة الا بهما .. وأنه بوجوده هذا الكامل ، ينتج ـ بحسه وتأمله ـ لترقية ضميره ، وعمارة الأرض ، وروابط المجتمع ، أفضل المثل ، وأقدس القيم التى يؤدى بهما رسالته ، ويحقق الغرض من وجوده ..

وهذه كلها حقائق انسانية عامة أصيلة ، لا ينفرد بها جيل دون جيل ، ولا تختص بها بيئة دون بيئة .. وتحقيقها والتزامها هو قانون المصلحة أو شرط الحياة الطيبة كما قدمنا .. والاعراض عنها أو انكارها هو انكار السنن التى يأتلف بها كيان الانسان حسيا وروحيا ، وذلك ما ينشأ عنه كل علة نفسية واجتماعية عرفت أو تعرف فى أى عصر وأى مكان ..

وفى الآية آفاق أخرى من المعانى ، فهى ـ مثلا ـ اذ تدعونا الى الأكل من الطيبات ـ على هذا المعنى ـ انما تدعونا الى طور من الرقى نرتقى به من أذواق الطفولة التى تفاضل بين الأطعمة بتفاضل ما لها من لذة وطعم ، الى مرتبة من الرشد تستغرق فيها الأذواق بجمال ما فى النعمة من حظ قدسى ، فلا يكون للطعم الحسى ـ حينئذ ـ أثر يثير شهوة ، أو يجعل للون من الطعام مزية على لون آخر ، فان كل الأطعمة تستوى فى ذوق تلك المرتبة ، لأن فضل الله فى كل الأطعمة سواء .. نعم ، تريد لنا الآية طورا من هذا الرقى ، ننتقل به من طفولة الغرائز ، والعبودية لأحكامها ، الى رشد الادراك المميز لأفضل وأثمن ما فى الكون من حقائق وقيم.. وفيها غير ذلك من الحقائق التى يطول استيعابها ، ويضيق عنها نطاق المقال ، ولكن ما أوردناه من الأصول التى تتضمنها كاف لأن ندرك به مدى حاجة الانسانية الى فقهها

ومراشدها ورحيق الثمرة والشفاء فيها ، فان حرمان الروح حظهـــا فى نعم الله وهو اس علة الانسانية اليوم ، وما يعانيـه الغرب من ضجر ، وضيق ، وملل ، وقلق لا يستقر عـلى حال ، ان هو الا أثـر تنـاول نعم الله من جانبها الحسي دون استبصار لما لها من حقائق الطيب الذى تطمئن به القلوب ، وتنعم الأرواح ويكتمل به كيان الانسان •

نعم ، ذلك أس علة الانسانية اليوم ، وهو أس علتها بالأمس ، وأس علتها كل آن ، وليس الضجر الذى يلحظه كتاب الغرب ومفكروه ، ويسجلونه ويحللونه ، فيما يكتبون من كتب وقصص ـ ليس هذا الضجر علة جديدة ، ولا ظاهرة مستحدثة ، فقد عرفته الانسانية من قبل وسجله القرآن فيما سجل عن بنى اسرائيل اذ قالوا لموسى :

« لن نصبر على طعام واحد » •

فقد قالوا ذلك وطعامهم المن والسـلوى : الحلوى ولحم الطير ، وهما لدى أرباب الذوق الحسي من أشهى وألذ الأطعمة ، وكان ذلك حريا أن يذيقهم رفاهة عيش ، ورخـاء بال ، لو انهم لحظوا ما لله فيه من فضل وعنـاية وآيات ، اذ أجراه لهم فى صحراء مجدبة مع اثنتى عشرة عينا من الماء ، ولكن شقوة الباطن المحروم تفيض ضجرا وقلقا حتى تملأ الحس كله ، فلا تجد فيما لديها من منـاعم العيش رضا ولا سكنا •• وانا لنجد طاقات الضجر تكاد تنفجر من قولهم المحنق : « لن نصبر على طعام واحد » ، « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها ، قال : أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ •• » وشاهدنا ، أن انصراف الضمير عن معاينة فضل الله فى نعمه يحرم النفس زادها الروحى ، فيستبد الملل والضجر بالمرء ، فينشد التنـويع فى معيشته فرارا من البقاء على لون واحـد .. وهيهات أن يجد الطمأنينة فى بديل مما فقد، فان الذى يفر منه مستكن بين جوانحه ، ولن يجد رضاه الا فى القانون الجامع لأسـباب الحياة الطيبة : « كلوا من الطيبات » •

مقارنات بين

الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

لست أجد أبلغ فى هذا المقام مما صدر به الامام على كتابه الى الاشتر النخعى حيث قال **« ان عقدت بينك وبين عدو لك عقـــدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهـدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فانه ليس من فرائض الله شيء ، الناس اشد اجتماعا عليه مع تفرق أهوائهــم من تعظيم الوفاء بالعهود ، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك »** ولا غرو فلقـد قال رسول الله صلوات الله عليه « **أنا خزانة العلم وعلى بابهـــا** » وما عم أمر على الخليفتين أبى بكر وعمر الا ولجأ كلاهما الى على يستفتيانه ويكون قوله الفصل •

أما مصدر هذا التشدد فى رعاية العهد فمرجعه الى آيات القرآن بما فيها من حض وأمر وزجر وتخويف ، فقد قال تعالى **((وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلـــون • ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخـــذون ايمانكم دخلا بينـــكم أن تكون أمـــة هى أربى من أمة))**

احترام الإسلام والمسلمين للعهود والمواثيق

مقارنة بما عليه الحال عند اليهود

المستشار على منصور

وكانت العادة أن توثق العهود بالايمان والحلف وتختم بعبارة « **والله على ذلك شهيد** » أو أن يقال لكم على ذلك عهد الله ولهذا تشير الآية الكريمة « **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** » أى ضامنا لنفاد عهودكم وسمت الآية فى أولها العهود بأنها عهود الله تقديسا لها وتخويفا لعباده من أن يمسوها بسوء .

قال تعالى « **وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**» وقال تعالى « **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** » أفرأيت كيف ان الآية الأولى تجعل رعاية العهد وحق الميثاق فوق جميع الحقوق وتمنعنا من نصر المستغيثين بنا من اخواننا فى الدين متى كان الظالمون لهم ممن بيننا وبينهم عهد أو ميثاق .

أما الآية الثانية فتنص على وجوب احترام أرض ذوى الميثاق وعلينا أن نحمى الواصل اليها .

وقد كانت المعاهدات فى الجاهلية وفى الأمم المعاصرة لها قبل الاسلام تملى من القوى على الضعيف وعلى فرض تكافؤ القوتين المتعاهدتين فذلك لا يقصد منه تنظيم السلم واقراره وانما التربص حتى يقوى أحد الطرفين فينقض العهد ويدهم صاحبه كما كان الضعيف يستسلم انتهازا للفرص .

وقد ذهب البعض الى أن المعاهدات والمواثيق فى الاسلام تبرم لعلاج حالة وقتية لا يقصد تنظيم السلم وكأنهم يقولون بعدم اباحتها الا فى حالة الضرورة والاضطرار ويحل بعد زوالها نبذ العهود وقد مر بنا الآن من الآيات والآثار ما يدحض هذا القول ونضيف اليه قول الله عز وجل : « **يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان** » وقوله تعالى « **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا** » وهذا القول صريح بأن واجب المسلمين أن يقبلوا أى سلم يعرضه عليهم أى شخص وأية دولة ولو لم تكن على الاسلام بل كانت على دين آخر ، ولا يردوا هذه اليد التى تمتد اليهم بالسلام والسلم متعللين بأن صاحبها ليس مؤمنا ، ظنا منهم بأن الله فرض عليهم محاربة غير المؤمنين ولو رغبوا فى السلم وكأن الله يعاتبهم ويقول بل انكم تبتغون برد السلم ومحاربة من ليس مؤمنا عرض الحياة الدنيا ولكن كفوا عن ذلك واقبلوا كل سلم وسيغنيكم الله من فضله فعنده مغانم كثيرة .

وتوكيدا لهذا المعنى قال تعالى فى آية أخرى « **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** » ولقد قال الفخر الرازى على ما مر ذكره فى تفسير هذه الآية « **هذا يدل على أنهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا أيديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم لاقتلهم** » وهو نظير قول الله تعالى «**لاينهاكم الله عن الذين**

لم يقاتلوكم فى الـدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ونظير قوله تعالى « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » فخص الأمر بالقتال لمن يقاتلنا دون من لم يقاتلنا .

الحرب فى شرعة اليهود ومدى احترامهم للعهـود

يجمل بنا بعد أن أبنـا ما عليه شرعة الاسلام من حب فى السلام وكره للحرب ونص على عدم الالتجاء اليها الا للضرورة ، ومع ذلك **اذا فرضت على المسلمين واضطروا لخوض** غمارها فهى حرب شرف وخلق ورحمة أضرارها محصورة فى أضيق الحدود وليس من أهدافها الفتح والاستعلاء ، واذلال الشعوب والدول والاستيلاء على املاكها وقتل سكانها واسترقاق أسراها وانما هى اقرار للحق والعدل ورد الاعتداء وتأمين لحريات الناس قاطبة ومنها حرية الاعتقاد هذا وقد اسلفنا أن ما فى قواعد القانون الدولى الأوربى العام مما يقرب من هذه المثل العليـا فان مرده الى الاسلام ، منبع نبع أو به تأثر واصطبغ . نقل يجمل بنا بعد ذلك لتتم المقارنة ويزداد كل قارىء ثقة بما عليه الاسلام من جلال ودقة ورحمة وشمول ان نوجز بعض ما عليه الحال فى الديانة اليهودية من نظم الحرب فبضدها تتميز الأشياء وخصوصا وقد استقر جماعة من شذاذ اليهود ممن يسمون الصهاينة بطريق الغش والخداع فى قطعة من أرض فلسطين مهبط الوحى لجميع الأديان وراحوا ينفثون سمومهم فى الشرق الأوسط وافريقيا حتى يكون الكل فى شأنهم على حذر ..

اليهود لا يعترفون بمبدأ اعلان الحرب بل يبدءونها فجاة وغدرا، فشريعتهم تأمر بالتقتيل دون انذار ولا دعوة للايمان بدينهم فلا يقبل من الأعداء التهـود ولا يعصمهم الايمان من الفناء ، ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء عن بلادهم لتخلو لليهود ، ولا يجوز فى شرعة اليهود الصلح مع الأعداء المغلوبين على أى حال، بل متى افتتحوا أى بلد وجب قتـل جميع سكانها لا فرق بين رجل مسلح محارب ولا آخر مدنى ولا شيخ فان أعزل ولا امرأة ولا طفل ولا عامل ولا أجير بل الكل طعمـة للنار والحديد ، فقد ورد فى كتبهم « **تمحوا اسمهم من تحت السماء لا يقف انسان فى وجهك حتى تفنيهم تدريجا لئلا تكثر عليك وحوش البرية** .

أين هذه الوحشـية وهذا التنكر لأبسط مبادىء الخلق مما رسمه الاسلام من أن لا نعتدى الا على من يعتدى على المسلمين . أو لحماية حريات العقـائد والأديان وكرامة الانسان فى كل زمان ومكان ، فالحـرب فى الاسلام دفاعية لاهجومية ومع ذلك كلما من قائد جيش المسلمين ببلد أو نجع أو تخوم ولاية من بلاد الأعداء المحاربين لنا وجب ألا يفاجئهم بغزو ، ولا يبيت لهم بليل بل عليه أن يعلنهم باعتزامه الهجوم على القـرية ، ويخيرهم بين خصال ثلاث ، اما أن يكفوا اذاهم وينتهوا عن الحرب فيسود السـلام وله أن يقبل صلحهم على هذا سواء أكان مقابل جزية أو بدونها كما مر ذكـره ويبقى لهم ديارهم وأملاكهم ونظمهم ويتعهد المسلمون بالدفـاع عنهم مقابل ما يدفعون من ضريبـة الدفاع (الجزية) ولقائد المسلمين أن يصالحهم على هدنة لمدة يتدبرون أمرهم فيها ولهـم أن يدخلوا فى الاسلام فتصبح دارهم دار الاسلام ويكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وورد أيضا فى كتب اليهـودية منسوبا لموسى عليه السلام انه قال لقوم « كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ونسيان من نهر الفرات الى البحر الغربى يكون تخمكم (تث ١١ : ٢٤) .

وأين هذا مما عليه الاسـلام من ترك الأرض لملاكها يزرعونها ويفلحونها وما عليهم من شىء سوى ضريبة العقار وهى فى الاسلام مسماة بالخراج .

ونسب أيضا الى سيدنا موسى ـ عليـه السلام ـ فى كتب اليهودية التى أعتقد أنها حرفت ورغم ذلك هى تعاليم اليهـود التى يدينون بها . نسب اليه فيما يختص البلاد المعتبرة فى التخوم أى المجاورة لبـلاد بنى

اسرائيل ولا تدخل ضمن بلادهم الأصلية بين الفرات والبحر الغربى ما نصه « **حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فان أجابتك للصلح وفتحت لك ابوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستبعد لك ٠٠ وان لم تسالمك بل عمدت معك حربا فحاصرها واذ دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريما** » (تث ٢ : ١٠) ومعنى التحريم فى هذه الآية وغيرها القتل العام ٠ أفرأيت كيف يكون الصلح فى شرعة اليهود ولا أقول فى شرعة موسى لأنى أعتقد أن اله موسى ـ سبحانه وتعالى ـ واله كل من فى الأرض لا يرضى بمثل هذا الظلم والفساد٠

أما الوفاء بالعهد واحترام العقود والمواثيق فواجب على بنى اسرائيل فى شريعتهم بالنسبة لبعضهم البعض ، أما من عداهم فلا يجب على اليهود أن يحفظ ولا يرعى عهده مع وثنى نجس تاعس ولا مع عدو ومحارب وشتان بين اللتيا والتى !!؟ فاين هذا مما نص عليه القرآن من اعتبار الله وكيلا وكفيلا ضامنا لكل مسلم فى الوفاء بعهده وقد مر بنا من روائع الأمثال فى هذا الصدد مالايخطر ببال ،وحادثة حذيفة وأبيه كافية للتذكرة والاستدلال فقد كانا تعاهدا مع المشركين بعد اسلامهما انه اذا دخل المشركون فى حرب مع النبى والمسلمين فلا يحاربون فى صفوف المسلمين ضد المشركين فلما كثر اعتداء المشركين على المسلمين وأذن الرسول بالقتال ، وكان المفروض أن يخف كل قادر من المسلمين على حمل السلاح الى الحرب والنزال ، فذهب حذيفة وأبوه يستفتيان الرسول فيما عاهدا عليه قريشا سرا وبغير علم الرسول ، فبلغ تشدده عليه الصلاة والسلام فى احترام العهد بأن يأذن لهما بالتخلف عن القتال قائلا « **فيالهم بعدهم أما نحن فنستعين الله على قتالهم** » ٠

أما الربا فقد ورد فى شأنه فى التوراة المنسوبة الى سيدنا موسى عليه السلام قوله « **لا نقرض أخاك اليهودى بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا للأجنبى تقرض بربا ولكن أخاك لاتقرض بربا** » وجاء فى مكان آخر فى التوراة « **اليهود يقرضون أمما كثيرة وهم لا يقرضون** » (تث ١٥ : ١)٠

أما بقية المعاملات والعقوبات فقد سارت الشريعة الموسوية التى حرفها اليهود على التفرقة فى المعاملة بين اليهودى وغيره فكانت الأحكام تختلف باختلاف الأشخاص وكانت العقوبة تخفف على اليهودى وتشدد على الأجنبى فى الجريمة الواحدة ، وكان الدين يسقط عن العبرى بمرور سبع سنوات أما الأجنبى فلا يسقط عنه أبدا ولا تتقادم مهما مر عليه من زمن ٠

وخير ما نسوقه عدا ما سلف من تشدد الاسلام فى احترام العهود والوفاء بالذمة مع الأعداء ما كتبه عمر بن الخطاب الى سعد ابن أبي وقاص قائد أحد جيوش المسلمين « **٠٠٠ ونح منازل جنودك عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها فى شىء فان لهم حرمة وعهد وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم ففوالهم** » ٠

وخير ما نختم به هذا البحث حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عطاء ابن يسار ، حيث قال **ان النبى بعث عليا ـ رضى الله عنه ـ مبعثا فقال له « امض ولا تلتفت عما آمرك به فقال على : وما ذاك يا رسول الله وكيف أصنع بهم ؟ قال الرسول : « اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى تريهم اياه ثم تقول لهم هل لكم أن تقولوا لا اله الا الله فان قالوها فقل لهم هل لكم أن تخرجوا من أموالكم الصدقة فان قالوا نعم فلا تبغ منهم غير ذلك والله لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت** ٠

التشريع الإسلامي بين التشريعات الحديثة

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية.

الدكتور محمد يوسف موسى

« ٢ »

انتهينا فى مقالنا السابق الى اشارة بعض الباحثين الى مبدأ كل من القانون الرومانى والشريعة الاسلامية ، ونأخذ الآن فى عقد مقارنات بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، ونكتفى فى ناحية هذه المقارنات ببيان أن التشريع الاسلامى تسوده النزعة ((الجماعية)) التى تهدف الى صالح الفرد والمجتمع معا ، وهذه النزعة نجدها واضحة فى تشريعات العبادات والمعاملات معا ، فكل التشريعات فى هاتين الناحيتين تهدف الى تهذيب الفرد وتحقيق ما فيه خيره وخير المجتمع بأسره ، والمثل لذلك واضحة ندركها بسهولة ويسر وتكفينا فيها الاشارة •

نشير مثلا ، الى حكمة تشريع الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وحل البيع وتحريم الربا ، والأمر برعاية الجار والوفاء بالعقود ، وتحريم الزنا ، واقامة الحدود صيانة للمجتمع ، الى آخر ما نعرف من الأحكام التى جاءت بالأمر والنهى والحل والحرمة ففيها كلها تهذيب للفرد وخير له وللمجتمع معا •

وبعد هذا التعميم لا بد من التخصيص ، وذلك بالاتيان ببعض المثل المحدودة الواضحة الدلالة على ما نقول ، أى على أن الطابع العام السائد فى التشريع الاسلامى من أول أمره هو الطابع الجماعى ، وذلك بعكس التشريعات الوضعية •

أوجب الله تعالى فى أموال الأغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم ، وهذا ما نسميه بالزكاة التى تؤخذ من الأغنياء لتعطى للفقراء ، ثم جعل فى أموال الأغنياء حقوقا أخرى غير الزكاة ، ولهذا ترى الله تعالى يقول : (سورة البقرة آية ١٧٧) « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى**

واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة » •

اذن ففي المال حقوق أخرى غير الزكاة وهذه الحقوق تعطى لذوى القربى واليتامى والمساكين ونحوهم •

ومثال ثان ، وهو من المعروف ، كما رواه الامام أبو يوسف ، انه لما فتح الله العراق والشام على المسلمين أيام عمر بن الخطاب أراد فريق كبير من المسلمين قسمة الأرض وما عليها بين أصحاب الحق الفاتحين ، لكن الامام عمر رأى أن يترك الأرض بيد ملاكها على أن يدفعوا الخراج والجزية لصالح المسلمين جميعا • وكان هذا توفيقا من الله لعمر بن الخطاب كما عوده في كثير من الحالات •

وأوجب التشريع الاسلامى من ناحية أخرى، النفقة اللازمة فى بيت المال لكل فقير عاجز عن العمل وليس له قريب تجب عليه نفقته ، لا فرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم الذى يعيش تحت ظل الاسلام ، وفي هذا يروى التاريخ ان عمر بن الخطاب أمر برفع الجزية عن كل ذمى لا يقدر على ادائها ، وأن يفرض له فى بيت المال ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الاسلام •

ومثال آخر ، بل مثل أخرى نأخذها من تطبيقات القاعدة الاسلامية المعروفة وهى : **« لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام »** ، هذه القاعدة التى عرفها التشريع الاسلامى منذ وجوده ، والتى عرفتها التشريعات الحديثة بعد ذلك بقرون وقرون تحت عنوان **« نظرية سوء استعمال الحقوق »** •

فطبقا لهذا الأصل العظيم يجب ألا يفرط المرء فى استعمال حقه لدرجة أن يكون فى ذلك ضرر كبير لآخر ، ولهذا ، يكون للزوجة أن تطلب تطليقها من زوجها اذا نالها بضرر غير مسموح به شرعا له ، وللجار أو الشريك أن يطالب بالشفعة ما باعه شريكه أو جاره الآخر لأجنبى ، مع أن من خصائص الملكية حرية المالك فى التصرف فيما يملك ، وللانسان أن يحفر فى أرض غيره مجرى ماء ليروى أرضه البعيدة عن مجرى الماء ، ويجبر صاحب الأرض الأخرى المجاورة للماء على ذلك •

تلك المثل ، ولو شئنا لآتينا بأخرى كثيرة، فيها الكفاية لاثبات النزعة « الجماعية » للتشريع الاسلامى ، هذه النزعة التى نجد مصدرها الأصيل فى القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم وأحكام وآراء كبار الصحابة والتابعين ، وذلك ، كما قلنا ، لأن الشريعة الاسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده ، بل لصالح المجتمع كله فى أوسع حدوده •

أما التشريعات التى هى من صنع البشر ، فلم تلاحظ فى أول أمرها بخاصة هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية السامية ، بل كانت تسودها الروح الفردية العنيفة ، ولنأخذ مثلا لذلك القانون الفرنسى الذى صدر فى مفتتح القرن التاسع عشر •

لقد ساد هذا القانون روح فردية قوية تلتئم مع الروح التي أملت حقوق الانسان وهى تدعيم حقوق الأفراد وحمايتها ، وتنظر الى الفرد باعتباره العنصر الاهم فى الحياة لا باعتباره جزءا من كل هو الجماعة ، وقد كان من نتائج ذلك ، أن أتى وقت اعتبرت فيه الحقوق مطلقة المدى ، وأن صاحب الحق فى استعماله سيد لا يسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الأضرار التى تحيق بغيره •

ومن الحق أن التشريعات الوضعية في هذا العصر الحديث أخذت فى الحد من استعمال المرء لحقوقه ، فنشأت نظرية سوء استعمال الحقوق التي أشرنا اليها آنفا ولكن بقى من الثابت الذى لا ريب فيه ان نظر التشريع الاسلامي الى حقوق الأفراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر صاحب الحق ، أوسع مدى وأبعد أثرا من نظر التشريعات الحديثة الى اليوم فى هذه الناحية •

ونعتقد أن هذه التفرقة الواضحة ، بين طابع التشريع الاسلامى الالهى ، وبين طابع التشريعات الوضعية ، ترجع الى تفرقة أساسية فى أصل حقوق الفرد فى الشريعة الاسلامية والقوانين البشرية .

ان القوانين الوضعية تعتبر حقوق الفرد حقوقا طبيعية له ، فهو يملكها ويتصرف فيها كما يرى ، فلا حرج عليه ولا تثريب ان أساء استعمالها ، أما الشريعة السماوية الاسلامية فترى أن الفرد نفسه وكل ما يعتبر له عادة من حقوق ملك لله وحده ، والله لا يمنح ما يمنح لعبيده من حقوق الا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معا ، ولذلك نجد تقييد استعمال الحقوق فى نواح مختلفة وكثيرة جدا ، ومن ثم ، وجب أن يكون الانسان فى عمله واستعماله لحقوقه متفقا مع قصد الله من التشريع ، والا كان عمله باطلا لمناقضته للشريعة ومقاصدها .

الحاجة دائما لهذا التشريع :

يتبين من هذا الذى قلناه ، ان حاجتنا للتشريع الاسلامى ، وذلك مبلغ علوه على التشريعات الوضعية وغناه فى كل ناحية من نواحى القانون ، لا تزال اليوم أمرا ضروريا كما كانت فيما مضى ، انه تشريع صلحت به أمة عظيمة سادت البشرية قرونا طويلة ، ولن تصلح فى هذا العصر وفى كل عصر الا اذا أخذت به وأقامت حياتها على أسسه ومبادئه وأحكامه .

واذن ، لنا الحق فى أن نريد أن يكون هذا التشريع الأساسى الأول والمصدر الرسمى لقوانينا الحديثة ، ولا بأس علينا مع هذا فى أن نفيد من كل خير نجده فى التفكير القانونى لأى أمة من الأمم الأخرى ، بل لعل هذا يكون واجبا ، فما كانت أمة لتستغنى عن غيرها فى كل شئونها .

ونحمد الله تعالى على انه وجد وعى قومى فى مصر والبلاد العربية والاسلامية ، أخذ يطالب بتخليص قوانيننا من الاحتلال الأجنبى ، وهو احتلال فرنسى فى الأكثر من نواحى القانون كما أخذ كثير من رجال القانون وأعلامه ينادون بما نطالب به ، وكان من هذا أن دخل فى القانون المدنى الجديد كثير من الأحكام والنظريات المستمدة من الفقه الاسلامى وذلك أمر معروف .

على أن هذه بداية طيبة نرجو أن تصل بنا الى ما نريد ، ويسرنا هنا أن ننقل عن الأستاذ الدكتور السنهورى هذه الكلمة القيمة على وجازتها .

« والهدف الذى نرمى اليه هو تطوير الفقه الاسلامى ، وفقا لصناعته ، حتى نشتق منه قانونا حديثا يصلح للعصر الذى نعيش فيه ، وليس القانون المصرى الجديد أو القانون العراقى الجديد ، الا قانونا مناسبا فى الوقت الحاضر لمصر أو العراق ، والقانون النهائى الدائم لكل من مصر والعراق ، بل ولجميع البلاد العربية ، انما هو « القانون المدنى » الذى نشتقه من الشريعة الاسلامية بعد أن يتم تطورها ، وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتى القانون ليدعم وحدتها ، وقد تكون فى طريقها الى التوحيد ، فيأتى القانون عاملا من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل رمزا لهذه الوحدة » .

أما كيف نصل لهذا الذى نريد ، من سيادة الشريعة الاسلامية فى مصر وسائر البلاد العربية والاسلامية ، وما هى الوسائل التى تؤدى بنا الى ما نرجو فى المستقبل القريب هذا وذاك ، لا يتسع له نطاق هذا المقال ، ولعلنا نتكلم عن ذلك فى مقال آخر . والله المستعان .

من
وحي
القرآن

وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟

الأستاذ محمد سلام مدكور

- ٥ -

بينا فى المقالات السابقة الأطوار التى مر بها الجنين ، وانتهينا فى المقال السابق الى ما يمكن فهمه من قوله تعالى : « ثم أنشأناه خلقا آخر » ، ورجحنا أن السياق يفيد أن المقصود بالخلق الآخر هو الطور الذى ينفخ فيه الروح وهو يبدأ من أول الشهر الخامس ومتداخل مع بعض الأطوار وبينا أن هذا مذهب طائفة من كبار الصحابة والمفسرين ، وهو ما أيده علم الأدعية قديما وحديثا ، ووعدنا القراء بالكتابة عن الروح وصلتها بالانسان لشدة ارتباط ذلك بموضوعنا .

الروح وصلتها بالانسان :

يطلق القرآن لفظ الروح على معان كثيرة منها الروح التى تكون بها الحياة ، ولقد حاول الباحثون فى مختلف العصور السابقة التعرف على حقيقة الروح وتبين كنهها حتى جاء قول الله تعالى :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .

فلم يطلع نبيه على هذا السر الالهى برغم أن العرب كانوا يتحدونه بذلك ، وكانت اجابته اياهم أكبر اعجاز يؤيده ويدفعهم الى الايمان برسالته .

والتحقيق العلمى بعد طول البحث والدراسة على أن فى الانسان روحين : **روحا حيوانيا** به الحس والحركة وهذا هو القدر المشترك بين الانسان وبين الحيوان ، وهو معنى ينفصل عن الانسان بموته كما ينفصل روح الحيوان عنه بالموت ، والظاهر أن محله الدم فانه هو الذى به يتحرك كل من الانسان والحيوان . يقول الغزالى فى الروح الحيوانى هذا « انه جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى ، وأنه ينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن ، وان جريانه فى البدن يضاهى فيضان النور من السراج

فى زوايا البيت » ، ويقول « ان الأطبـاء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهـو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب » .

ويبدو أن هذا لا يختلف جوهريا مع الطب الحديث الآن ، ويؤيد هـذا فيما نعلم انهم يقررون أن التأكد من موت الانسـان بوقوف حركة القلب كما يقولون ان القلب هو الذى يمد الجسم بالدم الذى تكون به حركته وقيام أعضائه بوظائفه المطلوبة .

ولا شك أن هذا القدر لا يفيد الوقوف على حقيقة الروح وكنهها ومعرفة سر الحياة فيها ، وانما هو تصوير لمنبع حركتها فى الجسم وطريق انتشارها فى سائر الأعضاء .

الروح الثانى : وهو الروح الانسانى الذى يتميز به الانسان عن غيره والذى يطلق عليـه تارة اسم العقل وتارة النفس الناطقة ، وتارة يعبر عنه باسم الانسان ، والناس مضـطربون فى فهم هذا الروح أهو مـادة أم معنى ، وقد صرح الغزالى « بأنه لطيفة ربانية محلها القلب وأنها مصدر لأعمال الانسان وصفاته الباطنة السىء منها والحسن ، كالكبر أو التواضـع والحسد أو الصفاء ، والشهوة أو العفـة ، والحلم أو الغضب وما الى ذلك من الصـفات التى اذا سلم القلب كانت حسـنة واذ تكدر وتدنس صارت قبيحة ملتوية .

ولا مانع أن تكون الآية الكريمة فى قـوله سبحانه « **ثم انشأناه خلقا آخر** » مشيرة الى كل من الروحين الانسانى والحيوانى ، فان الجنين له طور فيه يتحرك ويحس كما يتحرك الحيوان ويحس ، وهذا هو أثـر الروح الأول الحيوانى ، وأما الروح الانسانى فانه يبـدأ فيه بالقوة لا بالفعل ، وبما خلق الله فيه من التهيؤ لكسب المعلومات ونمو الادراكات التى يعبر عنها بالروح أو المعرفة أو العقل أو النفس الناطقة .

والظاهر أن مرحلة التهيؤ توجد معه منذ وجود الروح الحيوانية ، وأما وجودها فيـه بالفعل فيبدأ منذ استعمال الحواس ومزاولة المدركات وتلقى المعلومات كما يشير الى ذلك قول الله سبحانه :

« والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شـيئا وجعل لكم السمع و الأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » .

ومن هـذا قال علماء النفس : ان الحواس أبواب العلم ووسائل المعرفة .

والذى يدل عليه كلام المحققين من الفلاسفة الصوفية أن الانسان بالحقيقة هو هذه الروح التى يطلق عليها اسم النفس تارة واسم العقل تارة أخرى ، واذا كانوا يقولون ذلك فاننـا نميل الى أن الانسان هو مجموع المخـلوق الكائن المركب من البدن والروح باطلاقيها ، وقد يقع كثيرا فى بعض الاطلاقات ما يفيد أن الانسان هو تلك النفس أو الروح باعتبار أنه الركن الممتاز فيه والناحية التى جعلته أفضل خلق الله من الكائنات .

ولهذا يقول الرازى: « ان هناك أدلة عديدة تؤدى الى أن الانسان هو تلك اللطيفة وحدها وأن الجزء المادى فيه لا صلة له بهذه التسمية فانه فى تفسير قوله تعالى : « **ويسألونك عن الروح ..** » يقول : انها جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث ، وأنه مغاير للأجسـام والأعراض لأنها تحدث نتيجة امتزاج معين واختلاط خاص ، وأما الروح فانها بأمر الله وتكوينه مباشرة وتأثيره فى افادة الحياة لهذا الجسد ، وهى حادثة بفعل الله وتكوينه لأنها تتغير .. اذ تبدأ خالية من العلوم والمعارف، ثم تتجدد لها المعلومات شيئا فشـيئا ، فهى متغيرة والتغير دليل الحدوث .

ويستدل الرازى على ان الانسان لا يمكن أن يكون هذا الجسم بجملة أدلة كثيرة تقرب من العشريـن ولا يخلو بعضها من نظـر ومناقشة ، وانما نورد هنـا بعض ما يقرب من تلك الأدلة كقوله :

« ان الانسان يكون حيا بعد موت الجسد بدليل قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهـم يرزقون » .

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى خطبة له :

« حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول : يا أهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى وجمعت المال من حله ومن غير حله ، فالغنى لغيرى والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى » .

فهذا تصريح بأنه فى الوقت الذى كان فيه جسده ميتا كان ذلك الانسان حيا يتكلم .

كما استدل بآية « حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق .. »

فان المردود فى الحقيقه بعد الموت هى الأرواح والنفس لا الأبدان والأجسام اذ الجسد ميت باق فى قبره لا يمكن وصفه بالرد ، ويؤيد هذا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خاطب النفس بعد الموت بقوله «**يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية .. »** ففى هذا الخطاب دلالة على أن الشىء الذى يرجع الى الله بعد موت الجسد يكون حيا راضيا مرضيا ، والذى يكون كذلك ليس الا الانسان ، ومعنى هذا أن الانسان يبقى حيا بعد موت الجسد فهو غيره .

كما استدل بأن الشخص قد يرى فى نومه الانسان بعد موته ويتحدث معه ويستطلع منه بعض المسائل التى يتأكد من مطابقتها للواقع بعد اليقظة ، فهذا الاتصال قطعا لا علاقة له بالجسد لأنه لم ينتقل من القبر بل وأكثر ما يكون ذلك بعد أن يتحلل الجسد ويفنى كثير من أجزائه ، والانسان يتحدث عن الشخص بأنه رآه وحادثه وتلقى بعض توجيهه .. وواضح أن الجسد لا علاقة له بشىء من ذلك .

واستدل أيضا بأن الانسان يجب أن يكون عالما والعلم لا يحصل الا فى القلب فيلزم أن يكون الانسان عبارة عن الشىء الموجود فى القلب الذى وصفه الله بالعلم والادراك فى قوله ـ سبحانه ـ :

« لهم قلوب لا يفقهون بها » .

ووصفه بالايمان فى قوله ـ سبحانه ـ :

« كتب فى قلوبهم الايمان » .

وبانزال صور العلم والمعرفة عن طريق الوحى فى قوله تعالى :

« نزل به الروح الأمين على قلبك » .

وانتهى الرازى بمقتضى هذه الأدلة الى أن الانسان ليس هذا الهيكل وانما هو شىء فى القلب أو شىء له تعلق بالقلب .

وأما الغزالى فانه تعرض لتصوير كل من الروح والقلب والعقل والنفس وما يستعمل فيه كل لفظ من هذه الألفاظ فانتهى به البحث الى « أن هناك قلبا جسمانيا وروحا جسمانيا ونفسا شهوانية وعلوما ومعارف فى الانسان » .

وأن هذه المعانى الأربعة تستعمل فيها كل الألفاظ الأربعة التى هى : الروح والقلب والنفس والعقل بالاشتراك الذى يحدد المقصود به القرائن والسياقات ، وقال : ان هناك معنى خامسا وهى اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وان هذه الألفاظ الأربعة تتوارد أيضا عليها فتكون المعانى خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ يطلق لمعنيين .

وتفصيل ذلك فى ايجاز أن **القلب يطلق بمعنيين** أحدهما اللحم الصنوبرى المجوف الذى بداخله دم أسود « السويداء » وهو منبع الروح ومعدنه ، الثانى اللطيفة الربانية التى تتصل بالجسم اتصال الادراك والمعرفة .

وأن الروح تطلق باطلاقين أحدهما الجسم اللطيف الذى منبعه تجويف القلب وهو ما سميناه الحيوانى فى كلامنا السابق .. والثانى اللطيفة العالمة المدركة وهو ما يطلق عليها اسم القلب بالاطلاق الثانى المذكور سابقا وهو ما سميناه بالروح الانسانى .

وأن النفس تطلق بمعنيين أحدهما الجامع لقوتى الغضب والشهوة فى الانسان وهو ما يستعمله الصوفية فى الكلام عن مجاهدة النفس والمعنى الثانى اللطيفة الربانية التى ذكرت فى المعنى الثانى لكل من القلب والروح وهى التى أسميناها فى تعبيراتنا النفس الناطقة .

وان العقل يطلق باطلاقين : أحدهما يراد به العلم بالحقائق فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب ، والثانى نفس المدرك لتلك العلوم الذى هو اللطيفة الربانية التى ذكرت فى المعنى الثانى لكل من الروح والقلب والنفس.

وبهذا ظهر كيف أن الألفاظ أربعة والمعانى خمسة فان المعنى الذى هو ادراك المعلومات وهو أحد اطلاقى العقل مختص بلفظ العقل فلا يطلق عليه غيره فقد انفرد لفظ العقل به كما انفردت الألفاظ الثلاثة الأخرى بالمعنى الأول فى كل منها .

وهذا المسلك الذى سلكه الغزالى لايختلف عن مسلك الرازى وغيره من المفسرين بأكثر من ايراده للألفاظ المختلفة التى تشترك مع لفظ الروح فى بعض الاطلاقات تحقيقا لهذا المقام وتبصرة للناظر فى الكتب التى قد يلتبس فيها بعض الاطلاقات ببعض كما يوضح ذلك قوله « وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها .

وبعد فكل هذا لا يمنعنا أن نسير فى اتجاهنا الذى سلكناه فى تصوير الموضوع من أن الانسان هو المجموع المركب من الجسم والروح باطلاقيها كما قلنا ، وهو ما يدل عليه كلام الحكماء أنفسهم فى تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق ، فالنطق جزء فى ماهيته ، والنطق هو ذلك القدر الذى يتحقق فى فهمه وادراكه والذى لا يكون الا بالروح والعقل .

ولئن كان ما أورده الامام الغزالى مجرد تصويرات تلقى ضوءا على معنى لفظ الروح وما يتوارد معه من الألفاظ على المعانى المختلفة دفعا لما قد يحدث من الالتباس فى ايراد بعضها واستعماله فاننا نستطيع أن نناقش الفخر الرازى فيما أورده من حجج تقصر معنى الانسان على الروح فقط ، غير أننا نكتفى بايراد أن كل ما ذكره لا يتفق مع ما هو الدارج فى الاستعمال الأعم الأكثر، وما هو المتبادر عند استعمال لفظ الانسان ، غاية ما يمكن أن يقال ان لفظ الانسان مشترك بين أمرين : بين جملة البدن والروح ، وبين الروح وحدها عند دلالة القرائن والسياقات ، وهو فى مقامنا هذا بالمعنى الأول الذى يقضى بأن مفهوم الانسان يشتمل على مجموع الجسم والروح .

على أن الكلام فى هذا الموضوع على هذا الوجه لا يعدو أن يكون بحثا شكليا ومناقشة نظرية لا يترتب عليها شىء مما يغير واقعا أو يأتى بجديد ، فلنعد الى ما نحن بصدده ولنكتف بعرض ناحيتين كريمتين على القارىء الفاضل :

احداهما : تصوير نفخ الروح فى الانسان

الثانية : ما يتصل بخلق الانسان فى هذه المراحل والأطوار من عبر مرجئين ذلك الى المقال القادم بمشيئة الله .

يتبع

أصالة المسلمين فى التفكير العلمى .

الدكتور محمود قاسم

هناك فكرة تقول ان المسلمين كانوا عالة على التفكير اليونانى لذلك لم تكن فلسفتهم بالفلسفة الأصيلة بل هى مقتبسة من فلسفة الاغريق ومن سار على نهجهم .

وأكثر من ذلك فان كثيرا من مؤرخى الفلسفة وبخاصة من المستشرقين يرون أن المسلمين شوهوا الفكر اليونانى ومسخوه وأنهم لم يبتكروا فى الحقيقة شيئا له قيمته ، بل اكتفوا بترديد ما قاله السابقون . وقد سار فى طريق هؤلاء المستشرقين بعض ابناء الشرق فرابطوا بين الحضارة الاسلامية وفلسفة اليونان .

غير أن هذه الفكرة تحتمل المناقشة الى أكبر حد ، لأن حضارة المسلمين كانت علمية واجتماعية ودينية أكثر من أن ترتكز على أسس فلسفة اليونان . وربما كان هناك جانب كبير من الحق فى الفكرة المضادة التى تقول أن التفكير اليونانى وبخاصة تفكير ارسطو ومنهجه لم يكن خيرا بالنسبة الى التفكير الاسلامى فان تفكير أرسطو سيطر على

الحركة العلمية نحواً من ألفى سنة فلم ينته الا الى تجميد الفكر وحصره فى حدود ضيقة ولم تكن النهضة الحديثة الا نتيجة الصراع بين الاتجاهات العلمية التجريدية وبين منطق أرسطو وفلسفته الطبيعية . وهذا شىء يقرره تاريخ العلوم ابتداء من القرن السابع عشر حتى الآن .

وأيا كان الأمر فان بعض المنصفين من مفكرى الغرب ومستشرقيهم يقولون : لقد كان للمسلمين فلسفتهم الخاصة كما أن حضارتهم سيطرت طيلة خمسة أو ستة قرون على العالم ، وكانت هى الحضارة الانسانية بمعنى الكلمة ثم تطرقت الحضارة الى أوروبا منذ عهد مبكر بسبب جوار المسلمين لهم فى اسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية بسبب الحروب التى جمعت بين الفريقين آنا فى الشرق وآنا فى الغرب .

ويستشهد هؤلاء المنصفون بالآثار الفلسفية التى تركها فلاسفة الاسلام من أمثال الفارابى وابن سينا والامام الغزالى وابن رشد وابن طفيل فى تفكير الأوروبيين فى أثناء العصور الوسطى . لقد أثار هؤلاء مشكلات فلسفية دينية ووضعوا لحلها نظريات مبتكرة انتقلت بأكملها الى التفكير المسيحى على غرار ما نجده مثلا فى فلسفة توماس الأكوينى الممثل الرسمى للفكر الفلسفى المسيحى حتى عصرنا الراهن . فقد أخذ هذا الفكر شيئا كثيرا عن الامام الغزالى وابن رشد الى جانب الكثير الذى اقتبسه من ابن سينا والفارابى .

غير أن هؤلاء المنصفين من المستشرقين ينسون جانبا هاما من التراث الفكرى الاسلامى ونعنى بذلك أنهم لم يفطنوا الى أن العرب المسلمين قد ابتكروا مناهج جديدة لم تكن معروفة عند الاغريق . ومن المسلم به ان اختلاف المناهج يؤدى الى اختلاف النتائج العلمية التى يمكن الوصول اليها فى كلتا الحالتين .

لقد ابتكر العرب المنهج التجريبى القائم على الملاحظة والتجربة والذى يهدف الى السيطرة على الطبيعة وتسخيرها بطريقة علمية من أجل تحقيق المنافع العلمية . وهذا المنهج هو الذى ستكتب له السيطرة فى العصور الحديثة ، وهو لم ينتصر حقيقة الا بعد أن تبين للناس عقم منهج أرسطو وعبث الدفاع عنه والتمسك به رغم تكذيب الواقع له . كذلك ابتكر أحد علمائهم المنهج التاريخى، ونريد به ابن خلدون وقد ابتكر من أجل استخدام هذا المنهج ، علما جديدا سماه علم العمران ، وهو ما نعرفه اليوم تحت عنوان : علم الاجتماع .

أما عن المنهج التجريبى فقد مارسه العرب فعلا وطبقوه فى كثير من فروع المعرفة كالطب والملاحة والزراعة والكيمياء ، كذلك عرفوا للرياضة قيمتها واستخدموها فى الفلك . والحديث عن العلوم الطبيعية والرياضية عند العرب يمكن أن يكون موضوعا لمحاضرات مستقلة ، وهى تدرس فعلا فى معاهدنا العلمية . لذلك نرى أن يقتصر على الناحية المنهجية فى حد ذاتها بصرف النظر عن الحقائق العلمية التى أدت اليها هذه المناهج الجديدة .

ولم يخف هذا المنهج التجريبى على مفكرى الغرب بل الحق ان الحضارة الاسلامية كانت شاملة بمعنى أنها أعطت للفلسفة حقها وللعلم حقه. ولم يشأ أهل أوروبا ان يقتبسوا علوم العرب ومناهجهم فى الوهلة الأولى ، بل فضلوا الاتجاه الى الناحية الفلسفية ، لكى يعثروا فيها على بعض النظريات التى ظنوا أنه يمكن أن تستخدم لتعضيد عقائدهم الدينية . وهذا يفسر لنا عنايتهم الكبرى منذ القرن الحادى عشر الميلادى بدراسة الفارابى وابن سينا والغزالى . وظلت حركة النقل عن الفلاسفة حتى أواخر القرن الثالث عشر تقريبا . وقد انقسم الأوروبيون فى هذا العصر الأخير الى فريقين أحدهما يلتزم وجهة نظر دينية ، والآخر يريد التحرر من سيطرة الكنيسة . ومع ذلك فكلاهما كان يزعم أنه

يعتمد على آراء أرسطو وآراء شراحه من المسلمين .

لكنا نجد فى القرن الثالث عشر مفكرا فذا هو « روجربيكون » وهو انجليزى الأصل ولقد فطن هذا الرجل الذى يسميه « ارنست رينان » باسم الأمير الحقيقى للفكر فى العصور الوسطى — نقول انه فطن الى اهمية الاتجاه العلمى التجريبى لدى المسلمين ، وادرك ان هذا الاتجاه كفيل بتحرير العقول من نير ارسطو ومنهجه الجامد العقيم . لقد عاش روجر بيكون فى جنوب ايطاليا التى كانت همزة الوصل بين الثقافة العربية الاسلامية وبين عقول أهل أوروبا . كذلك علم فائدة الرياضة بعد أن رأى مدى اهتمام علماء المسلمين بها ، وذلك فى الوقت الذى كان يصب فيه رجال الكنيسة لعناتهم على الرياضة ودارسيها فأخذ بيكون يقول لهم ان الرياضة مفيدة كل الفائدة من الناحية العملية وهى كثيرة النفع ايضا فى الناحية الدينية ، وذلك لأنها تكشف لنا عن حكمة الخالق التى تتجلى فى تلك الدقة الرياضية التى تخضع لها الأفلاك السماوية .

ان الفارق بين المنهج الجديد وبين منهج ارسطو هو أن العرب أعطوا الملاحظة والتجربة قسطا كبيرا من اهتمامهم ، وفضلوا ان يصعدوا من دراسة الأشياء الحسية الى القوانين ، بدلا من أن يهبطوا من بعض النظريات أو الآراء الوهمية الى الأشياء الجزئية . اذن يتضح الفارق بين منهج ارسطو ، وهو منهج يهبط من القضايا العامة الغامضة الى الواقع ، وبين المنهج التجريبى الذى يصعد من الواقع الى بعض القضايا العامة الواضحة ، وهى التى نسميها القوانين ان هذا المنهج الجديد هو المنهج الاستقرائى . وقد اعجب به روجر بيكون واراد ان يحطم به حالة الجمود التى سيطرت على العقلية الأوربية نتيجة استسلامها لفلسفة أرسطو ولمنهجه التقليدى . **فقال : ان مصادر المعرفة العلمية ثلاثة :**

١ — آراء رجال الدين اذا كانت مطابقة للعقل . أما اذا لم تكن مطابقة فلا تعد مصدرا موثوقا به .

٢ — آراء أرسطو اذا كانت مطابقة للواقع — وكثيرا ما لا تكون مطابقة له — اذن يجب التخلى عنها .

٣ — التجربة وهى تكفى نفسها بنفسها ويريد بها التجربة العلمية التى تبدأ بملاحظة الأشياء ملاحظة دقيقة لمحاولة تفسيرها والافادة منها علميا عن طريق التجارب .

لكن قد يتساءل بعضهم فيقول ان المنهج التجريبى الذى ابتكره العرب والذى نصح روجر بيكون باستخدامه ، ثم استمر يكمل شيئا فشيئا ابتداء من القرن السابع عشر حتى الآن على أيدى كبار الفلاسفة والعلماء من أمثال فرانسيز بيكون ، وجاليليو ، وديكارت ، وكلود برنارد — كان فلتة فى تاريخ الفكر العربى وانه لم يكن واضحا الى درجة يحق لنا معها أن نسميه منهجا . لهؤلاء نقول : ان العرب طبقوه تطبيقا عمليا فى مختلف دراستهم ، سواء أكانت خاصة بالطبيعيات أو بالعلوم الدينية فقد طبقوه فى دراسة علم اصول الفقه كما طبقه كبار أطبائهم وعثروا على الطرق الاستقرائية التى حددها جون ستيوارت فيما بعد . فقد عرفوا أن وجود السبب يؤدى الى وجود المسبب « طريقة الاتفاق » وأن اختفاء السبب يؤدى الى اختفاء النتيجة « طريقة الاختلاف » وان تغير السبب يؤدى الى تغير مماثل فى النتائج « طريقة التغير النسبى » واذا كان احد علماء الغرب قرر ان الاصابة بالمرض تتبع كمية الجراثيم الموجودة فى الهواء فقد اهتدى أحد علماء العرب قبله بعدة قرون الى نفس الحقيقة . ذلك أن المكتشف الأوروبى اخذ ثلاثة مجموعات من انابيب الاختبار التى تحتوى على محلول قابل للتعفن ثم فتحها بعد تعقيمها فى ثلاثة أماكن احداها بالقرى حيث تكثر الاقذار والثانية فى احدى المدن والثالثة فى مكان جبلى مرتفع فوجد بعد فترة زمنية محددة أن التعفن تطرق الى ثمانى انابيب فى المجموعة الأولى والى خمس فى الثانية والى واحدة فى الثالثة . وهذا قريب مما فعله الطبيب العربى الذى أراد اختيار أصلح الأماكن لبناء أحد المستشفيات فوضع

عدة شرائح من اللحم فى أماكن مختلفة من المدينة ، ثم اختار المكان الذى لم تفسد فيه شريحة اللحم الا بعد أطول مدة ممكنة .

هذا وقد اهتدى علماء الفلك فى عصر المأمون الى تأكيد كروية الأرض ، بل الى قياس محيطها على نحو دقيق نسبيا ، اذ أن الفارق بين طول هذا المحيط وبين ما يقرره العلم الحديث هو نحو من ٨٠ ميلا .

لكنا لن نستطرد بطبيعة الحال الى سرد الحقائق العلمية التى كشف العرب عنها فهذا خاص بموضوع آخر هو العلوم عند العرب .

هذا الى أن المنهج التجريبى لم يكن ظاهرة فريدة عند المسلمين فقد قلنا ان أحد علمائهم وهو ابن خلدون كشف عن منهج البحث فى التاريخ وهو مشابه تماما للمنهج العلمى الحديث **لكن كيف اهتدى ابن خلدون الى هذا المنهج ؟** لقد اقتبسه حقيقة من مسلك علماء الحديث الذين حرصوا كل الحرص على فحص الأسانيد ونقد الرواة . فأراد ابن خلدون ان يطبق هذه الفكرة على الدراسات التاريخية. فلقد وجد أن التاريخ فى عصره ليس علما بمعنى الكلمة ، بل هو أقرب الى الأساطير والأدب منه الى أى شىء آخر كذلك رأى المؤرخين لا يراعون الحقيقة فيما يكتبون ، وان كثيرا منهم يخضع لعوامل نفسية واجتماعية تفسد عليه دراسته . فقال لا بد لنا من قانون يميز لنا بين صحيح الأخبار وفاسدها ، وهذا القانون أو المقياس هو أن نعرض الأخبار على طبيعة العمران البشرى ، فان كانت لا تتفق معها وجب التخلى عنها ، ان طبائع العمران التى يتحدث عنها ابن خلدون هى ما نسميه الآن بالقوانين الاجتماعية . فعلم التاريخ لن يكون علما حقيقيا يكشف لنا عن علل الحوادث الماضية وعن تطور المجتمعات والدول الا اذا كان علما نظريا يعتمد على علم نظرى آخر وهو علم العمران البشرى .

واذا أردنا أن نقارن بين دراسة ابن خلدون للعمران وبين دراسة المدرسة الفرنسية مثلا لعلم الاجتماع فلن نعدم وجوه شبه قوية بين الدراستين فالمنهج واحد لديهما ، وهو المقارنة بين أنواع المجتمعات ومختلف الشعوب وهو المنهج الذى يكشف لنا عن أحوال السابقين ، بل قد يسمح لنا بالتنبؤ بمستقبل المجتمعات. وهذا ما تقرره المدرسة الفرنسية من ضرورة استخدام طريقة المقارنة التاريخية كذلك كشف ابن خلدون عن كثير من الحقائق الاجتماعية التى اهتدى اليها دوركايم فيما بعد « انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابنا «المنطق الحديث ومناهج البحث ٢٩٦-٣٠٤»

وهكذا تحدثنا عن بعض مناهج المسلمين فذلك لكى نقرر أن أرسطو لم يسيطر عليهم سيطرة كاملة وأنهم لم يفنوا شخصيتهم فى التراث اليونانى كما يزعم الزاعمون . ومما يدل حقيقة على أنهم ابتكروا هذه المناهج التى تعتمد أول ما تعتمد على الملاحظة والتجربة أن العقلية الاغريقية كانت تزدرى كل معرفة تعتمد على الحس وكانت تعتقد أن الملاحظة والتجربة من قبيل السحر لا العلم . ويشهد بذلك ما وجدته العلوم الطبيعية من مقاومة عنيفة من قبل الكنيسة فى العصور الوسطى وفى مطلع العصر الحديث لأنها كانت تسلك مسلك أرسطو فى تحقير المعرفة التجريبية وكم اضطهد العلماء والمجربون بسبب هذه النزعة اليونانية الخاطئة .

لكن تدهور الحضارة الاسلامية فى العصور **الأخيرة حجب عن أهلها تراثهم العلمى فأصبحوا أشبه بأهل العصور الوسطى فى أوروبا ومن هنا جاءت أقوال بعض المستشرقين من أمثال أرنست رينان الذى اطلع على أحوال المسلمين فى القرن التاسع عشر فخيل اليه أن عداءهم للعلوم الحديثة يرجع الى دينهم . والحق انها لا ترجع الى هذا الدين بل الى طريقتهم فى فهمه فى خلال تلك الفترة الماضية .**

من توجيهات الإسلام

الدكتور عبد العظيم شرف الدين

خلق الله الانسان ، وميزه عن سائر الكائنات بعقل مميز ، وارادة حرة ، وأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ، فكان أهلا للتكاليف ، فان امتثل ماكلف به استحق رضوان الله ، وان خالف كان عرضه لعقاب الله ، والانسان حينما يرتكب جريمة من الجرائم قد يرتكبها سرا ، ويقع فى احبولة الشيطان فى غفلة من غفلات الضمير ، وسرعان مايندم ويثوب الى رشده ، ومثل هذا يعفو الله عنه ، ويشمله برحمته التى وسعت كل شىء .

وقد يرتكبها علنا فى وضح النهار ، لاضمير يعصمه ، ولا قانون يردعه ، فهو مستهين بالتكاليف لايستحيى من الله ولا من الناس وهو بهذا قد سجل على نفسه الهوان ، وحقت عليه كلمة العذاب . ومثله هذا الذى ارتكب جريمته فى جنح الليل البهيم ، ثم أصبح يتحدث عما صنع ويفضح نفسه ، ويكشف أسرارا ارتكبها وقد أرخى الليل سدوله ، فهذا وذاك لايعفو الله عنهم ، فهم أمثلة سيئة فى مجتمعاتهم ، يدعون الى الرذيلة بأعمالهم وأقوالهم ، فهم يرتكبون الجرائم فى وضح النهار مستهينين بالتعاليم الدينية ومستعلين على الناس كما يرتكبونها ليلا ظانين أنهم قد نجوا من العقاب وأفلتوا من المسئولية وقد فاتهم أن عين الله لاتنام ، وأنه يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، ومادروا أنهم ان استطاعوا أن يستخفوا من الناس فلن يستخفوا من الله ، فهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول ، وهو بما يعملون محيط .

كما فاتهم أنهم ان أفلتوا من العقاب فى عاجل أمرهم فلن ينجوا منه فى آجله ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وكل ما يلقونه حينئذ من عقاب فهو جزاء صنعهم ، فهم لم يكتفوا بالاعتداء على الحرمات ، وقد أرخى الليل سدوله ، وآوى الناس الى مضاجعهم ، فاذا ماأقبل النهار أخذوا يتفاخرون ويفضحون أسرارهم ، فيأخذ الواحد منهم مكان الصدارة فى مجلس القوم ، يبث فى مجتمعه سموم الرذيلة ، ويحدثهم عن مغامراته وقصصه الخيالية ، وهم بهذا يعملون على نشر الرذيلة وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، فأخذوا يفضحون أنفسهم ، ويهتكون استارهم ، ولو

فكر الواحد منهم فيما يصدر منه لاستحيى وتوارى خجلا ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حين يقول : **((اذا لم تستح فاصنع ما شئت))** .

لهذا توعد الرسول عليه السلام هؤلاء المجاهرين بالمعاصى بسوء المصير ووخيم العاقبة .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **((كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ،فيقول: يافلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه))**

وان انسانا تطيب له الحياة ، وقد أصبح مهددا من الله لهو انسان غير سوى ، أو انسان شاذ ينبغى أن يلبس أثواب المعاتيه والمجانين الذين لايقدرون المسئولية ، ولايدركون مصير أمرهم وعاقبة سلوكهم ، وهذا الحديث الذى ذكرناه يحمل بين طياته النهى عن الوقوع فى مثل هذه المخالفات ، تلك التى وقع فيها من ضعفت ضمائرهم ، وتبلد حسهم ،وغفلوا عن سوء المصير ، وأصبحوا لاكرامة لهم عند الله ولا عند الناس .

وعلى الأمة الناهضة ان تحارب أمثال هؤلاء فان ضررهم على المجتمعات الانسانية أشد وأنكى من ضرر عدو محارب ، فلا يغيب عن البال مايجره مسلك هؤلاء المستهترين من اضرار خلقية ، وأمراض اجتماعية ، فهم يزينون لغيرهم اقتفاء آثارهم ، والسير فى ركابهم ، وكثير من الأدواء الاجتماعية والأمراض الخلقية يشيع بين الناس استجابة لهذه الرذيلة .. رذيلة المجاهرة بالسوء ،وقد حق عليهم وعلى أمثالهم قوله تعالى : ((ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ،والله يعلم وأنتم لا تعلمون))

ولقد حرص الاسلام على سد المنافذ الى الجريمة ، وحاربها قبل وقوعها ، وذلك بتربية الضمير الدينى ـ وهو بمثابة صمام الأمان ـ وتهذيب الخلق ، وتقويم السلوك ، **فاذا ما** استبد بالانسان شيطانه ، وتغلبت الدواعى الى الجريمة على الصوارف عنها ـ قوبل بالصرامة والشدة **نكالا من الله وتأديبا له** وزجرا له ولغيره ممن تضعف نفوسهم أمام داعى الجريمة ، **ومن أجل هذا توعد الرسول** عليه السلام الدعاة الى الرذيلة ، وذلك لأن النفس الانسانية ميالة بطبعها الى السوء ، فمركبه سهل ذلول ، وفيه تلبية للغرائز الانسانية ، اما البعد عن الهوى فمركبه صعب ، وطريقه شاق ، لايستطيع المضى فيه الا من قويت عزائمهم ، ولهذا قال الرسول عليه السلام : **((حفت الجنة بالمكاره ، والنار بالشهوات))**

فاذا ماسنحت الفرصة لداعى السوء ، فتصدر مجلس القوم ، **وجد منهم آذانا** صاغية ، وقلوبا واعية ، ووجد لديهم استعدادا تاما لاستيعاب أحاديثه ومغامراته ، فلا ينفض سامرهم الا وقد بلغ السيل الزبى ، وأخذ كل منهم يفكر فى تلبية نداء غرائزه بوسيلة ما ، واذا مابدأت مرحلة التفكير دنا الانسان من الجريمة رويدا رويدا ، وفى لمحة خاطفة يجد نفسه وقد تردى فى هاوية الرذيلة ، فاذا ماحاول أن يرأب الصدع لم يتمكن ، وجنى ثمرة اهماله آهات وحسرات ومتى ينفع الندم ؟! ومتى تجدى الحسرات ؟!

هؤلاء الدعاة الى السوء يستغلون مافطرت عليه النفوس من ميل الى السوء **« ومأبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم »** ، فيطرقون الحديد محميا ، وينصبون حبائلهم لضحايا أبرياء ، فيوقعونهم فى شراكهم ، فانجوا أيها الأبرياء من هذه الشراك المنصوبة لكم ،واياكم والوعود المعسولة والكلمات المنمقة ، فكم من آمال تحطمت ، وأحلام تبددت على صخرة الواقع بعد أن شيد لها لئام البشر صروحا من الآمال الكاذبة ، وبنوا لها قصورا من الأحلام ، وقلما تصدق الأحلام .

والآن أحس بصوت يهمس فى أذنى : دعك وهذه الرجعية ، فان ركب الانسانية الصاعد

يسير فى اتجاه وأنت تسير فى اتجاه ،فتمتع بالحياة وملذاتها ، ولا تخش لوم اللائمين وحسد العواذل والكائدين .

وانى لا أهمس فى أذنك أيها المخدوع ،بل أصيح فى وجهك قائلا : ماذا أنت صانع لو اعتدى على كرامتك ، ثم طلب منك أن تقف فى ساحة القضاء مدليا برأيك فيمن اعتدى عليك ؟! لاشك أنك ستكون بين موقفين :

اما أن تؤيدنى فيما أقول ، وتصب جام غضبك وسخطك على هذا المعتدى الأثيم ، وبهذا تكون رجعيا مثلى حسب زعمك .

او أن تدافع عمن اعتدى عليك ، وتحاول أن تبرر مسلكه ازاءك ، وحينئذ يحكم عليك المجتمع الذى تعيش فيه بالسفه ، كيف يدافع عمن اعتدى على كرامته ؟

فعلى رسلك أيها الشاب المخدوع ، ودع هذه الأقاويل البراقة ، ففى الدسم يكمن السم والويل كل الويل لأمة تنسى مقوماتها ومبادئها، وتؤمن بالأفكار الوافدة على مافيها من ضرر انها لاشك ستدفع الثمن غاليا : كرامتها ومقدساتها ومقوماتها ، وان الغزو الفكرى أشد أثرا وأبعد مدى من الغزو المسلح الذى يؤيده المدفع ويحميه السلاح .

والمنهج القويم الذى ينبغى على المسلم سلوكه يتطلب من المسلم أن يجنب نفسه الزلل ما أمكن ،فان ارتكب جريمة كان عليه أن يستر على نفسه ويندم على مافعل ، وألا يعود الى مثل ما ارتكب متخذا من الماضى عبرة ،ومن الحاضر عدة للمستقبل ، جاء فى الموطأ عن ابن عمر مرفوعا :

« اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها ، فمن ألم بشىء منها فليستتر بستر الله »
أما الذى يجاهر بالمعاصى فانه غير معافى كما قال الرسول عليه السلام ، ولكن لاحرج على فضل الله أن يغفر له ، فان عاقبه فبعدله، وان عفا عنه فبمحض فضله ، ومهما يكن من أمر فان الأصل فيه العقاب الشديد لأنه ضال مضل حق عليه قول الله تعالى: « **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء مايزرون** »

ولايخفى أن من دعا الى خير كان له جزاء ماصنع ومن دعا الى شر كان عليه اثم ماصنع ، قال عليه السلام : « **من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، لاينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة ، فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، لاينقص من أوزارهم شىء** »

ولكن هذا الذى يغفره الله هو مايكون بين العبد وربه من مآثم ، أما من كانت معصيته بينه وبين العباد كأن سرق حاجة أخيه أو اغتصب ماله ، فانه يجب عليه أن يرد المظالم الى أهلها ، فان لم يفعل اقتص منه فى الآخرة، مالم يستسمح صاحبها فى الدنيا ، قال عليه السلام : « **اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى اذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة** »

أيليق بنا بعد هذا كله أن نجد بين صفوفنا وفى بيئاتنا جماعات يسمرون ، ولايحلو لهم الا الحديث عما وقعوا فيه من جرائم خلقية يندى لها جبين الانسانية ، ثم لايفرط عقدهم ، ولاينفض سامرهم الا بعد أن يكونوا قد استهووا كثيرا من الشبان الذين لم يمروا بهذه التجارب القاسية ولم يكتب لهم فى ماضيهم أن يدنسوا صفحتهم ، ويسيئوا سمعتهم ، فاذا هم بعد هذا كله يشربون من كئوسهم حتى الثمالة ، ويسيرون وراءهم حيثما ساروا، والنهاية المحتومة تنتظر الجميع ، وآخر فصل من فصول هذه المأساة انهيار خلقى ، وتدهور اجتماعى :

وانما الأمم الأخلاق مابقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فعلى المجتمع أن يحارب هؤلاء ، وألا يستمع الى أحاديثهم ، وأن يطهر صفوفه من أمثالهم، وبهذا نضمن أمة ذات مقومات ومبادىء وصاحبة مثل وأهداف ، اليها تتطلع المجتمعات الأخرى، وعلى منهجها تسير المجتمعات الانسانية الرشيدة فيكتب لها البقاء وتصبح لها الصدارة ، وتصير جديرة بقيادة غيرها من المجتمعات نحو الأهداف الكبرى للانسانية الرشيدة وهى الحق والخير والفضيلة والله الموفق

على هامش التفسير - حول تفسير الآية الكريمة

وجعلنا من الماء كل شيء حي

الدكتور أنور عبد العليم

- ٤ -

١ ـ الخواص الطبيعية للماء

أما وقد تحدثنا عن كثير من مظاهر الماء في احواله الطبيعية المختلفة ، فانه يمكن القول بان تلك المظاهر تتصل اتصالا وثيقا بالخواص الطبيعية للماء التى تميز بها عن سائر السوائل الاخرى .

فالماء النقى هو سائل لا طعم له ولا رائحة ، وهو نادر الوجود فى الطبيعة .. وربما كان أقرب أنواع المياه نقاء هو ماء الأمطار أو الماء الناتج من ذوبان الجليد .. وللماء قدرة عجيبة على اذابة عدد كبير جدا من المواد تفوق قدرة أى سائل آخر معروف . ويمكن القول بأن جميع العناصر المعروفة تذوب فى الماء ولكن بدرجات متفاوتة ، ولهذه القدرة على الاذابة أهمية كبرى فى حياة الكائنات ، اذ بمقتضاها تذوب العناصر الضرورية لحياة النبات من التربة ، وبمقتضاها أيضا تذوب الصخور وتتفتت على آماد طويلة ، ولذا كان الماء عاملا هاما من عوامل التعرية فى الطبيعة

ومياه الشرب المعدنيه التى تنبثق من العيون الأرضية وتعزى لها فوائد طبية ، تحتوى على كميات ضئيلة من العناصر التى يتطلبها الجسم ، كالكبريت والحديد والبوتاسيوم والفوسفور وبعض العناصر المشعة وما اليها .

وللماء القدرة على اذابة الغازات التى فى الغلاف الجوى بدرجات مختلفة أيضا ، اذ يذوب فيه قدر من الاكسجين والنتروجين ، وثانى أكسيد الكربون وغيرها من الغازات .. ولولا وجود العناصر المختلفة وتلك الغازات التى تذوب بطبيعتها فى الماء لما كان ماء الشرب مستساغا طعمه للشاربين .

ويتميز الماء أيضا بخاصية أخرى هى شدة « التوتر السطحى » بمعنى أن جزئياته التى على السطح تميل الى التماسك مع بعضها .. وهو فى هذه الخاصية يفوق السوائل الأخرى .

ولهذه الخاصية أهمية فى تكوين قطرات الندى ، وفى حدوث التفاعلات الحيويه فى الخلية الحية • ويتجمد الماء فى درجة الصفر المئوى ، وعندما يتجمد الماء يتمدد ، أى يزداد حجمه ، وهو فى هذا السلوك يختلف عن باقى السوائل المعروفة •• ومعنى ازدياد الحجم أن كثافته تقل فيطفو •• ولهذه الخاصية أهمية بالغة فى الطبيعة ، فعندما يتجمد الماء ويتحول الى ثلج يطفو فوق سطح البحار والأنهار والبحيرات •• ويمكننا أن نتصور ماذا يحدث لوكان العكس هوالصحيح، اذن لتجمد الماء بداخل الأنهار والبحار •• وهلكت جميع الكائنات الحية فيها •

وللماء خاصيه أخرى فريدة يتميز بها على سائر السوائل الاخرى وهى أنه اذا برد حتى درجة ٤ مئوية ينكمش ، فيقل حجمه وتزداد كثافته ، ولهذا السبب يرسب إلى القاع •• ولذلك أيضا حكمة بالغة ، اذ لا تتجمد مياه البحيرات والبحار العميقة مهما انخفضت درجة الحرارة على سطح الماء ، وكثيرا ما نجد بحيرة يكسو سطحها الجليد، ويمكن لسيارة أن تمر فوقها بسهولة ، بيد أن باطنها يعج بالأسماك والأحياء الأخرى •• وفضلا عن ذلك فحين يرسب الماء السطحى الى قاع البحر أو البحيرة فانه يساعد علىتهوية الطبقات العميقة ـ أى مدها بكمية أكبر من الاكسيجين اللازم لتنفس الكائنات ـ •

وللماء فوق ذلك سعة حرارية كبيرة قلما يضاهيه فيها سائل آخر • فكمية الحرارة اللازمة لتحويل الماء الى جليد أو الماء الى بخار تفوق مثيلتها للمواد الاخرى • وعندما يسخن الماء فانه يحتفظ بالحرارة لمدة أطول من احتفاظ المواد الأخرى لها • ولهذا السبب يعتبر الغلاف المائى المحيط بالأرض هو المنظم للحرارة على سطحها •• وقد سبق أن وضحنا هذا الأمر فى مقال سابق •

كما أن بخار الماء الموجود فى الغلاف الجوى يحتفظ أيضا بكمية من الحرارة التى تفقدها الأرض بالاشعاع •• ولهذا السبب يعتبر الغلاف الجوى فى حد ذاته حجابا واقيا يمنع حرارة الارض من التشتت فى الفضاء ، ولولا وجود بخار الماء فى هذا الغلاف لبردت الأرض الى درجة لا تقوم معها الحياة عليها • ونظرا لقدرة الماء على الاحتفاظ بالحرارة فانه يعتبر أيضا منظما لحرارة أجسامنا وهو أمرضرورى لقيام الجسم بوظائفه الحيوية على وجه سليم •

ويعتبر الماء أيضا موصلا جيدا للحرارة ، بل انه أحسن السوائل توصيلا لها ، ولايفوقه فى هذه الخاصية سوى الزئبق •

وللماء فضلا عن ذلك خاصية أخرى فريدة وهى أنه سائل غير قابل للانضغاط الا بدرجة قليلة جدا لا تكاد تذكر ، واذا كان الماء سائلا قابلا للانضغاط كباقى المواد الأخرى فان كثافته تزداد بزيادة العمق ، وهو ما ليس كذلك •• ولذا أخطأ القدماء حين ظنوا أن حطام السفن الغرقى والأجسام الثقيلة تبقى معلقة عند عمق معين فى أغوار البحار ، والحقيقة أنها تصل الى القاع مهما بعد عن السطح •

وأخيرا فان الماء سائل على درجه عاليه من الشفافية ، ولذا تنفذ من خلاله الموجات الضوئية بدرجات مختلفة والى أعماق كبيرة • ولهذا السبب فان الكائنات النباتية التى تعيش على أعماق محدودة تحت سطح البحار والمحيطات يمكنها أن تستفيد من الطاقة الضوئية فى القيام بعملية التمثيل الكلوروفيلى وبذلك تستطيع أن توفر قدرا كافيا من المواد العضوية التى تبنيها وتتغذى عليها الحيوانات الأخرى والأسماك •

ولهذه الخواص الطبيعية الفريدة ، قدر للماء هذا الدور الهام الذى يلعبه على مسرح الحياة ، بل على كوكب الأرض •• وليس من المحتمل أن يوجد سائل آخر يتوافر بهذا القدر المهول ويملك كل تلك الخواص الفريدة على هذا الكوكب الذى نعيش فوقه •

اشتراكيتنا الإسلامية

على ركائز قوية من علم النفس

حب التملك غريزة

الشيوعية كبت لها

الرأسمالية انطلاق واشباع

الاشتراكية تعديل واعلاء

الأستاذ عبد الغني عوض الراجحي

١ ـ مما لاشك فيه أن الانسان يولد مزودا بطائفة من الاستعدادات والقوى الفطرية التى تمكنه من التصرف فى حياته وفى المواقف التى تجابهه بما يدفع عنه الضرر ويجلب له المنفعة ، كأنما خلقت هذه الاستعدادات والقوى فيه لتكون عناصر بقائه ، **وحوافظ حياته ، دون سابق خبرة أو تدريب أو تعليم،** وان كانت فى الوقت نفسه على درجة كبيرة من قابليتها مستقبلا لتعديلها وتحويلها والتصرف فيها بما يختص به الانسان عن الحيوان ، ويكتسبه من العلم والمعرفة ، ويستفيده من الظروف والتجارب التى يمر بها . مجموعة هذه القوى والاستعدادات الطبيعية اصطلح علماء النفس على تسميتها بالغرائز ، وعدوا منها غريزة حب التملك ، فالانسان بغريزته نزاع الى الملكية والاستحواذ والاقتناء ، يسعى الى ذلك جاهدا **بكل ما** أوتى من قوة عقلية أو جسدية .

هذه الغريزة فى الانسان عرفها الاسلام وذكرها القرآن وتعرضت لبيانها فى الانسان وتحليلها ودراسة أعراضها عشرات النصوص الاسلامية ، فألقت عليها كثيرا من الأضواء تميل فى أغلب أمرها الى مجرد بيانها وكشف جنباتها ، وذلك فى مثل قوله تعالى فى حديثه عن الانسان « **وانه لحب الخير لشديد** » والخير هنا مفسر بالمال . وقوله تعالى يخاطب البشر « **وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما** » وقوله تعالى « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد** » وقوله تعالى « **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** » وقوله تعالى « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** » وقوله تعالى « **ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب** » **وفى المأثور : لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثا. يشيب ابن آدم وتشب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل .**

٢ ـ لم يحاول الاسلام اقتلاع هذه الغريزة

من نفس الانسان لأن اقتلاعها مناقض لارادة جعلها فطرية • وما جعلها الله غريزة وطبيعة ، وهو يريد بعد احكام غرسها في النفس أن يوصى باقتلاعها ، ولم يحاول كذلك كبتها ، لأن كبت الغرائز كما قرر علماء النفس ضار وخطر « وما خلقها الله في النفس الانسانية غريزة فطرية وهو يريد أن يجعلها تحت غطاء ثقيل لاتستطيع معه تنفسا الا أن تنفجر به انفجارا مروعا ، فأباح الاسلام الملكية والتملك ونفس عن هذه الغريزة فتناول المسائل المالية بالتشريع والتنظيم ، وذكر الملك والمال في سياق الرضا عنه واحترامه والمحافظة عليه ومدحه أحيانا ، فكانت تشريعات المداينات والرهون والتجارات والشركات والارث والوقف والوصية والهبة والعمرى والرقبى ، والنهى عن الاسراف والتبذير ، والنقص في الكيل والميزان ، وأكل مال اليتيم ، وغير ذلك مما لا يغيب عن البال • تلك النصوص الكريمة التى تدل عليه والتى منها « **اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه** » « **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما** » « **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** » « **تصدق بالثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » •• **لا عال من اقتصد** » . « **من قتل دون ماله فهو شهيد** » •

٣ ـ من جانب آخر لم يسمح الاسلام لهذه الغريزة غريزة حب التملك أن تنطلق انطلاقا كليا عاريا عن كل قيد فتصاب النفوس بالسعار ، وتجعل المال والتملك غاية أمرها في الحياة ، فتنطلق في مضمارها انطلاق الوحش في الفلاة ، فتصير هذه الغريزة بهذه الصورة شرا ووبالا وعامل تحطيم للفرد والمجموع ، وسببا من أسباب الاغترار ، والتنكب عن الحق والاستهتار بالقيم الانسانية ، وفرض سيطرة راس المال ، واستعماله في شراء الذمم والضمائر واذلال الآدمية التى كرمها الله تعالى شعوبا وأفرادا واحداث الانقلابات والاضطرابات ، والوقوف به حجر عثرة في وجه الخير والعدالة وسعادة الفرد والمجموع • حذر الاسلام من ذلك ونفر منه وسرد علينا صورا قبيحة شوهاء للغنى الفاحش والرأسمالية الباغية ، فذكر المال والغنى في مواضع كثيرة في سياقات الذم واللوم والضلالة ، وبين أنه السبب الرئيسى في كثير من الشرور والآثام واستحقاق الدمار والعذاب في الدنيا والآخرة « **ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » • « **واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه** » . « **ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد • كلا • انه كان لآياتنا عنيدا** » • « **أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** » • « **الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده • كلا** » « **ومايغنى عنه ماله اذا تردى** » « **وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين** » . تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش •

٤ ـ لئن كانت الشيوعية كانما تحاول اقتلاع هذه الغريزة من الانسان أو كبتها فيه حتى لا يكاد يكون لمفهوم الملكية الفردية في ذهنه تصور ، وحتى يكون احساسه بأنه خلق ليملك أكثر من احساسه بأنه صالح لأن يملك ولئن كانت الرأسمالية تطلق العنان لهذه الغريزة الى أبعد الحدود حتى لا يكاد يحس الرأسمالى بأحد غيره في هذا الوجود ، فان اشتراكيتنا الاسلامية قد وقفت موقفا وسطا ، وانتهجت منهجا وسطا كمظهر من مظاهر وسطية الاسلام ، والأمة الاسلامية وقفت موقفا يقره ويقرره علماء النفس والاجتماع من كافة الغرائز الانسانية ، موقف الاعلاء والتسامى بالغريزة ، ليخرجها من شر الفردية والأنانية الى خير الفرد والمجموع ، وسمح لها بالاشباع في حدود خاصة وشروط خاصة ، ودفعها بكلتا يديه بعاملى الترغيب والترهيب الى أن تتسامى وأن تكون انسانية ، ففتح لها أبوابا لا تحصى من الانفاق والبذل والعطاء ومد يد المعونة كلما لاحت لذلك فرصة ، وألهب بسياط نصوصه ووعيده وتهديده ظهور

البخلاء والكانزين والاقطاعيين والمستبدين بالأموال « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون** » « **وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** » « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » « **اعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم** » « **وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** » « **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** » « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة** .. » .. هم الأخسرون أعمالا ورب الكعبة . قالها صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، فقال السامعون من هم يارسول الله خابوا وخسروا ؟ فقال : هم الأكثرون أموالا ، الامن قال بيده هكذا وهكذا وأشار صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة يمينا وشمالا كأنه يصور البذل والاعطاء وانفاق المال بقوة وتفضه عن الانسان ذات اليمين وذات الشمال ، وفى كل جهة من جهات البر والخير .

اننا اذا تأملنا هذه النصوص الكريمة جيدا وجدناها نصوصا قيادية حكيمة بليغة التأثير تقود فى حكمة هذه الغريزة من زمامها لتحولها بالموعظة الحسنة والترغيب والترهيب من طريق انطلاقها الى درجة الاشباع الآثم الى طريق تساميها واتجاهها وجهة الخير والرحمة الانسانية ..

٥ ـ ما أشبه موقف الاسلام والاشتراكية الاسلامية من هذه الغريزة بموقف الأمة الحكيمة التى تجد نهرا جارفا وسيلا عارما يجتاح ربوع بلادها . ان هى حاولت التخلص منه بابعاده كلية عن أراضيها حرمت خيره وخصبه وعذوبته ، وان هى وقفت حياله مكتوفة الأيدى تاركة العنان يجرى كيف يشاء كان حريا ان يصيبها فى الأنفس والأموال بأبلغ الأضرار ، لكنها اذا أخذت فى تعديل سيره وساعدته على تنظيم أمره ووضعت له السدود والقيود وأقامت على جانبيه الاستحكامات والجسور كانت حرية بأن تتمتع بمائه وخيراته الى أبعد الحدود .

ان الغرائز الطبيعية فى جملتها شىء يشترك فيه الحيوان مع الانسان ، لكن ميزة الانسان على الحيوان فى قبول غرائزه للاعلاء والتسامى لأنه بما يمتاز به على الحيوان من قوة عاقلة مفكرة تكون قابليته لذلك وتكون غريزته ، ان لم تعدل خطرا وشرا مستطيرا كنتيجة لأعمال قوته المفكرة فى التفنن فى اشباع غريزته من أى طريق مشروع أو غير مشروع .

٦ ـ **لقد تجلى لنا ـ اذن وأخيرا ـ أن جميع مظاهر اشتراكيتنا الاسلامية بقوانينها وتشريعاتها من زكاة وصدقة وتعاون وتكافل اجتماعى وتأميم وتأمين واذابة فوارق وتحديد ملكية وقيم ايجارية وغير ذلك ، انما مردها بحذافيرها من ألفها الى يائها الى ما يسمونه فى علوم النفس والاجتماع بعملية اعلاء الغريزة** وكفى بذلك اصالة ورصانة وقوة فى اشتراكيتنا المرتكزة على ركائز قوية من الفهم والادراك الصحيح والأصول النفسية والاجتماعية .

وهكذا تلتقى اشتراكيتنا الاسلامية وديننا الحنيف مع علوم النفس والاجتماع فى مجال الاصلاح الاجتماعى واسعاد البشرية ، وهكذا يصدق قول مكدوجل العالم النفسانى الكبير « فى هذا العصر الذى تشتبك فيه مصالح البشرية وتلتقى لا نجد فى مختلف الدراسات والعلوم شيئا أكبر خطرا وأجدر بالدرس من علوم النفس والدين فهما أكثر العلوم شبها وأقواها اتصالا وفيهما مفتاح المسائل التى شغلت عقل الانسان منذ أن وجد فاذا فهم الانسان دينه فى ضوء علم النفس أمكنه أن ينقذ نفسه من الضلال وان يعيد بناء الانسانية ـ الذى أوشك أن ينهار ـ على أساس قوى متين » .

٦

عناصر الحيوية في الدين الاسلامي

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

عموم الدعوة الاسلامية

أنتقل بك أيها القارىء الكريم فى هذا المقال الى بيان « **حيوية الاسلام فى نطاق التشريع الذى أراد الله به اصلاح الجماعة الانسانية** » وسأقدم بين يدى ذلك بيان الخصائص الذاتية للدعوة الاسلامية • والمنارات الواضحة التى سارت على ضوئها خطوات الاصلاح الاسلامى للمجتمع • فأقول :

• تمتاز دعوة الاسلام على سائر الدعوات التى حمل لواءها المرسلون من لدن آدم الى سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بميزة « العموم » وأعنى به عموم التكليف فى امتداده الأفقى الذى يتخطى حواجز الجنس واللون واللغة والبيئة • ويضم تحت لوائه كل العوالم البشرية التى تعيش على المعمورة • وعموم التكليف فى امتداده الطولى الذى لا تحده حدود الزمن ، فهو يلاحق الجنس البشرى فى أجياله المتعاقبة ، ويساير التطور فى مراحله المختلفة ، وعموم التكليف فى سعة المجالات التى تظهر فيها آثاره ، بحيث تدخل فى نطاقه كل أنواع الاصلاح ، ولا تنقطع صلته بأية دقيقة من دقائق الأحداث •

(أ) فالعموم فى القطاع الاول يكون بمناسبة الدعوة لكل العقول والمستويات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، بحيث تفيد منها كل الأجناس والألوان ، ولا تتنافى معها أية لغة من اللغات ، أو تتأبى عليها بيئة من البيئات ، والدعوة بهذا التكييف لا تكون الا اذا وجد الاحساس الجماعى العام ، بالحاجة الملحة الى اتصال الجماعات بعضها ببعض ، وتبادل المنافع فيما بينها ، وتعاونها على الخير العام •

والجماعات البشرية كانت تعيش قبل الاسلام فى جو من الاحساس الفردى ، تخف حدته شيئا فشيئا كلما تقدم الزمن ، وخطت الجماعة خطوة فى سبيل التطور ، ومن هنا كانت كل رسالة سماوية تأتى لمجموعة خاصة ، أو قبيلة معينة ، لزمن محدود ، وكان كل

رسول يعالج فى قومه ناحية أخلاقية خاصة بعد تصحيح عقيدتهم فى الله واليوم الآخر ، كما يظهر من دعـوة « **شعيب** » قومه الذين كانوا يطففون الكيل والميزان ، ودعوة « **لوط** » قومه الذين كانوا يأتون الرجال شـهـوة من دون النساء • وقد يتعاصر رسولان فى زمن واحد ، كل منهما يدعو جماعة لناحية أخلاقية معينة ، كما عاصر « **ابراهيم** » لوطا عليهمـا السلام « **ولـمـا جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلـكو أهل هـذه القرية ، ان أهلها كانوا ظالمين • قال ان فيهـا لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها** » •

وبالنظر الى ترقى الاجتمـاع حسب سنة التطور كان الدين اللاحق يجيء مكملا للدين السابق ، موسعا دائرة الاصلاح ، منظمـا للعلاقات من وجـوه مختلفـة ، حتى جاءت « **اليهودية** » أخيرا بأحكام وقواعد نظمت بها المجتمع اليهودى فى مستقره الأخير بعد طول عذاب وبعد التيـه فى الأرض • وجاءت « **النصرانية** » بعد ذلك تحد من شره هـذا المجتمع الذى انكب على المادة وعبدها كرد فعل لما عاناه من قبل ، غير أن هذا الاصلاح لم يخرج بهذين الدينين عن الخصوصية ، ولم يرشحهما ليكونا رسالتين عامتين ، وقد آمن اليهود بذلك وتصرفوا فى نطاق هذه العقيدة• فان من تقاليدهم أنه اذا تقدم اليهم راغب فى ملتهم تلطفوا فى رده ببيان ما فى ديانتهم من التكاليف التى تشق عليه ، وماينتظـره من الواجبات التى لا يستطيع الاضطلاع بها ، فان أصر على الدخول فيها قبلوا منه ان يتخلق بأخلاقهم ، ويتأدب بآدابهم ، دون أن يكلف غير ذلك •

يقول المسيو « جوليـان ويل » حاخام باريس فى كتابه « اليهودية » : يجب على كل ربانى أن يرد كل طالب الدخول فى عهـد ابراهيم ثلاث مرات • لافتا نظره الى الصعوبات التى سيصادفها ، والتكاليف الشـاقة التى يتحملها ، والأخطار التى سيتعرض لها • فاذا أصر على طلبه ، وتحقق الربانى أن الدواعى التى تحدوه للتهود طاهرة ونزيهة فيمكنه أن يقبله فى حظيرة البيعة •• الى ان قال : ان هذا التحفظ فى أمر طالبى التهود دعت اليه طبيعة اليهودية ونظامها الخـاص ، الذى لا يقصد به الا الاسرائيلى بأدق معـانى هـذه الكلمة ، وأوجبه كذلك مافى اليهـــودية من التكاليف الكثيرة ، التى يستدعى العمل بها نكران الذات والاخشيشان والشجاعة واحيانا البطولة أيضا » •

والى جانب هذا نرى اليهود يفرقون بين البشر فى المعاملة، فيدعون أن غير الاسرائيليين أميون ، وعقيدتهم أن الله لهم وحدهم ، ولا يخاطب بالتكريم سواهم ، فهم خاصة العالم اجمع ، وغيرهم من عامة البشر لايدانونهم فى هذه الخصوصية • وعلى ضوء هذه العقيدة وبوحى من هذا الاحساس يبيحون « **الربا** » مع غيرهم ويحرمونه على بنى جنسـهم ، وينسبون ذلك التعليم الى « **موسى** » حيث خاطبهم ـ كما فى الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية ـ بقوله :

« **للأجنبى تقرض بربا • ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب** » • ذلك بأنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختـار ، وأن الكنعانيين شعب وضيع خلقـه الله ليكون رقيقا لهم •

والمسيحية كذلك فى دعوتها للمبـادىء الاجتماعية تنادى بالزهد والتخلص من علائق الدنيا ، وهذا النظام لايصح ان يكون نظـاما عاما ، فهو اذا صلح لقوم جاءتهم الرسالة حيث كانت الظروف تقتضى ذلك لمحـاربة المادية الطاغية ، فهو لا يصلح لغير هذه الظروف ولا للأزمان التالية ، التى تقتضى الكفاح والعمل الدائب للنهوض بالبشرية •

على أن سيدنا « **عيسى** » بدأ دعـوته ببنى اسرائيل خاصة ، و « **الأناجيل** » التى حكت الحوار بينه وبين المرأة الكنعانية التى جاءته ليخرج لها الشيطان من ابنتها ، تبين لنا أن دعوته كان يحاول أن يقصرها على الاسرائيليين، فقد رواها « **مرقص** » فى الأصحاح السـابع « **واما يسوع فقال لهـا : « دعى النبيين اولا يشـبعون لأنه ليس حسـنا أن يؤخذ خبز النبيين ويطرح للكلاب** » •

فأجابت وقالت له : نعم يا سيد والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من فتات النبيين » .

وكانت هذه المرأة (أممية) أى من أبناء الأمم غير الاسرائيلية ، وجاء فى انجيل متى وهو يقص هذه الحكاية فى الاصحاح الخامس عشر : « فأجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة » .

جاء الاسلام بعد ذلك وقد بلغ الاجتماع البشرى أشده أو كاد . وأصبح فى نقطة يمكن أن ينطلق منها فى طريق التكمل والترقى . فكانت دعوته عامة للناس أجمعين بل تخطت عالم الانس فشملت الجن كذلك . وكانت هذه الميزة ملازمة لها حين درجت فى مهدها فى مكة ، وكانت عقيدة تصرف النبى والصحابة من بعده على ضوئها . وقد ورد فى القرآن ثمانية عشر نصا يدل على هذا العموم ، وأولها نزل فى ثانى سورة فى القرآن الكريم وهى سورة القلم « **وما هو الا ذكر للعالمين** » . وآخرها نزل بالمدينة فى سورة التوبة « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » . والنصوص مذكورة فى سور : التكوير ، ص ، الأعراف ، يس ، الفرقان ، يوسف ، الأنعام ، سبأ ، الأنبياء ، آل عمران ، الفتح ، التوبة . وهى مرتبة حسب نزولها .

كما ورد فى السنة أيضا خمسة عشر نصا على عموم الدعوة أوضحها قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما اتفق عليه البخارى ومسلم : « **كان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة** » كما ينضم الى ذلك سلوك النبى - صلى الله عليه وسلم - فى تبليغ الدعوة فكان ذلك فى صورة عامة وصل بها الى كل قبيلة ، وأسمعها آذان الأجناس المختلفة ، فاستجاب لها صهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق الفرس . وكتب بها الى الرؤساء والملوك فى داخل الجزيرة العربية وخارجها فى آسيا وأفريقيا . ولم يشأ أن يفارق الدنيا قبل أن يؤكد التبليغ فى شكل جماعى . فقد أعلن فى المؤتمر الجامع يوم الحج الأكبر خلاصة الدعوة فى قواعدها العامة ومبادئها الأساسية وأشهد الناس على التبليغ وحملهم أمانته فقال : « **فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع** » .

وقد استجاب الصحابة والمسلمون فى كل عصر لهذه الوصية فقاموا بنشر الدعوة فى ثوبها العام . وكان من آثار ذلك قيام هذه الدولة العظيمة التى لعبت أخطر الأدوار فى التاريخ البشرى .

وقد حاول المبطلون أن يجردوا الاسلام من هذه الميزة فيجعلوه خاصا كغيره من الأديان، ليوقفوا تياره الجارف وزحفه السريع ، وليفسحوا المجال لدعوات جديدة تمسخ هذا الدين ، عبئوا كل قواهم الفكرية والعسكرية والسياسية ليحجبوا نوره عن العالم ، ولكن كتب الله له الظهور والتمكين ولو كره المبطلون .

ولقد كان أول من حمل لواء هذه الحملة هم اليهود ، فان طائفة شذت منهم وشايعت الرأى القائل بأن محمدا رسول ولكن للعرب خاصة ، وهؤلاء هم العيسوية المنسوبون الى أبى عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهانى الذى بدء دعوته فى آخر زمن الأمويين فى ولاية مروان بن محمد ، واتبعه كثير من اليهود .. وقد عاش الى زمن المنصور العباسى حتى قتلته جيوش الدولة .

وردد هذه الفرية فى الزمن الأخير « **ساوندرز** » المحاضر فى جامعة كنتربرى بزيلاندة الجديدة . ونشرت فى مجلة « **تاريخ اليوم** » فى عددى مارس وأبريل سنة ١٩٦١ ، كما رددها « **وليم موير** » فى كتابه « **الخلافة** » ونسى هؤلاء النصوص القوية الدالة على عموم الرسالة . وحاولوا أن يؤولوها تأويلا يتفق وأغراضهم التبشيرية والاستعمارية ، ولكن واقع الدعوة وظهور أثرها فى كل البيئات وبين كل الأجناس أكبر دليل على بطلان دعاواهم .

هذا هو عموم الدعوة فى الامتداد الأفقى ، وسأبين لك فى العدد القادم ان شاء الله عمومها فى الامتداد الطولى . فالى اللقاء .

الرسول خطيباً

الأستاذ محمد كامل احمد

خطابة الرسول « صلى الله عليه وسلم »

كتاب الله وسنة رسوله هما المنبعان اللذان يستقي منهما المسلمون شئون دينهم وما يصلحون به أمور دنياهم . ولكن نشاط الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سبيل الدعوة لم يقف عند اذاعة الوحى بعد تلقيه، وتعزيزه وتوضيحه بالنسبة القولية والعملية. وذلك أن الرسول اضطر الى مواجهة الجماهير قبل الهجرة وبعدها ، ووقف بينها خطيبا يدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

فالهدف الأول لخطابة الرسول فى مكة والمدينة توضيح الدين الجديد والقاء الأضواء عليه في حدود الاطار الذى رسمه القرآن الكريم والصورة التي فصلتها آيات الذكر الحكيم . ولذلك كان من الطبيعي أن يستشهد الرسول في معرض خطابته بآيات من الكتاب تؤيد وجهته وتدعم غرضه وتطابق مقتضى الحال .

فالرسول يذكر المستمعين بأسس الايمان بذلك الدين ويرسم لهم فى وضوح خطوطه العريضة ومبادئه العامة ، ويؤكد لهم صدق رسالته حين يقول :

« والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة ابدا او لنار أبدا » . كما يؤكد لهم البعث والحساب والثواب والعقاب . وانه اليهم بشير ونذير .

ولم يقف الرسول فى خطابته عند ذلك الحد ، بل استهدف منها التبصير بالحلال والحرام فى أمور بعينها استباحها العرب فى الجاهلية ، ولكن الاسلام قضى عليها وحرمها ، أو بين وجه الحلال والصحة فى بعضها . فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصى بالنساء خيرا مبينا ما لهن من حق وما عليهن من واجب . **ولما كانت الأسرة الفاضلة اللبنة الأولى لبناء المجتمع السليم ، كانت صحة الأنساب موضع اهتمام الدين الاسلامي الذى شرع الميراث والوصية ، وأكد الرسول فى خطبة حجة الوداع ضرورة الحرص على صحة النسب حين قال : « الولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى الى غير ابيه ، او**

تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقد أشار الرسول فى أكثر من خطبه الى عدم المغالاة فى الدية التى يتقاضاها أهل من قتل عمدا أو خطأ ، ويؤكد أن المغالاة من صفات أهل الجاهلية . واشارة الرسول الى موضوعات تناولها القرآن الكريم فى آياته البيانات يبين حرصه على تدعيم أسس الايمان فى قلوب مستمعيه ، وأن يبين وجه الحق فى تلك الموضوعات الحساسة من مخلفات عهد الجاهلية والتى ترسبت فى نفوس الكثيرين ، ولم يبعد العهد بتحريمها . ومن هذه الأمور التى تناولها الرسول فى خطبه ربا الجاهلية ودماء الجاهلية ، **فبين أن الاسلام يجب ما قبله ، ويهيىء لما بعده من حياة اقتصادية نظيفة ، وأمن واستقرار وسلام .**

ولم ينس الرسول فى خطبه أمر الأشهر الحرم ، وأكد ضرورة احترامها ، ونعى على النسىء وانه زيادة فى الكفر. فقد درج العرب فى الجاهلية على تأخير حرمة شهر الى شهر آخر غير حرام ، فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ليحاربوا ويقضوا أوطارا فى انفسهم . وكذلك فعلوا فى زحزحة الأشهر الحرم عن مواضعها حتى استدار التحريم على اشهر السنة كلها . وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم المعروفة ، ولذلك نص الرسول فى خطبة حجة الوداع على ان : « **عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان .**

ونجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) **فى احدى خطبه حريصا على اعطاء القدوة الحسنة بالقول والفعل ، ففى مرض موته يعلن فى خطبته : « فمن كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشحناء من قبلى فانها ليست من شانى »** . وتذكر قتب التاريخ ان رجلا ادعى على الرسول بثلاثة دراهم ، فاعطاه عوضها ، ثم قال : « ايها الناس : من كان عنده شىء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ، الا وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة » ولاشك أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى موقفه ذاك بين جمع المسلمين قد سن لهم سنة قولية عملية فيها صلاح معاشهم فى الدنيا ، وحسن معادهم الى رب العالمين .

ولا يغيب عن الخاطر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أعطى الخطبة الدينية ملامحها ، ووضح قسماتها . فالرسول كان يفتتح خطبه بحمد الله ، والاستعانة به ، والتوبة اليه . ثم يتبع ذلك بالشهادتين : شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . ويمضى الرسول فى خطبته وأغراضها حتى يوفى على نهايتها ، فيختمها بالسلام والرحمة .

واذا كانت تلك غايات الرسول واهدافه من خطبه التى التقى فيها مع جموع المسلمين ، فان المناسبات التى ألقيت فيها تلك الخطب كانت متمشية مع ظروف الدعوة الاسلامية ، والخطوات التى سارت فيها . فهناك خطبة الرسول فى مكة عندما بدأ يجهر بالدعوة الى الدين الجديد ، وخطبه بالمدينة المنورة بعد أن هاجر اليها ، وخطبته يوم فتح مكة ، وخطبة الرسول يوم حجة الوداع ، وخطبته فى مرض موته . هذا الى خطب متفرقة كان الرسول يلقيها بالمسجد أو فى مناسبات استدعت تبصير المسلمين بأمور دينهم ودنياهم .

والباحث فى خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحس ان له اسلوبا خاصا فى خطابته استطاع عن طريقه بلوغ أهدافه . وهو أسلوب صبغه الرسول بشخصيته ، واستمده من ينابيع ثقافته ، وكساه ثوبا ضافيا من ادبه الذى أدبه به مولاه . وهو اسلوب مثالى يتصف بالوضوح والقوة والجمال .

والوضوح في خطب الرسول هدف له الأولوية والأسبقية على كل ما عداه . فبالوضوح يصل الخطيب الى عقل المستمع وجهازه التفكيرى ، ويستطيع بعد ذلك أن يهز عواطفه ، ويحرك أشجانه ، ويضمن تجاوبه معه . والوضوح فى خطب الرسول يشمل لغتها وأفكارها وعباراتها . فاللغة الواضحة تبدو فى الألفاظ السهلة السلسة والبعد عن الحوشى الغريب منها . وقد ابتعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن المعاضلة اللفظية والسجع الجاهلى والاستشهاد بالشعر فى خطبه . وكذلك عرف الوضوح طريقه الى أفكاره التى ساقها الرسول فى خطبه رتيبة سلسلة مؤتلفة . واستطاع أن يوفر لعباراته البساطة والوضوح بالجمل القصيرة وسلامة التركيب النحوى وشفافية النسيج اللفظى . ويسر ذلك الوضوح فى اللغة والأفكار والعبارات فى خطب الرسول سرعة وعيها وسهولة تقبلها .

أما عنصر القوة في خطب الرسول فله مظاهر كثيرة ، فمن ذلك استشهاده بآى الذكر الحكيم كما حدث فى خطبته عند فتح مكة : **« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** . كما قصد الرسول فى خطبه النداء والقسم والتوكيد كقوله : **« يامعشر قريش »** ، **« ألا أيها الناس »** ، **« والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله »** ، وهكذا .

كما استخدم الرسول الازدواج والمقابلة والتكرار ليكون أثر خطبه قويا فى النفوس ومن ذلك قوله : **« نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا »** وقوله : **« أحبوا من أحب الله ، وأحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكراه ، ولا تقسو عليه قلوبكم ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، اتقوا الله حق تقاته ، وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم »** كما استخدم الرسول من عناصر قوة الأسلوب التشبيه والتصوير مما يثير الانتباه وينشط الخيال كقوله فى أول خطبة خطبها بالمدينة ، **« تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق ثمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف »** .. وقد لاحظنا أن الخاتمة فى بعض خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) تمتاز بقوة تأخذ بمجامع القلوب لقوة صياغتها وحبكة أطرافها ، واكتسابها صورة القطع والجزم والحقائق والأحكام التى لا تقبل ردا ولا ترددا ، ويقف المستمع أمامها مشدوها مستسلما كقوله فى ختام أول خطبة خطبها بمكة : **« وانها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا »** .

وأما عنصر الجمال فى خطابة الرسول ، فهو مكمل للعنصرين السابقين ، الوضوح والقوة ، وتابع منهما . وذلك أن عنصر الجمال فى العمل الأدبى كالخطبة لا يتوفر الا عندما نرى الفكرة الرئيسية قد عبر عنها الخطيب بوضوح كامل ، وتأثير قوى على ذهن المستمع ونفسه .

وصفة الجمال تعتمد الى حد كبير على الصوت والجرس ، والتنغيم والتوازن اللفظى . والثقافة الموسيقية عند الخطيب تعينه على استهداف الجمال فى خطبته ، فيستطيع أن ينفى عن خطبته الشوائب ، ويزيح من أسلوبها العراقيل التى تحول دون بلوغ الكمال ، واستهداف الجمال . والرسول (صلى الله عليه وسلم) استطاع فى خطبه الملاءمة بين أصواته ومعانيه ، وألفاظه والخلجات والمشاعر الدينية المقدسة التى اعتملت فى نفسه ، والأفكار الرئيسية التى عالجها فى خطبه بصدق واخلاص .

واستطاع محمد ـ خطيبا للدعوة الاسلامية ـ أن يشيع عاطفته التى عمرت قلبه ، وايمانه بدعوته ورسالته ، فى كل خطبه . وانتقل ذلك كله الى قلوب المخاطبين فأضاءها ، والى عقولهم فاقنعها ، وشع فى نفوسهم أمنا وايمانا ، وراحة واطمئنانا .

ماذا صنع الاستعمار بثقافتنا ؟

الأستاذ محمد عبد الهادى

وكان طبيعيا ونحن فى ثورة على الاستعمار وآثاره أن يهتم السيد الرئيس جمال عبد الناصر بأمر الثقافة عامة ليعيد بناء الوحدة الفكرية المتداعى . فعدلت البرامج التعليمية ، ومصرت المدارس الأجنبية ، وهـذه الخطوة لا تقل فى أهميتها عن جلاء الانجليز وتأميم قناة السويس ..

تحت ضغط مظالم الحكام الأجانب من مماليك وأتراك وأضرابهما ، انطوى المجتمع المصرى على نفسه ولكنه فى انطوائه على نفسه احتفظ بأهم مقومات الحياة . احتفظ بثقافة تضمن له وحدة الفكر . واحتفظ بتقاليد تضمن له وحدة الصف . واحتفظ بمعانى دينيـة تصونه من الانحلال .

وقد تنبه الانجليز - وهم أساتذة الاستعمار - الى ذلك ، فوجهوا ضربات عنيفة الى مصادر الحيوية التى بقيت فى هذا الشعب ، وهى الثقافة السائدة والتقاليد الموروثة والمعانى الدينية المقدسـة . وسـنتحدث ما استطعنا عن هذه الجوانب الثلاثة :

أما الثقافة فكان مصدرها الأزهر . ولم يكن فى مصر من أقصاها الى أقصاها ، أسرة لا تبعث بواحد أو أكثر من بنيها الى الازهر . ولم يكن هناك عائق مادى يحول بين أى حافظ للقرآن وبين طلب العـلم ، فالأزهر كان يعطى كل طالب فيه خبزه وثمن ادامه ومكانا يبيت فيه . وكان الطالب - أو المجاور كما كان يسمى - يبقى فى الأزهر مدة قد تقصر وقد تطول ، حسب حاجة أهله اليه فى العمل أو فى الارشاد . أو حسب قدرته على تحصيل العلوم الأزهرية ونجاحه فيها . فمن اكتفى بتحصيل بعض العلوم ورجع الى أهله كان لهم مرشدا ومشيرا . ومن ساعدته ظروفه وأعانه ذكاؤه ، بقى حتى التخرج . ومن توسع فى الاطلاع بعد التخرج تقدم الصفوف حتى يصبح من جلة العلماء ذوى المكانة المرموقة .

فالازهر اذن كان يتخرج فيه صنفان من المثقفين .. فريق يكتفى بتحصيل بعض العلوم ويرجعون الى بلادهم

يرشدون الناس وينشرون قيم الوعى ، وهؤلاء كانوا كثرة . وفريق يبلغون الغاية فى تحصيل علوم عصرهم ويصبحون أئمة الرأى والتوجيه ، وهؤلاء كانوا قلة . فهل كان الناس يستجيبون لتوجيه أولئك الأزهريين ؟

المعروف أن الناس لا يستجيبون لتوجيه أى مفكر الا اذا كان موضع ثقتهم وموضع احترامهم . والازهريون ظلوا موضع ثقة الناس وموضع احترامهم جيلا من بعد جيل لعدة أسباب :

١ ـ ان الدراسة فى الازهر كان اساسها الدين . فكانت الفضائل الاسلامية تفرض وجودها على بيئته . وكان الازهرى يلتزم الفضائل الدينية خضوعا للبيئة فى أول الامر . ثم تصبح عادة فيه بمرور الزمن . فاذا فقه المعانى الدينية وأدرك حكمتها استمسك بالفضائل استمساك المؤمن المتعصب حتى تصبح سجية فيه يتأثر بها سلوكه . وليس يجذب الناس مثل الفضائل ولا يؤثر فيهم مثل السلوك الحميد .

٢ ـ الازهرى كان يحافظ على العبادات ، فيقدمه الناس ويأتمون به ، فيجتهد فيها ، فاذا قرن اجتهاده بالاخلاص ربط الله على قلبه وأنار بصيرته وقضى على غريزة الخوف فيه . ومن يصبح هذا شأنه ، يلجأ اليه الناس اذا حزبهم أمر ، ويستعينون به فى رد كل ظلم ، ويلتمسون عنده راحة النفس اذا استبد بهم القلق . وبذلك يصبح لهم أبا روحيا لا سلطان لأحد عليهم مثل سلطانه .

٣ ـ الازهريون كانوا يلتزمون الزهد والتقشف فى حياتهم . وبلغ امرهم فى هذا الى حد أن بعض من كان يرث منهم ثروة يرد فضل ماله على أهله وجيرانه وذوى الحاجات ويلتزم هو نفسه الزهد والتقشف .

٤ ـ الازهريون كانوا لا يتكسبون بالعلم . بل انهم كانوا يطلبونه قربة الى الله ، وينفعون الناس به قربة الى الله ، ولا يطلبون عليه جزاء الا من الله . وقد بلغ من سيطرة هذا المعنى عليهم أن بعض من نبغوا فى تحصيل العلوم الازهرية رفضوا أداء الامتحان النهائى حتى لا يسلكوا فى سجل العلماء او يمنحوا اجازة العالمية ، لانهم كانوا يرون فى هذا نوعا من المكافأة على العلم ، وهم حريصون على ان يأخذوا جزاءهم عليه كاملا من الله . وربما يقال ان بعض المجاورين كانوا يؤثرون البقاء طلابا حتى لا تقطع عنهم جراياتهم بالتخرج . ولئن صح هذا بالنسبة لقلة من الأغبياء والمحتاجين ، فانه لا يصح بالنسبة للكثرة الغالبة من الأذكياء والأعفاء والموسرين .

٥ ـ الازهريون كانوا يأخذون ارزاقهم من أوقاف الازهر ولم يكن للحاكم سلطان على هذه الاوقاف ومن هنا امتنع سوء الظن بهم من جانب الحاكم ومن جانب المحكوم على السواء . فالحاكم كان يستمع لنصحهم اذا نصحوه ، لاخوفا من نفوذهم الشعبى فحسب ، بل ثقة بأنهم ليسوا بطلاب نفع فيغشونه . والمحكوم كان يرضخ لردعهم اذا ردعوه ، لعلمه انهم ليسوا بأصحاب هوى فيخدعونه . فكان العلماء أقدر ما يكونون على حل المشاكل بين الحاكم والمحكوم دون أن يتعرض هذا أو ذاك لخسائر أو تضحيات .

من اجل ذلك كله كان العلماء موضع ثقة الناس جميعا وموضع احترامهم جيلا من بعد جيل .

ولقد رأيت بنفسى وانا صغير مظاهر هذا الاحترام . رأيت الناس يكرمون من ينزل قريتنا الصغيرة بالوجه البحرى من العلماء ، فيتزاحمون على تقبيل أيديهم وأطراف أرديتهم ، ويتنافسون على خدمتهم ، ويخشعون فى مجالسهم . ورأيت العتاة وغلاظ القلوب يرهبون مجلس العالم ولا يقربونه ، فان اضطروا الى ذلك انزووا فى أقصى المجلس بعيدا عن محط نظر الشيخ .

كذلك عرفت من بعض أصدقائى أن العلماء كانوا يلقون فى صعيد مصر احتراما أكثر وتبجيلا أعظم . أخبرنى الكاتب المعروف الأستاذ أحمد بريرى ، ان أستاذنا المغفور له الشيخ أبا الوفا الشرقاوى ذكر له أن الشيخين حسونة النواوى وسليم البشرى حين زارا بلدة (العسيرات بأولاد حمزة مديرية جرجا) خرج لاستقبالهما فى محطة السكة الحديد كل أهالى (أولاد حمزه) وعلى رأسهم الاخوان مصطفى (باشا) وابراهيم (باشا) نجلا اسماعيل أبى رحاب . وانه ـ أى الشيخ أبا الوفا ـ راى بعينه هذين الاخوين يساعدان الشيخين على امتطاء حمارين أعدا لركوبهما ، وأنهما ـ أى مصطفى باشا وابراهيم باشا ـ لم يسمحا للخدم بالسير خلف الشيخين بل انفردا هما بالسير على الأقدام خلف الراكبين اجلالا لهما واعظاما ، مسافة تقرب من كيلو مترين ، حتى وصلا الى قصرهما حيث نزل الشيخان فى ضيافتهما .

وليس فى الدنيا مظهر للاجلال والاكبار يدانى هذا المظهر الفريد .

* * *

من هذا الذى ذكرناه يتبين أن بلادنا كان فيها ثقافة تقوم على الدين ، وتربى دعاة ينشرون الوعى ويحرسون الاخلاق ، وتبرز قادة رأى يخلصون لدينهم ولأمتهم ويعتبرون قدوة فى السلوك ، وتهيىء الاذهان عامة لتقارب فكرى يؤدى الى الاستجابة الكاملة لتوجيهات العلماء .

وقد راى الاستعمار أن بقاء هذه الثقافة فيه خطر على وجوده ، وانه يجب أن يتخلص منها . وكان فى وضع يمكنه من عمل كل شىء . فحكام البلاد من صنائعه ، وهم جميعا رهن اشارته . وقد استغل هيمنته عليهم فنفذ بهم خطة واسعة مدروسة محكمة لتقويض الثقافة الازهرية ، تقوم على امتصاص أكبر عدد من النشء الذى يغذى الازهر ، واخراج أكبر عدد من أذكياء المجاورين من بيئتهم الأزهرية ، وايجاد ثقافة تزاحم الثقافة الازهرية فى مجتمعنا وتتعارض معها ، وتخلق طبقة من المثقفين لا يتجاوبون مع الأزهريين . وبذلك تتصدع الوحدة الفكرية التى يعتبرها الاستعمار خطرا عليه .

ولتحقيق ذلك كله نفذ صنائع الاستعمار بحماسة وباصرار الخطوات الآتية :

١ ـ فتحوا مدارس مدنية امتصت عددا كبيرا من الراغبين فى التعليم . ووضع برامج هذه المدارس قسيس انجليزى متعصب هو المستر « دنلوب » وقد أغفل الدين فى برامج هذه المدارس . وعنى فيها باللغة الانجليزية بقدر ما أهملت فيها اللغة العربية . وغذى الطلبة فيها بقشور من العلوم تهيىء صاحبها للوظيفة فحسب .

وبذلك وجدت بجانب الثقافة الازهرية ثقافة أخرى مدنية لا تعتمد على الدين ولا تهتم الا بالماديات . وقصرت وظائف الدولة على خريجى هذه المدارس فزاد الاقبال عليها . وهكذا وجدت فى مجتمعنا طائفة كبيرة يرتبطون فكريا بالحاكم المستعمر أكثر مما يرتبطون بالعلماء الازهريين .

٢ - فتحوا أبواب بلادنا على مصاريعها للارساليات التبشيرية . فأنشئت مدارس فرنسية وايطالية وانجليزية وألمانية ويونانية وبلجيكية وهولندية وأمريكية .. وقد امتصت هذه المدارس عددا آخر من النشء العربى المسلم وثقفته بثقافات أجنبية عنا فى كل شيء . وبذلك أصبح فى مجتمعنا وحدات فكرية متعددة . وهذه المدارس ان كانت لم تفتن تلاميذها المسلمين من دينهم ، فانها غرست فى نفوسهم الاستخفاف بالتقاليد والمآثر والمقدسات الاسلامية .

٣ - شجعوا الارساليات على فتح مدارس للبنات . فبعد أن كانت البنات يثقفن بالثقافة العربية الاسلامية على يد شيوخ ورعين . انتقلن الى مدارس تبشيرية تفسد مشاعرهن الدينية . وكانت هذه المدارس تهتم اهتماما خاصا بالاقسام الداخلية فيها . وسر ذلك يبينه كتاب « التبشير والاستعمار » ترجمة الدكتورين الخالدى وفروخ فقد جاء فيه ما نصه : (المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة بالطالبات أوثق ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير مسيحية) .

٤ - فتحوا مدرسة دار العلوم وجعلوا للطالب فيها ميزات أغرت الكثير من أذكياء المجاورين بالتحول اليها . وبذلك امتصوا من الازهر عددا كبيرا من أذكى المجاورين. وشغلوا خريجيها بوظائف تدريس اللغة العربية بالمدارس فأبعدوهم عن دائرة القيادة الفكرية التى كان ينعقد لواؤها فى الغالب لنوابغ الازهريين .

٥ - فتحوا مدرسة القضاء الشرعى وجعلوا للطالب فيها ميزات أغرت الكثير من الأزهريين بالتحول اليها . وبذلك امتصوا عددا آخر من أذكياء الازهريين . ثم قصروا مناصب القضاء الشرعى على خريجى هذه المدرسة فأبعدوهم عن دائرة القيادة الفكرية .

٦ - فتحوا مدارس أولية امتصت عددا هائلا من تلامذة الكتاتيب . وهذه المدارس تهاونت فى تحفيظ القرآن فقل فى خريجيها من صار أهلا للالتحاق بالازهر الشريف.

٧ - أغلقوا الكتاتيب - وهى مكاتب تحفيظ القرآن - بحجة أنها غير صحية . وبهذا قضى على أكبر مصدر يغذى الازهر بحفظة القرآن الكريم .

٨ - وضعت الحكومة يدها على أوقاف الأزهر وتحكمت فى أرزاق الازهريين فتحولوا مع الزمن الى مجرد موظفين يأمرهم الحاكم فيطيعون .

* * *

وترنح الازهر تحت هذه الضربات العنيفة . وتنبه بعض شيوخه الى الخطر الداهم فطالبوا بالاصلاح . لكن التردد والسلبية والجمود التى سيطرت على أكثر العلماء أخرت الأخذ بأسباب الاصلاح .

ورد الاستعمار على حركة المطالبة بالاصلاح ، بحملة شعواء خبيثة ، شنها أعوانه على كل ما فى الازهر ، على شيوخه وطلابه ، وعلى علومه وطرق تدريسه ، وعلى أماكن الدرس وألبسة المجاورين .

وقد أدت هذه الحرب الطاحنة بالازهر الى الحالة التعسة التى فقد فيها كبار شيوخه ثقتهم بمستقبله ، وفقد فيها سواد علمائه ايمانهم بتقاليده ، وفقد فيها طلابه اطمئنانهم الى كل مظاهره . فاذا الشيوخ يرسلون أبناءهم الى المدارس الدينية ومدارس التبشير . واذا العلماء يتحولون عن المعنويات الى طلب المادة . واذا الطلاب ينسلخون من تقاليدهم ولباسهم ويهربون من كل مظاهر الأزهريين .

وفقد الأزهر قيادة الرأى .
ولكنه لم يلفظ الأنفاس .
فما الذى أبقى عليه ؟

أبقى عليه ، عدم انصراف أبناء مصر عنه ، وازدياد تدفق أبناء البلاد الاسلامية عليه . أما أبناء مصر فيرجع عدم انصرافهم عنه الى تعلق آبائهم بالدين أو عجزهم من تحمل نفقات المدارس .

وأما أبناء البلاد الاسلامية فيرجع ازدياد تدفقهم عليه الى الحملات التبشيرية التى اجتاحت بلادهم اثر استعمارها . فشعروا بالحاجة الى التفقه فى الدين كى يردوا عنه الخطر ويدفعوا عن مواطنيهم الزيغ والضلال .

ترى هل سكت الانجليز على بقاء الأزهر ، وهو وان كان فقد قيادة الرأى ، فانه ظل مركز تجمع له أكبر الخطر فى مصر ؟

هل أغمضوا الطرف من حركة اصلاح الازهر وهو مركز ثقافة دينية لها أكبر التأثير فى البلاد الاسلامية المستعمرة ؟

* * *

كلا .. انهم لم يسكتوا عنه ولم يغمضوا الطرف عن اصلاحه . بل حاولوا القيام بعمليات تفتيت فى داخله ، تأتى على ما بقى فيه من تماسك ، وتقضى على ما انعقد عليه من آمال . وقد نجحوا فى ذلك . فاستطاعوا بوساطة أصدقائهم من العلماء والمدنيين أن يشتتوا صغار طلاب الأزهر فى معاهد انشئت فى شتى العواصم المصرية . وأن يشتتوا كبار الطلاب فى كليات تفرقت فى أنحاء القاهرة . ونجحوا كذلك فى شحن برامج الأزهر بدراسة علوم عصرية يحال بين الازهرى وبين التخصص فيها وتشغله عن اتقان ما أتيح له التخصص فيه من علوم الدين .

* * *

وبعد .. فهذا ما صنعه الاستعمار بثقافتنا حاربها بقسوة وعنف . وطاردها بعناد واصرار . وأوجد بجانبها ثقافات أجنبية خالفتها فى الأسس وعارضتها فى الاتجاه ، وحطمت وحدتنا الفكرية .

* * *

وكان طبيعيا ونحن فى ثورة على الاستعمار وآثاره أن يهتم السيد الرئيس جمال عبد الناصر بأمر الثقافة عامة ، ليعيد بناء الوحدة الفكرية المتداعى . فعدلت البرامج التعليمية ، ومصرت المدارس الأجنبية ، وهذه الخطوة لاتقل فى أهميتها عن جلاء الانجليز وتاميم قناة السويس ، لأن الاحتلال الفكرى أخطر وأعمق وأبعد أثرا من الاحتلال العسكرى والاقتصادى .

ثم كان تطوير الازهر ، المركز الثقافى الذى لقى اشد العنت من الاستعمار . ففتحت ابواب الدراسات العليا للعلوم المدنية أمام الأزهريين . وهذه تجربة أخيرة دخل فيها الأزهريون . فان نجحوا فيها كأصحاب مثل وحملة رسالة ورجال خلق ، استردوا مكانتهم الذاهبة واستعادوا مجدهم المفقود . وان فشلوا - لا قدر الله - فعلى الأزهر الحديث العفاء ، وعلى الأزهريين وحدهم وزر القضاء عليه .

وحى المولد النبوى

الشجاعة المحمدية

من أسمى خصائص الرسول العظيم

الأستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى

أيها القارىء الكريم :

ليس فى استطاعة الواصف - وان ملك أسباب البيان - وليس فى امكان الكاتب - وان وهب أسرار البلاغة - أن يحصى شمائل هذا النبى العظيم ، أو يحصر خصاله ، أو يحد آثاره •

واذا حاول ذلك كان كمن يغرف من البحر، والبحر زاخر ، أو يقطف من الروض والروض زاهر ، أو ينشق من النسائم وهى تجرى رخاء • ويرحم الله القائل :

جل المقام عن الكلام فلم يدع
لذوى البيان الى البيان سبيلا

وسما المراد على المريد فلم تقم
لغة اللسان على الجنان دليلا

يأيها الشادى بوصف محمد
قف نحو قدرك فى الثناء قليلا

ان الذى أرسلت مدحك ضافيا
وبسطت وصفك فى حلاه طويلا

مدحته آيات الكتاب وشاركت
فى مدحه التوراة والانجيلا

وان سيرة تهفو لها القلوب ، وتزكو بها النفوس ، وتصفو بها العقول ، ويستريح لها المكدود ، لا يبلغ الواصف منها الا مقدار ما يبلغه واصف الشمس ، وهو لا يعلم عنها سوى أنها كوكب ينسج ضياؤه ظلام الليل •

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

ولولا أن الواجب يدعونا الى أن نعطر الكون بعبقة من شذاها ، أو نرسل عليه شعاعا من سناها ، لاعتصمنا بالصمت ورأينا فيه أكبر دليل ، وقلنا هذا مقام ما اليه سبيل ، ولا يحتاج النهار الى دليل •

ومن أجل ذلك كله سنقصر كلمتنا هذه على تجلية خصلة من أهم خصال الرسول التى قامت عليه دعوته ، وعلت بها كلمته ، وانتشرت بها رسالته ، حتى جابت الخافقين ، وعمت

المشرقين ، وأضاءت الوجود بنور التوحيد •

تلك الخصلة العظيمة هى شجاعته وبسالته، وجرأته واقدامه ، وثباته وصبره ، وعزيمته وكفاحه •

فقد كان — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى فى رباطة الجأش ، وثبات القلب ، واستقبال الخطوب بحزم لا يلتوى ، وعزم لا يلين •

ولقد حمل — صلوات الله وسلامه عليه — أعباء الرسالة فى فجر الدعوة على كاهله ، وسار بها وسط دولة الشرك وحزبه آمرا ناهيا ، قارعا زاجرا ، يسفه الأحلام الغاوية ، ويخطىء العقول السادرة ، ويبعث أنوارها فى فجاج مكة وأرجائها ، وسهولها وأنجادها ، وهو فى كل هذا لا يستعين بغير نفسه القوية ، وعزيمته الصادقة ، حتى أشعر بها النفوس ، ووجه نحوها العقول ، وأوجد لها بين القوم شيعة ، وأسس لها بين الخصوم حزبا ، كان — على قلته — قذى فى أعين المشركين ، وشجا فى حلوق المارقين ، لا يجدون — مع كثرتهم الى الخلاص منه سبيلا •

ولولا تلك الصفة السامية التى كان يتحلى بها الرسول الأعظم لما نفذت دعوته الى القلوب، ولوقفت حيث بدأت ، وماتت حيث ولدت ، وصارت أثرا بعد عين •

بك يابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهدى غراء
أنت الذى نظم البرية دينه
ماذا يقول وينظم الشعراء
المصلحون أصابع جمعت يدا
هى أنت ، بل أنت اليد البيضاء

ونقول : ان هذه الصفة الجليلة ، وتلك الخصلة السامية هى عماد النجاح لكل صاحب دعوة ، وأساس الفلاح لكل طالب بغية • وقديما قال الحكماء :

« اذا كان للقائد عزم لا تثنيه الأخطار ، وحزم لا تلويه الأحداث ، وفكر لا تبلبله الأراجيف ، فلا بد أن يصل الى غايته المرجوة ، وأمله المنشود ، ولو كان طريقه محفوفا بالمكاره، وكان أعداؤه أولى قوة وأولى بأس شديد » •

من المواقف البارزة التى تتجلى فيها شجاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — أنه لما أمعن فى تسفيه أحلام قريش وعيب آلهتهم ، توجهوا الى عمه أبى طالب ، وطلبوا منه أن ينهى ابن أخيه عن ذلك ، أو يكون لهم معه شأن • فكلمه أبو طالب فى الأمر ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم :

« **والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » •

ونقول : هذه كلمة مصدرها الايمان بالمبدأ ، والثقة بالنصر ، والاعتزاز بالعقيدة ، أمام ثورة الباطل ، ووعيد الظالم ، وقسوة الباغى •

« واذا تمكن الايمان بالمبدأ فى النفس المجاهدة ، واستمسكت بعروة الحق والعدل ، واعتصمت بالثبات والصبر فى غواشى الفتنة ، فانها تهدم قوة الباطل ، ولو كانت وطيدة الأركان ، شامخة البناء » •

أما اذا تخلخلت المبادىء ، وانطفأت جذوة الايمان بها ، وخبت شعلة العقيدة فى القلوب ، واستكان المرء أمام الخصم ، واستخزى تجاه العدو ، فقد حفر رمسه بيده ، ودفن مجده بنفسه ، وقضى على شمس عزه بالمغيب •

ثم حدثنا الرواة — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يتقدم قومه فى الحروب حتى يكون موقفه أقرب موقف من العدو ، واذا كشرت الحرب عن نابها ، واتقدت جمرتها ، وجد منه أصحابه ركنا ركينا يأوون اليه ، ويحتمون بحماه •

قال الامام على كرم الله وجهه : « **كنا اذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا الى العدو** •

وجاء فى الحديث الصحيح أنه لما التقى المسلمون والكفار فى حنين ولى المسلمون — بادىء الأمر — مدبرين ، وطفق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يركض بغلته قبل الكفار ، وهو ينادى أصحابه حتى التفوا حوله ، ويرتجز ويقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب • ثم كان النصر فى النهاية حليفهم • وقد صدق الله تعالى اذ يقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » •

ونقول : هكذا يكون أمر القائد الحازم اذا أراد أن يؤسس دولة على الحق ، ويبنى أمة على المجد ، ويحقق لقومه الهناءة ، ويصل بهم الى فردوس السعادة .

ومن أصدق الشواهد على شجاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لما بلغه أن الروم وقبائل من العرب يجمعون جموعهم ليزحفوا على المدينة نادى فى قومه بالتهيؤ لغزو الروم ، ثم جد بهم فى المسير حتى انتهى الى تبوك ، فقذف الله الرعب فى قلوب أعدائه ، وطلبوا الصلح ، ولما أمن مكرهم قفل راجعا .

ونقول : ان هذا الاقدام والمضاء كانا مثار العجب فى تاريخ الرسول الأعظم ، وموضع العبرة فى سيرته الطاهرة ، حيث هاجم أعداءه مع قلة جيشه ، وكثرة عدوه .

ذلكم أن الشأن فى رئيس القوم الذى يأنس فى عدوه قوة تفوق قوته : أن يقف موقف الدفاع ، لأن الغلبة حينئذ الى الدفاع أقرب منها الى الهجوم . وقلما تحدثه نفسه أن يهاجم قوما أكثر منه عددا ، وأوفى عددا .

ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان على النقيض من ذلك ينازل عدوه على أية حال ، وهو يعلم أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الاستشهاد سبيل النعيم المقيم .

ومما قرأناه فى صفحات التاريخ أن أبا سفيان بن حرب جمع جيشا من قريش وأحلافهم ، وأقبل بهم الى حرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة ، فاستشار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه : أيخرج اليهم أم يبقى بالمدينة ينتظرهم « حتى اذا قدموا قاتلهم المسلمون فى أفواه أزقتها ، فبادر جماعة من أفاضل الصحابة ، وطلبوا الخروج الى العدو بالحاح ، فنهض ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل بيته ، ولبس لأمته ، وخرج اليهم ، وقد انثنى عزم الذين ألحوا فى الخروج وقالوا له : ان أحببت أن تمكث فى المدينة حتى يقدموا علينا فافعل . فقال : « **ما ينبغى لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه** » .

ونقول : هذه كلمة لا تصدر الا من قلب ملؤه الشجاعة والثبات ، ولا يقولها الا من نهض ليقضى حياته فى كفاح ، ويمضى عمره فى نضال ، ويضرب للناس أروع الأمثال فى الذياد عن الحق ، والدفاع عن الكرامة ، ولو أدى ذلك الى بذل الروح واسلام الحياة .

وكذلك كان الرسول الأعظم فى كل حياته وبقائه ، كان يحتقر كل ما يسميه الناس خطرا ، ويثبت فى وجه كل ما تتزلزل عنده الأقدام رهبا ، وهل يتوارى من الموت ، أو يجزع من لقائه من يعلم أن موته سبب فى الانتقال من حياة محفوفة بالمخاطر ، الى حياة صفاؤها دائم ، وهناؤها باق ، ونعيمها مقيم ؟

ولقد لقى المسلمون يوم أحد من أعدائهم بلاء شديدا لم يقووا على حمله ، فلاذوا بالفرار ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثبت فى مكانه حتى انكفأت عليه كتائب المشركين ، فكسروا رباعيته ، وجرحوا وجهه الكريم . وقد كان مع ذلك يعظ الناس حين خفوا الى الهزيمة وعظا بليغا ، ويدعوهم الى الثبات والصمود ، كما قال تعالى : « **اذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم** » .

وقد وصف البوصيرى هذا الحادث بقوله :

قد تداعوا الى الفرار وفروا
ولهم خشية الهلاك عواء
وحلا الصبر للنبى وقد شد
د ، عليه بساعديه البلاء
كسر القوم منه احدى الثنايا
فزكا حسنها وزاد الثناء
هشموا منه بيضة الدرع حتى
دميت منه جبهة بيضاء
ان هذا من الاله ابتلاء
ومن الله يحسن الابتلاء

وبعد ، فهذه مثل من شجاعة الرسول ، نضربها للناس لتكون لهم منارا به يهتدون ، فمما لا شك فيه أن أعمال الزعماء فيها خير وهدى ، وضياء ونور .

والله أكرم مسئول أن يجعل هذه الذكرى خيرا وبركة للعرب والعروبة وهو نعم المولى ونعم النصير .

من نفحات المولد النبوى

يا رسول الله

الأستاذ ابراهيم على أبو الخشب

ما تفقدت الانسانيـــة فضيلة نادرة ، الا وجدتها نفحة من أدبك ، أو لمحة من خلقك ، أو ومضة من نورك، أو خطوة من سلوكك، أو لفتة من هديك ، أو شعاعا من توجيهك ، أو عبرة من تاريخك ، أو قبسا كنت تبعث به فى الليالى الحالكة ، والسبل الملتوية ، والمعالم المشتبهة ، والساعات الكالحة ، والأوقات الحرجة ، والمحن الصارخة ..

وسيظل ذكرك خالدا خلود الأبد ، باقيـا بقاء الدهر ، مدويا دوى الأذان ، يتحـدى الفناء ، ويصارع الأحداث ، ويغالب الأيام ، ويكافح الزمن ، ويحارب الطغيـان ، ويذل الجبابرة ، ويقضى على الفســاد ، ويعلن المساواة ، وينادى بالحب ، ويشرع الاشتراكية ويتعقب الاستبداد ، ويقصم ظهور المتكبرين فى الأرض بغير الحق ، لا لأنك رســول رب السماء والأرض ، الذى يحتمى ببطشــه ، ويعتز بسلطانه ، وينتصر ببأسه ، وينطـق بلسانه ، ويقاتل بسيفه ، يصــونه من بغى المسلطين ، ويحرسه من عدوان المفسـدين ، وتؤازره قدرته التى لا تتخلى عن أوليـائه ، ولا تتوانى عن جنوده ، ولا تخطىء الملحوظين بعنايته ، المشمولين بلطفه ، المحفـــوفين برضوانه ، المغمورين برحمته .. ولكن لأنك كنت المثل الأعلى الذى ترتقى اليه البشرية فى نموها ، وتتطلع اليه فى تقدمها ، وتحـاول أن تحتذيه كلما ثاب اليها الرشـد ، وعاودها الحلم ، وتيقظ فيها العقل ، وتحركت أسباب المعرفة ، وألهمها الله السداد والتوفيق .

والحديث فيك ـ يا رسول الله ـ حبيب الى النفس ، خفيف على السمع ، لذيذ رجعه الموسيقى عند القلوب الظامئة ، والأفئـدة الملتاعة ، والجوانح الحرى، والأكباد المحترقة والأرواح المتشوفة ، لا ينتهى له مدى ، ولا ينقطع له جرس ، ولا ينضب له معيـن ، ينشده الأديب فيجد فيه الحكمة الغاليـة ، والبلاغة العالية ، والفصاحة الرائعـة ، والأسلوب القوى ، والتصوير الدقيـق ، والألفاظ الفخمة ، والمنطق الحلو ، والبيـان العذب ، والوجدان الصادق ، والنمط الذى لا يصل اليه أساطين الكلام ، ودهاقين القول، وجهابذة الحديث وأساتذة الأدب ويتصفحه المصلح الاجتماعى فلا يعثر فيه الا على هدى نافع ، ودستور قويم ، وتهذيب صحيح ،

وتربية صريحة ، وتقويم واضح ، وتوجيه سديد ..

وهكذا كل جوانبك - يا رسول الله - شامخة ، وجميع جهاتك عامرة ، آهلة بالخصوبة ، غنية كل الغنى بالبر والمعروف، والسلامة والأمن ، والرضا والاطمئنان ، وأنا أجد فى حديثى فيك لذة لنفسى ، ومتعة لخاطرى ، وغذاء لروحى ، وضياء لقلبى ، وشفاء لغليلى ، وارواء لظمئى ، وارضاء لضميرى ، فلا أسلك فى الكتابة فيك سبيل التاريخ الجامد ، ولا طريق الحوادث المألوفة، ولا نهج السيرة المعروفة ، ولا ما تعود الناس أن يرددوه عنك ، أو يذكروه لك ، أو ينسبوه اليك ..

وليس هذا تخيلا يتخيله شاعر ، ولا وهما يدور بخلد فيلسوف ، لأن الخليقة لم تعرف رجلا لفت جيد الزمن ، وشغل أذهان الناس، وحير ألباب المفكرين ، وتطلعت الدنيا الى ما فيه من مثل عليا ، وأخلاق نبيلة ، وسجايا عظمى ، قبل أن تعرفك أنت .

والدراسة التى تناولتك ، والآداب التى اخذت عنك ، والسلوك الذى رسمته ، كانت الدستور الذى كانت الحياة بحاجة اليه لينير لها الطريق الى عيش أحسن ، ومستقبل أفضل ، وغاية أكرم ، ومجد أنبل ، وسعادة أعظم ، وأمن أشمل ، وعدالة اكثر ، واصلاح أعمق .. وبخاصة اذا نظرنا الى تلك البلبلة التى كان عليها العرب - حينئذ - والى تلك الجهالة الفاحشة التى كانت تضرب بجرانها فى الجزيرة ، ولا سيما فى المسائل الدينية التى كانوا فيها أشبه ببحر يموج ، أو ببركان يغلى ، لا هدف يصح لهم ان يتجهوا اليه ، ولاغاية يمكن ان يقفوا عندها ولكنهم كانوا يعبدون الكواكب ويؤلهون القوة ، ويعظمون الجماد ، ولا يدينون للحق ، أو يفتحون قلوبهم للهداية ، أو ينظرون بعيونهم نحو النور ، أو يوجهون أفئدتهم الى الصواب ، يشتغلون بالخرافة ، ويتعلقون بالباطل ، ويهتمون الاهتمام كله بالأخذ بالثأر والمعاقرة للخمر ، واشباع الشهوات النازلة ، او الميول الساقطة ، وليس لهم من المعارف ما يساعدهم على أن تكون لهم حضارة تجعلهم فى صفوف الدول الناهضة، والأمم المتقدمة .

وفى الحق أن للدهر أن يطأطىء رأسه لك - يا رسول الله - اجلالا لما كان لك من تاريخ، واعجابا بما كان فيك من خلال ، واحتراما لما كان عندك من سجايا ، واكبارا لما كنت عليه من خلق .. واذا كان من سنته - سبحانه - أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزة حتى لا ينكر عليهم أحد قولا ، أو يكذبهم متعنت فى دعوى ، فانك كنت المعجزة التى تحدى الله بها الخلق ، وأعجز بها الناس ، وأفحم بها الباطل ، وقضى بها على البهتان ، وصير خصوم الرسالة من أمرها فى ذهول .

ونحن لا نشك فى أن أصحاب الدعاوى ، وأرباب المبادىء ، وحملة المشاعل ، وقادة الأمم - فى كل زمان ومكان - لا يصلون الى ذلك بذرابة لسانهم ، ونصاعة بيانهم ، وقوة حجتهم ، وسداد رأيهم ، واستقامة منطقهم ، بمقدار ما يصلون بسلطانهم ، ونصرة ذويهم، وعصبية قرابتهم ، والاستعانة بالمال والغنى، والنفوذ والجاه ، والارهاب والخوف ، والتسلط والعنف ، والشدة والبطش ، والضغط والاكراه ، وأنت لم تؤازرك قرابة ، ولم تنصرك عصبية ، ولم يساعدك مال كان فى يدك ، ولا نفوذ أتيح لك ، ولا سيادة موروثة عن الآباء والأجداد ، غير أن سيرتك كانت قرآنا ، وحياتك كانت برهانا ، وقد استقبلت الانسانية حديثك الطيب استبقالها للأحداث الشاذة ، والأمور الخارقة ، والمعجزات الكبرى وآمنت أن لله سرا يخفى على الفطنة ، ويدق على الفهم ، ويتسامى على المنطق ، ويتجاوز حدود العادات ، ويأبى أن يخضع للمألوف ، ولا يسع الناس أمامه الا أن يردوه الى خالق السموات والأرض ..

وفيك - يا رسول الله - تحكم الفقر ، وتمكن اليتم ، والذى جرت به العادة مع الأطفال الذين تحيط بهم تلك الحياة ، وتتولاهم تلك الظروف ، أن يموت فيهم النزوع الى المجد ، والرغبة فى الكمال ، والتطلع الى الأهداف البعيدة ، والأغراض النبيلة ، والغايات السامية ..

وأنت لم يقل قائل ان همتك كانت واهنة، أو أن عزيمتك كانت فاترة ، أو أن تطلعك كان تافها ، أو أن نهوضك كان كسيحا ، أو أن نزوعك كان ضعيفا ، أو أن طموحك كان ميتا، أو أن قناتك لانت لجبار ، أو أن عودك انحنى لمسلط ، أو أن جهادك للاصلاح وقف عند غاية ..

وفى سلوكك منذ كنت ناعم الأظفار، وسمتك منذ أن كنت طفلا ، وكمال رجولتك الذى سارع اليك قبل الأوان ، وترقب القوم أن مستقبلا باسما ينتظرك ، ومجدا تالدا يسعى اليك ، وجاها عظيما على موعد معك، ارهاص يسبق المعجزة ، وايذان بما تكون عليه النهاية ، ويختتم به المصير ..

فلما بلغت مبلغ الرجال ، وكنت تقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتؤازر الحق ، وتنطق بالصدق ، وتعين على المعروف ، وتنصر المظلوم ، وتخفف ويلات المكروبين ، وتمتلىء نفسك – الكبيرة – بالمعانى النبيلة، والعواطف السامية، والأمانى الطيبة ،والنوايا الصادقة، والغرائز المهذبة، والخلال الكريمة، والسجايا المحببة ، هالهم أمرك ، وعناهم شأنك ، وظنوا أن الأيام انما تتمخض بك عن قيصر الروم ، أو كسرى الفرس ، أو فرعون مصر .

وحين جهرت برأيك الناضج ، ودينك القويم ، ويقينك الصحيح ، وايمانك القوى ، وكشفت بذلك كله عن الحق الصراح ، تضاءل فى أنظارهم كبرياء المتعالين ، وتهاوت تيجان الملوك ، وآمنوا أن هذه الدنيا لا تزن الى جانب ما تملكه انت جناح بعوضة، ولا قلامة ظفر ، ولا غبارا من هباء ..

والعجيب الغريب أن تكون – يارسول الله – مع هذه المكانة التى كنت عليها من العظمة والمجد، والسؤدد والشرف، والجاه والرفعة، والسيادة والعزة ، والنفوذ والسلطان ، متواضعا غاية التواضع ، حليما الى أقصى نهايات الحلم ، جامعا للمكارم كلها ، تبذل وتعطى، وتسخو وتجود، وتنقذ الذى يتورط فى شدة ، أو يقع فى مكروه ، أو يشرف على هلكة ، أو يعانى حرجا فى نفسه ، وضيقا فى صدره، وربما نسيت اساءة المسيىء، وآثرت غيرك عليك ..

وكم أعلنت فى كل مناسبة أنك بشر تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ، وناديت القاصى والدانى بقولك : « انكم لا تسعون الناس بأرزاقكم وأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » لتعطيهم الأمثال منك ، والقدوة بك ، والاتباع لك، وحاشا لخلقك الا يكون الا كذلك، ولأدبك الا يكون الا هكذا ، وما عاب احد صنيعك ، أو انتقد سلوكك ، أو ذم تصرفك ، ولم تكن جبارا فى الأرض ، ولا قاسيا على الناس ، ولا شديدا صلبا فى المعاملة ، بل كانت دعوتك بالحسنى ، وهدايتك بالرفق ، واصلاحك بالحزم ، وارشادك بالحجة ، وتوجيهك بالمنطق ، ونصحك باللين ، وسياستك بالحلم .

وهكذا تكون العظمة التى لم يفرضها اصحابها فرضا ، أو يأخذها أهلها غصبا ، أو يملكها ذووها بحكم القانون ، وصلى الله عليك – يارسول الله – كلما جرى ذكرك على لسان ، أو خطرت ببال انسان ، فانك بحق سيد أهل الأرض والسماء .

السلاح فى الحروب الاسلامية

الأستاذ محمد فرج

معدمة

اذا توفرت الجموع وتم الاعداد المناسب لخوض أية معركة فان هؤلاء الذين ألقى على عاتقهم عبء الحرب وخوض غمارها يكونون فى حاجة الى السلاح الذى يواجهون به عدوهم ، فالأفراد وحدهم لا يفيدون ، ووجودهم عزلا من السلاح أمر له خطورته ،

ولهذا قفز السلاح الى المرتبة الأولى ، ووجه الانسان منذ بدأت الحرب اهتمامه الى السلاح والعناية به ، وأصبح يفضل السلاح الأصلح الأقوى ذا التأثير الكبير ، وأخذ التسابق بين كل جهتين محاربتين للحصول على السلاح الذى يحسم المعركة ويقرر مصيرها ويؤكد النصر فيها ويثبته .

ولقد وجه القرآن عنايته الى السلاح ، ودعا المسلمين الى الاهتمام به والمحافظة عليه ، والعمل على توافره لترجح كفتهم ويقوى ساعدهم ويشتد أزرهم .

ومن المعلوم أن الأسلحة الموجودة فى عصرنا الذى نعيش فيه الآن لم تكن موجودة فى زمن الرسول وفى أزمنة كثيرة من بعده ، اذ لم يتوصل المسلمون الى معرفتها والوقوف على أسرارها .

فقد جاءت هذه الأسلحة نتيجة التطور وتقدم العلم وستظل حركة التطور فى الاسلحة فى ازدياد واضطراد حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وكانت الأسلحة المستخدمة فى عهد الرسول هى: الخيل والسيف والرمح والقوس والمنجنيق والدبابة الخشبية والتروس والخناجر والنبل .

١ ــ الخيل

كانت الخيل السلاح الذى اعتمد عليه المسلمون اعتمادا كبيرا فى حروبهم وكانت أعز أسلحة الحرب عند المسلمين .. كانوا يعزونها ويحدبون عليها ويفتخرون بها ولا يستخدمونها الا وقت الحرب وعلى التحديد وقت الاشتباك الفعلى ، أما قبل الاشتباك فكانوا يستخدمون الابل ويقودون الخيل ليريحوها فاذا ما قربوا من عدوهم نزلوا عن الابل وامتطوا الخيل .

وتمتاز الخيل بالمرونة وخفة الحركة وهما أهم ما يتطلبه المقاتل أثناء المعركة ليتمكن من المناورة .

وكان يتولى أمر الخيل أكثرهم خبرة بشئون الحرب وأكثرهم شجاعة واقداما .

ولقد جعل الله الخيل عزا لأوليائه على أعدائه ، وجعل الخير معقودا على ناصيتها ولقد دعا الرسول للخيل بالبركة يرهب بصهيلها المشركين ويذل بها أعناقهم ويرعب بها قلوبهم قال الرسول : « **الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فامسحوا نواصيها وادعوا لها بالبركة** »

ولقد أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل فى كتابه العزيز اذ قال جل شأنه : « **والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا** » فالله تبارك وتعالى يقسم بالخيل ويصفها فيقول انها تجرى بسرعة

لغزو الأعداء فتخرج من أفواهها زفيرا عاليا، وتضرب الأرض بحوافرها فتخرج النار من شدة عدوها وتفاجىء العدو بالهجوم عليه صباحا وهو غافل فتثير الغبار وتدخل وسط الأعداء بغبارها فتشتتهم وتهزمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم « **الخيل ثلاثة فمن ارتبطها فى سبيل الله وجهاد عدوه كان شبعها وجوعها وريها وعطشها وجريها وعرقها وأرواؤها وأبوالها أجرا فى ميزانه يوم القيامة، ومن ارتبطها للجمال فليس له الا ذاك، ومن أرتبطها فخرا ورياء كان له مثل ما نص فى الأول وزرا فى ميزانه يوم القيامة** » وقال أيضا « **التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين** » .

وروى عن أسماء بنت يزيد أن الرسول قال : « الخيل فى نواصيها الخير معقود أبدا الى يوم القيامة فمن ربطها عدة فى سبيل الله وأنفق عليها احتسابا فى سبيل الله فان شبعها وجوعها وريها وظمأها وأرواءها وأبوالها فلاح فى موازينه يوم القيامة، ومن ربطها رياء أو سمعة وفرحا فان شبعها وجوعها وريها وظمأها وارواءها وأبوالها خسران فى موازينه يوم القيامة » .

واعتنى المسلمون بالفروسية وتعلموها وعلموها لأولادهم وكانوا يدربون الخيل على الجرى باجراء مسابقات بينها ، وكانوا يكرمونها اكراما بالغا حتى أن الرسول قال : **« أكرموا الخيل وجللوها » وكان يمسح بطرف ردائه وجه فرسه وكان له صلى الله عليه وسلم تسعة عشر فرسا لكل منها اسم يعرف به ، وكان يأمر بتضمير الخيل بالحشيش اليابس « أوردوها من الماء واسقوها غدوة وعشية والزموها بالجلال » .**

ولقد أمر عمرو بن العاص جنده وهو بمصر أن يهتموا بخيلهم .. يريحونها ويعلفونها ويسقونها وهدد من لا يعتنى بخيله بأشد العقاب .

وبلغ من اعزاز المسلمين للخيل واعتزازهم بها أنهم كانوا يسمونها بأسماء أبنائهم ويذكر هشام أسماء الخيل التى اشتركت فى غزوة ذى قرن « اسم فرس سعد بن زيد هو لاحق ، وفرس المقداد سبحة ، وفرس عكاشة بن محصن ذو اللمة وفرس ابن قتادة حزوة ، وفرس عباد بن بشر لماع ، وفرس أسيد بن ظهير مسنون ، وفرس ابن عياش جلوة » .

٢ ـ السيف :

كان العرب يعدون السيوف أشهر الاسلحة وأحسن آلاتهم وأشهرها ذكرا وأكثرها أسماء وصفات .

وكان العرب يصنعون السيوف بالمدينة ، كما كانوا يجلبونها من الخارج .. كان أول من صنعها من العرب الهالك بن عمرو بن أسد ابن خزيمة ..

قال الرسول بشأن السيف « **اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » .

وقيل ان الشرف مع السيف ، والسيف حرز اذا جرد ، وهيبة اذا أغمد ، وهو معاقل الأشراف .

وكانت أشهر السيوف هى اليمانية والسليمانية والخراسانية والمشرفية .. ويقول الشاعر فى وصف السيوف الهندية .

اكر على الفوارس يوم حرب
ولا أخشى المهندة الرقاقا
وتطربنى سيوف الهند حتى
أهيم الى مضاء بها اشتياقا

وقيل أن سيوف الروم كانت أكثر مناعة من سيوف العرب

نراوح بالصخر الأصم رءوسهم
اذا القلع الرومى عنها تلثما

وقيل فى سيوف اليمن (اليمانية) :

كنت أسطو حينما جدت العدا
غداة اللقا نحوى بكل يمانى

وكانت السيوف المشرفية أجود سيوفهم :

نجيد الطعن بالسم العوالى
ونضرب بالسيوف المشرفية

وكان المسلمون يعتزون بالسيف اعتزازا كبيرا ويعتبرونها من الأسلحة الهامة فى الحرب ، يهتمون بها ويبالغون فى المحافظة عليها وقد وصف حماس بن خالد ما فعلته السيوف فى يوم الخندمة فى قوله :

انك لو شهدت يوم الخندمة
اذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضربا فلا يسمع الا غمغمة

وفى غزوة خيبر برز على بن أبى طالب يقاتل مرحبا وينشد :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة
كليث غابات كريه المنظرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ولقد اشتهر فى أوائل الاسلام سيف ذى الفقار لعلى بن أبى طالب ، وسيف الصمصامة لعمرو بن معد يكرب ولعلهما أسلا من أسياف الروم ، وكان لذى الفقار شأن كبير فى تاريخ الاسلام توارثه آل ابى طالب ثم أخذه المهدى العباسى ثم سار الى الهادى ثم الرشيد وقيل انه سمى ذو الفقار لأنه كان به ثمانى عشرة فقرة .

٣ ـ الرمح :

وهو من أسلحة الحرب التى استخدمها المسلمون وكانوا يستوردونها من الهند وكانوا ينسبونها الى ردينه والى زوجها سمهير والى ذى يزن الملك .

وكانت الرماح ذات أنواع متعددة منها القعضبية والشرعبية ، وكان المسلمون لا يطمئنون كل الاطمئنان الى استخدامها فى الحرب خوفا من انكسارها .

وأسنة الرماح تختلف شكلا بين الشعب والعريض والرفيع والمستوى والمموج .

وكان الرسول يحمل الرمح وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فى الرمح (انه وشاء المنية) ، ولقد لقى حمزة عم الرسول حتفه فى أحد نتيجة طعنة برمح قذفه به حبشى بينما كان « كالجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا » .

وكانت للعرب تعليمات فى استخدام الرمح فى الحرب « اذا تحركت بالرمح فى مواجهة العدو فعليك أن تحمل على مبارزك وقد أخذت الرمح تحت ابطك وجعلته بين أذنى فرسك وتقصده مستويا حتى تقترب منه فان وجدته قد طرح رمحه يمنة فاطرح رمحك يسرة وان طرحه يسرة فأطرح رمحك يمنة ، واجتهد ان تبدأ بالحمل عليه وأنت مسدد وتحول الرمح يمنة ويسرة كي تدهشه فلا يدرى من أين تجيئه ، فاذا دنوت منه دخلت عليه من الخلل الذى لا يكون رمحه فيه ، واذا أردت أن تبتدىء بالخروج فخذ أسفل الرمح بيدك اليمنى ورأسه الى الهواء وهو على عاتقك الأيمن وتحمل على قوتك وأنت كذلك ان شئت قربت منه حتى لا يدرى من اى وجهة يلقاك .. وان خرجت الى فارسين وتفرقا فاحمل على الادنى واذا كانا قريبين فأر أحدهما انك تريد رفيقه واحمل عليه ولا تتم حملتك ثم اعدل الى الآخر واصدقه الحملة .. وان دخلت مضيقا فتلقاك فارس برمح فاياك والمصادفة بل انزل الى الارض واطعنه .. وان كان خلفك فارس وقدامك فارس فى مضيق فانزل واقصد اقربهما اليك وتترس من الآخر بدابتك .. »

٤ ـ القسى ..

كانت القسى من الأسلحة المستخدمة وكان للمسلمين مهارة عظمى فى استخدامها لما كانوا عليه من حدة البصر ولأنهم كانوا يستخدمونها قبل الحرب فى صيد الغزلان .

والقسى اعواد من خشب لين متين قوى تقوس كالهلال ويثبت فيها وتر من جلد الابل ترمى به السهام ، وأجود أنواعها العصفورية والكنائن الزغرية .

وقد وصفت القسى فقيل فى وصفها « صفراء وسطا بين الطول والقصر ، ملء الكف اذا ما أستعملت سمعت لها صوتا هو النئيم والأزمل واذا شد وترها تقارب قاباها حتى يتصل السهم بمقبضهاثم ينطلق الى غايته البعيدة ..

فجردها صفراء لا الطول عابها
ولا قصر ازرى بها فتعطلا
كتوم طلاع الكف لا دون ملئها
ولا عجسها من موضع الكف افضلا
اذا ما تعاطوها سمعت لصوتها
اذا أبنضوا عنها نئيما وأزملا
وان شد فيها النزع أدبر سهمها
الى منتهى من عجسها ثم اقبلا

وكان الرسول يحمل القسى وقال عنها **« ما مد الناس أيديهم الى شىء من السلاح الا وللقوس فضل عليها »** ، وكان يوصى اصحابه **« اركبوا وارموا وان ترموا أحب الى من أن تركبوا »** وقال **« كل لهو المؤمن فى**

ثلاث : تاديبه فرسه ، ورميه من كبد قوسه، وملاعبته امرأته » .. « ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب والرامى فى سبيل الله » وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ألا ان القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى » .

جمع الرسول فى غزوة أحد خمسين رجلا من الرماة على رأسهم عبد الله بن جبير بن النعمان وأقامهم على جبل صغير وقال لهم « **احموا ظهورنا ، ولا يأتونا من خلفنا وأرشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل انا لا نزال غالبين ما ثبتم فى مكانكم .. اللهم انى أشهدك عليهم** » .

ولقد تفنن المسلمون فى الرمى حتى اصطنعوا من الأقواس آلات مركبة لعلهم أخذوا بعضها عن الفرس كالمجراة وهى عبارة عن أنبوب من الحديد أو الخشب فيه شق يوضع السهم فيه ويقذف شديدا كما اصطنعوا لرمى السهام ضروبا من المجانيق توضع فى الواحد منها عدة سهام وترمى بالأقواس .

٥ ـ الدروع والأتراس :

الدروع هى أردية من الحديد المنسوج حلقات متصلة تلبس لتغطى الظهر والصدر ونصف الذراعين تقريبا بقصد حماية جسم المحارب من طعنات العدو فكانت ترد هذه الطعنات وتقى لابسها السهام .

ولم يكن المسلمون يرتدونها بقصد الجبن أو التهرب من الموت وانما كان ارتداؤها لمعنى أسمى وأنبل وهو انه يكون حافزا على الصبر فى المواقع والثبات فى القتال .

وكان الرسول يلبس الدرع وقيل عنه انه حصن حصين .

وكان بعض المحاربين يرتدون أكثر من درع لأنهم يكونون هدفا للعدو بالنسبة لما كانوا عليه من الشجاعة والقوة والاحترام ، ولأنهم كانوا موطن خطر على العدو . وفى يوم أحد ارتدى الرسول درعا ، وكان على بن أبى طالب يرتدى درعا لها صدر ولا ظهر لها وكان يقول فى ذلك « اذا استمكن عدوى من ظهرى فلا يبقى » .

ونسبت الدروع الى فرعون وداود وسليمان وتبع .

وكانت الدروع القديمة ـ من وجهة نظر المسلمين ـ أجود صناعة وأشد أحكاما وكانت بعض هذه الدروع قد شدت حلقاتها وأحكمت اتصالاتها بمسامير ، وكان بعضها يشبه ظهر السمكة ، وبعضها ذات رؤوس مسامير وبعضها منسوج حلقتين حلقتين نسجا محكما وبعضها خفيفة الوزن ملساء لينة .

وكانت الدروع تتكون من الجوشن ـ وهو الجزء الذى يقى الصدر والبيضة والخوذة والمغفر للرأس ، ومنها أجزاء الساعدين والساقين والكفين .

ولقد أوحى الله تبارك وتعالى الى الناس فى قوله الكريم « **وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد** » أن يعملوا من الحديد الذى ألانه لهم دروعا واسعات ضافيات تحمى لابسها من شفرات السيوف وأسنة الرماح وأن يستعملوا الدقة فى نسجها بحيث تتناسب حلقاتها المصنوعة من الحديد فلا تكون دقيقة تكسر أو غليظة تثقل على لابسها .

وكان المسلمون يستخدمون من القوس أو البيضة أو المغفر غطاء للرأس وقت الحرب يحمون بها رؤوسهم من طعنات السيوف .

كما استخدمت المجن والتروس لوقاية الأجسام من وقعات السيوف .

وتفنن المسلمون فى اصطناعها ، فمنها المسطح والمستطيل المحفر الوسط ، والمقبب المنحنى الأطراف وكل منها يصلح لشىء .

٦ ـ المنجنيق :

من أسلحة الحصار يستخدم فى رمى الحجارة وقذفها وفى هدم الحصون واحراق أماكن العدو بالنفط المشتعل بالنار .

ولقد استخدمه المسلمون فى حروبهم ، وذكر فى السيرة الحلبية أن المسلمين استخدموه فى حصار الطائف .

وكان أول استخدام له فى غزوة الخندق ، وقيل أن سلمان الفارسى هو الذى أشار بصنعه وقام بصناعته بنفسه ، وعثر المسلمون على عدد كبير منه عندما فتحوا حصن الصعبة فى خيبر ولقد استخدمه المسلمون فى جميع حروبهم وكان لديهم أصناف كثيرة منه منها الصغير والكبير ومنها ما يشد بوالب وأقواس او ما يدار شبه المقلاع .

وكانت المجانيق تتفاوت فى أقدارها وكثيرا ما كانوا يسمون كلا منها باسم يدل على اوصافه وكان منجنيق الحجاج بن يوسف الثقفى اسمه العروس واستخدمه محمد بن القاسم فى محاربة ملك الهند سنة ٨٩ هـ وهدم به صنما من أصنامهم .

٧ ـ الدبابات الخشبية

لما كان أعداء المسلمين يستخدمون هم أيضا المنجنيق فقد بحث المسلمون عن وسيلة يحمون بها أنفسهم من المنجنيق ، وهنا اخترعت الدبابات الخشبية وكانت عبارة عن مبنى من الخشب يغلف باللبود أو الجلود المنقعة فى الخل ويوضع على عجل مستدير يدخل فيه المحاربون ويدفعون به الى جدار الحصن فيقى من بداخله من النبل والحجارة التى يقذفهم بها أعداؤهم بينما يقومون - فى ظل الأمان الذى تظلهم به الدبابة - بهدم جدران الحصن .

ولقد استخدم الخليفة المعتصم بالله الدبابات فى فتح عمورية ، فأمر بصنع عدد منها تسع كل واحدة منها عشرة رجال واستخدمت الدبابات أيضا فى تسلق الأسوار وكانوا يجعلون للرجال مواقف فى أعلاها يلقون منها بالنبال والرماح على أعدائهم داخل الحصن .

٨ ـ الاسطول

ثابت من التاريخ الاسلامى فى عهد النبوة أن العرب لم ينزلوا البحر وكانوا يخافونه ، ولا يجسرون على ركوبه .

فلما خفقت اعلام الاسلام على سواحل الشام ومصر وراى المسلمون سفن الروم وادركوا قيمة السفن كسلاح حربى تاقت انفسهم للغزو فى البحر

وأول مسلم ركب البحر هو العلاء بن الحضرمى ، وكان عاملا على البحرين فى أيام عمر بن الخطاب ، ورغب فى أن يفتح سواحل فارس وكان يفصله عنها خليج فارس ، فعبر اليها فى مراكب دون أن يستاذن الخليفة عمر فلما قتل غضب عمر وولى القيادة سعد بن أبى وقاص وشدد فى منع المسلمين من ركوب البحر .

ورغب معاوية بن أبى سفيان - وكان قائد الجند فى دمشق والأردن - فى ركوب البحر فبعث يستأذن الخليفة عمر فرفض فالح عليه فبعث الى عمرو بن العاص واليه فى مصر ليصف له البحر ، فقال «**انى رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ان ركد أحزن القلوب وان ثار أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيه دود على عود ان مال غرق وان نجا برق** » فرفض عمر أن يأذن لمعاوية وكتب اليه « **والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا** » .

ولما تولى عثمان الخلافة أذن لمعاوية على أن يجعل ركوب البحر اختياريا فركب البحر الى قبرص سنة ٢٨هـ وصالح أهلها وكانت أول غزوة بحرية فى الاسلام .

وأقبل المسلمون على البحر وجعلوا يستخدمون من فى حوزتهم من الروم وفيهم أهل الصناعة والبحر فأنشأوا السفن وشحنوها بالرجال والنساء وسموا مجموع السفن (الاسطول) وهى كلمة يونانية عربها العرب .

ثم انشأ المسلمون أول دار لصناعة السفن فى تونس فى عهد عبد الملك بن مروان أنشاها عامله على أفريقيا حسان بن النعمان .

فتح المسلمون بأساطيلهم جزيرة صقلية بقيادة أسد بن الفرات كما فتح قوصة ، وفى عهد عبد الرحمن الناصر بلغ الاسطول الاسلامى مائتى سفينة ، وأنشئت أيضا دور لصناعة السفن فى مصر فى عهد الخليفة المتوكل أنشأها عنبسة بن اسحق أمير مصر .

ولقد أجتهد المسلمون فى تعليم أولادهم السباحة وشئون الحرب البحرية ، وكيفية قيادة السفن واستخدامها ، وبلغ عدد الجنود البحرية فى عهد الفاطميين خمسة آلاف وفى عهد صلاح الدين أنشىء ديوان خاص للأساطيل سمى ديوان الاسطول .

وتنوعت المراكب الحربية عند المسلمين فكان منها الشونة والحراقة والطرادة والعشاريات . وكانوا يحرصون على اخفاء المراكب فيمنعون اشعال النار فى المراكب ولا يتركون فيها ديكة حتى لاتصيح وتكشف عن مواضعها .

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد سعاد جلال

وأما النوع الثانى من اجتهاده – صلى الله عليه وسلم – فى بيان الشريعة – فمبنى على استعمال القياس – ان قلنا ان النبى – صلى الله عليه وسلم – له حق الاجتهاد والقياس كما هو الصحيح أو يكون هذا البيان جاريا فى افهامنا مجرى القياس وآخذا صورته .

وبيان ذلك أن الشريعة موضوعة بتمامها لعامة المكلفين ، فكل خطاب من خطاباتها فهو متوجه الى كل فرد من أفرادهم لا يخرج عن ذلك أحد البته لقوله تعالى « **وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » وقوله « **يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** »

ومقتضى كونه – صلى الله عليه وسلم – مرسلا برسالته الى كافة الناس وجمعيهم أن تكون جميع أحكام شريعته التى تمثل رسالته حكما موجها لجميع المرسل اليهم فردا فردا .

فلو فرضنا أن فردا ممن أرسل اليهم خارج عن قانون الشريعة فى بعض الأحكام لم يعتبر النبى مرسلا لجميع الناس بجميع أحكام الشريعة بالنسبة لهذا الفرد بخصوصه فبطل حينئذ كونه مرسلا للجميع والكافة ، وهو محال .

وينبنى على ذلك أن كل دليل من أدلة الشريعة سواء ورد كليا عاما أم ورد جزئيا خاصا يتعين اعتباره عاما بالنسبة لعامة المكلفين الا ماخصه الدليل ، من ذلك كقوله تعالى فى شأن زواج النبى بطريق الهبة « **وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** » .

فان صيغة الدليل اذا كانت كلية فلا اشكال فى افادتها لتعميم الحكم فى جميع الأفراد واذا كانت جزئية واردة فى قضية خاصة فان خصوص النازلة التى ورد عليها الدليل الخاص لا يجعل هذاالدليل جامدا فى نطاق الخصوص بل يؤخذ على أنه كلى عام فى النازلة التى ورد فيها وفى مثلها : اما بطريق القياس واما يرجع اللفظ الى افادة العموم المعنوى أو بأية محاولة أخرى .

يوضحه قوله تعالى « **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** » فان فعل التزويج لا يعتبر صيغة لا عامة ولا خاصة ودلت الآية على أن الحكم الذى دلت عليه واقعة التزويج المنصوصة عام فى جميع المكلفين .

وماذاك الا لأن الأدلة الشرعية تؤخذ كلية عامة كيفما وردت ولذلك يقول – صلى الله عليه وسلم – « **حكمى على الواحد ، حكمى على الجماعة** » ومن الأدلة على تقرر هذا الأصل فى الشريعة كثيرا كما يقول الشاطبى .

اذا تبين هذا فانه يقع فى الكتاب أصول تشير الى أن ماكان من بابها فان حكمه حكمها - فعندئذ يكتفى القرآن بذكر هذه الأصول مرجئا تفريع الفروع الى بيان السنة وذلك بناء على أن المقيس عليه - وان كان خاصا بحسب لفظه الا أنه عام بحسب المعنى .

واذا كان الأمر كذلك - ووجدنا فى القرآن أصلا ووجدنا مافى معنى هذا الأصل أو ما يشابهه ، أو مايدانيه فى السنة علمنا أن ذلك كان باجتهاد منه - صلى الله عليه وسلم - بطريق القياس أو هو كذلك يجرى فى افهامنا مجرى القياس .

واليكم امثلة على ذلك :

١ - حرم الشارع الجمع بين الأم وابنتها فى النكاح ، كما حرم الجمع بين الأختين أيضا ثم دل ظاهر العموم فى قوله « **وأحل لكم ماوراء ذلكم** » على اباحة الجمع فى غير الصورتين المذكورتين ، لكن جاءت السنة بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، فعلمنا أن ذلك انما كان بالقياس على تحريم الجمع بين الأم وابنتها والجمع بين الأخت وأختها لأن العلة فى التحريم فى الصورتين المنصوصتين انما هو المنع من قطيعة الارحام فيمن يقوى قرابتهم وهذه العلة متحققة فى قرابة المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها ، فألحقتهما السنة بالأم مع ابنتها والأخت مع أختها المنصوصتين فى القرآن : من قبيل القياس .

وقد روى فى الاشارة الى اعتبار هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - « **فانكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم** »

٢ - حدد القرآن أنصبة أصحاب الفروض من الميراث وبين أنها النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس ولم يفصل مثل ذلك فى أنصبة العصبات ، اقتصر على ذكر بعض الحالات مثل نصيب الأبوين فى قوله « **فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث** » ونصيب الاولاد فى قوله « **للذكر مثل حظ الأنثيين** » ونصيب الأخوة فى قوله « **وان كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين** » فاقتضى ذلك أن مابقى من الميراث بعد استيفاء أصحاب الفروض يذهب للعصبية (*)

وبقى غير هؤلاء العصبات المذكورين الذين أشارت الآيات الى حكمهم عصبات آخرون كالعم وابن العم والجد وغيرهم لم يبين حكمهم ، فجاءت السنة وأرشدت الى أن حكم العصبات من المذكورين وغيرهم واحد فى تلقى الميراث وذلك بقوله - صلى الله عليه وسلم - « **الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر** » وفى رواية « **فلأولى عصبة ذكر** »

وكان ذلك منه - صلى الله عليه وسلم - اقتباسا بالفعل : أو منهجا قياسيا استوجب جميع الحالات بعد ما نبه القرآن على أصله .

٣ - أخبر القرآن عن صحة رؤيا سيدنا ابراهيم المتعلقة بذبح ولده فى قوله « **يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** » وصحة رؤيا سيدنا يوسف المنبئة عن مستقبله فى قوله « **يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** » ، وصحة رؤيا الفتيين المذكورين فى قصة يوسف فى قوله « **ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه** » ثم لم نعلم ان كانت صحة هذه الرؤى خاصة بمن ذكرهم القرآن أم تعم غيرهم ، فجاءت السنة وألحقت غيرهم بهم وبينت أن الرؤيا الصالحة ترى للرجل أو يراها الرجل الصالح من المبشرات وانها جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة وانها أقسام وليس لهذا الالحاق تفسير فى مجرى افهامنا الا أنه قياس .

٤ - ذكر الله التحريم بالرضاعة فى صورتين فقال « **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** » فتردد نظر المجتهد عندئذ بين أمرين محتملين : هل يقصر التحريم بالرضاعة على الصورتين المنصوصتين فقط ويعتبر هذا التحريم أمرا تعبديا لا مجال

فيه للرأى ، ولا يزاد به على موضع النص ، أم يعتبر هذا التحريم مجالا للرأى والقياس فعندئذ يمكن الزيادة على الصور المذكورة بصور أخرى من المحرمات رضاعا لوصف جامع بينها قياسا للتحريم بالرضاع على التحريم بالنسب لعدم الفارق بينهما من حيث كانت علة التحريم بالرضاع هى « الجزئية » التى تثبت بين المرتضع ومن أرضعته كما أن هذه « الجزئية » هى علة التحريم فى النسب أيضا ، وبها حرمت العمات والخالات العمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وغيرهن .

فلا يمتنع أن يقال « الجزئية » بالرضاع كالجزئية بالنسب ، فيحرم من الرضاع بالجزئية مثل ما يحرم من النسب بسببها .

واذا وصل تردد الفقيه الى هذا الموضع من أعمال القياس فقد أسعفه فى قطع الاحتمال قوله - صلى الله عليه وسلم - « **يحرم من الرضاع مايحرم من النسب** » مبينا عن اعتبار القياس فى المسألة وأن التحريم بالرضاع على شاكلة التحريم بالنسب .

وكما يثبت فى المسألة التحريم بلبن المرأة المرضعة واعتبارها بذلك أما للرضيع ثبت التحريم لزوج المرضعة واعتباره أبا للرضيع قياسا على المرضعة . لأن لبن المرضعة انما ثار فى المرأة بسبب وطء الزوج لها .

فحيث كانت المرضعة باللبن المشترك بينها وبين الزوج اما بكون الزوج كذلك بنفس هذا اللبن للرضيع أبا ، فيثبت حكم التحريم للزوج أيضا .

وهو قياس ثان فى المسألة دل عليه حديث عائشة فى واقعة « أفلح » أخى أبى القعيس « وكان أبو القعيس هذا زوجا للمرأة التى أرضعت عائشة - فأراد أخ له - يسمى « أفلح » أن يدخل عليها بصفته محرما لها فمنعته - وقالت يا رسول الله : انه ليس هو الذى أرضعنى وانما أرضعتنى امرأته فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **ائذنى له فانه عمك** » فأثبت هذا الحديث أن التحريم كما يكون من قبل المرأة المرضع بسبب اللبن المنشىء للجزئية يكون من قبل الزوج اذا كان اللبن منهما جميعا وحيث كان الأمر كذلك فيكون الزوج أبا للمرتضع كما يكون أخوه عما له يثبت الكل منهما حكم المحرمية بالنسبة له ، كما قلنا وهى عملية قياس فقهى ظاهرة .

النوع الثالث - اجتهاده فى صياغة مبدأ عام

وأما النوع الثالث من اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - فهو راجع الى تحصيل مبدأ كلى مأخوذ من أدلة جزئية وأدلة عامة مثبوتة فى القرآن دائرة حول معنى واحد .

وتوضيح ذلك أننا نجد فى القرآن مثلا وقوع النهى عن ضرر النفس والاضرار بالغير كثيرا وفاشيا - فى وقائع جزئية كقوله تعالى « **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** » وقوله « **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا** » وقوله « **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** » وفى وفى أدلة عامة - كالأدلة العامة الواردة النهى عن قتل النفس وعن الظلم والغضب وأكل أموال الناس بالباطل والنيل من الحرمات والأعراض ، فيتضح لنا من ملاحظة هذه الأدلة المتفرقة - كلية أو جزئية - الدائرة حول تقرير المعنى الواحد أن هذا المعنى - يعتبره الشارع معنى عاما مقصودا بالمنع على الاطلاق لايقتصر الحكم بمنعه على المواضع التى أفادتها الأدلة .

فهاهنا اذا وجدنا النبى - صلى الله علية وسلم - قد أرسل قولا يشمل هذا المعنى فى جميع صوره المبينة والمفروضة وعبر عنه بصيغة عامة بمثل قوله « **لا ضرر ولا ضرار** » حصل عندنا علم أو ظن بان افراغ ذلك المبدأ فى صياغة عامة انما كان بنظر اجتهادى منه - صلى الله عليه وسلم - فى تلك الأدلة المتفرقة الموجودة فى الكتاب .

وكذلك أوضحنا لكل هذه الأنواع الثلاثة أمثلتها التى تكشف معناها وتنير الى الافهام معالمها .

وقد أدمجنا التمثيل للنوع الثالث بايجاز فكرته . أما النوع الأول والثانى فقد أفردنا

بين يديكم لكل منهما طائفة من الامثلة غير قليلة .

جواز الخطأ على اجتهاده - صلى الله عليه وسلم -

ينقسم القائلون بحصول الاجتهاد منه - صلى الله عليه وسلم - من حيث احتمال الخطأ فى اجتهاده - الى طائفتين .

ذهب الرازى ، والسبكى والبيضاوى ، وأكثر العلماء - بهذا الوصف - كما نقل صاحب كشف الأسرار الى القول بامتناع الخطأ عليه فى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - فاذا اجتهد فى حكم واقعة لم يكن اجتهاده فيها الا صوابا .

وذهب أكثر الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة وأهل الحديث وجماعة من المعتزلة الى جواز وقوع الخطأ فى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - لكن لا يقر على خطئه ان أخطأ - بل يتداركه الوحى مصححا له اجتهاده ، وناقلا له من الخطأ الى الصواب واختاره الآمدى ، وابن الحاجب ، وهو اختيارنا أيضا .

وسنقدم بين يديكم أدلة كل من الطائفتين لنكشف الغطاء عن وجه الحق فى المسألة .

أدلة القائلين بامتناع الخطأ فى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم -

وقد استدل المانعون من احتمال وقوع الخطأ فى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - ممن ذكرناهم - بأدلة ثلاثة .

أولا - قالوا ان مقصود البعثة المحمدية واظهار المعجزة على يدى النبى - صلى الله عليه وسلم - انما هو تمكين الثقة فى نفوس الناس بما يقوله لهم - صلى الله عليه وسلم - فلو قلنا بجواز الخطأ عليه فى أحكامه الاجتهادية لترتب على ذلك دخول الشك الى نفوس المخاطبين فى حكمه والتردد فى قبول قوله .

ثانيا - أن الله أمرنا باتباعه - صلى الله عليه وسلم - بمثل قوله « **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** » فلوجوزنا عليه - صلى الله عليه وسلم - الخطأ فى الاجتهاد ونحن مأمورون باتباعه - لكنا حينئذ مأمورين من الله باتباع الخطأ وذلك محال .

ثالثا - اذا أجمعت الأمة على حكم شرعى أصابوه بالظن لا باليقين ، كان اجماعهم على هذا الحكم معصوما عن الخطأ ولم يثبت هذه العصمة للامة الأمين حيث تبعتنا للنبى - صلى الله عليه وسلم - فلو رفعنا العصمة عن اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - وأثبتناها للأمة دونه ، لكان التابع من هذه الجهة أفضل من المتبوع - وهو أمر ممتنع .

ابطال هذه الأدلة

أما عن الدليل الاول : فنرى أن المقصود من البعثة المحمدية واظهار المعجزة انما هو تمكين الثقة فيما يبلغه النبى - صلى الله عليه وسلم - للناس بعنوان الرسالة والاخبار بأنه ينقل الحكم المبلغ اليهم على أنه حكم رب العالمين .

وفى هذه المادة يستحيل عقلا أن يقع الخطأ فيما يبلغه لثبوت تصديق المعجزة له فيه ، أما مايصدر عنه من الاحكام على سبيل الاجتهاد - فلم يقم برهان على امتناع وقوع الخطأ فانه لا يخل بمقصود الرسالة ولا ينافى تصديق المعجزة للنبى فيما يعلن أنه ينقله عن رب العالمين .

وأما عن الدليل الثانى : فوجه بطلانه أن الشارع أمر العامى بتقليد المجتهدين من الأمة فى الأحكام الصادرة منهم عن اجتهاد ، ويجوز أن يكون بعض هذه الأحكام خطأ ، بل أشد خطأ من خطأ اجتهاد النبى - صلى الله عليه وسلم - لأن هؤلاء المجتهدين - يقرون على أخطائهم الاجتهادية ولاينبهون من الشارع اليها بينما النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يقر على الخطأ فى اجتهاده - كما ذكرنا - ومع ذلك لا يقال ان الله أمر باتباع الخطأ حين أمر العامة بتقليد المجتهدين باطلاق .

وتوضيح ذلك : أن الحكم الاجتهادى له وصفان : وصف ينشأ له من حيث المحاولة

الممكنة التى كلف بها المجتهد واعتبرت صوابا فى حقه : ووصف آخر ينشــا له من حيث مطابقته للحقيقة ونفس الأمر ، وهذا الوصف الثانى لم يعتد به الشارع فى عملية الاجتهاد اذا بلغ المجتهد فى طلب الحكم المبحوث عنه غاية وسعة : فالأمر بالاتباع جار على اعتبار الوصف الأول حيث يكون الأمر المطلــوب اتباعه صوابا عملا : لا على اعتبار الوصــف الثانى الذى لم يبن التكليف على اصابة عينه .

هذا بناء على رأى من يقــول ان الأحكام الاجتهادية دائرة بين الخطأ والصواب : أما على القول بأن الأحكام الاجتهادية كلها صواب وأن الله جعل الاصابة فى الأحكام - ثمرة لاجتهاد عامة المجتهدين فلا يتــم قــول « المانعين » بأن احتمال الخــطأ فى اجتهاده حينئذ يلزم منه أمر الأمة باتباع الخطأ - اذ لاحظنا فى اجتهاد النبى حينئذ أصلا ، بــل يتعين بناء على نظرية « التصويب » ألا يكون من بين القــائلين بها من يجوز الخطأ عــلى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم -

وأما عن الدليل الثالث : فاننا لا تنازع فى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ممتاز بشرف الرسالة ، وكرامة البعثة ، وانه الامام الذى يستمد منه المجتهدون أصول اجتهادهم ، ويستضيئون بهديه فى قياسهم واستنباطهم لكن لا ينقص قدره مع هذه المكانة الشامخـة حصول مزية لمجتهدى الأمة اذا حصل الاجماع على اجتهادهم كالامام الأعظم تستمد منه ولاية القضاء ولا ينقص قدره ألا يتولاها بنفسه .

ونوقش هذا الرد أيضا بأن المـزية التى تحصل للتابع دون المتبوع نوعان :

احداهما مزية يتنافى لزومها مع وظيفـة المتبوع فهذه المزية لا ينقص قدر المتبوع ألا تكون له : كالقضاء مع الامامة العظمى ، ومزية أخرى لا يتنـافى لزومها مع وظيفـة المتبوع وذلك كمزية الاجتهاد مع رتبة النبوة - وهذه المزية - اذا حرمها المتبوع وظفر بها التابع أشار ذلك الى فضل التابع على المتبوع من جهة الحصول على هذه المزية بالذات ».

لكنا نرى أن ابطال هذه المناقشة على الدليل أمر ممكن :

وذلك بأن نقول : ان علو منصب النبى - صلى الله عليه وسلم - اقتضى له خصائص فى الاحكام من الاباحة والايجاب ، ليست لأمته : كاختصاصه فى النكاح بالزيادة على الأربــع وايجاب تهجد الليل عليه ، فليس ثمة مايمنع والوضع هكذا من جــواز أن يكــون النبى - صلى الله عليه وسلم - ممنوعا من الاجتهاد ولا يقال ان منعه من الاجتهاد - صلى الله عليه وسلم - حينئذ يسلبه فضيلة تجعل غيره من هم دونه أفضل منه من جهتها خاصة ».

ومحصل هذا التفكير أن النبى - صلى الله عليه وسلم - شخصية فريدة فى خصائصها ووجوه امتيازها فلا تقاس على غيرها بما عهد فى غيرها - من أسباب المفاضلة ومعاييــر الامتياز .

أدلة القائلين بجــواز الخطأ على اجتهاده - صلى الله عليه وسلم -

استدل هــؤلاء بالامكان العقلى ، وبالوقوع منه - صلى الله عليه وسلم - :

(أ) أما الامكان العقلى : فقالوا أن نسبة الخطأ الى اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - أمر ممكن فى ذاته : اذ لا يترتب على فرض وجوده محال فتجويز الخطأ على اجتهــاده - صلى الله عليه وسلم - لا يمنع الا لوجود دليل مانع : والأصل عدمه لأن الأصــل فى الأشياء العدم : ومن ادعى وجود الدليل المانع فعليه أن يظهره :

قال المانعون لجواز الخطأ على اجتهــاده - صلى الله عليه وسلم - بل عندنا الدليل المانع من جواز الخــطأ على اجتهــاده ونحن نظهره :

المانع هو شرف منصبه - صلى الله عليــه وسلم - وعلو مرتبته مع ما أوتيه من كمال عقلــه ونفوذ فطنته ، فلا يتأتى مع هــذه الخصائص الباهرة التى أتيحت لشخصيته - صلى الله عليه وسلم - أن يخطىء اجتهاده ».

قلنا : وليس هذا بشيء فان الخطأ من العوارض البشرية - كالنسيان فعروضه للنبى - صلى الله عليه وسلم - لا ينقص من كماله ولا ينزل من قدره : وقد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - سها فى صلاته ، وتحلل عن ركعتين فى صلاة رباعية - فقال له ذو اليدين - أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله : فقال - صلى الله عليه وسلم - أحقا ما يقول ذو اليدين « قالوا » نعم •

واذا كان - صلى الله عليه وسلم - قدسها فى صلاته حال مناجاته للرب سبحانه وتعالى فجواز الخطأ عليه فى غير حال المناجاة من باب أولى •

(ب) وأما الوقوع وهو أقطع لهذا الشغب كله ، فيتضح فى موضعين من القرآن

أولا - قوله تعالى « **ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** » وقد وردت الآية فى أخذ الفداء من أسارى بدر بدل قتلهم ، وكان قد أشار به عمر : **فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر « نظرا لقوله تعالى بعد هذه الآية : لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** » فدل هذا العتاب من القرآن على أن الأمر المعاتب فيه لم يكن عن وحى ، وانما كان عن اجتهاد منه - صلى الله عليه وسلم - والا ففيم يحتمل أن يكون العتاب ؟

وثانيا - قوله تعالى «**عفا الله عنك لم أذنت لهم**» فقد نسبه الله للخطأ وعاتبه على الوقوع فيه •

وهو فى نظرى واضح

ولكن صاحب « التقرير » ينقل عن القشيرى تخريجا للآية على غير الموضع الذى أوردناه : قال القشيرى « ومن ظن أن العفو لا يكون الا عن ذنب فهو غير عارف بكلام العرب - وانما عفا عنك لم يلزمك ذنبا كما فى عفا عن صدقة الخيل ولم تجب قط •

وليس يصح عندى ما ارتآه القشيرى : فان مادة عفا الله فى اللغة تدل على المحو والازالة قال فى المصباح « عفا المنزل عفوا ، وعفوا ، وعفاء - بالفتح والمد - درس وعفته الريح يستعمل لازما ومتعـديا ، ومنه عفا الله عنك أى محا ذنوبك •

وقال الراغب « عفوت عنه قصدت ازالة ذنبه صارفا عنه » ثم قال « فالعفو هو التجافى عن الذنب» . ومثل له بقوله تعالى «**فمن عفا وأصلح** » وبقوله «**وان تعفوا أقرب للتقوى** » وماشاكلها مما يتضمن معناه رفع المؤاخذة عن وقوع الذنب »

وأما قوله عفا عن صدقة الخيـل فيمكن تخريجه على المجاز ، وذلك أن الشارع جعل فى سائر الماشية والأنعام صدقة - وكانت الخيل وهى من أنفسها بصدد أن تفرض فيها الصدقة كبقية الأنواع فلم يجعل الشارع فيها ذلك - فنزل التهيؤ الشديد للحكم منزلة الحصول بالفعل ، واستعمل فى البيان عن عدم ثبوت الحكم الموشك على الثبوت كلمة « عفا » خلفا عن استعمالها فى رفع الحكم بعد ثبوته كأنما كانت صدقة الخيل واجبة ثم رفعت •

ولو سلمنا أن كلمة « عفا » غير دالة على اللزوم من أول الأمر فما معنى قوله « **لم أذنت لهم** » ألا يدل هذا الاستنكار على أنه فعل شيئا استحق عليه الاستنكار ؟

ثم قوله فى بقية الآية « **حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**» ألا يدل هذا التعليل لترجيح المصلحة فى عدم الاذن - على أن أذنه لهؤلاء المنافقين فوت غرضا من أغراض الشارع المقصوده له ، وهو انكشاف أمر الصادقين منهم وهم أصحاب الأعذار الحقيقية ، من الكاذبين فى اختراع أعذارهم •

الحق أن ما ذهب اليه القشيرى غير متضح : والحق فى المسألة ما رجحه المحققون من جواز الخطأ على اجتهاده - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا يقر على اجتهاد خطأ بل يبادره الوحى من الله بتصحيحه ورجعه الى مدارك الاصابة •

« **تمت** »

تحت راية الاسلام

درس فى الوعظ من تلميذ يطلب العظة

يا رجال الأزهر.. هذا واجبكم فى المعركة

الأستاذ عبد العليم المهدى

> أشهدك يا ربى أننى لست واعظا يرشد الناس اليك ، ولم أتشرف بالدراسة فى الأزهر معقل العلم بك يا عليم .. ولكنى أستطيع أن أبصر بنورك يا رب ، فأرانى مكلفا بدعوة العلماء الى واجبهم فى المعركة ، معركة مصر موطن الأزهر ، ضد الجاهلية الثانية فى أرجاء العالم ، وضد الرجعية والجاهلية فى عالمنا العربى والاسلامى .. فان لم أكن عالما ، وان لم أكن واعظا ، فحسبى أننى مجتهد ، وباب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة ، وليس عيبا أن يطلب التلميذ الى أساتذته أن يعلموه مما علمهم الله ، ولكن العيب كل العيب أن تشغل الدنيا الأساتذة عن الدعوة ، وهم الأمناء عليها ، وهم المكلفون بتبليغها ، وسوف يسألون عن هذا التكليف يوم الموقف العظيم .

موضوع الدرس ..

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » .

« فمن عفا وأصلح فأجره على الله »

أضع هذه الآيات البينات أمام القراء ، تحت عينى الشيخ محمد حسن فرحات واعظ الاسماعيلية - سامحه الله - فقد اتهمنى بالباطل وأنا أدافع عن الحق ، ورمانى بالتهكم على علماء الازهر ، وأنا ادعو الى سبيل الله

بالحكمة والموعظة الحسنة .. ولكنى أمسك بأمر الله « ادفع بالتى هى احسن » ، حتى لا أقع فيما وقع فيه السيد الواعظ ، فاعفو ، وأحاول أن أصلح ، ثم اتقاضى اجرى من الله .

عود على بدء ..

* كتبت فى العدد الاسبق من «منبر الاسلام» كلمة بعنوان « يا علماء الازهر هذا واجبكم فى المعركة » ، أعليت فيها من شأن الازهر كقوة منتصرة لدعوة الاسلام ، فى العالم منذ الف عام .

وأعلنت على الناس مكانة الازهر فى نفوس انصار الاسلام واعداء الاسلام .. مكانة رفيعة ، وكلمة مسموعة ، وماض مجيد فى مقاومة الرجعية والاستعمار ، وقيام الازهر بواجبه فى معركة تحرير الشعب العربى فى مصر ، الحقيقة التى سجلها ميثاق العمل الوطنى ، ايمانا بما يمكن ان يقوم به الازهر اليوم من مواقف ، وبمايقدمه من بطولات ، يستأنف بها الازهر تاريخه فى معارك الحق والعدل والخير والحرية .

قلت فى اختصار ان ميثاق العمل الوطنى للجمهورية العربية المتحدة ، خلاصة لمنهج الايمان والعمل الذى جاء به القرآن الكريم .. ومن واجب علماء الازهر ومن واجب طلابه أيضا أن يبلغوا هذا الميثاق الى الناس ، فلهم مكانتهم الرفيعة ، ولهم كلمتهم المسموعة ، ولهم قدرتهم على الدعوة بما آتاهم الله من حكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .

وصفت العلم الحقيقى بأنه العلم بالله ، وربطت العلم الذى ترتكز عليه ثورتنا الواعية المؤمنة ، بالعلم الذى فى الازهر ، فقلت انه العلم الذى تتمسك به ثورتنا وهى تنتصر دائما ، لانها تؤمن بأن العمل الثورى لابد أن يكون عملا علميا ، واذا تخلت الثورة من العلم فمعنى ذلك أنها انفجار عصبى ، تتنفس به الامة عن كبتها الطويل .. ولكنها لا تغير من واقعها شيئا .

الشيخ فرحات يتهم ..

واننى أعترف ان كلمتى الى علماء الازهر عن واجبهم فى المعركة كانت عملا ثوريا .. وأسجل أن الرد عليها من الشيخ فرحات كان انفجارا عصبيا ، بدليل انه تنفس فى كتابه الى عن كبت ، ولكنه لم يغير من الواقع شيئا .. فما زلت متمسكا بدعوتى علماء الازهر الى واجبهم فى المعركة .

وهنا لا أستطيع الاسترسال فى الدرس ، قبل تقديم وسيلة الايضاح التى أهدانى بها فضيلة الشيخ محمد حسن فرحات واعظ الاسماعيلية ، فكتب يقول ما أسجله بالحرف الواحد :

« تجنى الاستاذ عبد العليم المهدى بمقاله فى العدد السابق من منبر الاسلام تحت عنوان تحت راية الاسلام من واجب علماء الازهر فى المعركة فكان كناطح صخرة يوما ليوهنها . اذ لا ضير على العلماء من هذا الهراء (كذا) ، فهم يعتقدون والعالم معهم أنهم منه براء . ولست منهم أدافع ، ان الله يدافع عن الذين امنوا ، ولكن أنفى شبهة وأثبت حقيقة . ليعلم السيد الكاتب انه أساء اساءة لا تغتفر . اذ تهكم وهو المسلم المصرى بمن يوقرهم العالم أجمع ان لم يكن لذواتهم فلانهم من شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب .

واذا رمى علماء الازهر بأنهم لا يؤمنون بميثاق ثورتهم ولا يقومون بواجبهم نحوه ، فاننى أقول له لا يمكن أن يكون احد من العلماء كما توهم السيد الكاتب والا فليدلنا عليه ان كان من الصادقين .

وابادر الى الشبهة التى عساها ان تكون قد علقت ببعض أذهان غير المصريين ، فالمصريون جميعا لا يخفى عليهم ما عليه علماء الازهر من الوطنية الصادقة والوعى المحيط بواجبهم المقدس نحو وطنهم الكبير شرقا وغربا، وان ما يبذلونه من التوعية بالوطنية والقومية العربية وبالوحدة والحرية والاشتراكية ، فى جميع طبقات الشعب فى الوعظ والمحاضرات وخطب المنابر والمقالات ما كتل الأمة (كذا) تحت لواء رائدنا العظيم الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر يحيطونه بقلوبهم ويفدونه بدمائهم مؤمنين صادقين فرحين مستبشرين . وأنا على يقين من أن المصريين جميعا يعلمون أن علماء الازهر يؤيدون ثورتهم وميثاقهم تأييدا للحق الذى يقدسون . وفى سبيله يناضلون (كذا) ومن أجله يعيشون . وبه لربهم يتقربون .

وأخشى ما أخشاه من مقال الاستاذ ان يتسرب الشك فى ولاء علماء الازهر لثورتهم الحبيبة الى عقول غير المصريين فى الاقطار الكثيرة التى تصل اليها مجلة « منبر الاسلام » .

أيريد الكاتب أن يفهم العالم ان ثورة مصر لا يؤيدها علماء الازهر ؟.. انها اذن لكارثة نعوذ بالله منها .. يالها من زلة عن قصد أو غير قصد . وكان الأجدر بالكاتب أن يتجنبها وهو لا ريب يريد أن ينفع لا أن يضر .. لا .. لا .. لا تفهموا أيها السادة فى مشارق الارض ومغاربها غير ما يفهم جميع المواطنين فى الجمهورية العربية المتحدة من أن علماء الازهر يؤمنون بثورتهم وبميثاقهم، وليس فى مصر الا من يؤمن بمبادىء ثورتها الميمونة وهى الحرية والاشتراكية والوحدة ، تلك حقيقة ما أثبتها .. مهما جحد الجاحدون أو شكك المتشككون »

وانتهى كتاب فضيلة الشيخ محمد حسن فرحات واعظ الاسماعيلية ، واننى أنشره تطبيقا لمبدأ النقد الذاتى الذى نص عليه الميثاق . وأطبق المبدأ نفسه فى الجواب عليه .. بالحكمة والموعظة الحسنة .. وليس بالسب والاتهام الوارد فى كتاب الواعظ — سامحه الله — .

أما أنا يا شيخى فلا أسىء فهمك ، ولا أستريب فى رأيك ، ولا أشكك الناس فى أمرك .. ولكنها الحجة بالحجة « وجادلهم بالتى هى أحسن » ، والى الله يصعد الكلم الطيب .

اننى أعفو عن شتائمك ، ولكنى فى مجال الدعوة أسائلك :

١ — ما هو المعنى الذى تهدف اليه من عبارتك :

« العالم أجمع يوقرهم ، ان لم يكن لذواتهم ، فلأنهم من شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ؟

اننى أومن معك بأن علماء الازهر يوقرهم العالم اجمع .. ولكنى لا استطيع أن أقف بجانبك وأنت تخلع على العلماء صفة شعائر الله .

وليس يكفينى أن أعارضك الراى فى هذا ، بل يقتضينى الواجب أن أدعوك الى وعى شعائر الله ، وأنها مبادىء منزهة ، ولا يصح فى الاذهان شىء اذا ما تحولت المبادىء والواجبات الالهية الى اناس ، حتى ولو كانوا من العلماء .

فاذا أراد الشيخ أن يستخدم كلمة شعائر الله من قبيل المجاز . فكم كنت أرجو لو يصبح المجاز حقيقة ، أو يصبح العلماء وكل منهم شعيرة تمشى بيننا على الارض ، انها اذن تكون معجزة ، وقد انتهى عهد المعجزات يا فضيلة الواعظ .

ان العلماء كسائر البشر ، ولكنهم اول عمال هذه الشعائر ، هم القادة فى اداء هذه الواجبات القدسية ، وهم القدوة ، لانهم ورثة الانبياء ، ومدادهم يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء .. ولكن القول بأنهم من شعائر

الله ، فذلك يعنى أنهم منزهون معصومون ؟ وسبحان من له العصمة .

وانني أسائل الشيخ فى حلم : هل يكون العالم البخيل بعلمه ، أو المتثاقل عن دعوته ، من شعائر الله ؟..

أكاد أتصور ان الشيخ فرحات يريد منا أن نرفع العلماء الى مرتبة الشعائر ، ليكونوا طبقة فوق البشر ، وديننا لا يقبل الطبقية ، ولكنه جعل الناس درجات.. للمجاهدين على القاعدين درجة .. ولا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

واذا كان الله قد ميز العلماء على غير العلماء بما آتاهم من علم ، فهل يعنى ذلك أنهم أراد منهم ان يكونوا طبقة تمارس التعالى على الناس ، ويكون طالب النور مثلى متجنيا عليه اذا طالبهم بأن يكونوا - كما أرادهم الله - مصابيح تضىء قلوب الناس بنور الايمان ؟..

واذا منعت الدنيا العلماء من هداية الناس ، فهل يصر الشيخ فرحات على اعتبارهم من شعائر الله الواجبة التعظيم ؟..

اقرأ معى يا فضيلة الواعظ ما قاله السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة فى أولى محاضراته بالازهر الشريف منذ خمس سنوات :

« فليخرج الازهر الى الشعب يهديه الى ربه ،ويهديه الى نفسه ، ويدفعه بقوة العقيدة ، نحو تحقيق الاهداف العليا التى قامت من أجلها الثورة ، وهى تقتبس دليل عملها من ثورة الاسلام .. فاذا لم يخرج الازهر الى الشعب ، فسيأتى الشعب الى الازهر ليخرجه اليه ، يدعو الناس الى الله ، ويقيم المجتمع الجديد على قاعدة من الاحرار » .

فهل يزعم أحد ان مثل هذه الدعوة البناءة من الشافعى ، تنقص من قدر الازهر وعلمائه ؟ وهل تضمنت تشكيكا فى وطنية العلماء ، ام انها اعتراف صريح بحاجة الشعب الى التعبئة الروحية ، هذه التعبئة التى أدعو علماء الازهر اليها اليوم ، فيكون الجزاء ما ورد فى كتاب الشيخ .

٢ - ويقول الشيخ فرحات فى كتابه ان علماء الازهر قد قاموا بواجبهم حتى تكتلت الامة حول رائدنا العظيم .

لا يا شيخ فرحات ..

ان الامة قد تكتلت تحت لواء الزعيم لانها آمنت بأعماله القريبة من المعجزات ، ولم يكن التكتل نتيجة للوعظ والمحاضرات والمقالات .. واذا كان الوعاظ والعلماء قد ساروا فى الزحف المقدس خلف الطليعة الثائرة ، فلأن الزعيم قد باع وصحبه أرواحهم لله ، فنصرهم الله ، وسرنا جميعا فى موكب المنتصرين .. ويفرض الاعتراف بالحق علينا أن نقتصد فى تقدير الجهود المبذولة فى التوعية بأعمال هذا البطل ورسالة هذا الزعيم .

اننا فى هذا البلد ،وعاظا ، وعلماء ، وكتابا ، نمارس - ما استطعنا - ألوانا من التوعية ، وأشكالا من التنوير ، ولكننا لا نستطيع الادعاء باننا بلغنا المستوى الذى ارتفع اليه جمال عبد الناصر ، وهو يؤدى منذ ١١ عاما أعمالا خارقة ، تهدف الى اعلاء مشيئة الله بحفظ كرامة الانسان ، ليس على أرضنا فقط ، بل فى كل شبر من الارض يمشى عليه آدمى .

ولو كان الوعاظ والعلماء والأئمة قد أدوا واجبهم كاملا ، لما كانوا فى حاجة الى عودة السيد حسين الشافعى اليهم ، يحاضرهم عن مسئولية الدعوة الاسلامية فى التطبيق الاشتراكى ، بعد مضى عشرة أعوام ونصف عام من الثورة ، ذهب اليهم فى قاعة الامام محمد عبده يقول :

« اننى أدعوكم ان تتفاعلوا مع الاحداث ، وان تدفعوا الاحداث ، واربأ بكم أن تنافقوا الاحداث » .

ولنقف معا أمام هذه العبارات الصريحة المضيئة ؟ فنتساءل : لماذا قال الشافعى هذا القول للوعاظ والائمة ؟.

انه يريد منهم التفاعل مع الاحداث ، ومن هذا الباب أدخل الى علماء الازهر فاقول لهم : هذا واجبكم فى المعركة .. التفاعل مع الاحداث ، ومزج الدعوة الى الحرية والى الاشتراكية والى الوحدة بنور الايمان ، والترغيب فى العمل ، على أن يلتزم الدعاة بدفع الاحداث ، فان الرجل يربأ بهم أن ينافقوا الاحداث .

كان الاجدر بفضيلة الواعظ أن يعترف بأن الناس قد اجتمعت قلوبهم حول جمال عبد الناصر لا لانه قد وهب هذا الشعب عمره ودمه وروحه ، وليس لانه زعيم ثائر منتصر ، ولكن لانه قد اخذ مكانه فى العالم معلما للانسان ومرشده وهاديه الى حقوقه والى كرامته التى أرادها الله .

ومع كل هذا فلم يطلب احد منكم ان تعظوا الناس بمدحه .

لم يطلب احد منكم اداء حق ولى الامر الشرعى فى ان تدعوا له فوق المنابر فى خطبة الجمعة .

ان الزعيم الملهم يصنع ما يصنع من أجل كرامة الانسان ابتغاء مرضاة الله وتحقيقا لمشيئته ، والله يجزيه من عمله دائما أكرم الجزاء .

لا يا فضيلة الواعظ .. ان الامة قد تكتلت تحت لواء الزعيم لانه يقول الحق ، ويعمل الحق ، وينصر الحق ، ويجاهد فى سبيل الحق ، بروحه ، وقلبه ، وعقله ، ودمه .

ولا ينكر احد على علماء الازهر ابدا ايمانهم بالثورة والميثاق .. ولا يشكك احد فى صدق الوطنية والاخلاص للزعيم .. ولكن الايمان شىء ، والعمل شىء آخر .

٣ - ويضيف الشيخ قائلا : أخشى ما أخشاه ان يتسرب من مقال الاستاذ المهدى الشك فى ولاء علماء الازهر لثورتهم الحبيبة الى عقول غير المصريين .

واننى أبادره بقولى : من قال ان هناك شكا فى ولاء علماء الازهر لثورتهم ؟.. ومن ذا الذى يستطيع ان يحجب ولاءه لهذه الثورة من العلماء وغير العلماء ؟..

ان البشرية فى ارجاء الارض قد اصطلحت على ان هذه الثورة ثورة حق .. فمن يستطيع الشك فى الحق ؟..

وهل نحن على الحق بايماننا به ؟..

السؤال الذى اريد له جوابا :

ما هو العمل الذى أديناه من اجل هذا الحق ورفع كلمته ؟.. ما هو الوقود الروحى الذى قدمناه لمشاعل هذه الثورة وهى تشق طريقها الى آفاق التطبيق على المستوى المحلى ، والقومى ، والعالمى ؟

هذا واجبكم فى المعركة ..

أما بعد فقد قرأت كتاب الشيخ فرحات مرات ومرات .. وكتبت المقال الثانى بنفس العنوان .. لاننى اعتبر ما أكتب عملا ثوريا يستند الى علم .. انا ادعو رجال الازهر الى واجبهم فى المعركة .. وهو يدعى انهم قاموا بكل واجبهم ، ثم ينتقل من هذا الزعم الى اتهامى باننى أتهكم على من يوقرهم العالم اجمع .. والعدد الماضى من « منبر الاسلام » باق لمن يرجع اليه ، وليكون حكما بينى وبين الواعظ الفاضل ..

ان شتائمه لا تستطيع أن تمنعنى من دعوتى اليه ، والى كل واعظ ، والى كل عالم ، والى كل أزهرى ، الى القيام بواجبهم فى المعركة .

خلاصة الدرس ..

حاشا لله أن اتهكم الى علماء الازهر حين ادعوهم الى دراسة الميثاق وربطه بأحكام الدين الحنيف .. والميثاق هو خلاصة التجربة الكبرى لعملنا الثورى ،

والعمل الثورى لابد أن يكون عملا علميا ، ومن هنا يبدأ الدور الكبير الذى يجب أن تقوم به الجامعات ومراكز العلم .. وحين اضع جامعة الازهر فى رأس قائمة الجامعات ، وادعوه الى أن يسهم فى تحقيق هذا الواجب المقدس .. العمل الثورى لابد أن يكون عملا علميا . ويهدف الميثاق من النص على دور الجامعات ومراكز العلم، أن يعرف العلماء واجبهم فى المعركة ..

* معركتنا نحن ضد الصهيونية ، وضد الاستعمار . وضد التفرقة العنصرية ، وضد تحكم الاقوياء فى الضعفاء .. فى المجال الدولى .

* معركتنا من أجل تحرير افريقيا .

* معركتنا لتخليص الوطن العربى من الرجعيين وعملاء الاستعمار والصهيونية فى الوطن العربى ..

* معركة البناء والتقدم على المستوى المحلى .

هذه المعارك التى تخوضها الجمهورية العربية المتحدة الآن ، وفى العيد الحادى عشر لثورة ٢٣ يوليو ، الخطوط العريضة لعملنا الثورى ، ولابد أن يكون عملا علميا .

ومن اجل هذا دعوت علماء الازهر ، وسأظل ادعوهم الى خوض هذه المعارك جميعا بنور الايمان وبهدى القرآن ، فقد انزل رحمة بالناس كافة .

على ان الميثاق قد دعا علماء الازهر الى معركة حدد ميدانها بالمحافظة على جوهر هذا الدين ، واستخدام هذا الجوهر فى منح التقدم طاقات لا حد لها ، ويزيد على هذه الطاقات أنه يمنح التقدم ايضا الوصول الى أنبل المثل والغايات .

اننا فى معاركنا المحلية ، والقومية ، والافريقية ، والعالمية ، أحوج ما نكون الى عقيدة تدفع القوة ، وتصوغ العمل الثورى فى قالب علمى ، وتثبت أقدامنا فى معركة السلام .. معركة الكفاية والعدل .. فهل نطمع فى أن يكون علماء الازهر هم الضوء الذى يهدينا على الطريق ؟..

فان أرادوا التحديد ، فاننى أشير الى الدعوة الدائمة الى التطبيق الاشتراكى السليم .. والدعوة الى الوحدة التى نزل بها القرآن على أمة القرآن .

والدعوة عند السادة علماء الازهر ليست بالامر الهين، انهم يعرفون أكثر من غيرهم أنها عمل تربوى واصلاحى ضخم ، ولو انهم انفعلوا بانتصارات ثورتنا فى كل عمل ، وتقديمها المثل الناجح فى كل يوم ، لوجدوا أنفسهم على جناحى الحرية ، ويدعون الى الاشتراكية ، والى الديمقراطية ، والديموقراطية فى الاسلام هى المساواة ، والاشتراكية فى الاسلام هى العدل .. والدعوة الى المساواة والعدل يجب أن تنطلق ، حتى يعود لهذا الدين مجده ، وحتى يفرح المؤمنون بنصر الله .

وغاية القول ان صفحات « منبر الاسلام » لا تكفينى فى الحديث عن واجب علماء الأزهر فى المعركة .. فذلك يحتاج الى كتاب ، وهم أعلم منى بما يمكن أن يحتويه هذا الكتاب ، انهم اهل علم ، وما أنا سوى تلميذ يحاول الاجتهاد ، أعلن رأيى على رءوس الاشهاد ، ولن أسكت عن كلمة الحق ، حتى ترتفع ، وحتى يؤمن بها الشيخ فرحات وغيره من الوعاظ والعلماء .. والله على ما أقول شهيد .

أخلاقيات الاشتراكية العربية

الدكتور احمد الخشاب

يصور أغلب العلماء « الاشتراكية » على أنها نظرية اجتماعية تعكس تنظيما اقتصاديا للعلاقات الانسانية فى مجتمع تختفى فيه مظاهر استغلال جهود الانسان لفرد آخر ، أو تسخير طبقة لطبقة أخرى ، بما يتطلبه ذلك من اجراءات متصلة بالغاء أو تحديد الملكية الخاصة ، أو ما يقتضيه من تأميم لأدوات الانتاج الرئيسية أو وضعها تحت سيطرة واشراف الدولة باسنادها لمؤسسات القطاع العام ..

ونحن وان كنا نقدر الدعامة الاقتصادية كركيزة أساسية للنظم الاشتراكية ، الا اننا نحس احساسا عميقا ، أنه يجدر بنا أن ننظر الى اشتراكيتنا العربية نظرة تكاملية ، تجمع بين الاهتمامات المادية والعناصر والقيم الروحية والاخلاقية التى تكسبها جوهر قسماتها ومشخصاتها ، والتى تبرزها على أنها نمو طبيعى وبيولوجى لمورثات تراثنا الروحى والخلقى ، ومن هنا كان لنا أن نقدم نماذج للاخلاقيات التى ارتكزت عليها فكريتنا الاشتراكية المنبثقة من طبيعة أوضاعنا الاجتماعية والمتمشية مع قيمنا الثقافية .

ولعل من أبرز مشخصات اشتراكيتنا « موقف العدل » المنبثق من الايمان بالتفاعل المتعادل بين النواحى المادية ، والنواحى الروحية فى الذات الفردية ، وفى الكل الجماعية وهى فى ذلك تجسد تطويرا طبيعيا وبيولوجيا لدعوة تراثنا الروحى الى الاعتدال ونزاهة القصد ، وعدم الاسراف فى الجوانب المادية التى قد تؤثر فى تعطل المشاركات الغيرية وهى خاصة جوهرية لروح الاشتراكية كما أنها فى نفس الوقت تدعو الى عدم الاسراف فى الروحية التى تؤدى الى تعويق انتاجية القوى المبدعة التى تهدف الى قضاء الاحتياجات الانسانية والمتطلبات الحيائية .

وبنفس روح « العدل وفضيلة الاعتدال والوسط » جعلت اشتراكيتنا « العدالة الاجتماعية » هدفا أساسيا ترنو الى تحقيقها من الناحية العملية ، على الصورة التناسبية ، بمعنى أنها لن تحقق العدالة على الصورة الحسابية ، فى الوقت الذى يختلف فيه الأفراد فى حاجاتهم وقدراتهم وامكانياتهم وامكانيات انتاجهم — على أساس افتراض تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص تحقيقا عاما شاملا

وعلى نفس الخط الخلقى تعمد اشتراكيتنا الى الأخذ بكل الاسباب التى من شأنها أن تحقق التوافق والانسجام بين المصلحة الفردية الخاصة ، والمصلحة الجماعية العامة ، على أساس أن غاية الدولة هى تمكين كل مواطن من ممارسة نشاطه ، واستغلال مواهبه وقدراته على نحو يحقق ذاتيته ، ويبرز فعاليته ويساعد على اكتمال شخصيته .. وذلك بشرط عدم الاخلال بروح الاعتدال ، وعدم المغالاة والتطرف ، بحيث تلتزم الدولة بالمبدأ الخلقى « الأخذ بالحد الأنسب والوسط العادل» سواء كان ذلك فى علاقاتها بمواطنيها، أو بالنسبة لعلاقة المواطنين بعضهم بالبعض الآخر .

وآية ذلك أن الدولة تتيح للفرد الاستفادة من استغلال امكانياته فى حدود الصالح العام، ولكنها تضع قيدا ضابطا خلقيا .. الا وهو انه لا يسمح لفرد أو لجماعة أو لطبقة ممارسة الاستغلال أو الاثراء على حساب جهود الآخرين ، كما لا تسمح لأى بالتفرد والاحتكار أو التحكم فى رقاب المواطنين . ومعنى ذلك أن اشتراكيتنا تعمل على اقامة نمط سلوكى جماعى يتميز بخصائصه « التوسطية » التى ترتكز على التعاون والتساند بين المستويات ، وتذويب المتناقضات بين الطوائف والطبقات.

وضمانا لتجنب الاتجاهات التسلطية الفردية ، التى قد تؤدى الى السخرة الفردية أو الجماعية أو قد تقودالى انحرافات عقائدية، جعلت الاشتراكية « القيادة الجماعية » فى صدارة الأخلاقيات العملية فى كل المناشط التى تمارسها الهيئات والمنظمات الشعبية على أنه لا يفهم من جماعية القيادة التحلل من المسئولية الفردية ، بل انها تعنى اشتراك الجميع فى تحمل المسئولية فى جميع الجبهات وفى كل المستويات ، فجماعية القيادة تستلزم بالضرورة التطبيقية والخلقية جماعية المسئولية ، وبذلك يحس الفرد بكيانه ومسئولياته وفعاليته وارتباطه بجماعته ومجتمعه ووطنه وأمته ، ويشعر بايجابيته وآدميته .

واستبعادا لكل الممارسات التسلطية ، أكدت اشتراكيتنا القيم والاخلاقيات الانسانية الى جانب القيم الروحية ، ونص ميثاقنا القومى على أن التقدم عن طريق النهب او التقدم عن طريق السخرة ، لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة

على أن هناك مبدأ خلقيا تحرص اشتراكيتنا على تحقيقه وتمثله ، الا وهو مبدأ « التكافؤ والتكافل الاجتماعى » ، فمن المحقق أن الافراد يتباينون فى مواهبهم واستعداداتهم ، وامكانياتهم، وتنشئتهم الاجتماعية ، وأذواقهم وكفاياتهم الفنية ، غير أنهم لا بد أن يظلهم جميعا « التكافؤ الاجتماعى » ، وهذا المبدأ لا يرمى الى الغاء التباين وتحقيق التماثل بين الأفراد ، وانما يقصد الى الغاء الامتيازات الاجتماعية والطائفية والطبقية التى يخص بها المجتمع أفرادا آخرين، لا لشىء الا لانتمائهم لطبقة معينة أو عائلة خاصة وفى نفس الوقت لا بد من تحقيق « التكافل » مع التكافؤ ، وينطوى مبدأ التكافل على مفهوم الرعاية ، وتكفل الأعلى والاكفأ بما هو أدنى ، وتعتبر التكافلية ضرورة أخلاقية نابعة من مورثاتنا الروحية ، كما أنها ضرورة جماعية بمعنى أن القيادات فى كافة المستويات مسئولة عن توعية وترشيد وتبصير جماعاتها بما يساعدها على مجابهة متطلباتها ورفع مستوى انتاجيتها وكفايتها .

واذا كان مركز الفرد يتحدد فى المجتمع عن طريق جهوده فى العمل من ناحية ، وتهيئة الفرصة المواتية لابراز قدراته ، واستغلال استعداداته فى تحقيق أقصى أمانيه وغاياته ، مع مراعاة عدم استغلاله وتسخيره لجهود الآخرين ، فان من واجب الدولة أن تهيىء الفرص المتكافئة لذوى القدرات المتساوية ، بقدر ما تحدد من الانصبة العادلة ، وفق

الجهود المبذولة لصالح الجماعة ، باعتبار أن الفرد جزء من كل ـ هو الجماعة ـ وباعتبار أن صالح الفرد وصالح الجماعة صنوان متكاملان متكافلان .

وفى مقدمة أخلاقياتنا اشتراكية « شرف العمل » ، فاذا كان العمل حقا على الدولة لكل مواطن وفقا لمبدأ تكافؤ الفرص وضرورة التشغيل ، فانه واجب على كل مواطن أن يأخذ دوره الايجابى فى عملية البناء والتعمير ، لتحقيق مجتمع الكفاية فى الانتاج والعدل فى التوزيع والاستهلاك .

وهو أيضا هالة أخلاقية ، تمحو ممارسته النزعات التواكلية من معوقات لاستغلال القوى المبدعة الكامنة أو المعطلة ، وأخلاقية العمل تهدف فى مقاصدها الى أغراض غيرية قومية وانسانية ، وتخرج الفرد عن عزلته الاجتماعية وجنوحه الى السلبية وتهربه من تحمل المسئولية . واذا كنا نرنو الى تحقيق مجتمع اشتراكى تعاونى ، فانه يجدر أن يكون فى قمة سلم القيم الخلقية المتعلقة بشرف العمل ، تفضيل الجهد الجماعى والنشاط التعاونى عن طريق العمل المشترك من الناحية العملية التطبيقية ، فى كل المستويات التثقيفية والأعمال الانتاجية والمجهودات الفنية وكافة الانجازات الانشائية فى ناحيتيها المادية والمعنوية .

والواقع أن اشتراكيتنا العربية تعطى مجالا فسيحا للأخلاقيات والفكرية التعاونية لأداء وظائفها الايجابية ، باعتبارها أداة تعديلية وتصحيحية للقضاء على روح الفردية الأنانية ، وتصفية النزعات الانتهازية الاستغلالية ، والوصولية الطفيلية ونزوات الاحتكارية التحكمية .. على أساس أن التعاونية ركيزة أصيلة فى مورثاتنا الروحية ، كما أنها أخلاقية حضارية ترتكز على الحياد المذهبى الذى يهدف الى تحقيق مبدأ التكافل فى البناء الاجتماعى ، كما أن التنظيم التعاونى يمكن أن ينظر اليه على أنه لون من ألوان السياج الواقى من الصراع الطبقى ، على اعتبار أنه تنظيم قصد به ترجمة القيم والاخلاقيات السامية فى تجربة عملية تطبيقية تختفى فى كنفها الاستغلالية والوسيطية دون تضحية بالحرية الفردية اذا مارست نشاطها فى اعتدال وتوسيطية سوية ..

وتتطلب اشتراكيتنا العربية أخلاقيات مهنية تلائم طبيعة تطور نظرتنا الى الفنون الآلية والفنون التطبيقية كضرورة لازمة لاستمرار انتفاضتنا التصنيعية وفى مقدمة هذه الاخلاقيات ارتكاز المعاملات بين كافة المستويات على العلاقات الانسانية والهندسة الاجتماعية والروح الديمقراطية والفهم المتبادل للمسئولية من ناحية الكفاية الانتاجية ، والطمأنينة الاجتماعية والسكينة النفسية والمبادأة الابتداعية ، وادراك أهمية المشاركة الجماعية والثقة بالقيادات الشعبية الرشيدة ، والتقييم والترشد العلمى للعملية الانتاجية ، وتقدير أهمية عامل الزمن واختزال مسببات السأم والألم والتمركز حول المشخصات الذاتية لما يمكن أن نسميه بالآداب المهنية الاشتراكية ..

وغنى عن البيان أن استقرار هذه القيم والاخلاقيات فى نفوس مواطنينا واتخاذها مقاييس معيارية فى معاملاتنا وتصرفاتنا ، كفيل بأن يجتث ما ورثناه من مظاهر الوهن فى علاقاتنا الاجتماعية ، وأن يخلص مجتمعنا من رواسب الاخلاقيات الطبقية الاقطاعية التى غرست ونمت النزعات اللا انتمائية والسلبية والتواكلية وغزت نوازع التهويل والمبالغة والبعد عن الموضوعية والنظرة التحليلية العلمية .

ولسنا فى حاجة الى تأكيد أهمية وسائل الترشيد فى غرس وتعهد منميات هذه الأخلاقيات لتحقق كمال أهدافها وغاياتها .

العالم الإسلامي

الأستاذ أنور الجندي

يقاوم الاستعمار

هاجم الغرب العالم الاسلامى وألح عليه بالفتح والاستعمار وبسط النفوذ باسم التجارة مرة وباسم المعاهدات مرات ، فى معركة طويلة الأمد ، بدأت فى شواطىء الهند وخليج العرب وسواحل الاسكندرية والجزائر ثم امتدت حتى استقرت فى أواخر الحرب العالمية الأولى على تقسيم كامل للعالم الاسلامى بين قوى الاستعمار .

ولكن هل استسلم العالم الاسلامى لمعركة الغزو والتوسع الغربى ؟

الواقع ان العالم الاسلامى لم يستسلم مطلقا ، ولم يذعن ، بل واجه المعركة بقوة ، ورد على التحدى بالمقاومة ، لم تكن المعركة متكافئة ، كان الغرب فيها يحارب بالأسلحة الحديثة والعلم والحملات التبشيرية وأساليب المكر ومخطط كامل مدروس من الوعود والأكاذيب والاغراء بالمال والمرأة ، بينما كان الجانب المعتدى عليه لايملك غير الأجساد المتراصة ، يقدمها فداء لوطنه ، والدماء الزكية يسكبها مضحيا بها على مذبح الحرية .

وكان الغرب قد استيقظ ونهض من غفوة القرون الوسطى ، مسلحا بالعلم الذى حفظه العرب وزادوا فيه فى مختلف مجالات الكيمياء والطب والفلك وريادة البحار ، بينما كان العالم الاسلامى قد غرق فى ظلمات الجمود والتأخر وانفصل عن العالم ، وضعفت قوته العسكرية ، وتسلط عليه الملوك والأمراء ، وتحول العلماء الى خدام للحكام الظالمين .

ومع ذلك فان « ناقوس اليقظه » فى العالم الاسلامى لم يدقه الغرب كما ردد كتاب الغرب حين ادعوا أن هذه اليقظة انما جاءت على أثر الحملة الفرنسية على مصر .

ذلك أن أول صيحة لليقظة والحرية انما كانت هى دعوة (محمد بن عبد الوهاب) الى تجديد الاسلام والعودة الى بساطته الأولى حوالى عام ١٧٤٠ وبذلك سبقت حملة نابليون بأكثر من ستين عاما .

أما الحملة الفرنسية (١٧٩٨) فقد نبهت العالم الاسلامى الى مدى الخطر الذى بدأ يتعرض له ، والذى توالى فيما بعد فى صور مختلفة من الاحتلال للأجزاء الحساسة فى البحرين الأبيض والأحمر وخليج العرب .

هنا هبت المقاومة تواجه النفوذ الغربى قوية جارفة ، وكانت راية الجهاد تحمل طابع الاسلام من أجل حماية الأوطان . ويمكن أن توصف هذه الفترة حتى أواخر الحرب العالمية الأولى بأنها « الجهاد الوطنى ذو الطابع الدينى » فان كل الحركات التى قامت كان قادتها من رجال الدين المؤمنين بحق وطنهم فى الجهاد ، لمهمة الحاكم ، وحق الشعب : أمثال عمر مكرم فى مصر ، ومن هذه الدعوات السنوسية فى ليبيا والمهدية فى السودان ، وحركة الشيخ شامل فى القوقاز . فقد امتزج فى هذه الحركات الطابع الدينى بالكفاح الوطنى وكان الباعث الاسلامى بعيد المدى فى انجاح هذه الحركات ودفعها بقوة ، وفى بطولة الأبطال واندفاع المئات الى الاستشهاد فنجحت

حركة المقاومة نجاحا هز المستعمرين ، واستطاعت هذه القوى المجردة من الأسلحة الحديثة أن تقاوم فى عنف وصرامة ، وأن تنال من القوات المحاربة المغيرة .

وفى هذه الفترة تبدو عشرات من صور المقاومة الرائعة :

ففى مصر صعد عمر مكرم الى القلعة ، عندما علم بقدوم الفرنسيين الى سواحل الاسكندرية ـ حيث أنزل ماسمته العامة « البيرق النبوى » وسار به حتى بلغ بولاق شاقا قلب القاهرة وقد تجمع حوله الألوف من الشباب حيث بدأت معركة لم تتوقف ثلاث سنوات كاملة ومضى يستنفر الناس فى قوة لمقاومة القوة الغازية ، فاندفع الناس تاركين أعمالهم وبيوتهم ، وقد عمدوا الى اقامة المتاريس ونصب المدافع ، وحفر الخنادق ، وتحصين المدينة . وكان مكرم فى خلال المعركة ينتقل بين أبواب الحارات ومراكز التكتلات يشجع المحاصرين ويرفع من روحهم المعنوية .

ولم يذعن الشعب يوما فى خلال هذه السنوات الثلاث . أقام لهم نابليون المهرجانات فقاطعوها ، وضع على أكتاف العلماء الأوشحة فرفضوها وألقوا بها الى الأرض ، ومضوا فى الثورة والمقاومة .

وفى الاسكندرية كان « محمد كريم » يقاوم ويغذى القوى المختلفة للتدرب على السلاح ويسبق الحملة الفرنسية الى كل قرية يحرض أهلها على المقاومة ويمنعهم من تموين الجيش الفرنسى بالماء أو الدواب أو الانفار .. وكان محمد كريم قد رفض أن يسلم المدينة دون دفاع ، واراد نابليون ان يكسبه الى صفه فأعاد له سيفه ، ولكنه لم ينجح فى اغرائه ، وواصل العمل يثير الأهلين فى شمال الدلتا ونظم من عربان البحيرة فرقا للمقاومة والاغارة على الجيش الفرنسى اثناء تحركاته .

وصمد الشعب صمودا عجيبا فى ثورات القاهرة الثلاث . وقدم ضحاياه بالالوف .. الالوف الذين فتكت بهم القنابل الفرنسية . ومضى يقاوم فى ثبات . ولم يستسلم : كانت صرخة عمر مكرم تدوى فى أنحاء البلاد : ان السلاسل شر من الحراب . وفى احدى الثورات زحفت الجموع صوب مخازن الفرنسيين على ساحل النيل فى امبابة فاشتبكوا فى معركة خاطفة انتهت بانتصار الثوار واستيلائهم على المخازن . ومضى الاهالى الى غزو الفرنسيين فى قلاعهم .

وبدأت المعركة فى عنف . وتوالت القنابل على الثوار . وجرت الدماء وتهدمت المنازل . ولم يكف الشعب عن المقاومة . وقضت القاهرة يومين فى جحيم . وهاجم الثوار منزل المحافظ مصطفى أغا لأنه تواطأ مع الفرنسيين وقتلوه .

لقد صنع سكان القاهرة القنابل من حديد المساجد ، وفعلوا مالايمكن تصديقه وهم العزل من السلاح . وعندما أرسل كليبر يتفاهم مع العلماء لانهاء الثورة هاج الأهالى وسبوا العلماء وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرى ورموا عمائمهم ـ على حد تعبير الجبرتى .

وتوالت الثورات فى كل مكان : الشرقية والدقهلية وميت غمر . وكانت الثورة لاتخمد فى مكان الا لتندلع فى مكان آخر . ولم يلبث نابليون أن فر ، ولم يلبث كليبر أن قتل بيد سليمان الحلبى . وبدأت الثورة من جديد .

وفى بولاق ، اندلعت الثورة بقيادة الحاج مصطفى البشتيلى الذى هيج العامة فخرجوا يحملون السيوف والبنادق والرماح والعصى . واتجهوا صوب قلعة قنطرة الليمون لاقتحامها فردوا هجومهم بنيران المدافع ، وقتل ثلاثمائة من الثوار . وعمت الثورة أنحاء المدينة. واتجه الثوار نحو معسكر الفرنسيين بالازبكية ـ وكان عددهم عشرة آلاف ثائر ـ فردتهم المدافع على أعقابهم . ولكنهم لم يستسلموا فقد ذهبوا يحرضون جموعا أخرى حتى بلغوا خمسين الف ثائر ، وعاودوا الهجوم ، وعادت مدافع القلاع ضربها للمدينة بعنف . فحاول الناس الهرب من المدينة الى خارجها ، غير ان الثوار أغلقوا باب النصر .

وهناك على ضفاف بحيرة المنزلة كانت قصة أخرى من قصص المقاومة تكتب ! كان حسن

طوبار يتزعم أربعين رئيسا وخمسة آلاف من مراكب الصيد فى منطقة المنزلة ليناصب الفرنسيين العداء وليعد أسطولا من ماله الخاص يرابط به فى المطرية ويتأهب لمهاجمة دمياط وانتزاعها من أيدى الفرنسيين الذين احتلوها •

هذه هى صورة المقاومة فى هذه الفترة • **وهناك صورة أخرى فوق جبال الأطلسى أشد روعة ، امتدت خمسة عشر عاما • هى صورة شعب الجزائر وعلى رأسه المجاهد عبد القادر الجزائرى • مقاومة لا تهدأ ولا تتوقف • تقدم الصف بعد الصف • بدأت المقاومة بعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ، وامتدت • جمع عبد القادر الأمير ذو الخمسة والعشرين ربيعا القبائل حوله ، ومضى يقاتل ، يصنع الأسلحة ويصب المدافع والبارود • ويحاصر الجيوش الفرنسية ، وينال منها سنوات • ثم تتآمر فرنسا مع سلطان مراكش ليظاهرها ، ويظل عبد القادر والشعب الجزائرى فى المعركة مقاتلا • لايتوقف ولايتراجع خمس سنوات اخرى يضع الخطط وينفذها ، لا يبالى اغراء فرنسا للقبائل بالذهب • وينتصر فى عديد من المواقع بجيشه القليل العدد وأسلحته المصنوعة فى الجزائر • ويصطنع عبد القادر أساليب القتال فى فجر الاسلام فيذهل العدو ، وكان يخرج بنفسه ليقاتل قادة الجيوش ، وفى خلال هذه السنوات الخمس عشرة ، كانت الجزائر كلها تحارب فى عنف واصرار يدفعها ايمان عميق بان الوطن والعقيدة تجمعهما وحدة واحدة •**

وفى كل جزء من أجزاء العالم الاسلامى كانت المقاومة على هذه الصورة ، شباب يتقدم ليحمل السلاح ، ويجاهد ، وأبطال يتصدرون الحرب ويقدمون أرواحهم ودماءهم،

وفى ليبيا صورة أخرى ضخمة عاتية امتدت سنوات طويلة تقاوم الاحتلال الايطالى فى عنف كانت الدعوة السنوسية ، مصدرا أساسيا من مصادر الكفاح بصلابته وصموده منذ بدأ الاحتلال ١٩١١ حين ضرب الطليان بمدافعهم موانى برقة فاحتلوا طبرق • ثم نزلوا درنة ثم بنغازى • وعمل مجاهدو السنوسية فى مقاومة العدوان شبرا بشبر يلتحمون فى معارك كبيرة فينتصرون وهم قلة • **وعندما سلمت تركيا ليبيا الى ايطاليا فى ١٢ يوليو ١٩١٢ ازداد جهاد السنوسيين فى سبيل الدفاع عن الوطن • كان أحمد السنوسى وعمر المختار يعملون فى عناد واصرار ، وظل الكفاح متصلا حتى نشبت الحرب العالمية الأولى ، ثم تجدد من بعد واستمر •**

وفى العراق وفى سوريا وفى فلسطين وفى مراكش وفى مصر وفى السودان كانت الثورات تتوالى بعد الحرب العالمية الأولى ، تؤمن بالحق الأسمى فى الحرية ، وتطالب به ، لا تقبل المساومات ولا المعاهدات ولا الاستقلال المكتوب على الاوراق دون ان تجلو الجيوش •

ولم تقم فى العالم العربى وحده الثورات ولكن فى كل أجزاء العالم الاسلامى : **كانت روح السخط على النفوذ الاجنبى واضحة فى الهند وايران واندونيسيا وتركيا •**

وكانت هذه الثورات المختلفة فى الوطن الاسلامى دافعا قويا لأن يغير الغرب سياسته ويتنازل عن أطماعه فى القضاء على الكيان ، فان ذلك لم يكن ممكنا وبدا أنه صعب المنال • هنالك مال الاستعمار الى الخديعة فغير الألفاظ ، وألغى الاحتلال والحماية والانتداب وقال : الحكم الذاتى • وسمى صكوك الاحتلال : معاهدات صداقة • واختفت كلمة « الجلاء » وحلت محلها كلمة خداعة هى « الاستقلال » • وكان معنى هذا أن تقوم برلمانات ودساتير وأنظمة نيابية مقلدة فى ظل جيوش الاحتلال القائمة المسيطرة على الأوطان والتى تفرض كلمتها باسم « نصائح المندوب البريطانى او الفرنسى »

وفى خلال سنوات مابين الحربين لم يكف الشعب عن المقاومة : كانت فرنسا وانجلترا تتقاسمان العالم الاسلامى ما عدا هولندا فى اندونيسيا وايطاليا فى ليبيا واسبانيا فى جزء من مراكش • كانت عوامل القوة والتجمع من أجل الثورات تتجمع فى الخفاء ثم تهب فجأة

لتزلزل كالرعد والصواعق ، ثم يتقـــدم الاستعمار لسحقها فى عنف فتسيل الدمـاء الغالية ، وتذهب الارواح الطاهرة ٠

كان أخطر ماحدث فى هذه الفترة ظهـور استعمار جديد هو الصهيونية فى فلسطين ٠ لقد زحف هذا الاستعمار ليستولى على أعرق بقعة مقدسة فى العالم الاسلامى ، فى ظـل سلطان الاستعمار البريطانى الذى كان يحميه ويمهد له ليركز أقدامه ، كانت فلول اليهود ترد من انحاء العالم مهربة الى المنطقة متأهبة لاقامة الوطن القومى الذى وعد به بلفور اليهود ثمنا لخدمة أداها له (وايزمان) فى الحرب العالمية الأولى ، ولكن هل توقف العرب فى فلسطين عن النضال والكفاح والاستشهاد ٠ لقد توالت الثورات وأعمال المقاومة حتى أشرفت على صورة رائعة فى ثورة ١٩٣٦ التى استمرت ستة شهور كاملة ، هزت الصهيونية وأفقدتها الامل فى البقاء لولا الخيانة ، خيانة ملـوك العرب لثورة فلسطين ودعوتهم الى القــاء السلاح وفك الحصار وفض الأحزاب ٠

ولا شك فقد كانت الخيانة عاملا من عوامل الهزيمة فى معارك المقاومة : هـزم عرابى ١٨٨٢ بالخيانة ٠ وهزم عبد القادر الجزائرى بالخيـانة ٠ وهـزم عبد الكريم الخطابى بالخيانة ٠ وهزم عمر المختار بالخيانة ٠ وهزم يوسف العظمة بالخيانة ٠ وهزم ثوار فلسطين بالخيانة ٠٠ ولولا الخيانة لما استطاع الاستعمار ان يوطد نفوذه وان يقر ٠

وقدم العالم الاسلامى شهداءه ، بالملايين ٠ وكانت هناك صور غاية فى القسوة ٠ وصورة الاستعمار الابطالى وماصنعه باهالى برقـة وطرابلس لا يمكن أن توصف لبشاعتها ، كانوا يلقون بالأطفال والشـيوخ من الطائرات ٠ وكانوا يبقرون بطون الحبالى ٠ وفرنسا فعلت أشد من ذلك فى الجزائر فى معركة سطيف عام ١٩٤٥ حيث قتلت ٤٥ ألفا وسجنت ٦٠ ألفا وأحرقت ٤٥ قرية ودكتها بالطائرات ٠ ومذبحة الدار البيضاء فى مراكش عام ١٩٤٧ قتل فيها ٦٠٠ مراكشى ٠ أما حرب التحرير الجزائرية فقد قدمت مليونا من الشهداء ٠

ولكن هل كانت المعركة فى ميدان القتال وحده ، أم كانت هناك معركة أخـرى فى ميدان الفكر والثقافة ٠

ذلك موضوع بحثنا القادم

صبح الأعشى للقلقشندى

الأستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى

أعظم الموسوعات العربية الإسلامية فى الآداب والمعارف والتاريخ والنظم الإدارية الحكومية والسياسية والقضائية والمالية فى الإسلام

لقد كانت هذه الموسوعة العظيمة من الموسوعات العلمية والادبية والتاريخية التى عرفت : « بمشروع احياء الآداب العربية » ذلك المشروع الجليل الذى تبناه المغفور له « أحمد حشمت باشا » وزير المعارف فى ذلك العهد برغبته السامية ، ورضاه الكريم .. حبا فى نشر المعارف والوعى الثقافى ، واحياء التراث العربى ، وعهد الى العالم البحاثة المحقق أستاذى المرحوم « أحمد زكى باشا » أن يتولى شئونه ، ويحقق الهدف المنشود بتنفيذه بطبع الكتب المختارة ، المأخوذة بالتصوير الشمسى التى أحضرها المرحوم زكى باشا من مكتبات الآستانة بالمطبعة الاميرية ببولاق . واعتمد لهذا المشروع مبلغ ألف جنيه سنويا .

فقامت هذه المطبعة بطبع الكتب الآتية ـ وكان المرحوم زكى باشا يتولى تحقيقها وتصحيحها والتعليق عليها بنفسه ـ :

١ ـ الجزء الاول من موسوعة ابن فضل الله العمرى « مسالك الابصار فى ملوك الامصار »

٢ ـ الجزء الاول من موسوعة النويرى : « نهاية الارب فى فنون الادب » .

٣ ـ الاصنام ـ لابن الكلبى .

٤ ـ أنساب الخيل فى الجاهلية والاسلام وأخبارها لابن الكلبى .

٥ ـ التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ

وكنا ملازمين للمرحوم زكى باشا نسهر معه كل ليلة الى الساعة الثانية صباحا ، يكلفنا بمراجعة الكتب المخطوطة أو المطبوعة لتحقيق وتصحيح تجارب الكتب المذكورة .

وكانت تجارب الملزمة تصل الى الخامسة والعشرين ولم يعهد مثل هذا فى كتاب آخر . ولكن المرحوم زكى باشا بلغت به الدقة فى التحقيق والعناية التامة فى التحرى اعادة التجربة مرة ومرات لاستدراك كلمة أو زيادة هامشة الى أن ضج واستاء رئيس قسم المصففين فى ذلك العهد السيد محمد الخشاب ـ رحمه الله ـ اذا فارق الدنيا ، ومتعه بحياة سعيدة اذا كان لا يزال على قيد الحياة مثلى ، من تكرار طبع التجارب .

وكان المرحوم زكى باشا يستعين كثيرا فى الناحية اللغوية والنحوية والادبية بالعالمين الجليلين المرحومين « حفنى ناصف » و « الشيخ أحمد الاسكندرى » .

وكان ـ رحمه الله ـ كلما تعذر عليه تحقيق كلمة فى كتاب الاصنام ، أو أنساب الخيل لابن الكلبى يطلق عليه : « ابن الكلب » .

ولما انتهى من تحقيق وتصحيح كتاب « أنساب الخيل » وكتابة التعليقات المفيدة عليه ، والتى لا يضارعه فيها محقق بلا منازع ، كلفنا بقراءة كتاب « تاج العروس فى شرح القاموس » للعلامة الزبيدى ، ويقع فى عشرة مجلدات كبيرة ، كل مجلد يحتوى على اكثر من خمسمائة صفحة ، لتجريد أسماء الخيل التى وردت فى ثنايا سطوره ، فقرأنا جميع هذه المجلدات بصفحاتها وسطورها حرفيا ، واستخرجنا منها جميع أسماء الخيل الواردة فيها فى جزازات ، ثم رتبناها على الحروف الهجائية .

وبعد أن راجعها حذف منها الاسم المكرر الذى ذكره ابن الكلبى فى كتابه ، وجعل من الاسماء الباقية ملحقا له .. وصفت حروفه بالمطبعة الاميرية ، وراجع تجاربه عدة مرات ، وكانت مهيئة للطبع .

ولكن مع الاسف الشديد لا ندرى السبب فى عدم ظهورها مع الكتاب المذكور ، والى الآن لا نعلم السر فى اختفائها .

مميزات موسوعة القلقشندى

ان هذه الموسوعة الجليلة تعد بحق من التراث العربى المصرى الصميم ، لانها دائرة معارف عربية أدبيــة كبرى تشهد لمؤلفها بغزارة المادة ، وسعة الاطلاع ، لانها تشتمل على تاريخ ، وسير ، ولغة ، وأدب ، وفقــه ، وتفسير ، وحديث ، وجغرافيا ، وغير ذلك من سائر كنوز العلوم ، والفنون ، والآداب ، والمعارف .

كما تشتمل على الكثير من أسماء المراجع النادرة المثال ، القليلة الوجود التى اعتمد عليهــا المؤلف فى النقل ، وضاعت مع ما ضاع من كتب التراث العربى لمشاهير المؤلفين ، والعلماء ، والادباء ، والكتاب .

ومن حسن الحظ أن بعض هذه المخطوطات المكتوبة بخطوط مؤلفيها ، والتى نقل منهـا القلقشندى فى موسوعته لا يزال محفوظا بدار الكتب المصرية .

وقد راجعناها أثناء تحقيقنا وتصحيحنا لهـا عندما كلفتنا الدار بذلك وسنذكر هذا فيما بعد .

حالة مصر الادارية والسياسية فى عهد مؤلفها :

ومن مميزات هذه الموسوعة أن مؤلفها سبق الغربيين بما دونه فيها من النظم الادارية الحكومية والسياسية والقضائية والمالية ، وبرهن على ان مصر فى عهـد سلاطين المماليك كان نظامها الادارى والسياسى والقضائى والمالى بخلاف ما يتوهم جلهم ان لم نقل كلهم فى غاية الاتقان والاحكام .

والى القارىء الكريم أمثلة من ذلك :

أولا ـ النظم السياسية :

« ا » الخلافة :

« ا » نشأة الخلافة ، حكومة الرســول ، معنى الخلافة ، المقصود من كلمة خليفة ، ألقاب الخليفـة ، القرآن ونظام الحكم ، صفات الخليفة ، الآراء التى ظهرت حول اختيار الخليفة ، البيعة ، الخلافة عنـد الفقهاء والفلاسفة والاخلاقيين .

« ب » الخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين ، بيعـة السقيفة ، بيعة عمر ، قصة الشورى أو بيعة عثمـان ، بيعة على .

« ج » الخلافة الاموية ، الخلفاء الامويون ، مميزات الخلافة الاموية . ولاية يزيد .

« د » الخلافة فى العصر العباسى الاول ، الخلفـاء العباسيون ، مميزات الخلافة ، ولاية العهد .

« هـ » الخلافة فى العصر العباسى الثانى :

أولا ـ الخلافة العباسية منــذ وفاة الواثق الى ان استولى بنو بويه على بغداد .

ثانيا ـ

«١» الخلافة العباسية فى عهد بنى بويه .

«٢» سلاطين بنى بويه فى العراق .

ثالثا ـ

«١» الخلافة العباسية فى عهد سلاطين السلاجقة

«٢» سلاطين السلاجقة فى العراق .

«٣» احتفاظ الخلفاء بسلطتهم الدينية .

رابعا ـ

«١» أواخر عهد الخلافة العباسية .

«٢» حالة العالم الاسلامى .

«٣» دولة خوارزم .

« و » الخلافة الفاطمية .

«١» الخلفاء الفاطميون

«٢» خلفاؤهم بمصر

« ز » احياء الخلافة العباسية بمصر فى عهـد دولتى المماليك ..

« ح » العثمانيون والخلافة

«٢» ـ الوزارة :

« ا » الوزارة فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعهد الخلفاء الراشدين والامويين

«ب» الوزارة فى العهد العباسى الاول .

نوعا الوزارة : وزارة التفويض ، ووزارة التنفيذ

« ج » الوزارة فى العصر العباسى الثانى . ما يتعلق بالوزراء

« د » الوزارة فى مصر :

«١» الوزارة فى عهد الفاطميين .

«٢» الوزارة فى عهد المماليك .

«٣» راتب الوزير .

٣ ـ الكتابة :

«١» الكتابة فى عهد الخلفاء الراشدين .

«٢» الكتابة فى عهد الامويين والعباسيين .

«٣» الكتابة فى عهد الطولونيين .

«٤» الكتابة فى عهد الفاطميين .

«٥» الكتابة فى عهد المماليك .

٤ ـ الحجابة :

«١» الحجابة فى عهد الخلفاء الراشدين والامويين .

«٢» الحجابة فى عهد العباسيين

«٣» الحجابة فى عهد الدولة الأموية بالاندلس .

«٤» الحجابة فى مصر .

ثانيا ـ النظم الادارية :

«١» الامارة على البلدان :

« ا » نظام الحكم عند العرب قبل الاسلام .

«ب» نظام الحكم فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

«ج» الامارة على البلدان فى عهد الخلفـــاء الراشدين .

«د» علاقة المسجد بادارة شئون الدولة .

«هـ» نظرية الامارة على البلدان .

«و» الامارة على البلدان فى عهد الامويين .

«ز» الامارة على البلدان فى عهد العباسيين .

«ح» ـ نظام الحكم فى مصر :

«١» من الفتح العربى الى الفتح الفاطمى .

«٢» فى عهد الفاطميين .

«٣» فى عهد المماليك .

٢ ـ الدواوين :

« ا » الدواوين فى عهد الخلفاء الراشدين .

«ب» الدواوين فى عهد بنى أمية .

«ج» ديوان الخاتم .

«د» ديوان الطراز .

«هـ» اصلاح السكة .

«و» الدواوين فى العهد العباسى .

٣ ـ الجيش :

الجهاد وأغراضه :

«ا» الجيش فى عهد الرسول وعهود الخلفـــاء الراشدين والامويين .

«ب» الجيش فى عهد العباسيين .

«ج» العصبية فى الجيش العباسى .

«د» أسلحة الجيش .

«هـ» امرة الجيش .

«و» الجيش فى مصر : فى عهــد الطولونيين والاخشيديين .

«ز» الجيش فى عهد الفاطميين .

«ح» الجيش فى عهد الامويين والمماليك .

«ط» الجيش فى عهد العثمانيين .

٤ ـ البحرية :

«١» البحرية فى الاسلام .

«ب» أمرة الاسطول.
«ج» البحرية فى مصر.
٥ – البريد :
«ا» البريد فى عهد الامويين والعباسيين .
«ب» البريد فى مصر .
٦ – الشرطة :
«ا» الشرطة فى عهد الخلفاء الراشدين .
«ب» الشرطة فى عهد الامويين .
«ج» الشرطة فى عهد العباسيين .
ثالثا – النظم المالية :
« ١ » موارد بيت المال ومصارفه :
«ا» الخراج ، نوعا الخراج ، جباية الخراج ، نظام المقاسمة ، نظام الالتزام .
«ب» الجزية
«ج» الزكاة – مصرف الزكاة .
«د» الفيء .
«هـ» الغنيمة – قسم الغنيمة – العشور .
«و» الضرائب فى عهد الامويين والعباسيين .
«ز» مصارف بيت المال .
رابعا – النظم القضائية :
« ١ » القضاء :
«ا» القضاء فى الجاهلية .
«ب» القضاء فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – .
«ج» القضاء فى عهد الخلفاء الراشدين .
«د» القضاء فى عهد بنى أمية .
«هـ» القضاء فى عهد العصر العباسى الاول .
«و» « عصر أئمة المذاهب » .
«ز» مرتبات القضاء .
«ح» المظالم .
«ط» الحسبة .

سياسة مصر الخارجية وعلاقتها بالامم الاسلامية :

وانك لترى المؤلف اذا تحدث فى هذه الموسوعة عن موضوع ما فى مختلف الدول تراه يحدثك عما يرتبط بذلك على وجه عام ، **ويختص مصر دائما بالنصيب الارجح ، والسهم الاوفر من الشرح والايفاء .**

الوثائق والمراسلات السياسية :

ولقد عرض لنماذج ممتعة من الوثائق والمراسلات السياسية التى كانت بين ملوك مصر وسائر الدول فى مختلف العصور الاسلامية .

وتحدث من أنواع المراسيم والكتب والتعيينات والبيعات والعهود ، وما يصدر من ذلك عن الخلفاء . **وما كتبه يعد من أحسن وانفس الوثائق فى تاريخ مصر النظامى والادارى . وبه تعرف سياسة مصر الخارجية وعلاقتها بالامم الاسلامية وغيرها فى تلك العصور .**

وتلك ذخيرة ثمينة لا يكاد يعثر عليها باحث منقب فى مصنف غيرها .

اشتمالها على شتى الموضوعات الهامة :

فكثيرا ما يحدثنا فى موسوعته هذه عن شتى الموضوعات الهامة التى يجب أن يستوعبها الكاتب ويدرسها دراسة شافية حتى تقع كتابته منها فى غاية الحسن ونهاية الكمال .

وتراه أبدا ينبه الى ذلك ولا يكتفى به ، بل يضيف اليه أنموذجات شائقة توضح ما يشير اليه حتى تجرى كتابته فى ذلك على أتم المراد ، وخاصة فى المواد الانشائية والادبية ، ففى موسوعته هذه من ذلك النصيب الاكبر .

خصائصها :

ولقد امتازت هذه الموسوعة العظيمة بخصائص لا توجد فى مثيلاتها من الموسوعات العربية الاخرى كموسوعة ابن فضل الله العمرى : « **مسالك الابصار فى ملوك الامصار** » وموسوعة النويرى : « **نهاية الارب فى فنون الادب** » وغيرهما من الموسوعات العربية الاسلامية وهى التى سنتحدث عنها فى بحوث مستفيضة مدعمة بالمراجع المخطوطة التى اعتمدنا عليها بتوفيق الله .

فتراه يحدثنا عن الالقاب ، والرتب ، والوظائف ، والامم ، والقبائل ، والبلاد ، والاماكن ، والانهار ، وأسماء الحيوان ، والنبات ، والاشجار ، والمعادن ، والاحجار ، والافلاك ، والكواكب ، والازمنة ، والمكاتبات من عصورها الاولى فى الاسلام الى عصره ، بما يدخل فى موضوع القانون الدولى العام أو الخاص : كالعهود والمراسلات الدولية ، والوثائق ، والبيعات ، والولايات ، والاقطاعات ، والمراسيم ، والعقود ، والاحكام ، والتقاليد المتبعة فيما بين مصر والدول الاخرى بوجه خاص ، وكل حكومة وأخرى بوجه عام .

والعادات والمراسيم الاجتماعية والعمرانية والسياسية والمحلية : كالاعياد والمواسم والاحتفالات الرسمية وما يجرى فيها وجميع التقاليد الاجتماعية .

والملل والنحل الاسلامية ، والكلمات والاقلام ، ومصطلحات الكتاب المستعملة فى الدواوين ، والالفاظ المستعملة فى مقادير قطع الورق ، وأنواع الخط وآلاته ونماذج من ذلك ، والدواة وأدواتها . وأسماء الثياب والاسلحة والحلى والآلات الملوكية الخاصة بالاحتفالات الرسمية ، والالفاظ الاصطلاحية أو الفارسية أو الدخيلة ، والاموال الديوانية . وأنواع المواصلات ، ومراكز البريد ، والجيوش والاساطيل وأنواع آلاتهما . والنقود والمقاييس والمكاييل والموازين ، والصناعات والزراعات وأسماء الاراضى والسنين وحوادثها الهامة . وغير ذلك من الموضوعات والمعلومات التى لم يكن يستغنى عنها الكاتب فى عصر مؤلفها .

رواجها فى عصر مؤلفها :

وقد نالت هذه الموسوعة الجليلة فى عصر مؤلفها من الرواج والاقبال والاقتناء ما هو خليق بها .

وقد وصف لنا المؤلف هذا بنفسه فقال :

« وأحمد الله على رواج سوق تاليفى ، ونفاق سلعته ، والمسارعة الى استكتابه قبل انقضاء تاليفه ، حتى ان قلمى التاليف والنسخ كانا يتسابقان فى ميدان الطرس الى الكتابة ، ومرتقب نجازه للاستنساخ يساهمهما فى ارتقابه « فضلا من الله ونعمة » . « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »

اعتماد مؤلفها على مراجع لا وجود لها الآن :

وقد اعتمد مؤلفها على مصادر عديدة ، ومراجع كثيرة ، ومخطوطات نادرة عينها بأسمائها أو بأسماء مؤلفيها ولا وجود لها الآن لاندثارها ، **ولم يعثر عليها – بعد البحث والتنقيب – فى أية مكتبة من المكتبات ، سواء كان فى الشرق أو الغرب .**

وقد كانت موجودة فى خزائن الكتب بمصر فى عصره ، فاختار اللآلىء الثمينة من كنوزها ، وقيد منها الفوائد والفرائد ، وضبط الاوابد والشوارد التى ذكرها فيها ، فحفظ لنا مما دونه ثروة علمية أدبية عظيمة تعتبر كنزا مملوءا بالنفائس والذخائر والدرر ، ومعينا لا ينضب للباحثين والعلماء والادباء والكتاب .

النسخ الموجودة منها :

ويوجد من هذه الموسوعة نسختان ، احداهما نسخة « **الخزانة الزكية** » وهى منقولة بالتصوير الشمسى من

نسخة خطية محفوظة باحدى مكتبات الآستانة ، ومكتوبة فى حياة المؤلف سنة ٨١٧ هـ . وفى نهايتها ما يفيد أنها نسخة المؤلف ، وقد راجعها بنفسه . ومحفوظة الآن ضمن كتب « الخزانة الزكية » بالقلعة تحت رقم ١

والثانية مكتوبة سنة ٨٨٩ هـ بعد وفاته بثمانية وستين عاما ومحفوظ منها الاول والسابع بمكتبة اكسفورد ، وقد طبعا طبع حجر بالزنكوغراف بالمطبعة الكلية بها ، وهما محفوظتان بدار الكتب المصرية برقم ١٥١٩ أدب طبعها مشوهة مملوءة بالاخطاء والبياض المتروك .

وقد طبعت هذه الموسوعة العربية الاسلامية المعظمة النفع ، الكبيرة الفائدة منذ أربعين عاما فى أربعة عشر جزءا ، ونفدت معظم أجزائها .

ونظرا لرغبة الكثيرين من العلماء والباحثين والادباء فى اقتنائها ، واطراد الزيادة فى طلاب العلم ومحبى البحث وعشاق الادب والتاريخ والمعرفة ، وخدمة لنشر الثقافة العربية الاسلامية ، لا سيما وأن مؤلفها عربى مصرى صميم سبق العلماء الغربيين ـ كما أسلفنا ـ فيما كتبوه فى مؤلفاتهم فى الموضوعات التى ذكرناها ، رأت دار الكتب المصرية اعادة طبع جميع أجزائها مشفوعة بفهارس وافية لكل جزء على الطراز الحديث ، خصوصا وأن الطبعة الاولى منها وقعت فى جميع أجزائها أخطاء جوهرية تعد بالمئات ـ سنذكر أمثلة منها فى ختام هذا البحث ـ وقد تناول الخطأ الضبط والترقيم ، وكذا النصوص التى نقلها المؤلف . اذ يقول مثلا : عدد ملوك هذه الدولة كذا باسمائهم . وترى المعدود أقل مما ذكر .

وفوق هذا فبعض التعليقات الواردة فى الهوامش تدل على عدم تحرى المصحح ، وتوخيه فى البحث والتحقيق ، وقلة وقته وعنايته فيما ينقل ويكتب ، كشرحه لاسم بلد من بلدان مصر لبلد متشابه بالشام ، كما ورد فى ثنايا سطور صفحات بعض الاجزاء فى عدة مواضع بياض وكتب بهامش الصفحة هذه العبارة : « بياض بالاصل » .

كما فصل بين اسم « ابن عبد كان » رئيس (بضم السين المهملة) صاحب ديوان الانشاء فى الدولة الطولونية بنقطتين هكذا « : » ووضع فوق السين فتحة وجعل الاسم هكذا : « ابن عبد : كان رئيس » .

وهذا جهل فاحش يرجع الى عدم التحرى وقلة المعرفة بأسماء رجالات أعلام مصر ، الذين تولوا أكبر مراكز الدولة فى العصور السالفة ، وجهل المصحح للمراجع المخطوطة التى تكمل هذا البياض .

ولما كانت هذه الموسوعة النفيسة تعد من أكبر وأوسع المراجع العظيمة للعلماء الباحثين والادباء والمؤرخين والكتاب والمحبين للاطلاع ، كثر الاقبال على اقتنائها ، خصوصا فى هذه الايام ، فى عهد حكومة الثورة المباركة التى تناولت كل النواحى التقدمية فى شتى أنواع العلوم والزراعات والصناعات والحياة الفكرية والادبية .

ونظرا لخدمتنا وخبرتنا الطويلة بدار الكتب فى تحقيق وتصحيح مطبوعاتها ، وقيامنا بعمل فهارسها الوافية على الوجه الاكمل ، ومراجعة مئات الكتب المخطوطة والمطبوعة سواء فى مصر أو أوربا لمثل هذا العمل الشاق الذى لا يقوم بالاضطلاع به الا ذوو الخبرة التامة من رجالات البحث والتحقيق ، وقليل ما هم ، رأت دار الكتب تكليفنا فى جواب رسمى بتحقيق وتصحيح جميع أجزائها فى غير أوقاتنا الرسمية بالدار نظير مكافأة حسب القاعدة المتبعة لمثل هذا العمل .

فقمنا بتحقيق وتصحيح الجزءين الاول والثانى وعمل الفهارس الوافية لكل جزء كما ورد فى جواب التكليف ، وقدمناهما للدار فى سنتى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ وصدر الامر لمطبعة الدار بطبعهما مشفوعا كل جزء بفهارسه .

وقد صرفت لنا الدار مبلغا مقدما من حساب كل جزء وفهارسه كما هو مدون فى سجل مصروفاتها عن السنتين المذكورتين .

ومع الاسف الشديد ، والحزن العميق ، أن هذين الجزءين وفهارسهما لم يطبعا حتى الآن بعامل الحقد والضغن والحسد الذى يقتل قلوب الحاقدين .

وعند مطالبتنا بحقنا عن هذا العمل وشكوانا الى النيابة الادارية بوزارة الثقافة والارشاد أفتى السيد القانونى رئيسها باستحقاقنا للمبلغ المطلوب عن التحقيق والفهارس ، وأبلغ الدار رسميا بهذا الرأى .

ولكن مع الاسف الشديد ، والحزن العميق أيضا ، وتعسف الدار بمن خدمها سنين طويلة لم تصرف لنا المبلغ الباقى من تحقيق الجزءين والمبلغ الباقى قدره اثنان وثمانون جنيها لم تصرفه ، بحجة أن الفهارس لا تعمل الا بعد الطبع ، مع العلم بأن السيد رئيس النيابة ومستشار الرأى فى وزارة الثقافة والارشاد أفتيا باستحقاقنا للمبلغ المستحق عن الفهارس ـ سواء عملت هذه الفهارس قبل الطبع أو بعده ـ اذ لا يحتاج الامر الا تغيير أرقام صفحات الطبعة القديمة بأرقام صفحات الطبعة الجديدة .

ومع هذا استمرت الدار فى تعسفها بنا وحرمتنا من صرف هذا المبلغ عن عمل شاق سهرنا فيه الليالى الطوال ، والبحث العلمى المتواصل ، ومراجعة مئات المخطوطات المكتوبة فى عصور مختلفة ، ومنها الخطوط الرديئة التى لا تقرأ الا بعد العناء الشديد ، وامعان التفكير فى عباراتها :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

ولا حول ولا قوة الا بالله . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وانى القارىء الكريم صورة نص خطاب التكليف الرسمى ، مأخوذة بالتصوير الشمسى :

دار الكتب المصرية
مكتب المدير العام

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى

تحية وبعد ..

نظرا لسابق عملكم فى كتاب صبح الاعشى وقيامكم بعمل فهارس وافية له تسهل للباحث ما ينشده فى هذا الكتاب النفيس ، ونظرا لاعادة طبع جميع أجزاء هذا الكتاب ابتداء من الجزء الاول على طراز حديث ، ولما عرفتم بهمن الاخلاص فى التحقيق والبحث قد عهدنا اليكم مراجعة جميع أجزاء هذا الكتاب وتحقيقها ، مع عمل فهارس شاملة لكل جزء والقيام بهذا العمل فى غير أوقات عملكم الرسمى نظير مكافأة حسب القواعد المقررة لكل هذه الاعمال .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

١٩٥٥/٧/١٩

المدير العام
« امضاء »

حاشية : لاحظنا ان فى هذا الكتاب أخطاء عدة ، فالمرجو بذل كل ما يمكن بذله من جهد فى التحقيق ، ذلك الجهد الذى أنا واثق أنكم لاتألون جهدا فى الاضطلاع به .

المدير العام

قيام المؤسسة المصرية العامة للتاليف بطبعها مشوهة :

وقد علمنا مع الاسف الشديد ، والالم العميق ، بنبأ الكارثة الكبيرة التى أصابت هذه الموسوعة العربية الاسلامية ، وهو أن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر تقوم الآن بطبع جميع أجزاء هذه الموسوعة النفيسة بطريقة الزنكوغراف على الطبعة القديمة بما فيها من أخطاء جوهرية شنيعة فى أسماء الاعلام والبلدان والقبائل ، وكذا فى الضبط والترقيم ، والنقص فى النصوص التى نقلها المؤلف ، والبياض المتروك فى عدة مواضع من اجزائها .

وهذا العمل يعد أكبر جناية واعظم كارثة على الادب العربى لاظهارها كاملة فى ٢٣ يولية ، وهو عيد الثورة السعيد الحادى عشر ، ونعتقد بأن الذين أمروا بطبعها على هذه الطريقة يجهلون ما فيها من هذه الاخطاء الشنيعة ، وتلك التحريفات الشائنة ، وذاك النقص الجسيم . ولذا نهيب بالسيد المحترم الاستاذ الدكتور حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى الغيور على نشر الآداب والمعرفة منقحة صحيحة لا يعتريها التحريف أو التصحيف ، ولا يشوبها الخطأ أو النقص ، كما هى العادة فى نشر مطبوعاتها اصدار أمره بوقف الطبع فورا فى اجزاء هذه الموسوعة حتى لا تكون عرضة للنقد الشديد فى العالم العربى .

والى السيد المحترم الاستاذ الوزير ومن امروا بطبع هذه الموسوعة العظيمة بتلك الطريقة العقيمة أمثلة من هذه الاخطاء الشنيعة التى وقعت فى جميع اجزائها ، وهى التى وفقنا الله تعالى الى تحقيقها وتصحيحها من المخطوطات النادرة المكتوبة قبل عصر المؤلف والتى راجعها بنفسه وكتب عليها بخطه : « استفدت منه » ولم يطلع عليها أحد من العلماء الباحثين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

واننا محتفظون بالمئات من هذه الاخطاء التى استدركناها أثناء تحقيقنا لاجزائها تنفيذا للتأشيرة التى علق بها العالم البحاثة الجليل الاستاذ محمد مرسى قنديل مدير دار الكتب السابق فى خطاب التكليف الرسمى .

« أمثلة من الاخطاء الواقعة فى جميع الاجزاء »

« اخطاء الجزء الاول وصوابها »

ص	س	خطا	صواب
٧	١٣	الدستور (بضم الدال)	الدستور (بفتح الدال)
٣١	١٤	بالفتاوى (بكسر الواو)	بالفتاوى (بفتح الواو)
٣٢	١٤	الرسائل	الرسائلى
٩٣	١٩	ترجمها	نظمها
٩٥	١٩	ابن عبد : كان رئيس (بفتح السين المهملة)	ابن عبد كان ، رئيس (بضم السين المهملة)
١١٨	١٤	بمدينة بلبيس	وبمدينة بلبيس
١٢١	٢١	(الهامشة تخريف فى غير محلها)	
١٢٢	٤، ٧	راشد الدين	رشيد الدين
١٥٤	٥	الفقه	اى فقه اللغة
١٩٢	١، ٧	يقفور	نقفور
٢٧٨		قلم أصدقه (بالقاف)	فلم أصدفه (بالفاء)
٢٩٥	٢٠	(الهامشة محذوفة)	
٣٠٧	١٦	الاعرابى	الاعراب
٣١١	٦	النمورة	النمول
٣١٥	٢٠	جكرة	عكبرة (كما فى تاج العروس)
٣١٨	١٥	تقاضر	تقلص (كما فى تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٥٢)
٣٢٣	٩	رجال ذو	رجال ذووا
٣٣٣	١٧	العائد	العايذ (كما فى البيان والاعراب للمقريزى)
٣٥٩	١٤	تغلب	ثعلب
٣٩١	١٢	ومن أيام غيرهم المشهورة	ومن أيامهم المشهورة
٤١٥	٧	ابراهيم بن على	ابراهيم بن صالح بن على
٤٥٤	١٩	الرياض	الرياضى
٤٧٥	٩	طيمارس	طيماروس

وورد فى ص ٣٢٢ س ٧ - ٨ :

قال الحمدانى : « وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع الفرنج عن المسلمين » .

وهو خطأ والصواب :

قال الحمدانى : (وكانوا متفقين هم وثعلبة مع الفرنج على المسلمين » .

« أخطاء الجزء الثانى وصوابها »

ذكر المصحح «ج٢ ص١٣٨» أن كلمة «الزبرلمانة» الواردة فى الاصل خطأ ، وصحتها « الزبطانة » اعتمادا على ما فى القاموس .

وذكر الزبيدى شارح القاموس انها صحيحة ومشهورة (راجع مادتى زبط وزرط) .

ص	س	خطا	صواب
٦٧	٨	بالبلارح (بالحاء)	بالبلارج (بالجيم)
١٩٧	٩	بيض	بض
٢٨٢	٣	قدامة (بفتح القاف والدال)	قدامة (بضم القاف وفتح الدال)
٢٩٨	٢	قصر (بفتح القاف وضم الصاد) ...	قصر (بفتح القاف وتشديد الصاد)
٣٨٤	٢	أيار (بفتح الياء المهملة)	أيار (بتشديد الياء)
٣٩٨	١٢	على	عن
٤١٣	١٣	قراسياب	فراسياب (بالفاء)
٤١٩	١٣	مناهج	مباهج
٤٢٦	١٩	عرايا	عرابا
٤٢٨	١٨	الحنكة	حنوكة
٤٤٣		مضابطة	بطيئـة

أما ذكر مثال من البياض المتروك في هذا الجزء ففي « ص٣٦٢ س٥ » ورد هكذا :

« عن ... ... لا عن » وأشار بالهامش الى انه بياض بالاصل ، وتكملة العبارة كما وردت مخطوطة راجعها المؤلف بنفسه ونقل منها واستفاد : « عن منازل القمر لا عن ... الخ »

« أخطاء الجزء الثالث وصوابها »

ص	س	خطا	صواب
١٧	٣	وزير (بكسر الراء)	وزير (بضم الراء)
١٥٢	٦	السنها (بفتح النون)	السنها (بضم النون)
٢٢٤	٤	الشمال (بفتح اللام)	الشمال (بضم اللام)
٢٢٦	١٣	الزنج (بكسر الزاى المشـــددة)	الزنج (بفتح الزاى المشددة)
٣٤٦	١٠	خوارزم (بكسر الراء)	خوارزم (بفتح الراء)
٢٥٠	١	اثل	اثل
٢٧٢	١٣	أعضانها	أغصانها
٣٠٥		خليج منجا	خليج سخا
٣٢٠	٧	المستعصم بالله	المستكفى بالله
٣٥٧	١٠	المعز بالله	العزيز بالله
٣٧٩	٤	المؤمنين	للمؤمنين
٣٨٦	١٢	قدس	قبرس
٤٣٣	١٧	ملك	ملكت
٤٨٩	١٥	الجرجانى	الجرجائى
٤٩٧	٤	التميمى	اليمنى

« اخطاء الجزء الربع وصوابها »

ص	س	خطا	صواب
١٢	١٢	السهك	السمك
١٢٧	١٢	وفتح الباء الموحدة	وكسر الباء الموحدة
١٤٩	١٥	الدموية	الديوية
١٢٩	٧	أنطاكين	انطاكس
١٦٥	١٦	الحرانى	بكتاش
٢٠٠	١٦	الحرانى	الجوانى
٣٠١	٧	ودى (بفتح الواو وكسر الدال) ...	ودى (بضم الواو وفتح الدال)
٣٠٨	٤	للاولاد	للامور
٣٠٨	١١	سفسفين	سقسين
٣٤٧	٣	الثلج	البلح
٤٦٢		بحر نيطش	بحر بنطش

ومن امثلة البياض المتروك فى هذا الجزء ما وردفى « ص٣١٥ س١٨ » :

« ثم ... ... عقله وجده نقص »

وعبارة المسالك والممالك لابن خرداذبة « ص١٧٠ طبع اوربا » :

« ومن أقام بالموصل حولا وجد فى قوته فضـــلا بينا ، ومن اقام بقصبة الاهواز حولا فتفقد عقــله وجده ناقصا » .

« اخطاء الجـزء الخامس وصوابها »

ص	س	خطا	صواب
٢٥	١٠، ١٤	وهزر	وهرز
٦٤	٩	القاتلة	القافلة (بالقاف)

٧٧	١٦	عوض	عيوض (ومعنى عيوض : المنبع الحريز الذى لا يرام)
٨٠	١١،١٣	سريرة	سريزة
٨٧	٧	جزيرة تخين	جزيرة جير
١٠٥	١٣	نبزرت	بنزرت (بتقديم الباء على النون)
٢١٥		شكير	شلير (باللام)
٢١٥		موزون	مودود
٢١٥		الجزة	الجرة
٢٣٨	٨	نشبونة	لشبونة
٤١٥	١٨	المركيش	المركيس
٤١٦	١٢،٥	يربو	يربى
٤٢٠	١٢	قراقوم	قراقرم

وورد فى « ص ١١٥ ، ١١٦ » من هذا الجزء أبيات من مقطوعة مختلفة ونسبها جميعها الى الامير الحفصى ابى العباس أحمد الذى كان متوليا افريقية فى عصره من سنة « ٧٧٢ – ٧٩٦ هـ » وهو وهم محض ، لان ابن فضل الله العمرى مؤلف موسوعة مسالك الابصار نسبها الى السلطان الحفصى فى وقته ، وهو المتوكل على الله أبو بكر . وسلطان تونس فى زمان ابن فضل الله هو أبو بكر بن يحيى بن ابراهيم بن أبى زكريا « راجع القطعة المطبوعة من مسالك الابصار فى وصف افريقية والمغرب والاندلس ص ١٠٥ » .

« أخطاء الجزء السادس وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٤	١٠	كونوا ربانيين	كونوا ربانيين لله
٣٣	٥	الغيوث الهوامع	الغيوث والهوامع
٣٣	١٢	فيه	منه
٤٦	١	حرز الامام	حرز الانام
٤٧	١٧	الثفل	التفل
٨٠	٤	يراعون	يرعون
٨١	٩	الحياة	المياه
٨٥	١٨	أغريقش	أغريقس
٨٥	١٩	الاول	الاولى
٩٠	١٨	زبرى	زبدى
٢٥٢	١٤	للكاتب	للكتاب
٤٥٧	١١،١٦	تقفور (بالتاء)	نقفور (بالنون)
٤٥٨	٤	وانطالية	وايطاليا

« أخطاء الجزء السابع وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٣٣	٥	وسعد	وصمد
٣٣	٦	الاغراب	الاعراب
٥٠	١٦	الحياة	الحيات
١٦٤	١	القلاقسى	القلانسى
٢٩٨	١٠	بتسليم	بتسلم
٣٠٩	٥	وارغاب وارعاب	وارعاب وارغاب
٤٠٢	١٥	كالكند (بفتح الكاف الثانية والنون)	كالكند (بضم الكاف الثانية وسكون النون)
٩٦	٥	كلا	كلا ولا
١٢٢	١٥	مانويك	مانويل (باللام)
٢٩٩	١٠	البولس	البرنس
٢٩٩	١٣	البولسية	البرنسية
٣٠٠	١٩	القسطلان	القيطلان
٣٠١	٦	تغيرت	بعثرت
٣٦٩	٥	المجوب	المجاوب

« أخطاء الجزء التاسع وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٢٢٥	٦	« ! »	لا داعى لهذا لانه يريد أن الشذوذ موجود فى مثل عندليب وهى سداسية

« اخطاء الجزء العاشر وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
١٢٩	٦	ابن حجة (بفتح الحاء وتشديد الجيم)	ابن حجة (بكسر الحاء وتشديد الجيم)

اخطاء الجزء الحادى عشر وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٢٤٩	١٧	الاجر الممنون	الاجر غير الممنون
٢٥٣	٢	ابن حنا (بفتح الحاء وتشديد النون)	ابن حنا (بكسر الحاء المهملة) وهو من الحنا : النبات المعروف ، وقد ورد فى الضوء اللامع وابن اياس والدرر الكامنة
٢٧٠	١٦	ابن حنا (بفتح الحاء)	ابن حنا (بكسر الحاء المهملة)
٢٧٤	١٧	على بن حنا (بفتح الحاء)	على بن حنا (بكسر الحاء المهملة)

« اخطاء الجزء الثالث عشر وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٢	١٥	الهامشة رقم ٢	هذه الهامشة تحريف وضلال ، لان الكلام على الخلفاء بالمغرب الاقصى فتنبه . والدرارى متاخر فى العصر عن أيام المنصور بن أبى عامر .
٢٩٣	١٨،١١	الابستا	الابستا (بالباء الموحدة التحتية)

« أخطاء الجزء الرابع عشر وصوابها »

ص	س	خطأ	صواب
٢٦	١٨	حافظة	شانجة
٢٧	١٠	نوبر	نونبر
٣٣	١٥،١٤،١٢	خشارات	جشارات
٥١	١٧	أودهيل	أودكفيل
٦٠	٢	فليلزم	فيلزم
٦٣	١٧،١٥،١٢	حاكم	جاكم (بالجيم المعطشة)
٦٤	١	أتفونش	الفونس
٦٤	٣	حاكم	جاكم
٦٥	١٩،١٤	حاكم	جاكم (بالجيم المعطشة)
٧٦	٥	انباسيوس	اثناسيوس
١٣٩	١١	ابن حنا (بفتح الحاء)	ابن حنا (بكسر الحاء)
١٦٧	١٢	ترى (بفتح التاء والراء)	ترى (بضم التاء وفتح الراء)
٣٧٣	١٨	تغلب	ثعلب
٣٨١	٨	الدستور (بضم الدال)	الدستور (بفتح الدال المشددة)
٣٨١	١٥	طرابلس	(وهم لانه يخالف الوضع الجغرافى)
٣٩١	١٦	البازورى	البازورى (بالباء المثناة التحتية) نسبة لقرية لا تزال بفلسطين بالقرب من يافا

هذا ما تيسر نشره الآن من هذه الاخطاء الشنيعة وتحت يدنا من الاخطاء الاخرى الكثيرة التى وفقنا اليها أثناء تحقيقنا وتصحيحنا لاجزائها بعد طول البحث وكثرة التنقيب وقراءة عشرات المخطوطات لان هذه الموسوعة العظيمة مطبوعة على هذا الغرار من تشويه الاعلام والاوضاع العلمية والاصطلاحية ، اذ الاوهام تنغش فيها نغشان الدود فى الجبن ، فشوهت جميع محاسنها الفتانة التى يفاخر بها العرب الافرنج .

اما فهارسها التى سهرنا فيها الليالى الطوال ، وقدمنا منها فهارس الجزءين الاول والثانى للدار مع تحقيق وتصحيح هذين الجزءين ولم تصرف لنا دار الكتب شيئا عن عملها بحجة أن الفهارس لا تعمل الا بعد الطبع وقد اطلع عليها الكثيرون من العلماء والباحثين ونشروا اعجابهم بها على صفحات الجرائد والمجلات ، ومنها هذه الابيات التى نشرها الشاعر المبدع المرحوم « احمد نسيم » على صفحات جريدة الاهرام :

فهارس هن نور يستضىء به
راجى الفوائد كالزهر المنيرات
او هن مثل مفاتيح تحل بها
أشياء من قبل قد كانت عويصات
أتى بها «الاصمعى» الفذ فى نسق
مثل انتساق لآل فوق لبات
انتمها مفردا تزرى مباحثها
بكل «مستشرق» جم الجماعات
فليفتخر بجهود سوف يذكرها
فم الزمان بآيات بليغات

وسنكتب فى المقال الآتى - بعون الله تعالى وتوفيقه - بحثا مستفيضا عن مؤلف هذه الموسوعة النفيسة وحياته العلمية وعصره ومشاهداته وحديثه عن نفسه وانتقاداته ورده على شيوخه ومؤرخى عصره مثل ابن فضل الله العمرى والنويرى والعلامة ابن خلدون وغيرهم .
ونساله جل شانه التوفيق فيما قصر فيه مؤرخو عصره ، أو أغفله كتاب هذا العصر الذين ترجموا له ، وسنشير الى هذا التقصير فى مواضعه والله المستعان.

من وحي الذكرى العطرة

في مطلع الفجر المشرق

أو بين أحضان الزمن اليتيم

الدكتور عبد السلام سرحان

مع أطياف المنى المطلة كان مولد محمد بن عبد الله ، ومن أكناف الهدى المظلة تفجر به نبع الحياة .. وبين تموجات الطبيعة الجافة جرى على الوهاد نهره ، وفى آفاق الصحراء الواجفة امتد على النجاد فجره ، ووسط وساوس الشرك ، وحنادس الافك ، لمع برقه ، وتتابع ودقه . وتوهج ضوؤه ، وانبلج سناه .

ولقد كان طبيعيا أن يعرف الزمن الحالم ـ بمولده ـ لغة الأناشيد ، وان يعزف الدهر الواجم ـ فى خلده ـ رنة الأغاريد ، وأن تسكب البلابل فى آذان الزمن صوتها الرقيق ، وتردد العنادل ـ فى توديع المحن ـ لحنها الرفيق .

وكان بديهيا كذلك ، أن تتحرك الملائك ، من البيت المعمور الى البيت الحرام ، ليكونوا أبر السفراء بين الأرض والسماء ، ويرسلوا مع الأثير الهابط على بيت عبد الله بعض الاشعاعات الكونية ، والامدادات الربانية ، التى تحيطه بهالات من الأضواء .

ان مولد محمد كان ايذانا بأن تنطلق الانسانية من ربقة الاسار ، واعلانا بأن تتدفق الروحانية فى رابعة النهار ، لتتحرر البشرية من جميع الآصار والأوضار .

كذلك كان ايقاظا للعقول من رقدتها ، وانقاذا للأفكار من وهدتها ، وتحريكا للأفهام من ركدتها ، وتنبيها للاذهان من نومها البالغ وسباتها العميق .

نعم .. وكان ايقادا للوعى الذى خبا ، وانجادا للسعى الذى سبى ، وارهاصا بسحق مظاهر الجهالة ، ومحق مناظر الضلالة ، واخراجا للعالم كله ، مما يرسف فيه من قيود .

فلا عجب أن تهتز الدنيا لمولده ، ولا تثريب أن تئز لوجوده ، ولا بدع أن ينتشر نشى

---

* المقال الاول من هذه السلسلة نشر فى غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٢ بهذه المجلة .

قصته ، وينتشر حب سيرته ، ويفوح عبير نبئه ، ويسمع صرير خبئه ، ويتأرج ما يدور حوله من أخبار ، ويعبق ما ترك حدثه من آثار .. خاصة بعد أن ظهرت الآيات ، واسفرت العلامات . وارتسمت فى سماء وجوده كثير من الصور الملموسة ، والرسوم المحسوسة ، مؤذنة بما سيكون لهذا الوليد ، من شأو بعيد ، وشأن فريد ، وذكر حميد ، وتاريخ مجيد .

لقد كان العالم غارقا فى حمأة الفساد ، وسفائنه بعيدة عن شاطىء الرشاد ، وكانت الأمم تخبط فى الحياة خبط العشواء ، وتسير حالكة الليل يائسة الرجاء ، وكانت الأغلال تزمل العقول ، وكواكب الفكر فى دارة الأفول ، واضواء الحياة ترتكس فى قتام عيش طال مداه .

ان الشر فى كل مكان فاغر فاه ، والطاغوت فى كل صقع مفتر الشفاه ، والانسانية تتكثر أوزارها فى المتاهات ، وتتعثر اثقالها فى الظلمات ، وتنضح روحانياتها انهارا من عرق الخجل والحياء .

فان حاولت أن تشم عبق الحرية قوبلت بالصفعات ، أو تتنسم أرج الحيوية كيلت لها الضربات .. وان توسلت بكلمات الحق نيطت بها الأرزاء ، أو تمسكت بعبارات الصدق حيكت لها الأنواء ، فتولت من حولها قلقة ، وخرت من هولها صعقة ، ثم غصت بتلك القطرات التى استندتها من دقائق الدعة والهدوء والسكون .

ولهذا زاد التساؤل وتضاعفت الحيرة ، وند التفاؤل وتكاثفت الحسرة ، وبدأت الأعناق تشرئب نحو السماء ، وشخصت الأحداق الى مجالى الدعاء ، فصعدت النفوس الحائرة أنفاس الرجاء ، وضرعت الأرواح الثائرة الى عدل القضاء ، وتنبأ بعض العقلاء بأن عارضا سيمطر هذه الصحراء ، ويسقى العقول الظماء ، الى سلاف السعادة والرخاء .

وقد أثبتت الأحداث أن مولد محمد كان بدء الأمل المرتقب ، ومطلع الفجر المرتغب ، ومبعث الغيث الذى محا العيث ، وأنه كان انبثاقة لفجر الحياة ، ولمعة لبرق الهداة ، واستجابة لدعاء المظلومين ، واستطابة لنداء المحرومين ، وتنفيسا لكرب المكروبين ، وتقديسا لحق المغلوبين ، وثمالا لآلاف اليتامى ، وعصمة لأكناف الأيامى ، وتأثيلا لمجد المساكين ، وتاهيلا لجد البائسين ، واشعاعا يضيىء المسالك لجميع السالكين .

فحينما استهل محمد ولد معه الهدى ، وانهل به الندى ، وامتد بالنور المدى .. وعندما بدت طلعته انبلج صبح الوجود ، وانحسر ضغط القيود ، وفاح أرج الند ، وشلت يد الجهد ، وهبت نسائم الرحمة ، ودرت أثداء الأمل ، وتلألأت شهب المنى ، وتوهجت أشعة البعث ، وانطلقت أضواء الحق ، ولمعت نجوم الحرية ، وشعت قواعد المساواة ، وترسمت معالم الاخاء ، وخفقت أعلام الحق ، وتواكب سيب الخير ، وتوالى صوب البركات .

نعم .. واشرقت الأرض بنور ربها ، وسالت منابع ريها ، واخذت الآفاق زخرفها ، وازينت الحياة بأفوافها ، وازدانت الدنيا بالألطاف ، وازدهرت بالجنات الألفاف ، وتبارت الرياض بالأزهار ، وتنافست الأدواح بالاثمار ، ولبست الوهاد سندس الجمال ، واكتست النجاد حلل الجلال ، وتاهت الأغصان بالقطوف ، وباهت الأفنان بالشفوف ، وماست الانسانية فى الثوب الأنيق . واختالت الروحانية فى البرد الرقيق ، ومست القلوب معانى السعادة ، ولمست الأفئدة معانى السيادة .. ومن ثم اعتلت صروح العظمة ، وسكنت قصور المجد ، وسكبت دموع الفرح ، وسبكت قلائد المرح ، ورشفت رحيق العزة ، ونشقت عبير التقديس ، وذاقت راح النشوة ، وطعمت لذة الارتياح ، واغمضت جفون الاطمئنان ، ثم راحت فى سكرة النوم الهادىء تروى قصة حلم طويل جميل .

لقد رفع الستار بمولد محمد عن كثير من الأسرار ، وترك عبق وجوده بالغا من الآثار ، وانشقت سماء الحياة عن أحداث فى الخارج والداخل ، زحف اليها جيش من التساؤل ، وارتسمت حولها عدة من علامات الاستفهام .

ان ايوان كسرى انوشروان قد اهتز وتساقطت شرفاته ، وخمد لهب النار فى فارس وطفئت جمراته ، وغاضت بحيرة « ساقة » وجفت من أرضها القطرات .

وفى مهده كان البهر الذى بهر ، والسحر الذى سحر ، والسر الذى ظهر ثم قهر .. اذ لم تحس امه فى ميلاده تعبا ولا نصبا ، ولم تجد ألما ولا وصبا .. ونزل - صلوات الله عليه - مختونا مسرورا ، يفيض بشرا ويقدح سرورا .. وحينما واجه الأرض اتقاها بيديه ، واحتمى منها بكفيه ، ثم رفع رأسه الى السماء ، كأنه يضرع بالدعاء ، فأثار فضول الزائرات ، وأدهش فكر الحاضرات ، ورسم فى أذهانهن أبدع وأروع الصور عن اكمل وأجمل وأجل طفل وليد ، ظهر فى عالم الوجود .

***

وسرعان ما عرف فى مكة أمره ، وشاع فى أحيائها ذكره ، وتهامس الناس فى شأنه ، وتنافسوا فى التعرف الى سره .. ثم أخذهم العجب ، وثار بينهم الصخب والجلب ، حين شاهدوا الأصنام تهتز ، ورأوا الأوثان تلتز ، وسمعوا أعواد الشرك تتقصف ، وسمته يتحرف ، وريشه يتحيف .. وحين أحسوا أصداء فى الفضاء ، تؤذن بينها بالزوال ، وتحدث تحتها الزلزال ، وتنصب فوقها لامعات الآل ، منذرة معالم الشرك والافك بأسوأ مآل .

***

لقد خرج شعاع النور من مهاد الطفل الوليد ، وشب أوار النار من فراش الضيف الجديد ، وسطعت الأضواء فى اتجاه السماء ، ففشى سناها البصائر ، وذهب سنا برقها بالأبصار ، ثم تورد جبين الحياء ، ودفقت شرايين الحياة .. فأحس الجمود دنو الأجل ، وشعر الخمود بانقطاع الأمل ، وحملت الجهالة عصا التسيار ، عن هذا المشرق المورق ، ورحلت الضلالة الى قفر ناء بعيد .

ان سكان الحرم رأوا تبدلا فى الأفق ، ورنوا الى تجدد فى الشفق ، وابصروا أحداثا تداعبهم فتزل بهم الأقدام ، وأطيافا تلاعبهم فتطيش منهم الاحلام ، وشاهدوا صورا بارزة تظهر على مسرح حياتهم منادية بحتمية التغيير .

لقد ذابت كتائب الغيهب فى خميس الضياء ، وغابت أفراس القر فى رسيس الفناء ، وذهبت الدجنات الحالكة مع الريح كالهباء ، وعلا بيت عبد الله نبراسا يشع الهدى ، ويمطر الندى ، وضرعا يدر الحلاب ، ويذيق الملاب .

ان الأصابع تشير الى هذا البيت على انه مشرق الآمال الصاعدة ، ومطلع البدور الوافدة ، ومشع الضوء المرتقب ، ونبع الخير المرتجى ، ومهبط الفضل الثجاج ، ومصدر النور الوهاج ، ومنزل ما ينتظر من وحى ، ومهد ما قد يرتفع من صروح ومجود .

ان لميلاد محمدا لخبرا ، وان لمقدمه لأثرا ، وان منارات التاريخ لتتأرج بصداه ، وان منابر الزمن لتهتف بعلاه .

نعم .. ومشارق الأنوار تبزغ بفجره ، وطرائق الأخيار تتفوح بعطره ، وطيور الرياض تتناوح بذكره ، وشهب الحق تختال بوجوده ، ونجوم الصدق تلمع على بنوده ، وبحار الندى تفيض بجوده .. وسواطع البرهان تنسال فى مجراه ، ولوامع الايمان تنساب من مسراه ، وقواعد اليقين تنتشر على ثراه ، وعقائد الدين تنتشر فوق سيماه ، وجوامع الكلم تحرك منه الشفاه ، والأقدار تعده ليوم فى التاريخ جد قريب .

فليرهف الزمان اذن سمعه ، وليغير الدهر سريعا طبعه ، ولتقصد الرواد فورا نبعه ، ولتحط القلوب مهده بظلة من التقديس ، ولتقترب القلوب من هذا الدر النفيس ، ولتقم حوله دارات من الاعظام ، ودوائر من الأفهام ، وليعرف الناس أن مجده آت لاريب فيه .

لقد رات آمنة منه الآيات ، وشاهدت فيه العلامات ، وعرفت له السمات ، وعلمت ان الزمن يخبأ لوليدها مكانا فوق سدرة المنتهى ، ويحفظ لوحيدها مركزا يعجز أولى النهى ..

فكانت تنظر اليه فى شفق ، وتحنو عليه فى قلق ، وتهفو نحوه فى رفق ، وتدور حوله فى شغف ، حيث تفرغ كل ما فى قلبها من عطف ولطف ، ورقة وحنان .

ان عينيه تنظران من كوى المجد ، وتشعان فى اتجاه العظمة ، وتوحيان بصفات الزعامة ، وتلمعان بميزات الامامة ، وتفيضان بالثورة على ما فى الحياة من عيث وعبث وفساد كبير .

غير ان بسمته الرقيقة، ودمعته المترقرقة، ونظرته الوامقة ، وحركته الواثقة ، توحى بما فطر عليه من جنوح الى اليسر ، وميل الى الرحمة ، وحب للين ، وشغف بالتسامح، واتجاه الى الخير حيثما كان .

ان آمنة تقرأ من سطور الغيب ما يملأ قلبها أملا ، ونفسها اطمئنانا الى غد مشرق لطفلها السعيد .. ان نظراته لتخترق الحجب ، وتشق أسباب السماء كى تنفذ الى ما وراء الستار .. وان حركاته لتوحى بسمات القيادة ، وميزات الريادة ، وترسم تخطيطا واضحا للفلك الذى سيعتلى ذروته بعد قليل .

ان آمنة تنظر الى وجهه المشرق فتحس هالة من الأضواء تتخلل خلاله ، وتبدع جماله ، فاذا العيون مصوبة اليه ، والأشعة مسلطة عليه ، والأرواح متعلقة به، والأطياف تناديه وتناجيه ، والأملاك تطوف به تناديه

فليطمئن اذن قلبها ، وليهدأ فؤادها ، ولينشرح صدرها ، وليفوح عطرها ، ولتتوسم له الخير والسعادة ، ولتنظر الى المستقبل نظرة باسمة ، ملؤها الثقة والاطمئنان ، ولتنفذ ما أمرها به الهاتف فى النوم فتسميه أحمد ، ولتترقب خطوات القدر مع وليدها العزيز .

اما جده عبد المطلب فقد طار به الخبر ، وماج به السرور ، فانصت لموسيقى الزمن تعزف الحان النشوة ، وترسل انغام البهجة. وتضرب على اوتار الفرح ، وتترنم بأصوات حالمة تمسح عن القلب الكبير آثام الأسى والشجن ، وتفتح صفحة جديدة فى سجل الأمل المشرق والمستقبل السعيد .

انه الآن يرتشف كئوس السعادة ، ويجدد شباب السيادة ، ويهتز هزة الطرب ، ويهزج مع النسائم الحلوة بعض الأناشيد العذبة ، والأغاريد الرطبة ، وينشق فى طفله عبير عبد الله ، ويجد فيه ريح يوسف ، ويطمئن الى ان ابنه الشهيد سيعود من جديد ، فى الوليد الحفيد ، وأن ما مزقته المحن سيرتقه الزمن ، وتكفر عنه الأيام .

ثم لجأ الى النيب يريق دمها ، ويسكت فمها ، ثم يمزق اهابها ، ويخلع جلبابها ، ليقدم لحومها وشحومها طعاما للفقراء ، وأدأما للمعوزن ، تحدثا بنعمة الله ، وشكرا على ما أبلاه وأولاه .

ثم أعلن فى الناس انه سمى ابنه محمدا ، فلما عرف ما فعلت آمنة قال : هو أحمد ، وهو محمد ، وليكونن أحمد الناس ، محمد الأنفاس ، محمود السيرة بين سكان الأرض والسماء .

والى جانب الأم آمنة والجد عبد المطلب وقف بنو هاشم يطلقون زغاريد الفرح ، ويدقون دفوف المسرة ، ويضيئون شموع الأمل ، ويلفون طفلهم الوافد بغلالة من الرعاية الهاشة ، والنظرات الباشة، والأخلاق المعجبة بما منح من رقة ، وما امتاز به من خفة ، وما برز فيه من سمات الجمال والجلال .

ولقد تقدمت السيدة ثويبة جارية عمه ابى طالب فى شغف ودنف ، حيث تناول من ثدييها ما بل به أوامه ، واطفأ به غرامه ، وكان لبنها اول سائل امتصه فمه الشريف واول غذاء نزل الى بطنه فى بدء الحياة .

وبعد أيام أخذته أمه وخرجت به الى سوق المراضع كى تعرضه على احدى البدويات المرضعات ، اذ كان من عادة قريش الا ترضع نساؤها الأبناء ، وكان لهم فى ذلك وسائل وغايات ، ربما عرضنا لها فى عدد مقبل ان شاء الله .

دعوة

الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

لا أخال احدا يختلف معى فى أن الميثاق الوطنى جاء جامعا شاملا متدفقا لكافة مجالات حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية . طارحا الماضى بكل ما فيه . شارحا المستقبل بكل وضوح وأمل . فهو قبل كل شىء جاء ممتلئا بكل ما هو ذو نفع لقطاعات حياتنا فى الزراعة والصناعة والاقتصاد والمال . ولم يكتف بهذه النظريات والمبادىء بل تعداها الى وضع الخطوط الصادقةالعملية كبرامج للتجربة والتطبيق . والعجيب أن الميثاق لميغادر القيم الروحية والمعنوية والتى نحن بسبيل معالجتها فى مقالنا الحالى وهو فى علاجه واشاراته الى هذه القيم يدفع بالحياة . بشعاراتها . وعقائدها الجديدة . الى رحاب فسيحة من الفهم والوعى لكل المواطنين الذين أصبحوا هم الحفاظ الاول على مكاسبهم وأصبح رواج هذه المكاسب مسئولية والتزاما بدأ المواطن من خلالها يشعر بوجوده وبيومه وبرزقه . ومن خلال هذا الوجود وهذاالكسب وهذا الاحساس ينبثق ينبوع الايمان ويصبح الانسان فى مجتمعنا الارض الخصبة لفهم رسالات السماء على حقيقتها .

جاء فى الميثاق « أن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته وأن واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته . أن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة . وانما يتيح التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ـ ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية . لقد كانت جميع الاديان ذات رسالات تقدمية ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها كى يوقف تيار التقدم» .. فالميثاق اذن دعوتهمن دعوة الدين الحنيف . وتقدمية الاسلام ورفعته . ونداءاته وشعاراته التى جعلها القرآن الكريم بحكم آياته تجىء كلها لنصرة الحياة الكريمة واعزاز الفرد ودفعه الى مافيه رفعة الحياة . ورفعة المجتمع . واذا كان الميثاق قد أفرد للاشتراكية أبوابا عديدة وأوضح أن جناحيها هما الكفاية والعدل . أى كفاية المواطن المسلم والعدل فى المجتمع الاسلامى . ولا أعتقد أن حياة مؤمنة مباركة تكون فى رحاب ورضاء المولى عز وجل كتلك التى ترفرف عليها الكفاية والعدل . حيث تنطلق قوى التعمير والبناء والاعداد والتحضير فى كل مرافق الحياة العظيمة . الجديدة . بخلق المؤمن القوى فى وطننا العربى الأصيل . يقول تبارك وتعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » صدق الله العظيم .

وهذه العجالة توضح ببساطة ذلك المدى الذى عظم فيه الله تعالى بنى الانسان فكرمهم وجعلهم خلفاء فى الارض ومن خلال هذه العجالة أيضا يستبين لنا تعظيم الميثاق للانسان . الانسان الذى يحمل روحا من فيض الله ليكون قويا فى الأرض خلاقا لما فيه اسعاد البشرية واعزازها . وأين الاعزاز والتكريم ان لميكن تشييدالسد العالى . ودفع الانسان من كوخ الطين الى الفرن الذرى. ليخدم آماله وأحلامه ومستقبله هو الاعزاز والتكريم بعينه. واذا كان الله سبحانه وتعالى يقول «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » صدق الله العظيم . والعمل الصالح يخرج بنا الى آفاق العمل الصالح المنتج المثمر . العائد على بنى الانسان عامة . والمجتمع الاسلامى خاصة . فالفضل كل الفضل للعلماء والعاملين والمجاهدين . واذا كان العمل فى الاسلام قد بلغ مرتبة العبادة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » صدق الله العظيم .

فقد ردد الميثاق فى أكثر من موضع مشيرا فى بابه السابع « ان الانسان العربى سوف يقرر بنفسه مصير أمته على الحقول الخصبة وفى المصانع الضخمة ومن فوق السدود العالية وبالطاقات الهائلة المتفجرة بالقوى المحركة . ان معركة الانتاج هى التحدى الحقيقى الذى سوف يثبت فيه الانسان العربى مكانه الذى يستحقهتحت الشمس . ولعل هذا الالتقاء بين مفاهيم الميثاق ودعوته التى تنبثق من دعوة الاسلام البناء الخلاق لعلها تكون أقوى مثل لاخراس ملوك الرجعية الذين تعودوا أن يرددوا عن ضعف وتخاذل بما يسىء الى الاسلام وهو منهم براء وعنهم برىء . حيث ينطبق قوله تعالى عليهم « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » صدق الله العظيم .

والهجرة هنا بمفهومها الواعى البناء هادفة الى خلق كل ما يعود بالمنعة والقوة على المسلمين والعدالة

الاجتماعية في الاسلام بلغت الكمال . فهي تنبع من وحي القرآن الكريم الذى جمع فاوعى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وتنبع من أحاديث الرسول الكريم « أعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه » فالحقوق فى نظر الاسلام التزام لا يقبل المساومة أو التمييع . ويأتى توزيع الثروة الاجتماعية مراعاة لتطبيق العدالة الاجتماعية من أوسع أبوابها « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » . وتاريخ الاسلام الحافل المتصل باصول العدالة وقواعدها . يشيد بما ارساه الدين الحنيف لا فى الجزيرة العربية فحسب ولكن فى المشرق والمغرب العربى حيث تعداهما عابرا البحر الكبير الى أوربا . غازيا المفاهيم العتيقة الموروثة . وواضعا كل لبنة عادلة فى حياة بنى الانسان . فالدين الاسلامى كفهم وعقيدة وايمان . يوائم الحياة ولا يتعارض معها حتى العلم الصحيح فالاسلام يؤيده . ولا يمكن أن يتعارض الايمان السليم مع حركة الفكر وتياراته ولا مع الجهاد فى الحياة الدنيا . وتجىء توجيهات القرآن قاطعة فى رفع شأن العلم .. اذ يقول تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

كما قال تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وحيث يروى الميثاق فى بابه الثامن (ان العلم للعلم فى حد ذاته مسئولية لا تستطيع طاقتنا الوطنية فى هذه المرحلة أن تتحمل اعباءها ، لذلك فان العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية فى هذه المرحلة على أن بلوغ النضال الوطنى لاهدافه سوف يسمح لنا فى مرحلة متقدمة من تطورنا بان نساهم ايجابيا مع العالم فى العلم للعلم . وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبز المباشرة وحدها ، ان ذلك يصبح تفسيرا ضيقا لرغيف الخبز الذى نريده) وكلما اتسع مجال البحث العلمى الصادق كشف لنا عن آفاق وعوالم لا يزال الكثير منها فى عالم الغيب « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وكلما نمت واتسعت البحوث والكشوف العلمية اظهرت البشرية بمظهر الضآلة بجوار هذا الخلق العظيم ... البشرية التى نسيت أو تناست باسم المصالح الشخصية والاحتكار والاقطاع تناست حقوق الانسان وسط هذا الكون المنظم . ووسط عزة الانسان التى أمرنا بها تعالى ورسوله الكريم . وحيث يقول الميثاق فى بابه الثامن (يتعين علينا ان نذكر دائما أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية او من تراثها الحضارى . قادرة على صنع المعجزات ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات) .

هذا ويجىء فى باب الميثاق السابع « أن هذا المجتمع الجديد الذى يبنيه الشعب العربى فى مصر على دعائم الكفاية والعدل يحتاج الى درع واقية فى عالم لم تصل مبادئه الاخلاقية الى مستوى تقدمه العقلى) وفى هذا العرض الواضح المضىء نجد أن الميثاق يسلم بمعادلة خطيرة من معادلات الوجود البشرى فهو يجمع بين ضرورة تواجد الطاقات الروحية فى الشعب والحفاظ عليها جنبا الى جنب مع ضرورة نشر قواعد الكفاية والعدل بين المواطنين . فيجىء الايمان والوازع الدينى كأساس الوجود ومن الوجود الصحيح الذى ينادى به الاسلام لابد وان تنبع قواعد الاخاء والمساواة بين أفراد الشعب. فلا استغلال ولا احتكار ولا اقطاع والحق والعدالة هما دستور المجتمع والوازع الدينى الصادق يحقق لصاحبه كافة الانطباعات التى تجعله على خلق قويم مستقيم .

والطاقات الروحية التى يتشبع بها الناس تدخلهم فى رحاب صلات الرحم قال تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » . « نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » صدق الله العظيم .

والطاقات الروحية هى منبع الاخلاق وليس أى شىء آخر ، وكثير من الناس يحسبون أن الأخلاق يمكن توليدها فى النفوس بالقوة والجبر والقانون . وهذا قول ينافى الطبيعة الانسانية البناءة .. والرد الحاسم على ذلك أن قوانين البشر الوضعية قاصرة عاجزة بالنسبة لقوانين السماء السمحة التى جمعت فاوعت .

قال تعالى « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » صدق الله العظيم . والاخلاقيات التى اوردها الميثاق لم تات مباشرة. فالميثاق ليس كتاب وعظ أو ارشاد بقدر ما هو حامل للاخلاقيات فى اطار كل عمل وشعار وتصرف . فهدف الميثاق كله أن يصبح الشعب صاحب الرأى . وصاحب المستقبل وأن يصبح قواما على كل شىء . وبالتالى يصبح السواد الأعظم من الفلاحين والعمال أصحاب رأى ومشورة وبالتالى أيضا تقفل الرجعية عائدة الى جحورها لتموت بعد ان ضلت الطريق . واستغلت بالبشر واضعفت طاقاتهم الروحية وبددتها وبالتالى لم يبق أمام المواطن المسلم الا أن يطلب من الله تعالى الرحمة ولولا بقية من ايمان ورواسب الدين المتأصلة فى نفسه لشردت نفسه وهو فى بؤسه وجهله وفقره الا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فجاء الحق فى ٢٣ يوليو . وجاءت الثورة ثورة على الظلم والاستبداد والاستغلال . وأصبح العدل لاول مرة ياخذ طريقه بين الناس وبات الاحساس بالحياة لأول مرة يحمل سعادة الحاضر وأمل المستقبل . بعد أن اقتلع الميثاق كل أدران الماضى وأوضح كافة أعماق امراضنا وشرح لنا فى بابه الخامس « ان العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال عن المواطن . ان العدل لابد أن يصل الى كل فرد حر ولابد أن يصل اليه من غير موانع مادية او تعقيدات ادارية » كما بلور الميثاق فى سطور قليلة أعظم مدلول للانسان الحى . ليأخذ نصيبه فى مجتمعه بأن قال « وللانسان ضمانات ثلاثة » :

* أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره .
* أن تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية .
* أن يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته.

ثم عاد مرة أخرى لاعلاء شأن المواطن وخلق المواطن المسلم المؤمن القوى قائلا « ان تكافؤ الفرصة هى التعبير عن الحرية الاجتماعية يمكن تحديده فى حقوق أساسية لكل مواطن ينبغى تكريس الجهد لتحقيقها .

* حق كل مواطن فى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة تباع وتشترى .
* حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه .
* حق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده .

هذه هى صناعة المستقبل كما يراها الميثاق . فهى تنبع من تعاليم الاسلام الحنيف . وتسير على هدى الرسول الكريم وسنته . والله ولى التوفيق .

من
إعجاز
القرآن

فواتح السور القرآنية

الدكتور حفنى محمد شرف

انتهيت بفواتح السور القرآنية الى الرأى القائل بان بعضها رمز لأسماء الله تعالى وبعضها لغيره ، **وفى هذا المقال سوف أتكلم عن بعض آراء أخرى فى معانى هذه الفواتح :**

قال بعض العلماء ان هذه الفواتح للدلالة على ان القرآن مؤلف من تلك الحروف لأن الرسول لما تحدى العرب - وهم أرباب الفصاحة والبلاغة - أن يأتوا بمثله عجزوا ، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور ولو مفتريات فعجزوا ، فطلب منهم أخيرا الاتيان بأقصر سورة فعجزوا ، فانزل الله هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس الا منها ، وأنتم قادرون عليها عارفون بها فلم يكون عجزكم ؟ .

وبهذا الرأى أخذ المبرد، وتبعه فيه كثير من الناس (مفاتيح الغيب ١ : ١٥٦) كما أخذ به الفراء أيضا (الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٥٥) .

ورأى آخر يقول : ان هذه الحروف للتنبيه ، واثارة العجب لأن الكفار لما قالوا **((لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه))** واتفقوا على ذلك ، وبالغوا فى اتفاقهم ، وتواصوا بالاعراض عنه ، أراد الله - وهو المحب خيرهم وصلاح أمرهم - أن يورد على سمعهم ما لا يعرفونه ، فيجعلهم ينتبهون ويستيقظون ، فكانوا اذا سمعوا هذه الفواتح قالوا متعجبين : اسمعوا الى كلام محمد! فاذا أصغوا هجم القرآن عليهم ، فكان ذلك سببا لاستماعهم ، وطريقا لانتفاعهم **فكانت هذه الفواتح أشبه بالأجراس أو الأصوات الغريبة التى تقرع أسماعهم فتدعوهم الى الاستماع (الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٥٦)** .

وقيل ان هذه الحروف مدة أقوام ، ومقدار آجالهم ، فقد روى ابن عباس أن أبا ياسر بن أخطب وأخاه حيى ، وكعب بن الأشرف مروا على الرسول ، وهو يتلو قول الله تعالى : ((ألم)) - البقرة ، **فاستحلفوه، أحق أنها أتتك من السماء هكذا ؟ فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : نعم ..** فقال حيى : ان كنت صادقا فانى لأعلم أجل هذه الأمة من السنين ، فكيف ندخل فى دين رجل دلت هذه الحروف على أن منتهى أجل أمته احدى وسبعون سنة ، فضحك النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال حيى : فهل غير هذا ؟ فقال النبى : « المص » فقال حيى: هذا أكثر من الأول؟ هذا مائة واحدى وستون سنة فهل غير هذا ، فقال النبى « الر » فقال حيى : هذا أكثر من الأول والثانى ، فنحن نشهد - ان كنت صادقا - ما ملكت أمتك الا مائتين واحدى وثلاثين سنة ، فهل غير هذا ؟ فقال النبى : نعم ((**المر**)) فقال حيى : فنحن لهذا انا من الذين يؤمنون ولاندرى

بأى أقوالك نأخذ ، فقال أبو ياسر : أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا أخبرونا عن ملك هذه الأمة ولم يبينوا أنه كم يكون ؟ فان كان محمد صادقا فيما يقول انى لأراه يستجمع هذا كله ، فقال اليهود : اشتبه علينا أمرك كله فلا ندرى أبالقليل نأخذ ام بالكثير ؟ فذلك قوله تعالى : « هو الذى انزل عليك الكتاب (مفاتيح الغيب ١ : ١٥) » .

وقيل : ان الله أودع السورة المفتتحة بفاتحة معجمة من الأحكام والقصص فى حروف فاتحتها ولا يعرف ذلك الا نبى أو ولى ، ثم يعود فيبينه فى السورة ليفقه الناس جميعا (الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٥٦) .

وقال الكلبى : انها قسم ويرى ابن قتيبة فى ذلك أن يكون الله اقسم بالحروف المقطعة كلها ، واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل : تعلمت أ ، ب ، ت ، ث ، وهو لا يريد تعلم هذه الحروف الاربعة فقط دون غيرها ، ولكن اجتزأ هذه الأربعة فقط دون غيرها ، وتقول : قرات الحمد وتريد الفاتحة (انظر مشكل القرآن ٢٣١) .

وقيل : انها حروف ثناء أثنى الله بها على نفسه أو للدلالة على أنه مؤلف قديم .

وابن ابى الاصبع المصرى من بين هؤلاء العلماء القدامى ، تناول فواتح السور القرآنية المعجمة والمعربة بالتحليل والتفسير ، ولكن تناوله لها كان بعقل العالم البلاغى الفلكى الرياضى ، فبين عددها واقسامها وأصولها من الحروف، واشتمال المعجمة منها على حروف المعجم فى النطق ، وان كانت تتضمن أربعة عشر حرفا فى الخط ، وبين سبب اقتصار الفواتح المعجمة على تسع وعشرين فاتحة ، رابطا ذلك بمنازل القمر .

ويرى أن المعجمة أصل المعربة ، وان أولها : « الم » « البقرة » ، وأول المعربة « الحمد » أم الكتاب . وكلا السورتين مفتتحة بالألف ، والألف شكل بسيط بالنسبة الى سائر الحروف ، وسائر الحروف مركب بالنسبة اليها ، وقابل الألف من « الم » و « الحمد » بالواحد من الأعداد - على طريق حساب الجمل - لأن الواحد أول وآخر ما يتبقى منها وهى صادرة عنه ، ومنتهية اليه ، ولما كانت الألف تقابل الواحد اشارت الى الصانع بدليل الالتزام لأنه تعالى مدبر ، ليست أوليته مسبوقة بشىء ، كما أن أولية الألف ليست مسبوقة بحرف من الحروف ، والواحد الذى تضمنته ليس مسبوقا بعدد من الأعداد ، وهو سبحانه الباقى بعد كل شىء ، وموجد كل شىء ، ومعدم الأشياء ومفنيها ومميت الخلائق ومحييها

وزيادة للايضاح اضع بين يدى القارىء جدول حساب الجمل ليكون على معرفة به وبتقديرات حروفه :

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
ط	ى	ك	ل	م	ن	س	ع
٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠
ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	
٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	
خ	ذ	ض	ظ	غ			
٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠			

ونستنتج من هذا أن الألف اشارت الى اسم من اسماء الله تعالى ، واللام والميم اللتان هما بقية « الم » لهما من العدد سبعون ، وهى مبسوطة بحسب الأعداد ، ومن هذا العدد تستنبط الاستدلال على المصنوعات اذ هو مشير اليها ، فسبعون : عشر سبعات ، وكل سبعة تشير الى سبعة من العالم الأثيرى والعنصرى والمولد منه ، والظرف الزمانى والمكانى وأبواب النيران ، وأنهار الجنان ، فقد أشار هذا العدد الى كليات الدنيا والآخرة

وقال أيضا : ان الفواتح المقررة اى المكونة من حرف واحد قسم ، ولذلك كان ما بعدها مجرورا بالقسم ، وهو معطوف عليها ، وحكم المعطوف على شىء فى الاعراب حكم ذلك الشىء فانه قال : « ق والقرآن المجيد »

فعطفت لفظ القرآن مجروراً على لفظة « قٓ » على أن لفظة « قٓ » قسم .

وكذلك « ص » والقرآن ذى الذكر و « ن والقلم » ثم قابلها أيضا بأعدادها التى تقابلها واستنتج ما تدل عليه القاف من الاعداد ، وما تشير اليه هذه الأسرار من أسماء الله ، فيكون المعنى أن الله تعالى اقسم بأسمائه التى أشار اليها وكذلك « ص » ولها من العدد سبعون وهى تدل على أمور العالم .

و « ن » ولها من العدد خمسون وهى تدل على المصنوعات وبذلك نكون قد عرفنا ما تدل عليه هذه الحروف الستة وهى : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والقاف ، والنون فاذا ما ركبنا « المص » عرفنا ما تدل عليه وكذلك نقيس على ذلك الفواتح التى تتركب من هذه الحروف .

وأخيرا أحب أن أقول : اننا نستطيع أن نستنتج أن ابن أبى الاصبع يرى أن بعض الفواتح بصورها وحروفها والعدد الذى يخصها مشيرة الى الصانع والمصنوعات من جميع احوال الدنيا والآخرة وعوالمها ، وكل موجود فيهما الآن ، وما وجد من قديم الزمن وما يوجد بعد فناء الأكوان .

والبعض الآخر من هذه الفواتح ، قسم اقسم الله به ، وهو بذلك يتفق مع بعض العلماء السابقين عليه فى معناها وان اختلف معهم فى الطريقة التى توصل الى هذا المعنى ، كما يرى أن هذه الفواتح اشارات اما الى معان أو الى أعداد تدل على هذه المعانى ، ثم قارن هذه الاشارات التى تفيدها هذه الفواتح بما يماثلها من كلام الشعراء .

واثبت البلاغة للقرآن فى فواتحه واعجازه باشاراته التى تشير اليها الفواتح المعجمة لأن معناها على أى رأى قيل فيه اشارة الى معان كثيرة دل عليها لفظ واحد ودخول هذه الفواتح فى بلاغة القرآن لا يكون الا عن طريق أبواب بلاغية ثلاثة هى الاشارة والارداف والتمثيل لكونها كلمات مفردات وما عدا هذه الابواب من أبواب البديع انما يأتى فى الجمل المؤتلفة ، هذا الى كونها ألفاظ سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مؤتلفة بمعانيها ائتلافا تاما ، تدل على معناها دلالة واضحة باحدى طرق الاستدلال ، فانها بمفردات أحرفها البسيطة ، واعداد حروفها تدل على معان من الأبواب الثلاثة وهى الاشارة والارداف والتمثيل بطريقى التضمن والالتزام وتدل بصورها المركبة على حدثها ، وتارة بما يأتلف معها من الأبواب الثلاثة أيضا بطريق المطابقة ، وتوجب لمعانيها مبالغة تامة ... وفى هذا أعظم دليل وأقوى برهان وأوضح حجة على صاحة القرآن وبلاغة معانيه ، وطلاوة نظمه ، وحسن نسقه ، ليس فى وسع الفصحاء ولا فى مقدور البلغاء ، لأنك اذا رأيت منه هذه الكلمات المفردات دون جمله المؤتلفة قد فصلت الأبيات المتزنة - وهى فى أرقى درجات البلاغة ، وظهر لك اضمحلال ما يماثله بها بالنسبة اليها ، علمت أن المعارضة لم تكن فى قوى العرب والاشارة فى البلاغة العربية هى اشارة المتكلم باللفظ القليل الى المعانى الكثيرة .

والارداف : هو أن يريد المتكلم العبارة عن معنى ما فيعبر عنه بلفظ هو ردف لفظه الموضوع له ولم يعبر عنه بلفظه المخصوص .

والتمثيل : هو أن يريد المتكلم معنى ، فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ، ولا بردف ذلك اللفظ القريب منه وانما يدل عليه بلفظ غير لفظه وهو أبعد من لفظ الارداف ، يصلح أن يكون مثالا له يفهم منه .

وأصل الاشارة مأخوذ من اشارة المشير الى ما يريد افهامه ، فانه يومى بيده مثلا الى مدينة بجملتها مرة واحدة أو الى السماء أو الى الأرض أو الى جيش خضم ، فلما كانت اشارة اليد وهى مدها الى بعض الأشياء مرة واحدة يفهم منها هذه الأمور العظام سمى اللفظ القليل الدال على المعنى الكثير اشارة

وبهذا اتضح أن الاشارة هى التعبير باللفظ الواحد عن معان شتى ، واللفظ الواحد الدال على معان شتى هو غير اللفظ الموضوع لتلك المعانى ، اذ لو عبر عن تلك المعانى الكثيرة بألفاظها لاحتاجت الى ألفاظ كثيرة .

وفواتح السور القرآنية قد جمعت من الصفات البلاغية للكلام كثيرا كالسهولة والبعد

عن التكلف والطلاوة والفصاحة كما أنها زادت على هذا كله أن منها المتزن وغير المتزن .

وهذه الفواتح قد جمعت الكلمة الواحدة معانى تضيق العبارة عن حصرها وتعيى الالفاظ عن عدها واذا قسناها ببيت متخير من الشعر الفاضل سقط دونها فى دلالة الفاظه على معان تماثل معانى هذه الفواتح كثرة وحينئذ نؤمن ايمانا قاطعا أن هذا النمط من الكلام لا يكون فى وسع البشر ، ولا يتأتى لمخلوق ، ولا يقدر عليه الا القادر المطلق الذى اعجزت قدرته القادرين .

واعود الى ما كنت فيه وهو مقارنة بعض هذه الفواتح وما تفيده من الاشارة الى الصانع جلت قدرته ومصنوعاته التى لا تحصى ولا يمكن الاحاطة بها بابيات لبعض فحول الشعراء الذين اجمع النقاد على تقديمهم وتفضيل اشعارهم ، واحب ان اقول هنا قبل البدء فى المقارنة ان الصور الكلامية والجمل الخطابية فى البلاغة على ثلاثة اقسام : قسم تساوى فيه اللفظ مع المعنى ، وقسم زاد فيه المعنى على اللفظ وقسم كان عكس الثانى والقسمان الأولان مجمع على استحسانهما وهما المساواة او زيادة المعنى على اللفظ والقسم الثالث وهو الذى زاد لفظه على معناه مختلف فى حسنه .

والاشارة من القسم الذى زاد فيه المعنى على اللفظ وأبلغ ما انشدوا فيه مثالا امرىء القيس فى وصفه الفرس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله
افانين جرى غير كز ولا وان

فانه اشار بقوله : « هيكل » الى جمال خلق الفرس ، وتمام قوائمه وعرضه وغلظ جنبه ، وعظم عنقه ، واشار بقوله : « افانين جرى غير كز ولا وان » الى جميع ضروب العدو الموصوفة بصفات الحسن ، ووصف هذا الفرس يبذل ذلك من نفسه طوعا من غير حث ولا ضرب ولم يكلف راكبه حركة يد ولا رجل ولا لسان ، فاثبت له جميع الأخلاق المستحسنة ونفى عنه جميع الاخلاق المذمومة ..

والناظر فى الفاظ هذا البيت يراه النهاية فى هذا الباب اذا قورن بغيره من الشعر، ولكنه يتضاءل أمام فاتحة « قْ » وما تشير اليه من المعانى فانها حرف واحد فى الخط وثلاثة فى النطق ولكنها أشارت الى أسماء الله تعالى، وهى مائة اسم،اما التسعة والتسعون فلو ذكرت وشرحت وفسرت لاحتيج فى التعبير عنها وعن معانيها الى الفاظ كثيرة جدا . وأما الاسم الاعظم واختلاف الناس وتباينهم فى كشف أسراره فلو تكلم عليه من جهتى علم الباطن والظاهر لا تسع الخرق على الراقع ولاحتيج فى ذلك الى ما يكاد يعجز المتكلم ، هذا اذا قسناه بفاتحة بسيطة من الفواتح المعجمة. اما اذا قارنا بينه وبين فاتحة معربة ، فان الأمر يتضح اكثر واكثر ، فلو قارنا بين فاتحة سورة والنجم ـ وهى فاتحة معربة مركبة ومصدرة بالقسم ـ لاتضح لنا المغزى وظهر اعجاز القرآن ، لا سيما عند من يرى أن هذه الفاتحة قسم بجميع النجوم لكون الألف واللام للجنس ، والنجوم فيها من الكواكب المسماة عند العرب ما يزيد على الألف حقيقة ، وما لا اسم له عندهم لا يحصى عددا، وما يتضمن ذكر النجوم من صفاتها وصورها وحركاتها ومسافة مسيرها واتصالاتها وهيئات أفلاكها وجميع أحوالها وما تدل عليه بحركاتها من الحوادث الأرضية ، وما يحصل بها من الهداية ومعرفة الأنواء والجهات وما تستلزم من تعظيم صانعها ومبدعها ومنشئها ومخترعها الى غير ذلك ، وهذا مثال اردته شاهدا على قول من يرى ان الفواتح القرآنية اشارات ومن اراد الزيادة فى ذلك فعليه بكتاب الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح لابن أبى الاصبع المصرى .

وأظن أننى قد أتيت على أكثر أقوال القدماء فى معانى فواتح السور القرآنية ، وانى سوف اترك القدماء وآراءهم وأقوالهم لاتتبع المحدثين لنقف على رأيهم فى ذلك ثم نرى مدى تأثيرهم بالسابقين ان كان فيهم أثر وسوف أعرج على موقف المستشرقين من هذه الفواتح فى المقالة القادمة ان شاء الله تعالى .. والله ولى التوفيق .

« للبحث بقية »

القرآن والعلم الحديث ٧

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (وكل شيء أحصيناه فى امام مبين) (مافرطنا فى الكتاب من شيء) (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) (وفوق كل ذى علم عليم) (وقل رب زدنى علما)

ان من يدرس القرآن ويتدبر آياته درسا ممحصا وتدبرا عميقا منزها عن الغايات الخاصة والعصبية القومية والمذهبية يتبين له يقينا ان القرآن جامع لأصول المعارف وكلياتها العامة وانه رائد الحق وصديق العقل وممهد السبيل للعلم وهو مصباح الفطرة ولصيق الروح وهو وان كان المستمد الوحيد لأحكام الاسلام وأصوله والمصدر الأعلى لقوانين الاجتماع وأمهات الأخلاق فانه أول كتاب دينى تصدى للكلام عن أصول المعارف العلمية والفلسفية أحيانا تلميحا وأخرى تصريحا ومرة اجمالا وأخرى تفصيلا وكان ذلك طبعا قبل أن يكتشف العلم أسلوبه الحديث وقبل أن يخلق العلماء المحدثون وقد تكلم القرآن اجمالا عن الكائنات السماوية والأرضية فى مجموعها من الغاز الى السدم الى الكواكب والشموس والافلاك والشهب والنيازك وعن شمسنا ونظامنا وانشقاق الارض عنها وباقى السيارات وتوابعها وتكلم عن بقية الخليقة من جماد ونبات وحيوان وكيفية تكوين الجنينين النباتى والحيوانى وجنين الانسان وقد تكلم عن فلسفة الاجتماع ونظم الاخلاق وتكلم عن الحاضر المشهود والماضى المعهود وغير المعهود وتنبأ عما يحدث فى المستقبل خلال الأزمان والاجيال . فانظر مثلا الى قول الله تعالى (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) والمراد هنا بالفلك المشحون ، المشحون بما يسيره من أدوات وآلات وذلك الى ما يشير الى البواخر والمدرعات والغواصات وبالقياس الى الطائرات من حيث أنها فلك هوائية . وانظر الى قوله أيضا (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) أى فى المستقبل من غواصات وصواريخ وأقمار صناعية وأطباق طائرة وما الى ذلك وبالقياس أيضا يشمل السيارات والدراجات البخارية وغير البخارية وما يسمى بالانسان الآلى ومايجد بعد ذلك وفى قوله مثلا (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل) اشارة الى الميكروبات والبيكتيريا وغير ذلك من الكائنات الخفية المسببة للامراض والعدوى واليك ما يقول القرآن فى قصة الخلق عموما وابتداء التكوين اجمالا من السموات الى الارضين ثم من الأرضين الى السموات وذلك مثل قوله عز وجل (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شيء خلقه) .

ويظهر من سياق الآية أن معنى اليوم فى قوله ستة أيام يريد به الدور من الأدوار الطبيعية من التكوين ولذا قدره بألف سنة وفى مكان آخر بخمسين ألف سنة وفى غيره باكثر وهكذا وانظر الى قوله (عالم الغيب والشهادة) والعلم الحديث يثبت أن العالم عالمان : عالم الطاقة والقوة والاشعاعات الخفية والأرواح وما الى ذلك وهو عالم الغيب . ثم عالم المادة المشهودة المحسه بالحواس الخمس وهو عالم الشهادة .

وفى هذا التقسيم الأصل الأصيل للعلم الحديث والمحور الذى تجرى عليه جميع قواعده لأن سائر الموجودات اما منظورة وهو عالم الكيان الطبيعى المادى . واما غير منظورة وذلك عالم العلل والمهايا والقوانين وما الى ذلك . والسماء فى لغة القرآن عالم الأرواح والحقائق ثم عالم الطاقة والقوة أولا ثم عالم السدم والغازات والكواكب والأفلاك ثانيا والمقصود بعالم الأرض عالم السيارات وأشهرها وأعظمها قيمة وأكثرها اعتدالا أرضنا التى نعيش عليها .

وفى قوله عز وجل (ثم استوى الى السماء وهى دخان) يقصد تكوينه لأول قوة ذرية صادرة من عالم الغيب - وهى ذرات الادروجين المركبة وحداتها من نواة واحدة وكهرب واحد يدور حولها كما تدور الأرض حول الشمس وغير ذلك من الكواكب وسياراتها وكذلك فى قوله (يوم تأتى السماء بدخان مبين) والدخان هو الضباب السحابى الذى تتكون عن زوابعه الأولى أول السديميات الوجودية وأكبرها مثل سديمية (لا بلاس) وما بعدها . ثم تكلم عن انشقاق الأرض من الشمس وصيرورتها سيارا تابعا من توابعها وذلك فى قوله عز وجل (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وفى قوله السموات والأرض بدلا من قوله الشمس . والأرض اشارة الى أن الشمس أيضا مشتقة من غيرها من الشموس التابعة لمجرتنا القريبة التى تحوى ملايين الشموس والكواكب غير الشمس واكثر من ذلك أن هذا دليل واضح على أن العوالم كلها قبل تفصيلها وانشقاقها كانت كتلة واحدة أو سديمية أولى كما يقول العلم ثم تكلم القرآن عن بقية علم الفلك اجمالا فى جملة آيات كقوله (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وفى قوله (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وفى قوله (الا له الخلق والأمر) اشارة الى

عالم الغيب والعلل الخفية وهو عالم الامر فى مقابل عالم الخلق وهو العالم الطبيعى الظاهر المدروس للعلم . وانظر الى قوله تعالى « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » .

أى لكل منها مداره الخاص به حول أمه وأصله ذلك المدار الذى لا يتعداه . وانظر الى قوله تعالى « هوالذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلمواعدد السنين والحساب » ومنازل القمر فى دورته حول الشمس والارض معلومة والشمس حول غيرها فى مدارها الخاص المقدر لها وفى قوله « الشمس ضياء والقمر نورا » اشارة الى ما قرره العلم من أن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس وفى قوله لتعلموا عدد السنين والحساب اشارة الى علم الميقات الذى هو فرع عظيم من فروع علم الفلك تدور عليه مصالح الناس ومواقيتهم ، وهداياتهم فى ظلمات البحار . هذا وتكلم القرآن عن الحركة الدائبة شخوصا وهبوطا بين الافلاك والكواكب والسيارات فقال « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » . والمستقر هنا مدارها الخاص أو أنها تسير دائما نحو كوكب النسر الواقع والشمس نفسها وكواكبها السيارة تجرى فى الفضاء بسرعة عظيمة نحو برج النسر الواقع وهو أعظم من الشمس وأكبر . وقوله « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهاروكل فى فلك يسبحون » وفلك كل كوكب هو مستقره ومسبحه .

ثم تكلم القرآن عن ذوات الأذناب والشهب والنيازك وكذلك عن الرعد والبرق والصواعق آنا تصريحا وآنا تلميحا فى مثل قوله تعالى « والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » « فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » «هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال » « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » وفى قوله هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال اشارة الى أن السبب فى الرعد والبرق هى الكهربائية الكونية الناشئة عن احتكاك السحاب ثم تكلم القرآن عن كيفية خلق الأرض ومبدأ كونها كتلة ملتهبة الى ظهور الحياة على سطحها فقال فى كيفية بدء تكوينها « أم جعلوا لله شركاء خلقواكخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النارابتغاءحلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الأمثال » ومعلوم عند أهل العلم الحديث أن الارض حين انفصالها عن الشمس كانت كتلة سديمية من السائل الشمسى الملتهب دارت حول نفسها فتركزت الحرارة فى باطنها واستعد سطحها للبرودة ثم أمطرت السماء عليها أدواراطويلة وتكونت بحارها ثم تكونت على مدى هذه الادوار قشرتها اليابسة وذلك بواسطة التبخر والأمطار المتتابعين وأراد الله عز وجل أن يعلمنا الكيفية التى بدأ بها تكوين الارض فقال « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا » أى طافيا فوق الماء من أثر غليانه . ولما ذكر الله هذا الزبد الذى لا يظهر الا عند اشتداد الغليان ذكر الزبد الذى يقابله فى غليان المعادن حيث قال «ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله» أى مثل الزبد الذى تكونت منه الكرة الارضية. والحاصل عن التفاعل بين النار والماء والهواء وسرعة الحركة للذرات التى تكونت منها العناصر ومن ثمت المعادن وغيرها من الجوامد والسوائل وفى قوله بقدرها أى بتقدير علمى مقاس وموزون فى نسبة بعضها الى بعض وكذلك تكلم عن النهاية الكونية كما تكلم عن التكوين وذلك فى قوله تعالى « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت » ومعنى ذلك قوله اذا البحار سجرت أى اشتعلت والتهبت من شدة الحرارة وتحول سائر العناصر الى الايدروجين «الثقيل» مرة ثانية كما بدأت وذلك تحقيقا لقوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » هذا وبعد أن جمدت قشرة الأرض وخبت حرارتها واعتدل جوها وصارت صالحة لظهور الحياة عليها بدأ الله فيها الحياة وكان البدء فى البحار حيث خلق أول الأحياء وهى الكائنات ذات الخلية الواحدة مثل الاميبه والبرتزوا وغير ذلك تحقيقا لقول الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » وذلك ما يقول به العلم تماما . فخلق الله النبات والحيوان بعد أن مهد الأرض لسكنى خليقته التى خلقت بعد ذلك ودلنا على الكيفية بقوله « والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها - والارض مددناهاوألقينا فيهارواسىوأنبتنا فيها من كل شىء موزون » « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » . صدق الله العظيم .

تنظيم الجمعيات الإسلامية

الأستاذ عبد الله امام

- التخطيط يجب أن يدخل مجال الدعوة الإسلامية
- الفرق بين مجلس ادارة شركة ومجلس ادارة جمعية خيرية
- الجمعيات يجب أن تتبع الاتحاد الاشتراكى
- المجلس الأعلى مسئول عن توجيه الجمعيات

مجتمعنا يقوم على أساس من التخطيط المدروس . المبنى على أسس علمية سليمة ..

والتخطيط فى مجال الخدمات يهدف الى ان تصل الخدمة لكل مواطن ، فى ظروف ميسرة ، وفقا لاحتياجات النـــاس ، وامكانيـات ، واولويات التنفيذ ، كما يعنى الا تركز الخدمة كلها فى مكان واحد ، ولقطاع واحـد من المواطنين دون سواه ..

ولدينا اجهزة للتخطيط على كل المستويات ، بل ان هذه الكلمة الحديثة التى دخلت بقوة، كل الدول النامية وفرضت نفسها عليها ، هذه الـكلمة نفسها قد دخلت الآن المحـافظات مع الحـكم المحلى ، فرأينـا عددا من المحافظين يؤمنون بأهمية التخطيط ، ويضعون خطـطا لبرامجهم المحلية التى لم ترد فى خطة الدولة .

وعلى ذلك فقد اصبح لدينـــا فى الميادين الاجتماعية خططا تطبق ، وفى مجالات التنمية الاقتصادية ، وضعنا خطة مؤيـدة لمدة عشر سنوات سوف تنفـذ فى ثمانية ولقد وضـعت خطـة للتعليم خلال السنوات القادمة يتم بموجبها ايجاد مكان لكل طفل ولـكل راغب فى التعليم بالمدرسة ، وفى الميدان الثقافى وضعت خطة ثقافيـــة تهدف الى بناء قصور الثقافة فى المدينة و « دوار » الثقـــافة فى القرية ، كما وضعت الخطة لكى ينتقل النشاط الفنى والمسرحى من القاهـــرة الى ســـائر المحافظات .

واذا نظرنا الى ميدان الدعوة الدينية فى بلادنا وجدنا انها لا تقوم بناء على خطة مدروسة . ولا يقصد بالخطة هنا ، ان تتضمن انشاء عدد من المساجد كل عام .. وان يضم عدد آخر منها الى الاشراف الحكومى .

ان ذلك هو الجانب المادى من الخـطة . ولكن الجانب الروحى مفقود فليس هناك خطـــة للدعوة والارشاد فى مجتمعنا تقوم على نفس الاسس العلميـــة المدروسة التى تقوم عليها خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ..

ولقد كان لابد من هـذه الكلمات السريعة . قبل ان ادخل الموضوع الذى أردت أن اتكلم فيه .

وحتى لا يتشعب الموضوع .. وننوه فى تعريفات عن التخطيط . وندخل فى متاهات عن التخطيط الثقافى . والتعليمى ، وهل يتضمنان قدرا كافيـــا ولائقا ومعقولا عن الدين الاسلامى باعتباره عمودا فقريا فى بناء مجتمعنا اليوم .. فاننى أبادر فأقول ان هـذا الـــكلام كله كان مقدمة قصيرة .. لحديث سريع عن الجمعيـــات الاسلامية فى بلادنا ..

ففى بلادنا اليوم عشرات ، بل مئـات من الجمعيات الاسلامية ..

بعض هذه الجمعيات يدعو الى البر . وبعضها يدعو الى الخير وبعضها يدعو الى الزكاة . وبعضها يتخصص فى الدعوة الى الحج . وبعضها يتوه بين هذا وذاك .

وبعض هذه الجمعيات تؤدى واجبها وزيادة ، وبعضها لايؤدى شيئا ، ليس لهـا جمهور ولا رواد ، ولا يسمع عنها أحد ..

بعض هذه الجمعيات يتقاضى اعانات حكومية ، وبعضها تمنع عنه الاعانات الحكومية .

بعض هذه الجمعيات تقوم على أهداف نبيلة ، وتدعو جادة الى الاصلاح. وبعضها يتستر وراء الأهداف ، ووراء الاصلاح ، ولا يفعل شيئا ..

ولسنا فى حل الى ان نذكر امثلة وان نتحدث عن وقائع .. فالصورة الواضحة التى يعرفها كـل الناس عن هذه الجمعيات هى انها جمعيات قامت على اساس من الجهود الفردية والعاطفية ، وتجمع عدد من الأشخاص المؤمنين بالفكرة - أو الغير مؤمنين وكونوا جمعية اسلامية ، واصبحوا هم اعضاء فى مجلس ادارتها .. ومجلس ادارة هذه الجمعيات بالانتخاب - كما يقول قانون الجمعيات ، والمفروض ان الناخبين هم الاعضاء

وهذا النص - فى أغلب الظن - قد اخذ نقلا عن قانون الشركات القديم حيث ينص على ان يجتمع المساهمون لينتخبوا مجلس الادارة .. وبالنسبة للشركات فالمساهمون هم اصحاب المصلحة الحقيقية فى اختيار اعضاء مجلس الادارة ، الذى يأتمنوه على نقودهم . ومع ذلك فلقد رأينا أنهم لا يذهبون الى الجمعيات العمومية ، ولا يشتركون فى الانتخاب . فهل تكون جادين اذا طلبنا من أعضاء الجمعية الخيرية أن يذهبوا لينتخبوا مجلس الادارة .

ماذا كانت نتيجة ذلك .. ان رؤساء الجمعيات - كل الجمعيات خيرية وغير خيرية - قد احتلوا مقاعدهم كأنها بالوراثة ، واصبحت مجالس الادارات لا تغير على الاطلاق .

ولذلك فان مجالس ادارة الجمعيات كلها فى حاجة الى أن يعاد النظر فيها على ضوء كل هذه الاعتبارات بحيث تمثل الصورة الجديدة للمجتمع ، تمثيلا حقيقيا ، وتقضى على احتكار المناصب ، وتتيح لاكبر عدد من المواطنين أن يتدربوا على القيادة وأن يمارسوها ممارسة عملية .

***

ومع ذلك ..
فان حديثنا الان مقصور على نوع واحدمن الجمعيات .. هى الجمعيات الاسلامية .. ذات الصبغة الدينية ، والنشاط الدينى فقط ..

ان بعض هذه الجمعيات تقوم على منح الاعانات - وأيا كان الرأى فى نظام الاعانات فى المجتمع الاشتراكى ، وما ينبغى أن يقوم عليه من أسس تختلف تماما عنها فى النظام الراسمالى حيث الجمعيات توزع اعانات - أقول أيا كان الرأى فى نظام هذه الاعانات . فهى تحتاج الى دراسة .. ومعها يجب أن تدرس حالة هذه الجمعيات التى لا هدف لها سوى البر وتوزيع الاعانات بحيث تكون منسجمة مع مجتمعنا وبعض الجمعيات تقوم بالدعوة الدينية ، وبحمل أعباء كثيرة فى سبيل القيام بها ، وقد تتحمل هذه الأعباء وحدها دون معاونة من أحد .

وفى بلادنا عدد كبير من هذه الجمعيات لنا أن نسأل عن دورها ، ماذا ادته . وما كان ينبغى ان تؤديه فى مجال نشر الدعوة الاسلامية والمساهمة فى نشر التوعية الدينية ، ونشر الثقافة الدينية ..

الحقيقة أن هذه الجمعيات كلها تقوم على اساس من الحماس ، والاخلاص الشخصى ، وفى ود الذين يعملون بها أن يعملوا الكثير ولكن امكانياتهم عاجزة ، فهم عادة ينفقون من جيوبهم . وقد لا تتحمل هذه الجيوب مثلا عبء اصدار صحيفة حديثة . فى مجتمع تحولت فيه الصحافة الى صناعة كبيرة تحتاج الى امكانيات وآلات ومطابع وراسمال كبير ، لا تقدر عليه جهود التطوع وحده .

وقد يكون ذلك ، وغيره من الاسباب التى كانت الدافع الى ركود هذه الجمعيات ، والمنظمات الاسلامية ، وتلاشيها حتى لم يبق منها سوى اسمها ، وسوى لافتات معلقة على جدران باهتة .

ولكن هذه الجمعيات يجب ان تقوم وان تدعم لتؤدى دورها فى التوعية ، ونشر الثقافة الاسلامية .

ولا يمكن أن تقوم هذه الجمعيات بهذا الدور الا على اساس من التخطيط ، الذى يحدد لكل جمعية حدودها ، وواجبها ، واختصاصها ، لا ماذا تفعل ، وماذا ينبغى أن تفعل .. وأين تقف .. والى أين تسير حتى لا تصطدم مع الجمعيات الاخرى المشابهة لها فى الغرض والهدف ..

ان هذه الجمعيات يجب أن تنطلق فى حرية ، وقوة لتؤدى رسالتها . ولكن على أساس من التخطيط حتى توزع خدماتها على المواطنين ويمنع التضارب بينها .

وهذه الجمعيات يجب أن تدعم ، وان تتحول الى نواد تضم مكتبات دينية ، وقاعات للمطالعةوالمحاضرات والارشاد ، ونواد للشباب .. وغيرها من الوسائل الحديثة .

يجب أن تكون خلايا ثورية فى قوة الاسلام وعظمته وهذا لا يمكن أن يتحقق لها الا اذا وضعت داخل اطار من التنظيم الذى يدخل فى التنظيم العام لأجهزة الدولة كلها لنعرف ماذا تؤدى وماذا عليها أن تؤديه ، وبأى وسيلة تؤدى هذه الاغراض .

ولنضمن أيضا أن ما تقوله للناس هو الصدق ، وهو الذى ينسجم مع حيـاتنا وبيئتنا وتطورنا ومجتمعنا اليوم .. فلايمكن أن تترك أمر الدعوة فى هذه الجمعيات اجتهاديا ، وفرديا ..

انه من الغريب ان تكون النقابات العمالية ، والمهنية التى تمارس عملا وسط مجتمع محـدود ، وفى حدود اختصاصات ومهام حددها القانون بدقة ، وتخضع لاشراف دقيق ..

من الغريب أن تكون هذه النقابات موضـع تدقيق فى اختيار أعضاء مجالس ادارتها « فلا يختاروا قبل أن يستوفى فيهم عـدة شروط ، وألا يطبق ذلك على أعضاء جمعيات الدعـوة الاسلامية ، ومجالهم أوسع ، ومحيط نشاطهم أكبر .. لانـه المجتمع كله بكل قطاعاته ، لا يقتصر على قطاع دون آخر ، ولا على فئة دون اخرى .

والاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم الام ، ومنه تخرج كل المنظمات الشعبية الاخرى ، وجمعيات الدعوة الاسلامية تنظيمات شعبية ولا شك ، لذلك فانها يجب أن تخضع لاشراف الاتحاد الاشتراكى وأن تنبثق عنه ،

وتؤدى دورها فى الحـــدود التى يخططها لها الاتحــاد الاشتراكى بحيث لا يمتـــد عن مهمتها فى نشر الثقافة الاسلامية والدعوة الى الاسلام وما تضـــمنه من أسس أخلاقية واجتماعية وسياسية وغيرها ..

***

ولا يمكن أن يقف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية من هذه الجمعيات موقفا سلبيا فلا يمدها بالمكتبات الكاملة، والمطبوعات العديدة ولا يمنحها من الامكانيات ما يعاونها على أداء رسالتها فتؤدى هذه الجمعيات هى بيـــوت للشباب المسلم والدعوة فيها دعوة للشـــباب المسلم ، ومحاضرو المجلس الاعلى يجب أن ينتقلوا الى هـــذه الجمعيات ، ليعظوا فيها ، وليحاضروا الشباب والناس فيها .

والمجلس الاعلى للشئون الاســـلاميه يجب ان يمتد نشاطه الى هذه الجمعيات ، فيدفعها الى الامام ، ويمنحها قوة على قوتها ويشترك فى وضع التخطيط لها .

ان المجلس الاعلى ينبغى أن يكون القيادة الذى يخرج منه كل نشاط دينى على النطاق الشعبى ، وان يوجه العاملون فيه جهودهم الى نشر الدعوة الاسلامية باسلوب مبسط وبعيدا عن التعقيـــــدات الأكاديمية فى الداخل والخـــارج .. وما زلت مصرا على أن معـــركتنا الـــكبرى لنشر الثقـــافة الاســـلامية ، هى هنا فى الداخل أولا فى اربعة آلاف قرية ، و ٢٠ الف عزبة يضمها ريفنا ويسكنها اكثر من ١٨ مليون مواطنـــا يتوقون شوقا الى ان يسمعوا الوعظ والارشاد كل ساعة، ولا يملون حديث الدين الحلو على اسماعهم ..

ان التبعية الادارية لهذه الجمعيات كلها يجب ان تكون للاتحاد الاشتراكى العربى ، أما التبعية الفنية اذا جاز التعبير فتكون للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

***

اننا لا يمكن ان نتصور ان تقوم جمعيات هدفها واحد تتصارع على الدعوة الاسلامية .

ولا يمكن أن نتصور ان تقوم هذه الجمعيات دون ان يكون لديها من الامكانيات مايعاونها على أداء رسالتها .

ولا يمكن أن نتصور أن يظل مجال الدعوة الاسلامية فى المحيط الشعبى الغيـــر حكومى غير منظم يقوم على الارتجال ، وعلى الجهود الفردية .

فان الاشخاص مهما بلغ اخلاصـــهم ، وتفانيهم فى العمل . لا يستطيعون ان يقوموا وحدهم بكل شيء ...

ولابـــد أن يقف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الى جوار هذه الجمعيات ، لابد أن يعاونها وان يمتد نشاطه اليها ليزودها فورا بالمكتبات .. ثم يدرس امكانياتها ، ومدى ماتؤديه من خدمات ، ومدى تعارضـــها ، ويبحث امكان ادماج بعضها فى البعض الآخر .

و ...

دراسات عـــديدة أخـــرى يجب ان يقوم بهـــا المجلس الاعلى حتى تنطلق هذه الجمعيات ، ولا تقف وحدها فى الميدان ..

ان بلادنا تحتاج اليوم الى كل طاقة خلاقة قويةمؤمنة، وهـــذه الجمعيات والمنظمات تضم خلايا جيدة ، وعناصر يمكن ان يستفاد بها .

كل ما يقف امام هذه الجمعيات هو الامكانيات .. والتنظيم .. فهى تعرف الطريق .. ولكنها لا تجـــد السبيل اليه .

وهى - قطعـــا - تؤمن بالتنظيم .. وتطلبه لنفسها ، وللمجتمع كله .

وهذه الجمعيات لكى يتحقق لها كل هذا - لا بد لها من قيادة موحدة تخطط وتوجه - كما قلنا - حتى لا تترك فى المتاهات تعتمد على الجهود الفردية .

ان كلمة التخطيط التى دخلت حياتنا فى كـــل مناحيها يجب ان تدخل الى الدعوة الدينية عن طريق هذه الجمعيات .

وهذه هى احدى مسئوليات المجلس الاسلامى .

وهى مسئولية هذه الجمعيات أيضا .. ان عليها ان تدرس امكانياتها .. وماذا تريده .. وماهو اهدافها .. وهل اســـتطاعت أن تحقق هذا الهدف أم مازال امامها الكثير . وما هى الاسباب التى تعترض هذه الاهداف .

وهـــذه الدراســـات نفسها التى تقدم من الجمعيات والهيئـــات الاسلامية الموجودة فى مصر يمكن أن تـــكون بداية عملية تنظيمية كبرى تهدف صالح المجتـــمع .. وصالح الجمعيات نفسها ..

ولا اظن ان الاعضاء يعارضون .. لان الهدف واحد.. هو خدمة الدين ، ورفع لوائه .. والمسالة أكبر من ان تتحول الى مسالة أشخاص .. انها قضية عامة ، واكثر الناس ايمانا بها هم الذين عانـــوها .. وعاشوها بانفسهم .. لانهم احســـوا بما ينقصهم ، وتمنوا ان يتمكنوا من تحقيق ما يريدونه ..

والمفروض من تنظم هذه الجمعيات ان يكون الهـــدف من التنظيم ، هو تحقيق كل شيء .. تحقيق اهداف هذه الجمعيات .. والجمعيات والتنظيمات الاسلامية اهدافها واضحة .. لا تحتاج الى شرح .

صفحات من التاريخ

جمال الدين الأفغاني واختلاف الآراء فى شأنه

للأستاذ عبد المنعم حماده

يخيل الى ان القارىء — مهما كانت ثقافته — لن يمل من قراءة التاريخ وسير العظماء الذين صنعوا لبلادهم اشياء يتحدث بها المتحدثون ويرويها الرواة على طول الزمن ، ففى هذا التاريخ عرض لأمجاد السالفين ، وحديث عن الاجداد الراحلين ، ولوحة تظهر عليها أعمال الغابرين ، والتاريخ توضيح للعادات والأخلاق والتقاليد فى سالف الأيام ، والتاريخ سرد للاقاصيص والحكايات التى تتغنى بالبطولات التى تثير النخوة والعزة وتدفع بالنفس الى الجد فى طلب المعالى ، كما أنه فى نفس الوقت سرد للاقاصيص والحكايات التى تستنكر المخازى مما يوقظ فى النفس الرغبة فى مداواة ما فسد من طباع الناس وما أعوج من أخلاقهم ، ثم السير بهم فى الطريق المستقيم .. وليس من شك فى أن كل هذا أو ذاك مما يستهوى النفس الى القراءة ، بل والى التعمق فى هذه القراءة لنعرف من أسرار الماضى ما يعيننا على المضى فى طريق المستقبل .

ويخيل الى أننا فى هذه المرحلة من حياتنا احوج ما نكون الى الرجوع لهذا التاريخ القديم نشم عبيره من خلال السنين ، ونتفيأ ظله على البعد ، لاننا فى هذه المرحلة نبنى حياتنا الحاضرة التى تحدد موقفنا من هذا العالم الذى تتصارع فيه القوى لامتلاك الفضاء بعد ان ملكت الارض ، والتحليق فى أبعاد السماء بعد أن ضاقت بها جنبات اليابسة .. ولأننا فى هذه المرحلة نضع الأساس لمستقبلنا .. ذلك الأساس الذى سوف يوضح لنا من الآن مكاننا من ذلك العالم .

ويخيل الى أننا فى هذه المرحلة من حياتنا أحوج ما نكون الى الرجوع لهذا التاريخ القديم لتصحيح الاتهامات التى ينسبها الينا الأعداء من كل جانب ، ومن كل لون اما بقصد الاساءة الينا والى تاريخنا العربى الاسلامى المجيد حينما يقولون اننا لسنا أهلا للحرية ، ولسنا فاهمين للاشتراكية ، ولسنا قادرين على الوحدة ، تلك الأسس التى نبنى عليها حياتنا الحاضرة وحياة أبنائنا من بعدنا جيلا بعد جيل ، ويحاولون التدليل على ذلك بان العرب انقسموا دويلات وقعت فى قبضة الاستعمار مستعبدة لأزمنة طويلة .. وأن الطبقية عاشت فى بلادها مخضرة العود زاهرة شامخة متجبرة ، وأن الدول العربية فى صراع بعضها مع بعض فكيف لها الوحدة ، وكيف لها الترابط .. وقد فات هؤلاء الأعداء أن العربى ، وأن المسلم مهما كان وطنه أو لونه لم يتعشق شيئا كما تعشق الحرية ، وأن الاستعمار على الرغم من ألاعيبه لم يستطع أن يغير من نزعته الى الحرية .. ولم يؤذه أو يؤلمه شىء كما آذاه أو آلمه اغتصاب بلاده وتقييد حريته .. والأدب العربى .. والتاريخ العربى .. والقصص العربية مليئة كلها بالآيات الدالة على تمجيد العربى للحرية والتغنى بها والتضحية فى سبيلها .. ونسى هؤلاء أن الاسلام دين الاشتراكية ، ودين الناس جميعا ، فمنزل القرآن سبحانه يقول : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .. والاسلام دين الخلق على اختلاف ألوانهم وأهوائهم فهو دين الفقير والغنى ، ودين الضعيف والقوى ، ودين المرأة والرجل ، ودين الأسود والأبيض ، لا يفرق بين هذا وذاك فكلهم لآدم وآدم من تراب .. وهو دين المحكوم والحاكم لا ينصف واحدا على الآخر الا بالحق والعدل فكل منهم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، والضعيف فى نظر الاسلام قوى عند ولى الأمر حتى ينصفه ، والقوى فى نظره ضعيف حتى يقتص منه .. ونسى هؤلاء أن الأمة الاسلامية كانت أمة واحدة من الخليج الى المحيط ترفرف عليها راية واحدة ، وتتكلم لغة واحدة ، وتجمع بينها اخلاق وعادات وتقاليد واحدة .. ونسى هؤلاء أن المجتمع

الجديد الذى يقوم على الديموقراطية والاشتراكية والتعاونية انما هو نابع من هذه الأخلاق والعادات والتقاليد التى ورثناها عن أجدادنا ، والمبادىء السامية التى ينادى بها ديننا الحنيف .. ونسى هؤلاء أن ماوقع فيه العرب الآن من تفرق وتخاذل انما هو عرض زائل سوف تعود بعده المياه الى مجاريها باذن الله ، وسوف تشرق الشمس من جديد على القومية العربية التى تجمع الشتات ، وتوحد الكلمة ، وتعيد للتاريخ نضارته ، وتضرب فى الأيام بعزم لا يلين يضىء المستقبل كما أضاء الماضى بنور القوة والعلم والحضارة .

نعود فنقول اننا فى هذه المرحلة أحوج ما نكون الى الرجوع لتاريخنا العربى الاسلامى نستلهم منه الموعظة الحسنة ، والمثل الصالح .. ولذلك يخيل الى - كما قلت فى أول الأمر - أن القارىء لن يمل قراءة هذا التاريخ ، وهو بحمد الله مزدحم بالأمجاد ، مزدهر بالشخصيات اللامعة التى نعتز بها ونفخر .. ولعل فى مقدمة هذه الشخصيات بالنسبة للعصر الحديث ، شخصية الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الأفغانى الذى تحدثنا فى العدد الماضى من هذه المجلة عن حياته بصفة عامة منذ ولادته حتى اختاره الله الى جواره ، أما حياته كرائد من رواد النهضة الاسلامية والاجتماعية الحديثة ، واختلاف الكتاب والعلماء فى هذه الحياة ، فى شخصيته ، وفى آرائه وتعاليمه فشىء آخر ، وهو ما نرجو ان نلقى عليه بعض الضوء فى هذا الحديث ، وما قد يأتى بعده من أحاديث .

***

لقد تطلع العالم الاسلامى منذ انقضاء عهد المجتهدين فى الدين الى رجل ترشحه كفاءته ، ويذكيه اجتهاته للقيام بحركة اصلاح شاملة تنهض بالمسلمين من غفوتهم ، وتبث فيهم حمية تدفعهم الى مجاراة التقدم والرقى ، وتدعوهم الى فهم الدين فهما يوافق روح العصر وحاجاته ..ووهب الله الاسلام بعد طول تطلعه وانتظاره السيد « جمال الدين الأفغانى » الذى كان له من أيمانه ورغبته فى اعلاء شان المسلمين ، والعمل على توحيد كلمتهم ، وجمع شملهم ، وسعيه لايجاد أمة تعيد مجد الاسلام ما جعله فى طليعة زعماء الاصلاح فى الشرق ، وأقوى عامل فى نهضته الحاضرة .

وقد اختلفت كتابات المؤرخين الذين تناولوا جمال الدين بالدراسة ، وتباينت آراؤهم عندما وضعوا حياته وأعماله وأفكاره موضع البحث والتفنيد .. ولازمه اختلاف الكتاب وتباينهم فى أمره حتى آخر حياته .. واذا نحن أردنا أن نمحص أسباب هذا الخلاف تمحيصا دقيقا ونقلبها على وجوهها المختلفة شق علينا الأمر ، فحياته قبل وصوله الى مصر واتصاله بتلميذه وصديقه الامام محمد عبده قليلة المراجع التى لا تكفى للوصول الى حقيقة جازمة تقطع كل شك ، وتقضى على كل خلاف ، ومما يقوله المستر « براون » فى ذلك : ان الاضطراب والغموض اللذين أحاطا بجمال الدين الأفغانى حالا دون معرفة أمره وما كان عليه فى حياته العامة والخاصة قبل عام ١٨٧١ م .

وكان أول ما اختلف فيه المؤرخون من أمر العالم الثائر حقيقة الوطن الذى ولد فيه.. يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق : « وهل هو بعد ذلك قد ولد فى أسعد اباد قرية من قرى كنر من أعمال كابل من بيت عظيم فى بلاد الأفغان ، حنفى المذهب ، ينتمى نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب ، وفى كابل تلقى علومه واستكمل الغاية من دروسه ؟

« أم هو قد ولد فى أسعد أباد قرب همدان من أعمال فارس ، وتعلم فى مدينة قزوين ومدينة طهران ، ثم سافر الى الأفغان وليس أفغانى الجنس كما يزعم أهل السنة والجماعة ؟

« أم أن والده من أهالى مازندران احدى ولايات ايران ، وكان ضابطا فى الجيش الايرانى أوفدته حكومته الى بلاد الأفغان لمهمة فطابت له السكنى هناك وتزوج وولد له جمال الدين فى ايران وحمله معه صغيرا » .

هذا ما يقوله الشيخ « مصطفى عبد الرازق » ، أما المستر « براون » فيقول : ان جمال الدين لم يصرح بحقيقة الوطن الذى ولد فيه لينفى عنه مذهب الشيعة ويدخل فى عداد المسلمين ، لأنه قدر أن اصلاح المسلمين أيسر لمن كان يدين بالمذهب الغالب على الأمم الاسلامية .

ويرى الامام الشيخ محمد عبده أنه وان كان فارسيا فقد أنتسب للافغان لهذا السبب الذى ذكرناه نقلا عن المستر براون ، وليستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج .. ويقال انه فعل ذلك ليتخلى عن الحماية الفارسية التى كان يشك فى قيمتها.. وقد رجعت الى ما كتبه محمد عبده عن أستاذه فى مقدمة «رسالة الرد على الدهريين» وذكره الشيخ رشيد رضا فى كتابه « تاريخ الاستاذ الامام » فاذا به يتحدث عن جمال الدين قائلا : « هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر من بيت عظيم فى بلاد الأفغان » .. ومعنى ذلك أنه يعتقد فى أفغانية استاذه ،ولست أدرى كيف اختلف الكتاب فى النقل عنه .. وان دل هذا الاختلاف على شىء فانما يدل - كما قلنا - على تباين المؤرخين فى أمره ، وتضاربهم فى معرفة الوطن الذى ينتسب اليه ، ورغبة كل من أفغان وفارس فى أن ينتمى اليها حتى ينالها الفخر من ورائه .

واختلف المؤرخون فى وصفه ، فبينما يقول الامام محمد عبده أنه كان ربعة فى طوله ، وسطا فى بنيته ، قمحيا فى لونه ، اذا بسليم العنجورى يقول انه كان يأكل وجبة واحدة ، ويكثر من شرب الشاى والتبغ ، واذا تناول مسكرا فقليلا من الكونياك .. ويعترض الشيخ رشيد رضا على ذلك قائلا انه لم يكن يأكل منفردا ، ولم يسمع حتى من أعدائه أنه كان يتناول مسكرا من المسكرات ، فان لم تكن التهمة فرية فقد تكون لخطأ فى النظر ، أو لعدم معرفة حقيقة ما كان يتناوله ، ويقول : ربما كان ذلك القليل تداويا من مرض ظنه الناظر عادة .. هذا ان صح انه تناول ذلك القليل .. غير أن الامام استطاع أن يقنع سليم العنجورى بخطأه ، وقد اعترف هو نفسه بما ذهب اليه من خطأ فقال : « أسعدنا البحث بان التقينا هاته الأيام بصديقنا المحلى بحلية الفضل ، الحائز قصب السبق فى مضمارى العقل والنقل الشيخ محمد عبده أعز أخلاء الحكيم المشار اليه - أى جمال الدين - فجال بيننا حديث أفضى الى البحث بما يرويه عنه بعض الناس رويناه نحن عنهم فأوضح لنا بدلائل ناهضة ، وبراهين داحضة ، أن ما تتناقله الألسن من هذا القبيل ما كان الا من آثار ما رماه به بعض من غمرتهم أياديه فجازوه بالكنود » .

واذا كان الكتاب والمؤرخون قد تباينوا فى أمر جمال الدين واختلفوا فى وصفه وفى معرفة حقيقة أخلاقه وسجاياه، فقد كان تباينهم واختلافهم أقوى وأشد فى نواح أخرى ذات أهمية وذات أثر كبير .. اختلفوا فى أمرين عظيمين :

فأما الامر الأول فالأثر العميق الذى أحدثه فى الشرق عامة والعالم الاسلامى خاصة ، ثم انتشر صداه فى أنحاء

العالم كله وكان من نتيجة ذلك التطور الفكرى والنظر الى الاسلام نظرة عميقة مشبعة بروح العلم والفلسفة ، وتلك الطريقة فى فهم الدين وتفسيره فهما وتفسيرا يوافقان روح العصر وتطور الزمن .

وأما الأمر الثانى فالعقيدة الثابتة الراسخة التى اعتنقها ودافع عنها وقاسى من جراء اعتناقها والدفاع عنها ما قاسى من نفى وتشريد حتى مات غريبا بعيدا عن وطنه وقومه .

والذى نريد الوقوف عليه هو . هل كان لجمال الدين كل الأثر الذى ينسبه اليه أصدقاؤه ومريدوه ..؟ وهل كان حقيقة باعث النهضة الدينية التى ظهرت بوادرها فى الشرق فى ذلك الوقت ؟.. وهل كان جمال الدين اليد المحركة والقوة الغامضة والروح المسيطرة التى دفعت شعوب الشرق الى محاولة التخلص من حكومات الاستعمار والدعوة الى الحرية والاستقلال ؟.. والذى نريد الوصول اليه وكشف الستار عن حقيقته هو قوة عقيدته واتجاه تفكيره .

فاما الأثر الذى أحدثه جمال الدين الأفغانى فمما لاشك فيه أنه كان عظيما بل وبالغا منتهى العظمة ، واذا علمنا أنه لم يبق من مؤلفاته وآثاره متداولا بين أيدى القراء غير « رسالة الرد على الدهريين » ، وان شهرته برغم هذا انتشرت فى كل مكان ، وأن صيته قد ذاع فملأ الاسماع ، وأن مريديه كثروا فى كل قطر ، وأن الحكومات الطاغية حاربته ، منها حكومات نفته بعد أن ضيقت عليه الخناق ، ومنها حكومات آذته واساءت اليه فى بدنه وفى نفسه وفى عقيدته .. اذا علمنا هذا كله استطعنا أن نحكم ونحن على يقين من هذا الحكم أن أثر جمال الدين كان عظيما وانه فاق كل أثر قبله .. وكانت عظمة العالم الثائر تتلخص فى كلمتين اثنتين هما : الجاذبية والشخصية فجاذبيته هى التى تركت الأثر البالغ أشده فى فارس ومصر والهند وتركيا ، « لأنها البلاد التى عاش فيها بشخصه واتصل فيها بتلاميذه » .. وجاذبيته هى التى تركت القوة البادية فيمن خلفهم من المريدين .. وهى التى كانت تجمع حوله القلوب أينما حل ، وتقربه من الملوك والأمراء وتمكنه من مخاطبتهم كما يخاطب الند نده ، والزميل زميله .. وكان قوام شخصيته ثقة بالنفس لا تحد ، وايمان بالحق لا يتزعزع .. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « كان للثقة عند جمال الدين عناصر متجمعة من عراقة الحسب ، وفطرة البداوة ، ومتانة العقيدة ، وصحة التركيب ، ومهابة الطلعة ، وتعود الاعجاب والتبجيل .. واذا اجتمعت هذه العناصر الى الذكاء الخارق والعلم المتفوق فهى دعائم من اليقين تزيدها الأيام شدة وقلما يخاف عليها الوهن والتقويض » .

واما قوة عقيدته واتجاه تفكيره فقد ظهرا فى كل عمل من أعماله وكشفتهما الحوادث يوما بعد يوم .. وما كان جمال الدين يصدر الا عن عقيدة ثابتة من ايمان بالله ، وتصديق بما أنزل على الرسل ، وتقدير لعظمة الاسلام ، وما كان تفكيره الا فى اتجاه واحد هو اصلاح حال الشعوب الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، والاطاحة بكابوس الظلم الذى أثقل كاهلها السنين الطوال .

واتهم جمال الدين رغم هذا كله بالزندقة والالحاد .. ولست أدرى كيف تسرب هذا الظن الى عقول الناس ، والى عقول المفكرين منهم خاصة ، وكيف احتل من أفكارهم حيزا للتصديق ثم انتشر من غير تعرف على الحقيقة.. وأغلب الظن أن ما نسب اليه من زندقة والحاد كان مثاره الحسد والغيرة اللذين دفعا الجامدين من رجال الدين الى نشرهما انقاصا لمكانته ، وعملا على تشويه سمعته بين الناس خوفا على مراكزهم ، وخوفا على ما كانوا يتمتعون به من جاه أو سلطان .. وأغلب الظن أنهم أذاعوا ذلك عنه لأن جمال الدين كان يهاجمهم فى آرائهم السخيفة ، وفيما كانوا يدخلونه على الدين من بدع وخرافات أضرت بعقول العامة وانقصت من شان الاسلام وعظمته فى نظر المناوئين له ، والعاملين على هدمه ، وكانت هذه المهاجمة تضر كثيرا من أولئك الجامدين فى أسباب معاشهم وموارد رزقهم ، وفى احترام الناس لهم ولآرائهم .

واختلف الناس فى اسباب وفاة جمال الدين ، فمن قائل انه مات مسموما على أثر مكيدة دبرت له فى الخفاء وأوعز بها رجال «المابين» .. ومن قائل انه توفى لاهمال فى علاجه من المرض الذى اصيب به وكان هذا الاهمال بايعاز من السلطان .. ومن قائل انه توفى وفاة طبيعية لا أثر فيها لمكيدة أو اهمال .. وقد جاء فى الجزء الاول من كتاب « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » للسيد رشيد رضا :

« المشهور انه أصابه وجع فى احدى اسنانه أو أضراسه ، فاشار الطبيب بقلعها ، فحصل له التهاب فى موضعها كان يعالجه له الطبيب ، ثم ظهر فى فكه السرطان، فعملت له عملية جراحية فلم تفده ، ولم يلبث أن توفى على أثرها ، فشاع فى كثير من البلاد أنه مات مسموما كما شاع مثل ذلك فى موت الأستاذ الامام ، وموت السيد عبد الرحمن الكواكبى .

« ولما توفاه الله تعالى صدرت الارادة السلطانية الى الجرائد العثمانية بان لا تكتب فى شانه شيئا ، بل ضبطت الحكومة فى سورية جميع الجرائد والمجلات المصرية التى ابنته ، وأعنى غير الممنوع منها كالهلال والبيان » .

***

وخلاصة القول ان جمال الدين كان فى حياته كثير الأعداء ، كثير المناوئين له ، الراغبين فى هدمه والقضاء عليه ، وكان بعد وفاته كثير المعارضين لأفكاره وآرائه ، الراغبين فى الحيلولة بينهما وبين الذيوع والانتشار ، ولكنه على الرغم من هذا وجد من أنصفه ووفاه حقه وأجبر المحدثين على البحث فى حياته ، والنظر فى آرائه وأفكاره ، واعطائها ما تستحقه من تقدير واحترام .

يقول عنه المستر « براون » انه كان رجلا ذا خلق قوى غزير العلم ، موفور النشاط ، لا يجد الوهن اليه سبيلا ، جريئا ، مقداما ، وكانت فصاحته لا تجارى خطيبا كان أم كاتبا ، وكانت لطلعته هيبة فى النفس وعظمة وجلال .

« كان فيلسوفا وكاتبا وخطيبا وصحفيا ولكنه كان فوق ذلك سياسيا ، وكان فى نظر المعجبين به وطنيا عظيما ، أما خصومه فكانوا يعدونه مشاغبا خطرا » .

ويقول عنه ميشيل : أيان ذهب كان يترك وراءه ثورة تغلى مراجلها ، ولسنا نعدو الحق او نكون مبالغين اذا قررنا أن جميع الحركات الوطنية الحرة وحركات الانتقاص على المشاريع الأوربية التى نشاهدها فى الشرق منذ عشرين عاما ترد أصولها مباشرة الى دعوته » .

وبعد ..

فيكفى جمال الدين فخرا ــ على كثرة اولئك الأعداء ــ ان المحدثين من رجال الدين والعلم والأدب ، والمشتغلين بالسياسة العامة قد أدركوا حقيقته فقدروه ، واحترموا ذكراه ، وأحلوه المكان اللائق به بين المجاهدين فى سبيل الاسلام والدعوة الاسلامية .

من تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى الكريم

الاستاذ حسن الشيخة

لى فى كل عام كلمة حول مولد الرسول ـ صلوات الله عليه ـ والتحدث عن مولده له آفاق يرسمها الاتجاه من الذاكرين الى القول فى هذه الذكرى الحبيبة الى القلوب ، ولكل وجهة هو موليها فى كل عام .

كلمتى فى هذا العام تدور حول تاريخ الاحتفال بالمولد الكريم ، وقد صح عندى فى هذه الذكرى أمور ألخصها ، ثم أبينها بايجاز .

أولا ـ أن المولد النبوى مهده مصر ، وقد ولد فيها ، ثم انتقل منها الى البلاد الاسلامية الأخر بحكم الجوار والاقتداء الدينى ، والحفاوة بصاحبه .

ثانيا ـ ان دولة الفواطم هى التى أوجدته بعد أن لم يكن ، وقد أخذ عنها هذه السنة الحسنة من أراد الاقتداء بها من الدول التى تعاقبت بعدها على مصر

ثالثا ـ أنه كان بعد دولة الفواطم ـ يهمل فى بعض الدول ، وفى بعض الأوقات لدواع سأشير اليها .

رابعا ـ أنه حين كان يغفل شأنه من الحاكمين ـ كانت الشعوب تقوم به بدوافع نفسية طيبة من تلقاء أنفسها دون عون من الدولة ، لأنه حبب اليهم ، وصار شعيرة من شعائرهم الدينية .

الى أن مضى عهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بنى أمية ، وعهد بنى العباس ـ دون ، أن يتولد فى الخواطر احتفال بمولده ـ صلوات الله عليه ـ لا لأن ذاته الكريمة ، قد تنوسيت ، ولكن لأنه مذكور دائما فى القلوب والأفئدة ومن الألسنة ، يتلى القرآن الذى أنزل عليه ، وتروى أحاديثه بالمشافهات ، ثم بما ألف فيها من الصحيحات ، وتتدارس سيرته بما ألف فيها من المؤلفات ، ويذكر دائما فى تشهدات الصلوات فما هى الدوافع التى دفعت دولة الفواطم الى ابتداع الاحتفال بمولده بعد كل هذه الذكريات ؟

دولة الفواطم شيعية من أشياع آل البيت ، تقول انها تنتسب الى فاطمة الزهراء والامام على ، ومذهب التشيع كان غريبا على مصر السنية ، وقد فكر الفواطم فى كل مايقربهم من أفئدة الأقوام ، وفى كل مايصير بمصر الى التشيع دون الزام أو قهر ، فهداهم تفكيرهم الى ابتداع الاحتفال بالمولد النبوى كل عام ، وقد جعلوا هذا الاحتفال بالمولد وسيلة الى تقبل احتفالات الموالد الأخرى التى صيروها من شعائرهم ، كمولد الامام على ، والسيدة فاطمة الزهراء ، والامامين الحسن والحسين ، لاسيما وأن مصر حين استقر بها المعزالفاطمى (٣٦٢هـ) ـ كانت فى محنة مجاعة طاحنة ابتداء من أواخر دولة بنى الاخشيد ، وقد جاء المعزوهو يملك كل وسائل النعماء ، وكنوز الذهب ، حتى ضرب بذلك المثل فقيل (سيف المعز وذهبه) ، واذن فستسعد الفقراء باقامة هذا المولد وغيره ، لما فيها من الصدقات ، والعوارف

والحسنات ، والعطايا والهبات والهدايا والنفحات ، ومن أقدر من المعز الفاطمى على ذلك ، ومن أكثر من الفقراء عددا اذا هم أيدوا مذهبا من المذاهب الشعائرية ، لا سيما وأن المولد المقدم على سائر الموالد الفاطمية هو مولد الرسول – صلوات الله عليه – وحب الرسول يستوى فيه السنى والشيعى على السواء وقد استمر الاحتفال بالمولد على فخامته طوال عهد دولة الفواطم .

جاءت دولة بنى أيوب بعد دولة الفواطم ، وقد تصفحت تاريخها فى اهم المراجع فلم أجد للاحتفال بالمولد النبوى أى أثر فى مصر.

الدولة الايوبية على مذهب أهل السنة والجماعة من حيث الشعائر الدينية ، وقد ألغت كل شعائر الفواطم وفى جملتها الاحتفال بالمولد النبوى فما هى أسباب ذلك ؟

بعد ان استقر الأمر فى مصر للسطان صلاح الدين أخذ يجمع القوى ويوحدها فى مصر والشام لصد غارات أهل الصليب ، وقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا ، وسلطان هذا شأنه أعتقد أنه لايفكر كثيرا فى الاحتفال بالمولد النبوى ، لأن مثل هذا الاحتفال لايكون الا حيث يوجد الامن والطمأنينة والتفرغ ، وليس الأمر كذلك فى دولة ترد اغارات أوربا على الشرق وتريد ابتلاعه ، واذن يبدو أن اغفال الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد بنى أيوب ليس راجعا الى أن الفواطم كانوا يحتفلون به ، وأن بنى ايوب ارادوا محو كل آثارهم ، لأن الذكرى النبوية التى سنها الفواطم لاتختص بأهل السنة أو الشيعة ،وانما الجميع فى تقديرها سواء ، والشيعى يذكر الرسول – صلوات الله عليه – كما يذكره السنى ، وقد جاء الخلاف بينهم فى حب الخلفاء الراشدين ، وأيهم أفضل وأكمل ، واذا كان السلطان صلاح الدين قد عطل الأزهر وغلق أبوابه ، وانتزع منه صلاة الجمعة ، فذلك لأن الأزهر هو الذى بناه الفواطم ليكون معهد الشيعة والتشيع ، ولذلك قضى عليه صلاح الدين الى أن أعاد الظاهر بيبرس سيرته الدراسية على مذهب أهل السنة ، وليس الأمر كذلك فى الاحتفال بالمولد النبوى الذى اذا توفرت مقتضياته فانهم جميعا يستوون فيه ، على أن منع الاحتفال بالمولد اذا كان منعامشددا ذا صبغة دينية فلماذا أباحت دولة بنى أيوب لأحد أركانها وهو الملك المظفر صاحب (أربل) التى كانت من ولايات الدولة المصرية ، ومن أعمال الموصل – بالاحتفال بالمولد احتفالا بالغ الفخامة ، ويقول ابن خلكان (.. ان أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده (المظفر) فيه (فى المولد) فكان فى كل سنة يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والموصل والجزيرة ، وسنجار ، وبلاد العجم .. خلف كثير من الفقهاء والصوفية ، والوعاظ والقراء والشعراء ..)

وعلى أن تقدير فاننى أستبعد أن يكون أغفال شأن الاحتفال بالمولد هو لعارض دينى، أو عقائدى ، ان هذا لايكون من مثل ملوك مسلمين عظام مثل صلاح الدين والعادل والكامل

جاءت بعد دولة بنى ايوب – دولة المماليك البحرية ، وكانت رسالتها فى الحياة مثقلة برد المغيرين عن البلاد ، وقد زادت النغمة الحربية فى عهدها ، فبعد أن كانت دولة بنى أيوب ترد غزوات أهل الصليب وحدهم – جاءت نغمة جديدة فى عهد المماليك البحرية هى رد غارات المغول ، وبحسب هذه الدولة نجاحا انه كان من أوائل سلاطينها : المظفر قطز ،والظاهر بيبرس ، وقلاوون الألفى الصالحى ، وهم الذين أبلوا البلاء الحسن فى رد الغارات والغزوات ، وبالطبع دولة هذا شأنها لم يكن عندها من الوقت والأمن والطمأنينة ما يجعلها تحتفل بالمولد النبوى الى أن انتهت مدتها .

وجاء بعدها دولة المماليك البرجية أو الجراكسة ، وقد استراحت الديار من أغارات الأشرار ، ففكر السلطان برقوق فى أن يعيد الاحتفال بالمولد النبوى ، وأكتفى فى وصف ذلك بما قاله المؤرخ السخاوى (لقد حضرت ليلة المولد سنة ٧٨٥ هـ عند الظاهر برقوق ، بقلعة الجبل ، فرأيت ماهالنى ، وحزرت (قدرت) ماانفق فى تلك الليلة .. نحو عشرة الاف مثقال من الذهب العين ، مابين خلع ، ومطعوم ومشروب ومسموع ..) وهكذا استمر الاحتفال بالمولد على هذه الفخامة فى عهد الناصر فرج بن برقوق ، وعهد

الظاهر سيف الدين جقمق ، بل زاد فخامة وجلالا ، ويروى على مبارك (باشا) فى خططه (ان الاحتفال بالمولد النبوى الشريف زاد فى عهد السلطان الظاهر « جقمق » على ماكان عليه فى عهد الظاهر برقوق ، لاسيما فى النفقات والمبرات ، وتنويع الخيرات » ولما جاء عهد السلطان الأشرف قايتباى كان المولد يخطو خطوات باهرة ، فقد قام هذا السلطان بعمل سرادق هو السرادق الأشرفى الذى ضربت به الأمثال ، وعد من شعائر الدولة ، ويقول ابن اياس (ان الاشرف قايتباى انفق على هذه الخيمة أكثر من ستة وثلاثين ألف دينار (مما يعادل ماقيمته ٢٢ ألف جنيه مصرى تقريبا) وكان من أهم شعائر الدولة المصرية وأهمها) وهكذا استمر الاحتفال بالمولد النبوى الى أن غزت البلاد الدولة التركية .

كان تصرف دولة الاتراك فى المولد عجبا فى عجب ، ويقول ابن اياس فى ذلك (وأشيع أن ابن عثمان ـ أى السلطان سليم ـ لما طلع الى القلعة ، وعرضت عليه الحواصل التى بها، رأى خيمة المولد ـ أى السرادق الأشرفى ـ فباعها للمغاربة بأربعمائة دينار .. فقطعوها قطعا ، وباعوها للناس ستائر وسفرا .. وكانت من جملة شعائر المملكة .. فبيعت بأبخس الأثمان ، ولم يعرف ابن عثمان قيمتها ،وكانت هذه الخيمة من جملة عجائب الدنيا .. وهذا من جملة مساوىء ابن عثمان التى فعلها بمصر) على أن السلطان سليم قد رأى من الرأى العام ميلا الى الاحتفال بالمولد ، فاحتفل به احتفالا هو والعدم سواء ، ويقول ابن اياس فى ذلك (.. فلم يشعر به ـ اى بالمولد ـ احد من الناس ، وبطل ماكان يعمل فى ليلة المولد من اجتماع العلماء ، والقضاة الأربعة والأمراء .. كما بطلت الأسمطة التى كانت تمدد ، وألغى ما كان يعطى للشعراء والوعاظ والفقراء من الخلع وشقق الحرير ، وأنواع الطعام) وهكذا كانت شأن المولد فى مدة الأتراك فى مصر .

هذه هى الأوليات التاريخية للمولد النبوى الكريم ، أما ماكان بعد عهد الاتراك فى مصر فهو واضح لايحتاج الى تاريخ مكتوب .

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المؤمنينَ إذ بَعَثَ فيهم رَسُولاً مِنْ أنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آياتِهِ ، ويُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ، وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .

صدق الله العظيم

اذا كان لبعض الشهور فضل على غيرها ، فلا شك أن هذا الشهر ـ شهر ربيع الأول ـ أفضلها جميعا ، لما وقع فيه من أحداث كان لها أعظم الأثر فى حياة الناس جميعا ، ففيه ظهر فى الوجود سيد ولد آدم على الاطلاق ، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وارجح الآراء فى تاريخ ميلاده الشريف ، أنه ولد عام الفيل سنة ٥٧٠ ميلادية ، فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول .

وبمولده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ انتقلت جزيرة العرب من حال الى حال ، فتوحدت كلمة أهلها ، بعد أن كانوا أشتاتا متفرقين ، وصاروا ـ بعد فترة قصيرة من الزمن ـ سادة بعد أن كانوا تابعين ، وقادة بعد أن كانوا مسوقين ، ومصدر نور وعرفان بعد أن كانوا جهلة وأميين .

فكيف استطاع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يحقق هذه المعجزات فى تلك الفترة القصيرة من الزمن ؟

كيف جمع هؤلاء القوم المتنافرين ، الذين لم يكن لهم هم الا فى التفاخر بالأحساب والأنساب ، والذين لم يكن لهم عمل الا شن الغارات ، والذين درجوا على عادات سيئة ، وتقاليد بالية ، توارثوها عن آبائهم وأجدادهم من أقدم العصور ؟

كيف تمكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعل من هؤلاء الناس المتناحرين ، المحكومين بالأساطير والخرافات ، أمة واحدة ، تدين بالاسلام ، وتنشر فى الدنيا مبادىء الحرية والعدالة ، وتدعو الى المواخاة والتراحم والايثار ، وتفجر فى مجالات العلم والمعرفة ينابيع صافية، نهل منها جميع أهل الدنيا ، وما زالوا ينهلون منها الى الآن ؟

شهر ربيع الأول

شهر الذكريات العطرة

والمناسبات الإسلامية العظيمة

الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم

أذلك كله لشيء فى طبيعة دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

نعم ، ولا شيء غير هذا .

فلا يمكن لانسان يرى أن هذا الدين هو الذى سيخلصه من قيود الذل والاستعباد ثم يعرض عنه .

ولا يمكن لانسان يرى أن هذا الدين هو الذى سيجعله على قدم المساواة مع السادة والاشراف ثم يحجم عن الدخول فيه .

ولا يمكن لانسان يرى محمدا ـ وهو يدعو الى المثل العليا ـ يطبق هذه المثل على نفسه قبل أن يدعو اليها ثم يحيد عن طريقه .

كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ذات يوم بظاهر المدينة ، فوجد جماعة غرباء يذمعون دخول المدينة ، ورأى معهم جملا أعجبه ، فاشتراه منهم بقدر من التمر ، يدفعه اليهم بعد أن يعود الى منزله ، وقاد الجمل ـ وهم ينظرون اليه ـ حتى غاب عن أنظارهم ، فرجعوا على أنفسهم باللوم ، لبيعهم لمن لا يعرفونه ، وفقدوا الأمل فى استعادة الجمل ، أو الحصول على ثمنه، وفيما هم كذلك اذا برجل يقبل عليهم ويكيل لهم التمر ـ ثمن الجمل ـ ويزيدهم عليه ، وعرفوا من هذا الرجل أن الذى اشترى جملهم هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، الذى سمعوا به فى بلادهم ، فاشتدت رغبتهم فى رؤيته ، فارتحلوا الى المدينة ، وتوجهوا الى المسجد ، فوجدوا أنه رجل صادق ، وأنه نبى لا دعى ، حيث أنه تصدق عليهم قبل أن يقول على المنبر ما قال ، فلما اجتمعوا به وسمعوا كلامه بادروا الى الاسلام .

النبى عليه الصلاة والسلام على المنبر يخطب ، وكان من كلماته التي سمعوها الحث على الصدقة ، وعندئذ أيقنوا

واستدان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مرة تمرا من رجل يهودى ، وجاء ذلك اليهودى الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم قبل الموعد المحدد للسداد ، وأمسك بتلابيبه، وأخذ يهزه هزا عنيفا ، ويوجه اليه الفاظا شديدة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاضرا ، فاشتد غضبه ، واستل سيفه ، واستأذن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ضرب عنق هذا اليهودى الوقح ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما كنا ننتظر ذلك منك يا عمر ، كنت أنتظر منك أن تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن المطالبة ، قم فاقضه دينه ، وزده شيئا جزاء ما روعته ، ففعل عمر ، واذا باليهودى ينطلق لسانه بهذه العبارات ، فيقول : استعرضت علامات النبوة فيك ، فوجدتها جميعا منطبقة عليك ، وبقيت علامة لم أتحقق من وجودها فيك ، وهى الحلم ، ففعلت ما فعلت لأتيقن من وجود هذه الخصلة فيك ، فقد وجدت ، وانى أشهد الحاضرين على أن تمرى هذا صدقة لله ولرسوله ، وانى أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

ليس غريبا اذن أن يغزو هذا الدين جميع القلوب ، وان يستهوى جميع النفوس ، وأن يستولى ـ بمنطقه ، وقوة حجته ـ على جميع العقول .

وها نحن لا نزال الى الآن ، وفى عصر الذرة والصاروخ وغزو الفضاء ، نرى كثيرا من أهالى أوربا وأمريكا يدخلون فى هذا الدين ، عن يقين واقتناع ، واليك ماقالته سيدة ألمانية ـ اعتنقت الاسلام حديثا ـ فى سبب دخولها فى هذا الدين : « ان القرآن يمد المسلمين بمبدأ اجتماعى » على جانب كبير من الخطورة والأهمية ، وهو أن كل البشر من ذكور واناث أمام الله سواء ، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، الكل سواسية ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

***

وشيء آخر وقع فى هذا الشهر العظيم ، يؤكد أهميته وفضله ، فمن المصادفات العجيبة أن يكون دخول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة « حينما هاجر اليها » فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الاول ، على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة .

ومن المعروف أن هذا الحادث العظيم كان فارقا بين عهدين ، وان الاسلام انتقل فى هذا البلد الطيب من الخفاء الى الظهور ، ومن أفقه الضيق المحدود ، الى الأفق الفسيح الذى لا حدود له ، وأن جحافل المجاهدين انطلقت من هذه البقعة الطاهرة الى كل اتجاه ، تغزو وتفتح ، وتنشر نور الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتقيم صروح العدالة والحكم الصالح بين العالمين .

***

أن الذى قفز بالعالم هذه القفزة الواسعة ، ونقل البشرية من ظلام الجهل الى نور المعرفة ، وانقذ الناس من متاهات الضلالة الى الحجة الواضحة ، ولد فى هذا الشهر المبارك .

وأن هجرته ـ التى كان لها من الأثر الطيب ما علمت ـ وقعت أيضا فى هذا الشهر المبارك .

أليس هذا الشهر اذن جديرا بالتكريم ، حقيقا بالاحياء ؟

في رحاب القرآن الكريم

معجزات العلم الحديث في سورة الرحمن

الأستاذ عبد العزيز العلي

عندما تحول البحث فى السورة الكريمة الى الحياة الآخرة ، وقفت فترة من الزمن لعل الله ان يوفقنى لاستكمال مابدأت به من معان مترابطة الحلقات ، وهذه قاعدة أيضا ، اسلفت الكتابة فيها معتقدا ان القرآن العظيم حلقة متماسكة من أوله الى آخره ومن آخره الى أوله.

ولقد ظهر لى من الآية (٣٧) من سورة الرحمن التى انتهينا عندها فى عدد رجب سنة ١٣٨٢ هـ والآيات التى بعدها أنه عندماتنشق **السماء تتخلى الارض عن اثقالها وتنطلق من** عقالها فتنبث **الخلائق كالجراد المنتشر فيومئذ لايسأل عن ذنبه أنس ولاجان ، يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصى والاقدام ، هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن .**

ويظهر أن الحميم هو جو تقيل شديد الحرارة ، ولعل هذا الجو هو جو جهنم ويمر منه المؤمن فى طريقه الى الجنة واذا كان للمجرمين كلاليب وسلاسل تأخذ بالنواصى والاقدام الى حيث جهنم لفقدان الثقل فأن ثقل وزن المؤمن يساعده على الانطلاق حيث النعيم المقيم فيما يظهر .

ولعل لقاعدة الوزن التى أسلفنا الاشارة اليها فى الحياة الأولى مشابهة ومماثلة فى الحياة الآخرة .

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » أما الاجسام التى لاوزن لها فتبقى عائمة متراطمة ، فتسحب السلاسل داخل هذا الجو الثقيل من النواصى والأقدام ، والآيات الدالة على أن الحميم هو جو النار وشراب أهلها ، والشرب الذى يقطع امعاءهم ويصهر رؤسهم ويشوى وجوههم - كثيرة فى كتاب الله أذكر

منها الايتين الكريمتين ٧١، ٧٢ فى سورة غافر ، « **اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » والآيتين ٤٧ و٤٨ من سورة القمر « يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، انا كل شىء خلقناه بقدر » والآية ٤٩ من سورة ابراهيم (وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد) والآية ١٣ من سورة الفرقان (اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا)**

وهذه القاعدة قررنا الكتابة فيها فى الأعداد الماضية أنه لايمكن الوصول الى قاع جو ثقيل الا اذا قرن الجرم الخفيف بأصفاد ثقيلة أو سحب أو أطلق الى أسفل ، ولاشك أن الانسان يزيد وينقص فى وزنه يوم القيامة أى مثقال ذرة من خير يعمله أو شر يرتكبه فى حياته الأولى ، وأيات الوزن فى القرآن العظيم كثيرة اكتفى منها بسورتى الزلزلة والقارعة ، والآيات الداله على الجوار النسبى بين الجنة والنار كثيرة ، ويحمى الله الجنة من هذا الشوب الحميمى والجو الخانق بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، وجاء فى الآية ٤٦ من سورة الرحمن وصف الجنان لمن خاف مقام ربه وجاز منطقة الخطر ، وما فى الجنان من أفنان وفاكهة كثيرة ، وجنى دان ، وقاصرات الطرف ، وان هذا الاحسان جزاء لذلك الاحسان جزاء وفاقا ، **ومن دون الجنتين جنتان مدهامتان**، ولعل معنى مدهامتان انهما خضراوان شديدتان الخضرة الضاربة الى سواد ، ومما توصف به الغابات الكثيفة اليوم فى الغرب (بالغابات السوداء) والغابات السوداء فى أوربا من أجمل بقاع العالم.

ومما يلفت النظر أن ذكر العين فى القرآن العظيم اذا ورد ذكر الجنة مفردا جاء مفرداواذا

ورد ذكرها بالتثنية جاء مثنى وجمع مع الجمع، **فيقول سبحانه وتعالى « فيها عين جارية » و« فيهما عينان تجريان » و « فيهما عينان نضاختان » و « فى جنات وعيون »** وان دل ذلك على شىء فانما يدل على أن العين انموذج للوجود كله ، ولقد سبق ان أشرت فيما كتبته فى اعداد سابقة من مجلة روزاليوسف (ولخصته فى العدد السابع من السنة الـ ٢٠ فى مجلة منبر الاسلام) الى ان الأرض تشبه العين ، كما جاء فى قصة ذى القرنين بسورة الكهف (**وجدها تغرب فى عين حمئة**) ولقد أثبتت الاكتشافات العلمية الأخيرة أن الأرض بيضاوية الشكل ، والبيضة بصفارها وبياضها تشبه العين بسوادها وبياضها **ولعل الوجود كله يشبه العين .**

لقد جاء فى الأثر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سئل ذات مرة « أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض » فأجاب « كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء » فالله - سبحانه وتعالى - هو النور لهذه العين العمياء والظلام الدامس « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » « الله نور السموات والأرض » .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجاء فى الأثر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سئل عن اسم الرحمن فقال « هو اسم من اسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأكبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب « ولعل اسم الله الأكبر هو « بسم الله الرحمن الرحيم » واسم الرحمن مستو بين اسم الله واسم الرحيم ، ولكل شىء ملكوت ، وملكوت كل شىء بيده ، ولكل ملكوت عرش ، والرحمن مستو على عرش كل ملكوت « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » ، « ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم »

ولقد سبق فى الأعداد الماضية أن أشرت الى ان السورة فى القرآن العظيم مملكة ، وقد قال النابغة الذبيانى :

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

وبسم الله الرحمن الرحيم هو عرش لكل سورة فى القرآن الكريم ، والعرش لغة ما علا مكانا أو مكانة ولبسم الله الرحمن الرحيم العلو فى المكانة ، ولقد ورد فى الاثر عنه - صلى الله عليه وسلم - « **أن كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله أو الحمد لله فهو أبتر أو أقطع أو جذم » .**

الحمد لله

اذا كان بسم الله الرحمن الرحيم هو العرش الذى بدىء به كتاب الله وكل سورة من سوره الكريمة وهو الذى يبدأ به كل أمر ذى بال ، فان الحمد لله جاءت بعده فى كتاب الله مباشرة ، ويبدأ بهذه الحروف الثمانية كل أمر ذى بال كذلك ، والأولى أن تأتى بعد بسم الله الرحمن الرحيم مباشرة ، كما يستحسن ان تكون الحمد لله مسك الختام ، كذلك ، واذا قلنا ان بسم الله الرحمن الرحيم هو عرش لكل أمر فى الوجود كله ، فان الحمد لله تأتى بعد ذلك فى الوجود كله ، ومن المعلوم **أن حملة العرش ملائكة عظام لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم جنود الله تعالى ، ولايعلم جنوده الا هو وعددهم لايحصى كثرة ، وفى الحديث الشريف « أطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع أصبع الاوفيه ملك ساجد ، والملائكة معرضون للهلاك عن بكرة أبيهم فى يوم علمه عند الله لقوله سبحانه « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام » ولعل معنى قوله سبحانه وتعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »** هى الحمد لله المكونه من ثمانيه حروف ، فى يوم لاوجود فيه الا للحى القيوم ، والملك فيه لله الواحد القهار ، ولعل ثقل المؤمن مستمد من ثقل الحمد الذى هو من ثقل العرش ، والعرش أثقل شىء فى الوجود ، ولعل الاستجابة يوم القيامة هى بقدر ما وفق اليه المؤمن من الحمد « **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده** » وسيكون أقرب الخلق الى الحمد والعرش هو **سيدنا محمد - صلى عليه وسلم** لقوله « **أنا سيد ولو آدم ولا فخر وبيدى لواء**

الحمد يوم القيامة ولا فخر)) كما ان اسمه مشتق من الحمد .

واذا قلنا فيما تقدم انه لا يستبعد أن يكون بعد كل جو ثقيل جو اثقل منه ، وهلم جرا، ولعل هذا الثقل متواصل الى عرش الرحمن المحيط بكل شيء « **وكان عرشه على الماء** » ، والعرش اثقل وزنا من كل شيء ، وقد ورد تيسيرا لمن اراد ان يكثر التسبيح لدرجة الأعياء أن يقول (سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)ولعل الطريق الى الملأ الاعلى هو عن طريق هذه الأجواء الثقيلة والأبواب الموصدة ، ولقد جاء فى سورة النجم « **وهو بالأفق الأعلى** » كما جاء فى سورة التكوير (**ولقد رآه بالأفق المبين**» ومن المعلوم الواضح ان الأفقى غير العمودى وأن الأفق ما لامس الأرض من الفضاء ، والله ولى العلم والتوفيق .

ولعل جهة الأفق فى الشمال الغربى هى السماء التى يلتقى عندها العالم شرقه وغربه، اذ العالم كله ينظر الى نجم الجدى وهو نجم القطب الشمالى كسماء مشتركة للعالم أجمع وهو نجم ثابت معروف ، والذى يؤيدنا فى تحديد جهة الأجواء الثقيلة فان الفضاء المواجه للقطب الجنوبى لم يصل اليه مخلوق لحد الآن ولازال غير معروف رغم خروج الانسان من نطاق غلاف الأرض لجهة الفراغ ، والعلم عند الله .

الجنة تشبه العين :

فى الأثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال « اذا سألتم الله فأسألوه الفردوس فانه فى وسط الجنة وأعلاها ومنه تتفجر أنهار الجنة وعليه عرش الرحمن، وقد وصفت نساء الجنة بالحور العين ، وهذان الوصفان هما من صفات العين أو هما العين بأكملها .

شراب الجنة يشبه العين .

يقول جل وعلا فى الآيات من ٢٥ ـ ٢٨ من سورة المطففين « **يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم ، عينا يشرب بها المقربون** » والذى يظهر من ذلك أن الرحيق هو البياض مختوم بالمسك الذى هو السواد وممزوج من تسنيم ، وهكذا سواد العين فأنه يتسنم على بياضها ، ثم جاء ذكر العين حالا فى قوله تعالى « **عينا يشرب بها المقربون** » وأعتقد أن هذه الادلة كافية للايمان بان العين أنموذج للخلق كله ، ولعل الصوفيه أرادت أن تقول أو قالت مثل ذلك القول ، الا انها لم تأت بمثل هذه الأدلة السهلة الواضحة أو انها جاءت بأدلة فى كتب لم أطلع عليها .

وقبل أن أختم هذه الكلمة أحب أن أشير أولا الى أنى كتبت فى مقال ربيع الثانى سنة ١٣٨٢ هـ فى مجلة منبر الاسلام أنى أميل الى احتمال وجود جو أثقل من الماء فى الجنوب، ولقد سمعت بعد ذلك المقال ببضعة أشهر من اذاعة الكويت فى ركن « هل تعلم » أن امريكا عثرت على بحر ميت فى القطب الجنوبى وزن مائه يعادل وزن ماء البحر العادى سبع عشرة مرة ، وثانيا أن السفينة الفضائية الروسية التى صورت القمر أخيرا انقطعت أخبارها بضع ساعات عند قربها من القمر ثم استأنفت الاتصال ويرى بعض العلماء ان أسباب الانقطاع هو اصطدام السفينة بالقمر من الناحية المواجهة للارض ، كما يرى البعض أن لابد وأن يكون فى السفينة انسان أعاد وضع الآلات الى ماكانت عليه قبل الاصطدام ، فعاد الاتصال الى ماكان عليه من جديد ، وقد اشارت جريدة الأخبار المصرية الى مثل ذلك فى حينه على ماأذكر ، وفى هذا تأييد لما ذهبنا اليه فى الأعداد السابقة وذلك :

أ ـ أنه لايمكن الوصول الى القمر من الجهة المواجهة للأرض الا اصطداما ، أو ما يشابه ذلك .

ب ـ أنه لايمكن النزول على القمر نزولا عاديا الا من الجهة التى لاتوالى الأرض.

جـ ـ لايمكن الوصول الى هدف معين بالذات بدون رجل الا بطريق الصدفة .

هذا بيان ما ظهر لى والله سبحانه هو الموفق والهادى الى سواء السبيل ، **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .**

من أعلام الإسلام

يوسف بن تاشفين

أمير المرابطين

(٤١٠ - ٥٠٠ هـ)

الأستاذ
عبد العزيز الاسلامبولي

- ١ -

وانما سماهم « المرابطين » الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولى ، لانهم كانوا يلازمون الثغور دفاعا عن الاسلام ، وكانوا يعرفون قبل هذه التسمية باسم « الملثمين » ، اما تقليدا لقبيلتهم « حمير » التى ينتسبون اليها ، وقد كانت تتخذ اللثام رمزا ، أو لان نساءهم كن يتحجبن فى الحرب لتبدو صورهن فى صور الرجال وليخفن الاعداء ، أو لان النوع الذى كان يتخذ فى أعراسهم وحفلاتهم كان نوعا خاصا من الحجاب .

وليوسف بن تاشفين صفحات مشرقة فى تاريخ المغرب ، والاندلس ، وحسبه أنه مؤسس امبراطورية عظيمة كانت قبل ولايته الحكم ، فى طريقها الى الفناء ، ومن ثم حق للمترجمين له ، أن يروه بحق حاميا من حماة الاسلام الذين تحمسوا للدفاع عنه وتأييد مبادئه ، ومثله العليا . فقد كان من رجال القدر وصناع التاريخ ، وقائدا مظفرا من أبطال الميادين ومساعير الحروب .

ومن يمن الطالع لهذا الرجل ، أن الله سبحانه وتعالى ، رزقه من شدة الذكاء قدرا عظيما ، ووهب له من سداد الحكم وسلامة الرأى حظا كبيرا ، فضلا عن الشجاعة الفائقة ، وبراعة القيادة ، والتزام الزهد ، والايمان القوى ، والصبر الجميل .

وقد نسأ الله فى اجله ، فتمكن فى امتداد العمر ، من تمكين راية الاسلام ، فى بلاد ارتد بعضها عنه ، وبلاد كانت تتآمر عليه ، وبلاد كانت تحاربه جهرة وعلانية .

- ٢ -

ويوسف بن تاشفين ، من الصحراء الكبرى أصلا ، وينتمى الى قبيلة «صنهاجة» التى كانت تضرب خيامها بين جبال أطلس والسودان الغربى ، وهذه القبائل من أشد القبائل بنية ، وأكثرها جلدا ، وأعظمها فروسية ، وقد انتشر فيهم الاسلام ، بعد أن كانوا وثنيين ، ومن طريقهم دخل الاسلام فى حدود الجزائر الى السنغال . وأسسوا دولا متعاقبة ، كان آخر ملوكها أبو بكر بن عمر سنة ٤٤٧ هـ .

وقد حدث أن شبت ثورة فى أقاصى السودان عام ٤٥٢ هـ ، فتولى حكم المغرب يوسف بن تاشفين نائبا عن ابن عمه أبى بكر الذى ارتحل الى السودان لاخماد الثورة . وقد لقب المسلمون فى بلاد المغرب يوسف بن تاشفين ، بلقب « أمير المسلمين » .

وما هى الا فترة وجيزة من الزمن ، حتى تم الامر ليوسف ، فانتزع بقية بلاد المغرب من حكامها البربر ، واخضعها لحكم المرابطين ، وأسس مدينة مراكش عام ٤٥٤ هـ ، ثم دوخ جبال تلمسان وزناتة ، وضم المغرب الاوسط والمغرب الاقصى الى دولة المرابطين .

- ٣ -

واستبشر المسلمون فى جميع العالم بهذا المجاهد فى سبيل الله ، واستصرخ به المسلمون فى الاندلس ، بجميع طوائفهم ، وألوانهم ، استصرخ به المسلمون الذين يحكمهم حكام مسلمون يحالفون ملوك النصارى ويستنجدون بهم على منافسيهم فى الحكم أو الامراء المجاورين لهم ، واستصرخ به المسلمون فى البلاد التى يحكمها الملوك المسيحيون ، أو انتزعها من المسلمين المسيحيون .

ودعا المسلمون فى الاندلس الى مؤتمر عام ، عقد فى اكبر مدن الاندلس ، وهى قرطبة ، وكان ذلك بعد قيام

الحرب الاهلية بين المسلمين وحكامهم ، وبعد أن سقطت أول قاعدة اسلامية وهى طليطلة فى يد ملك النصارى الفونسو السادس ، وقد توالت غزواته لدول الطوائف .

وانعقد المؤتمر الاسلامى ، وأجمع المسلمون ، على أن مصيرهم جميعا الى الهلاك اذا لم تجتمع كلمتهم ، واذا لم يتداركهم غوث من الخارج ، واتجهوا جميعا بأبصارهم الى الضفة الاخرى من البحر ، أى الى اخوانهم فى الدين والى أميرهم يوسف بن تاشفين ، واجمعوا على الاستعانة بفاتح افريقية ، وبعثوا اليه برسلهم وكتبهم يستنصرونه على محاربة النصارى ، ويصفون له ما أصاب الأندلس على يدهم من المحن والمصائب ، وما يهددها من خطر السقوط والفناء اذا لم يتداركها بقوته ونصرته .

— ٤ —

واسرع أمير المسلمين الى تلبية نداء أهل الاندلس ، وقال : « أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر احد الا أنا بنفسى » . ثم عبر البحر فى معسكر ضخم فى مائة سفينة من مدينة سبتة الى الجزيرة الخضراء .

وسار على راس الجيش حتى وصل الى سرقسطة ، وكان الفونس السادس يحاصرها بجيشه ، فما أن علم باقتراب ابن تاشفين ، حتى رفع الحصار عنها ، وعاد بجيشه مسرعا الى طليطلة ، فلقيه المرابطون والاندلسيون عند الزلاقة ، وتبادل فيها العاهلان المكاتبات ، وكان رد يوسف الاخير ، من الوجازة بحيث لم يتعد هذه الكلمات ، وهى « الجواب ما ستراه » .

وكان عدد المسلمين عشرين ألفا ، وعدد المسيحيين خمسين ألفا ، وهاجم المسيحيون المسلمين على حين غرة ففر الاندلسيون ، وكانوا فى مقدمة الجيش ، وحل محلهم المرابطون ، ثم داروا فالتفوا حول جيش الفونس وقتلوا منه عددا كثيرا ، وأشعلوا النيران فى معسكره ، فهرب المسيحيون ، وظل يوسف ينتقل بين عسكره حاثا اياهم على الثبات والمثابرة وحسن البلاء ، ثم قذف بحرسه الاسود نحو الملك الفونس ، فهجم عليه عبد منهم وطعنه بخنجر ، وفى المساء تم النصر للمسلمين ، وتمزق جيش المسيحيين كل ممزق ، فلم يبق منه الا القتيل أو الجريح .

— ٥ —

ويذهب علماء التاريخ الى أن معركة «الزلاقة» ، كانت ذات أثر بالغ فى التاريخ الاندلسى لذلك العهد ، وذلك انها أنتجت أربع نتائج :

١ — اضطر المسيحيون الى اخلاء بلنسيه ، ورفع الحصار عن سرقسطة ، وفقد الفونس خمسة وعشرين ألفا من خيرة جنوده .

٢ — تخلص الاندلسيون من مذلة دفع الاتاوة (وكان المسيحيون يعدونها جزية) لالفونس .

٣ — تنفس عرب الاندلس الصعداء ، وأصبحوا آمنين من غارات المسيحيين ، بفضل ما تركه يوسف من الجنود المرابطين ، وظل الجزء الشرقى من الاندلس ، حيث بلنسية ومرسية ولورقة والمرية مكشوفا للاعداء .

٤ — سر أهل الاندلس بنجاتهم من عدوهم ، وأظهروا التيمن بامير المسلمين ، وكثر الدعاء له فى المساجد وعلى المنابر ، وانتشر الثناء عليه بالاندلس ، وأظهر الناس أعظامه مما أطمعه فى بلادهم ، ومع هذا فقد ظل ملوك الاندلس ضعافا لا حيلة لهم فى دفع الخطر عن أنفسهم ولا طاقة لهم بحرب عدوهم .

— ٦ —

لقد كتب الله للاندلس حياة جديدة بهذا الرجل امتدت أربعة قرون أخرى ، وكان ظفر الزلاقة سببا فى فناء خطر النصرانية على الاندلس قرابة هذه القرون الأربعة ، وقد ألح الفقهاء على يوسف فى أن يضم الاندلس الى مملكته ، فبدأ بالاستيلاء على غرناطة ، ولم تمض أعوام ثلاثة حتى كانت الاندلس كلها قد سقطت فى أيدى المرابطين فى سنة ٤٨٧ هـ .

ومما يقضى منه العجب ، أن هذا العملاق الضخم ، كان على الرغم من ملكه العريض ، وسلطانه الشامخ ، بعيدا عن حياة الترف ، نائيا من مظاهر النعماء ، يعيش على خبز الشعير ولحم الابل ، ولا يشرب سوى لبن الابل ، واستطالت حياته الى مائة سنة ، أو قرابة مائة سنة فى احدى الروايات ، بعد أن حكم زهاء خمسين سنة ، فتح فيها أعظم الفتوح ، وانشأ الامبراطورية المغربية الشامخة بعد تجاوزه الستين من سنى حياته ، وقاد بنفسه معركة الزلاقة وهو فى الثمانين من عمره .

لذلك لم يكن عجبا ، أن يتعصب له الفقهاء ، وان يحاصروا داره بمدينة مراكش ، ليناشدوه أن ينجد المسلمين ، وينقذهم من عدوهم ، كلما هم واحد من أولئك الاعداء ، بالنيل من الاسلام ، أو الانتقاض على المسلمين

ولم يكن الفقهاء فى هذه المرات الاخيرة ، هم فقهاء قرطبة فقط ، بل كانوا فقهاء المغرب وفقهاء المشرق وعلى رأسهم الامام الغزالى .

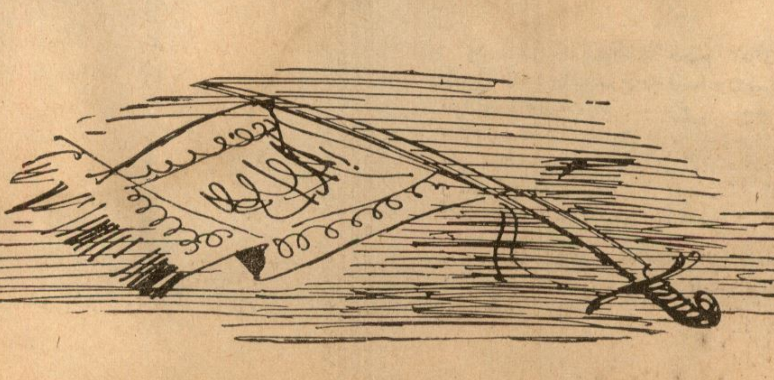

الليث بن سعد

سلطان العلماء بمصر

الاستاذ محمد سيد جاد الحق

هو الليث بن سعد الأصبهانى الأصل المصرى المولد .. ولد فى بلدة قلقشندة احدى قرى مصر على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط ، واليها ينسب كثير من قادة الفكر وأمراء البيان وأصحاب اللسان ممن لهم ذكر فى التاريخ كمؤلف « صبح الأعشى » وغيره ، وكان مطلع فجر الليث فى سنة أربع وتسعين من هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ومات عمر بن عبد العزيز والليث سبع سنين ، وكانت ولادة الليث فى أيام الوليد بن عبد الملك كما حقق حجة المؤرخين ابن سعد فى طبقاته .

صفاته : كان جم المحامد كامل المروءة عربى اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر حسن المذاكرة له حدة ذهن وصولة عقل تخلق المعجزات وتأتى بالغرائب وله المثل الاعلى فى سلامة الفهم ودقة الفكر والبصر بالأمور يدرك بالفطرة ما لا يدركه غيره الا بقائد ودليل عرف بالخير واتسم بالجميل حميد الأثر جميل السمعة وكأن المتنبى عناه بقوله

ومن خلقت عيناك بين جفونه
أصاب الحدور السهل فى المرتقى الصعب

رزقه الله عفة النفس واللسان ، وعفة الرأى فلا يحلق طرفه الى ما ليس له ولا يستكثر نعمة دخلت على انسان مهما يجل قدرها ويدق قدره ولم تحص عليه كلمة سوء رمى بها غائبا فلا يجبه انسانا بالسوء ولا يعيره عليه ولا يعنف فى العتاب ان هو عاتب على مساءة لحقته .

رحلته فى طلب العلم : كان نافذ العزم حمال أعباء باحثا عن الحكمة غواصا على درر الفقه منقبا عن رواية الحديث يتجشم فى سبيلها مشاق السفر وذل السؤال وفى ذلك يحدثنا أبو صالح فيقول خرجت يوما مع الليث

ابن سعد فشهدنا الأضحى ببغداد فقال لى سل عن منزل هشيم الواسطى فقل له أخوك الليث المصرى يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه بشىء من كتبك للنظر فيها فذهبت اليه وبلغته رسالة الليث فرحب وحقق رغبته فكتب الليث منها ما اختاره لنفسه ثم اجتمعا للمذاكرة فسمعتها من هشيم مع الليث ويقول عمرو بن خالد قلت لليث بلغنى أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهرى فقال نعم للعلم فأما لغير ذلك فلا والله ما فعلته بأحد قط.

الليث ونافع : حدثنا الليث فقال حججت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعا مولي ابن عمر فدخلت معه الى دكان علاف فحدثنى فمر بنا ابن لهيعة فقال من هذا قلت مولى لنا فلما رجعنا الى مصر جعلت أحدث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال أين لقيته قلت أما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف هو ذاك، ويقول الليث كتبت من علم محمد ابن شهاب الزهرى كثيرا وطلبت ركوب البريد اليه المرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته وحين قدم الليث العراق قال المهدى لوزيره يعقوب الزم هذا الشيخ فانه قد ثبت عندى أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه .

ثناء العلماء عليه بحفظ الحديث وضبطه : قال ابن أبى حاتم سألت أبا زرعة هل الليث يحتج بحديثه فقال نعم ويقول فيه يحيى بن معين هو ثبت ويقول ابن أبى مريم ما رأيت أحدا من خلق الله أفضل من الليث وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت فيه وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه فقها وعلما وحفظا وفضلا وكرما وقال أشهب بن عبد العزيز كان لليث أربع مجالس كل يوم مجلس لحوائج السلطان ومجلس لاصحاب الحديث ومجلس لأصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أم كبرت وفيه يقول الشافعى رضى الله عنه الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به يعنى لم يدونوا مذهبه كما دونه أصحاب مالك وقال يحيى بن بكير الليث أفقه من مالك لكن الحظوة لمالك وكان الشافعى يتأسف على فوات لقيه وحين هبط مصر أتى قبر الامام الليث وزاره وقال مافاتنى شىء أشد على من أبى ذئب .

الليث والدنيا : أظلته النعمة بظلالها الوارفة فعاش فى كنفها حتى كان دخله فى السنة ثمانين ألف دينار فلم يكن ضنينا بها كان سخيا جوادا حتى قيل فيه عند سخائه ان وجهه آلق من البدر وان راحته أندى من البحر وان شمائله أزكى من الزهر وان احسانه أبقى على الدهر من الدهر طمع الناس فى دنياه فلم يقبض يده عنهم بل كان يجود بسؤال وبغير سؤال كتب اليه مالك بن أنس فى قليل عصفر ليصبغ به ثياب صبيانه فأرسل اليه ما شمل ثياب صبيانه وثياب صبيان جيرانه وباع الفضل بألف دينار وكان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار وكتب اليه مرة ان على دينا فبعث اليه بخمسمائة دينار وأعطى بن لهيعة حين احترقت داره ألف دينار وحين حج أهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه الطبق وفيه ألف دينار ووصل منصور بن عمار القاضى بألف دينار .

الليث وابن رفاعة : بنى الليث دارا فهدمها ابن رفاعة عنادا له فى الليل ثم أعاد بناءها فهدمها أيضا فلما كانت الليلة الثالثة أتاه آت فى منامه وقال اسمع يا أبا الحرث ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض فلما أصبح أتاه الخبر بأن ابن رفاعة قد أصابه الفالج ومات .

الليث والرشيد : يقول الليث لما قدمت على هرون الرشيد قال لى يا ليث ما صلاح بلدكم قلت يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتى الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين قال صدقت يا أبا الحرث ويحدثنا لؤلؤ خادم الرشيد فيقول جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ فى آخر المجلس لم يتكلم وكان الليث فسأله الرشيد فقال اذا خلا مجلس أمير المؤمنين كلمته فصرف الرشيد مجلسه وخلا بالليث فقال يدنينى أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الأمان قال نعم فأمر باحضار مصحف فأحضر فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل . فلما انتهى الى قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قال : أمسك يا أمير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ اليمين قال قل انى أخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين هى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد أحسنت وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر الا بأمره وصرفه مكرما ولقد بلغ من سمو منزلته أن نائب مصر وقاضيها كانا تحت أوامر الليث واذا رابه من أحدهم شىء كاتب فيه فيعزل .

الليث والمنصور : سأله ابو جعفر المنصور ان يلى له مصر فقال يا امير المؤمنين انى أضعف عن ذلك لأنى من الموالى قال ما بك ضعف معى ولكن ضعفت نيتك عن ذلك قال فدلنى على من أقلده مصر قلت عثمان بن الحكم الجزامى رجل صالح وله عشيرة قال فبلغته ذلك فعاهد الله ألا يكلم الليث .

رواته ومن روى عنه : روى عن سعيد المقبرى ونافع وعطاء بن أبى رباح وخلائق وروى عنه ابنه شعيب وابن المبارك وابن وهب ويحيى بن بكير وقتيبة وحج سنة ثلاث عشرة ومائة فلقى عطاء ونافعا وابن أبى مليكه وأبا الزبير وابن شهاب .

ويقول شرحبيل بن زيد أدركت الناس فى زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبى حبيب وعبدالله ابن أبى جعفر وجعفر بن أبى ربيعة وابن هبيرة ومن يفد على مصر من علماء المدينة وعلماء الشام للرباط والليث يومئذ حدث شاب وانهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار اليه .

الليث وخوفه من ربه : قال محمد بن وهب سمعت الليث يقول انى لأعرف رجلا لم يأت الله بمحرم قط قال فعلمت أنه يعنى نفسه بذلك لأن مثل هذا لا يعلم من أحد .

وبعد فلقد كان الليث صدرا فى الناس تقدم وتأخروا وبرع وجمدوا ونبه وخملوا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولقد أوتى الرجل خلالا أربع : القوة والبراعة وشيوع الفضل وحسن الذوق فاذا قرأت له ما أفاض الله به عليه خيل اليك أنك تتنقل فى روضة نسقت أغصانها يد بستانى صناع فاذا أرسل بالحجة يدفع بها خصمه فكأنك تسمع قعقعة النبال اذا استمر القتال أو مثل زئير الآساد اذا تحفزت للصيال واذا جنح الكلام الى اللين كان لفظه أرق من نسج الطيف وألطف من النسمة فى سحرة الصيف وبعد تلك المكارم التى طوق بها جيد الانسانية وآيات الهدى التى أتحف بها عقول البشر وأريج المكارم التى فاح شذاها فى جنبات الأرض ودع هذا العالم الفانى راضيا عنه ربه مطمئنا الى وعده وذلك فى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة مائة وخمس وسبعين هجرية عن احدى وثمانين سنة رحمه الله وصبب على جدثه غيث رضاه ●

التربية الدينية والتشريعات الاقتصادية

الاستاذ احمد زكى الإمام

تصدر عن الدولة الحديثة تشريعات اقتصادية فى مختلف الصور ، والغرض من هذه التشريعات تنظيم العلاقات بين المتعاملين ، وتحديد حقوق كل منهم ، وحماية الاقتصاد العام على المستوى المحلى والقومى والدولى ، كما تصدر عن الدولة عديد من الخطط والاجراءات والقوانين لتنمية الموارد وحسن توظيفها . فهل لهذه الجهود واحدة واحدة أو مجتمعة معا علاقة بالوعى الدينى والتربية الدينية لدى المواطنين ؟.

وقبل الاجابة على هذا السؤال أود أن يكون مفهوم التشريعات الاقتصادية فى هذا المقال هو ما تصدره الدولة الحديثة من قوانين تنظم الانتاج فى الزراعة وفى الصناعة والخدمات ، وتنظم التعامل فى تجارة الجملة والتجزئة وما يربطهما من أسعار وعمولات وسمسرة وأسعار وعقود وتعهدات .

وتنظم التمويل ، وما يدور فى هذا الميدان الفسيح من ادخار واقراض واقتراض وضمانات وشروط تتم بين المدين الفرد والدائن الفرد ، أو بين المدين الفرد والهيئة الدائنة سواء أكانت هذه الهيئة بنكا زراعيا أو صناعيا أو عقاريا أو الدولة ذاتها عندما تقرض تشجع العمل وتوظف المال فى مختلف المشروعات ..

وليس هذا فحسب وانما هناك أيضا أعداد كبيرة جدا من التشريعات واللوائح الاقتصادية نخص بالذكر منها أيضا القوانين التى تنظم عقود الايجار واستغلال العين ، وقوانين الأجور بالنسبة للعاملين فى مختلف دوائر العمل الزراعى والصناعى والتجارى وبالنسبة للفئات التى تقوم بمهام موسمية فى العمل .

وهناك بالمثل تشريعات اقتصادية على مستوى أعلى يقصد بها تنظيم الصناعة أو الزراعة أو التجارة فى مجموعها من حيث صفات وفئات العاملين فيها واستيفاء كل نوع من هذه الأعمال لاشتراطات ومستلزمات أساسية لكى تتم فى الصورة التى ترسمها لها الدولة حماية للدخل وللصالح العام .

ثم نجد علاوة على ما ذكر تشريعات أخرى تنظم تعامل الدولة مع غيرها من الدول بما يدخل فى نشاط الأفراد فى عمليات الاستيراد والتصدير والسياحة والهجرة وخروج رءوس الأموال المحلية والتعامل فى الأموال الأجنبية بصورها ..

وليست هذه هى كل التشريعات المنظمة للاقتصاد وانما هى قدر ضئيل منها نذكره على سبيل المثال وبقدر ما يحتويه من أهمية خاصة فى حياتنا .

والشكل العام العملى للتشريعات كما ألفناه .. هو مجموعة من القوانين لمواد تتناول الموضوع ثم تعقبها أعداد من الوعيد والتحذير والعقوبات والغرامات المالية والحبس أو الجمع بين أكثر من عقوبة ..

ثم يحدث أن تتعاقب التشريعات المعدلة والمفسرة والشارحة والناسخة لما قبلها . ثم تصدر التشريعات الجديدة الأكثر فاعلية وقوة ، الى جانب قوانين قد تكون نافذة عاملة فى قطاع ما منذ أكثر من مائة سنة .

ولعل أحدث ما نهجته الدولة الحديثة قيامها بتنظيم الثروة فى الصميم وذلك بوضع الحد الأعلى لملكية الفرد فى الزراعة وفى الصناعة وفى التجارة وفى مقدار مايجوز لهم أن يمتلكوه من أسهم وسندات ، وكذلك قيام الدولة بحملات واعية توسعية فى تنظيم المدخرات وتوظيفها أملا فى تخفيف ضغط رأس المال الخاص على المشروعات ورغبة فى ايجاد المال الجاهز الكبير ليعمل فى رقابة فى مجال الأعمال ذات النفع العام قبل غيرها ..

ثم نهجت الدولة بعد ذلك نهجا جديدا فى تملكها للمشروعات وادارتها لها عن طريق التأميم بصورتيه غير المستكمل الذى يكون للدولة فيه حصة فى الادارة والمال ، والتأميم الكامل التام الذى تملك الدولة بمقتضاه فى المشروع المال والادارة وتنظمها اقتصاديا واجتماعيا لصالح الشعب .

والسر فى كثرة التشريعات وفى تعددها وفى تعديلها وفى مختلف نواحى العقوبات فيها فى كل دولة من دول العالم صعوبة الأخذ بها كما شرعت .

فلقد تحايل التجار على القوانين بالامعان فى الاختزان وتغيير مواصفات السلع ، وخلق السوق السوداء . وتحايل تجار المحصولات الزراعية فى كميات ومواصفات التقاوى والبذور والأسمدة .

ولم تكن القوانين المنظمة للتسليف فى أية دولة قادرة على حساب كمية المال اللازم للزراعة ومعدلات الفوائد التى تحسب على السلفة فى كل موسم زراعى .

فالمقرض الصغير يفرض على مدينه شروطا ، والمقرض المتوسط والكبير سرعان ما يوظف ماله فى ميدان جديد فيكمش المال الذى يخصص للتسليف الزراعى ، ويقيم بباقى أمواله تجارات ومشروعات أو يبنى عقارات ويؤثر فى عدة أسواق فى آن واحد .

ولعلنا لو استعرضنا التشريعات الاقتصادية فى المجتمعات الزراعية فى كل دول العالم لاكتشفنا على الفور أن التسلط والاستغلال وابتزاز الأرزاق كانت وما زالت واضحة بينة فى هذا القطاع الزراعى سواء من حيث الملكية الزراعية أو التسليف أو التوريدات او التسويق . ويساعد على ذلك الى حد كبير ذلك النوع من الأمية والاتكالية التى ما زالت مظهر الحياة فى الريف البعيد .. ونحن اذا أصدرنا هذا الحكم على سكان الريف وعلى مجموعة ما به من معاملات وثروات ومقدرات لا نعفى المجتمع الحضرى كذلك مما فيه من أدران ومن مشكلات فى التعامل الاقتصادى كانت وما زالت موضوعا مستمرا للتقنين والتنظيم بمواد صريحة .

فتجار التجزئة — كما أسلفنا — يمعنون على الأغلب فى وسائل مرهقة من التعامل من أمثلتها الاختزان وتيسير الاستدانة والبيع التأجيرى والأوكازيونات والاعلان المغرى والسلع التى يجهل المواطن حقيقة سعرها ومواصفاتها .

وفى المدينة قوانين لمراقبة التخزين والغش فى الصنف والنوع . وفيها كذلك أزمات بين المالك والمستأجر للمساكن على وجه أخص . الى جانب ما فيها من مبالغة فى أسعار الخدمات الصحية وخصوصا ذات التخصص العالى ، وفى نفقات الانتقال والترويج وغيرها .

ولعل هذه الصورة هى التى تدفع المشرع الى تعدد قوانينه ، بل وتدفع الحكومة التى

تقدر الشعب وتسهر على مصلحته الى أن تؤمم المشروع بعد المشروع مبتدئة بالمرافق والخدمات الحيوية كالمياه والانارة والمعالجة والمواصلات والتعليم ثم تتوغل فى ميادين الانتاج ، وذلك حماية لدخل الفرد والدخل القومى ..

لكن الى جانب هذه التشريعات التى تمثل قوة الدولة وسهرها ، أين مكان المستهلك ؟ لقد أثبتت الاحصائيات والدراسات والقضايا فى كل دولة أن سلبية المستهلك هى التى تدفع الى ظهور المرابى، والى اختزان التاجر واهمال وتلاعب الصانع واجحاف رب العمل .

ان الجهاز الحكومى وحده لو تفرغ للرقابة على القوانين لكانت التكلفة شاقة وعسيرة على النفقة العامة . ولذلك فان قدرا كبيرا من الوعى لدى المستهلك يفيد فى تنفيذ القوانين كما شرعت ، ويضمن حقوق المستهلكين .

ولقد كانت هذه الحقيقة ذات خطر فى المائة سنة الماضية فكانت الدعوة فى مختلف دول العالم تنظيم حقوق المستهلك فى جمعيات منها التعاونية ومنها الروابط ومنها الجماعات والنقابات .

فنشأت جمعيات الاستهلاك التعاونى التى تقوم على فكرة الشراء والبيع بالسعر العادل والصنف الأحسن ، ومحاربة الاستدانة ، والمسكرات ، ورد الربح الى المتسببين فيه أملا فى حماية المستهلك وسيطرته على السوق واعطاء دخله قوة شرائية أكبر .

ونشأت جماعات المستهلكين التى تنظم جهودها ازاء ملاك العقار من المتجرين .

ثم قامت بالمثل لجان للمستهلكين تعمل جديا الى جانب مجالس المحافظات وتمدها بآراء الشعب وبملاحظاته عما يدور فى السوق المحليه للمعاملات لكى تصل بشأنه لجان المحافظات الى اجراءات وقرارات من صميم الحياة العملية الفعلية . وذلك نوع من الرقابة غير المباشرة للمستهلكين على السوق .

واذا كان الاقتصاد الحديث قد اتسم بهذه الصورة التى يحتاج فيها المستهلك والمنتج الى حماية بالتشريع . وحماية التشريع من التعقيد ، والبت فى شكايات الجمهور وقضاياه بروح السرعة وبأسلوب ناجز عادل .

واذا كان الاقتصاد الحديث فى الانتاج والتمويل والتنظيم والتعامل قد تلازم مع حب الاثراء الذى اقتضى مبدأ حماية المنتج والمستهلك كذلك : فاننا نعود بالذاكرة الى الوراء عندما كان الانتاج بل والاقتصاد كله يتم فى سوق معلومة فى اقتصاد مغلق فى قرية أو فى حيز يعرف فيه المنتج المستهلك وحاجاته ويرتبط كل واحد منهما بعلاقات اقتصادية وعلاقات أدبية . وتتم عمليات الأخذ والعطاء بينهما على أساس من الثقة والكرامة والطمأنينة والحياء .

والاقتصاد فى الشرق على وجه الخصوص يعرف حالات نبيلة من أساليب التعامل . **فالزمالة موجودة بين الفلاحين قبل أن تنظمها قوانين العمل المشترك** . والاعتدال فى السعر معروف جيدا قبل أن تصدر التشريعات الزراعية .

والمسلمون على وجه الخصوص يعرفون أن الاختزان والاتجار فى أرزاق وأقوات المجتمع جريمة .

والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يسألون ويتبعون دائما موضوع المال والاقراض ويؤمنون ايمانا صادقا فى قلوبهم بأن ديننا يحارب الترف والبذخ فى السلم والحرب . ويعرفون أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول فى كتابه العزيز : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » . ويقول عز من قائل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون» .. ويقول تعالى : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

لقد جبل المسلمون على حب الخير ، وقرآنهم ينهاهم عن البذخ والاسراف وتبديد الموارد ويأمرهم بألا يجعل الانسان يده مغلولة الى عنقه ولا يبسطها كل البسط .. وبذلك لا يفاجأ بالمحن ، وبذلك تتكون المدخرات للأعمال الكبرى .. والدين يأمرنا كذلك ألا نرضى بالأجر المخفض البخس فى العمل كرها،

كما يمنعنا كل المنع من قبول الميزان والكم الفاش الذى يفرضه المتعاملون الذين لايخافون الله ولا يخشون عقابه .

ان التربية الدينية ضرورة لازمة لقوام الحياة الاقتصادية فى كل جزء من أجزائها . فالدين هناك فى الانتاج الزراعى فى التعامل فى التقاوى والبذور والأسمدة والكيماويات وفى التسليف وفى تسويق المحصولات .وفى محاربة آفات الزرع وفى تربية الحيوان وفى الحفاظ على الأرض من أن تنتقل الى الأجانب فيستنزفون الأرض والثروة ويتسلطون سياسيا عن طريق ذلك فى بلاد المسلمين

والدين هناك فى الانتاج الصناعى فى ساعات العمل وفى الخامات المستعملة وفى مواصفات السلعة وفى مواعيد تسليم المنتجات الى أربابها فى مواقيتها وفى كل نقطة من هذه أهميتها الصحية والعمرانية والمالية اذ من الأخطاء الصناعية ما يودى بحياة البشرية وما يضيع دخل المتعاملين ..

والدين هناك فى التجارة حيث يتعين أن تسود المعاملات الرأفة والمودة والصدق فى القول والعمل ورعاية الله فيما يبيع التاجر **« ومن غشنا فليس منا .. »**

والدين هناك كذلك فى جودة الصنف وفى المنافسة فالاحتكار أكبر سوءات الاقتصاد الحديث والتعبير الأساسى الدينى له أنه مذلة للبشرية واسترقاق لدخلهم ومقدراتهم ..

والدين يتعين أن يكون هناك فى الخدمات فكلها شرعت للمواطنين على أساس من تكافؤ الفرص ، فما حبس منها عن المسلمين وركز للقادرين كان عبثا وظلما ، ويستوى فى ذلك كل نوع من الخدمات التعليمية والعلاجية والتأمينية والاسكان .

ويلزم اذن لكى ينال الفرد حقه من طيبات الحياة الاقتصادية ، أن يعيش فى دنيا تشملها المكونات الدينية الحقة فى الانتاج والتبادل والخدمات .

ولابد من تربية دينية توسعية اذن تشمل المشتغلين بالحياة الاقتصادية . ويتلقى هذه التربية الدينية كل حسب نوع عمله وتخصصه .
ولا يكفى أن يدرب المديرون والمحاسبون والعمال والباعة والمنفذون فى المشروعات على الأعمال الفنية والآلية الرتيبة ويجودونها ويتقنون أداءها لكى يكونوا مهرة . انما المهارة أن يؤدى الانسان عمله فى حدود القانون والتعليمات واللوائح والخبرات المكتسبة على أساس من الدين أى من النزاهة والقناعة والخوف من الله وتقدير مغبة الأمور عند الحساب أمام الرؤساء فحسب .

ان لخازن السلع (المخزنجى) والمدير العام فى المشروع والمحاسب لكل منهم خطره فى المشروع . فاذا رعى الله فى أداء عمله ، أتقن عمله وأحسن تنفيذه وأخلص فيه . وجنب نفسه عقاب الآخرة وجنب زملاءه وعملاءه الضرر الذى ينجم عن الاهمال والغش وسوء الذمة .

ومما لا شك فيه ، فان التربية الدينية تستلزم أن تعم برامج تعليم طلبة الاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة وتستلزم بالمثل أن تكون هذه التربية بارزة وجوهرية فى برامج التدريب المهنى ، وتدريب واعداد القادة أثناء الخدمة ، يحتاجها المديرون والمحاسبون والمراجعون والسكرتاريون ورجال الادارة والباعة أى الجهاز المنفذ كله . وهو مجال مفتوح أمام الهيئات والمؤسسات والبنوك والغرف والجمعيات التعاونية ، وقد ضربت كلها بسهم وافر فى التدريب وتوغلت بعمق فى دراسات التشريعات والقوانين والادارة والتنظيم والتمويل والعلاقات العامة والميزانيات والتخطيط والسوق والأبحاث والتحليل والاستقرار .. وبقى الدين ..

الدين كموضوع له عمقه وله روحانياته ، وله آدابه ، وهى أصل أصيل فى كل هذه البرامج اذا أردنا أن نحرر الاقتصاد من المشكلات التى تثبت أن مبعثها كلها النفس البشرية . فهى التى تدور وتعبث وتلف وتمسخ القوانين .

واذن ذلك هو القدر المقترح للجهاز المنفذ فى المشروع . فلابد أن ينال الجمهور حقه وحظه فى الوعى الدينى الاقتصادى . وهنا

يأتى دور رجل الدين والاقتصاد معا فى أن يتعاون كل منهما فى توعية واسعة فى احكام الدين فى المعاملات وفى الانتاج والمبادلة والخدمات والملكية والربح والتوزيع والخير العام .

اذا اكتملت هذه الصورة ، اطمأن المشرع على قوانينه الاقتصادية ، بل وخفت بعد ذلك مهمة التقنين ، والتقاضى ، والتفسيرات . وأصبح الانسان منتجا وموزعا وممولا وعميلا ومستهلكا طرفا فى قضية هامة .. وهى أن الأعمال الاقتصادية تؤدى كلها بشرف وبنزاهة وباتقان .. وان هذه الأعمال تعتمد على قوانين ونظم تصوغها وعلى نفوس طاهرة مطهرة ترعاها وتؤديها ..

ان الدين يصفى المعاملات من الغش ومن الظلم ، ويكسب الدخول قدرا كبيرا من الخير ، ويشجع الفرد على مزيد من العمل ومزيد من الجهد . ويحرص على مدخراته وهو آمن مطمئن على حسن توظيفها .. ومما لا شك فيه أنه لوسادت الانتاج والتوزيع والتمويل والمبادلة آداب الدين ... فان التشريع الاقتصادى نفسه سيتحول .. سيتحول من الزجر والعقوبة والوعيد والتفتيش المفاجىء على النوع والسعر والمخازن ومكافحة الميادين المحرمة فى التجارة والزراعة .. الى ميدان بناء فيه خير للفرد وللمجتمع ..

ستنقى التشريعات الاقتصادية من قدر كبير من المجهود الذى يبذل والنفقة العامة التى ترصد لمخابرات الصنف والنوع والجودة الى شىء جديد .. ذلك أن الرجل المؤمن بالله سيرعاه فعلا فى عمله وفى انتاجه وفى معاملاته تاركا للتشريعات الاجتماعية أن تكون تعبيرا عن التخطيط الشامل فى التعامل النظيف .

انطلاقة الوجدان وأثرها فى التشريع ..

الأستاذ
عبد الفتاح حسنين العدوى

حين ينهمر الغيث المدرار على ذرى الجبـال ، وقمم الهضاب ، لابد له اذ ينحدر الى الوديان والسهول من ان يتخذ مجرى معلوما ينطلق فيه الى ابعد غاياته ، واقصى آماده ، والا تخبط فى انطلاقته الجبارة على غير هـدى هنا وهناك ، وطغى على المدائن والقرى ، وضاعت خيراته هباء فى الفيافى والقفار .

وما يحدث للغيث يحدث لسائر القوى الهائلة الكائنة فى ارجاء الطبيعة المنفسحة الاطراف ، او الـكامنة فى مجاهل النفس البشرية العميقة الاغوار .. تظل هـذه القوى مجهولة أو مستكنة أو عاطلة فلا نفع يرتجى منها حينئذ ولا ضرر يجب له التوقى والاحتراز ، حتى اذا ما انعتقت من اسار المجهول ، وانطلقت الى عالم المحسـوس والمنظور ، بات حتما لزاما أن يتولاها الانسان بالتسديد والتوجيه لكى لاتكون معول هدم وتدمير بدلا من أن تكون اداة بناء وتعمير .

كذلك الشان فى انطلاقة الوجدان . ماكان حسب الاسلام ان يفكه من قيده ، ويطلقه - بكل مايتسم بهمن تلقائية وحماسة - فى سبيل الدعوة الى مساواة انسانية شاملة بين الفرد فى اقصى المشرق واخيه فى أقصى المغرب بغير نظر الى اللون او الجنس أو العقيدة . بل اقتضته حقائق الحياة وطبائع الاشياء ان يضع لهذه الانطـلاقة حدودا ، ويرسم للوجدان مجرى يسير فيه ولا يتخطاه وترك له - فى اطار هذه الحدود - أن يعمق هذا المجرى ماشاء ، ويفعمه ، ويثريه ، حتى يكون المد الانسانى فيه بغير حساب ، وبغير انحسار ..

نقول اقتضته حقائق الحياة وطبائع الاشياء ، اذ قد أصبح من القضايا التى لاتحتمل مزيدا من الجـدل ان الاسلام دين لايعمل فى الفراغ ، ولا يستسيغ الضرب فى بيداء الخيال يقيم فيها قصورا على كثبان من الرمال . فان روحانياته ووجدانياته لاعلاقة لها بذلك التصـوف الفاطمى العقيم ، ولا بتلك الرهبانية المنعزلة التى ترى الشر ولا ترى علاجا له الا أن تنأى بجانبها عنه ، وتروغ من مجالدته ومغالبته .. وانما الوجدانيات فى الاسلام تغلف تشريعاته كافة ، وتهدف أول ماتهدف الى تعميق معانيها فى النفوس وشحذ الهمم والضمائر للعمل وفق نص التشريع وروحه ، تطويرا لواقع الحياة ، وتساميا به الى أعلى الآفاق وأكثرها رحبا واتساعا ..

وليس مما يطور هذا الواقع ان تنداح امام الحـرية الفردية جميع الحواجز والسدود . وتتخاذل كل المعايير والاعتبارات ، فان ذلك قمين أن يثير نـزوات الفرد ، وشهواته العارمة ، ويشيع فى المجتمع عوامل الفـوضى والارتباك . فضلا عما يبثه فى النفوس من سموم الحقد والبغضاء .

وانما تستقيم امور الحياة اذا وقفت حرية الفرد عنـد حد معروف تبدأ عنده حريات الآخرين . ويكون هـذا الحد هو القسطاس العادل الذى توزن به قيمة المساواة بين أفراد المجتمع أجمعين ، اذ المساواة فى معناها الاصيل هى الحد الفاصل بين ما للفرد من حقوق يعطاها من الغير وما عليه من واجبات يؤديها اليه . هذا التوازن فى الحقوق

والواجبات بين أفراد المجتمع قاطبة هو ماندعوه بالتكافل الاجتماعي •

والتكافل الاجتماعي في الاسلام حقيقة من حقائقه الكبرى ، ودفقة غامرة من دفقاته الاصلاحية الواعية ، تجلى فيها كل ماصدر عن الوجدان الاسلامي من اشعاعات وأضواء ، واستغرقت كل انبثاقاته وأبعاده ، وانفسحت آفاقها ، ثم انفسحت ، حتى أطبقت على انبل ما استهدفه من مقاصد ، واسمى مارمى اليه من غايات ••

فاذا كان قصارى بعض التشريعات ان تستهدف بالاصلاح جزئية من جزئيات المجتمع ، وان تحض بالتهذيب فرعا واحدا من دوحة الحياة الباسقة ، فان التشريعات الاسلامية الموجبة للتكافل تتحرك بطبيعة هدفها على دائرة رحيبة لاتقل عن الحياة ذاتها عرضا واتساعا • فهي تنظم اول ماتنظم العلاقة بين الفرد وذاته • ثم بين الفرد واسرته • ثم بينه وبين المجتمع الخارجي العريض ، ثم تتسع الدائرة لتشمل العلاقة بين الامة وسواها من الامم ، وكذا العلاقة بين الجيل والاجيال اللاحقة والسابقة •

تنظم العلاقة بين الفرد وذاته طبقا لمبدأ المساواة باعتبارها موازنة بين الحقوق والواجبات • فكل انسان مكلف بنص التشريع الاسلامي أن يفرض على نفسه واجبات روحية ، وأن ياخذها بالشدة ، ويروضها على الصلاح والتقوى حتى تشف وتزكو ، وتصبح جديرة بما أعد لها في الدار الآخرة من آلاء ونعم : « وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى » - سورة النازعات - •• « ونفس وماسواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » - سورة الشمس - •

وفي مقابل هذه الرياضة الروحية الشديدة التي يفرضها الانسان على نفسه ، أو قل ان شئت ، في مقابل هذا الواجب الذي تلتزم به النفس البشرية ، فرض الاسلام لها حقا ، وكلف صاحبها بتاديته اليها من غير ما اجحاف أو تسويف : فللنفس حق المتعة في الحدود التي لاتفسد فطرتها او ترنق طهرها ، ولها حقها من الراحة حتى لاتضعف أو تنهار •

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » - سورة القصص - •• « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين » - سورة الاعراف - •• « ان لبدنك عليك حقا » - حديث شريف -

وهكذا يفرض الاسلام هذا التكافل القوي بين الفرد وذاته ويترك للوجدان مهمة تدعيمه وتنفيذه ، ولا يبقى الا أن يؤكد أن التبعة الفردية كاملة مادام كل انسان قد حصل لنفسه على حقوق تعادل مافرض عليها من واجبات • « كل نفس بما كسبت رهينة » - سورة المدثر - ••• « من اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل » - سورة الزمر - •

ولا ريب أن البدء بابراز معنى التكافل بين الفرد ونفسه ، وتوكيد هذا المعنى وتقويته ، يتفق مع الاهمية القصوى التي يعلقها الاسلام على قيمة الكيان الفردي بحسبان أنه اللبنة التي تنبني منها عناصر الحياة على اختلاف نماذجها وأنماطها • ولا حاجة بنا الى القول بأن صلاح الحياة رهين بصلاح الفرد ، وأن أي بناء اجتماعي لايقوم على اساس من تربية الفرد ، وتسوية كيانه ، لابد وأن يصير حتما الى زوال وبوار •

فاذا ما استوى الفرد انسانا متكافلا متكاملا ، مدركا لطبيعة ماله من حقوق ، وقيمة ماعليه من واجبات ، اصبح مهيا للقيام بدور الطليعة في تعمير الحياة ، واقامة العلاقات المتوازنة ، البناءة ، الناجحة ، بينه وبين سائر الموجودات • والعلاقة بين الفرد وأسرته القريبة هي اهم هذه العلاقات واولاها بالرعاية والعناية ، والتقديس • فلا محيد عن ان تقوم هي الاخرى على اقوى اسس التضامن والتكافل والتكامل • فالاسرة هي قوام المجتمع بخاصة ، وملاك الحياة وعمودها الفقري ، على انبساط التعبير واتساع مداه •

ولقد حاولت بعض المذاهب المادية ان تقوض كيان الاسرة بحجة أنها تشيع الاثرة ، وتحول دون شيوع الثروة واحتكار الدولة لجهود الافراد • وسبيت هذه المذاهب او تناست أن الأسرة هي - أولا - ضرورة نفسية بيولوجية لاغنى للفردعنها ، ولاقدرة له على التكيف والتعايش والانتاج الا ابتداء منها وعلى اساس المبادىء والطبائع والملكات التى أرضعها بين ظهرانيها وفي محيطها • ثم هي - ثانيا - في المجتمع بمثابة البؤرة في العدسة ، تتركز فيها وحولها مجموعة المبادىء والاخلاق والآداب التي تنبثق بعدئذ على صعيد المجتمع لتعمل عملها في دفعه ، وتطويره والارتقاء به • وليس من محض المصادفات ، أو تاثير الظروف المعاندة ، أن تفشل الشيوعية مثلا في هدم الكيان الاسري في البلاد التي اتخذتها مذهبا وعقيدة - فهذا الفشل هو ماكان متوقعا • ولم يكن لذي بصر أن يتوقع شيئا سواه ••

على النقيض اذن من تلك المذاهب المادية المتهافتة ، يفرض الاسلام التكافل بين جميع أفراد الاسرة في المجالين المعنوي والمادي على حد سواء • « وبالوالدين احسانا » - سورة الاسراء - « ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين • ان اشكر لي ولوالديك » - سورة لقمان - •

ثم تتسع دائرة التكافل الاسري من محيط العلاقة بين الوالد ووالديه الى محيط العلاقة بين أولي الأرحام بلا تخصيص أو تعيين « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » - سورة الاحزاب -

فهذا تكافل بين افراد الاسرة الواحدة في المجال المعنوي يفرضه الاسلام ، ويحفز الوجدان الانساني للتحمس له ، وتلبية ندائه ، والعمل وفق ارشاده وهديه وكما هو الشان في جميع المعنويات لانرى هنا فروضا مادية ، واضحة القسمات ، محددة المعالم ، ان هو الا نوع من التوصية بالاقارب ، وذوي الارحام • ولكن أي توصية وفي أي اطار ؟ انها توصية ممن بيده الملك كافة ، المالك لنواصي الرقاب ، القادر على مكافاة الحسنة بعشرة امثالها • ثم هي توصية في اطار الاحسان • والاحسان شيء افضل من العدل ، وأقوى من القانون ، لانه مرتبة تعلو فوق هذا وذاك • فانت اذا أخذت مالك • وأديت ما عليك تصرفت في حدود العدل والقانون ، ولكنك اذا رضيت باقل مما تستحق ، أو سخوت باكثر مما هو مفروض عليك ، كنت في ذلك محسنا ، بارا ، وكان سلوكك متسما بالايثار في خير معانيه ، متصفا بالفضيلة في أرقى طبقاتها •

نقول مجالا معنويا ، ونحن نشعر بضرورة ابداء كثير من الحيطة والتحفظ • فالاسلام لا يعرف هذا الفصل القاطع الحاد بين ما هو معنوي وبين ماهو مادي ، لان هذا وذاك كما أوضحنا في المقالات السابقة عاملان يتمم كل منهما الآخر ، ويدعمه ، ويزكيه ، وعندنا ان الحديث عما

يسمى بالفلسفة الاسلامية باعتبارها شيئا منفصلا عن واقع الحياة ان هو الا محاولة غير واعية لتقليد المتفلسفين الاجانب حين يشطحون فى مهامه الخيـــال ، ويتعلقون بالنظرات الطائرة • للاسلام فلســفة مافى ذلك ريب ، ولكنها فلسفة تضرب جذورها فى الارض وان ارتفعت أفنانها فى السماء . وتفسر مظاهـر السكون والطبيعة ، وسلوك الفرد وعواطفه على أساس من حقائق الحيـاة وطبائع الاشياء •

ومصداق ذلك فى امر مانسميه بالتـكافل المعنوى الأسرى هو أن الاحسان الوارد ذكره فى الآية الكريمة قد يكون بالمال كما قد يكون بالمودة والعطف ، والـكلمة الطيبة • « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهمـا قولا كريما » ـ الاسراء ـ • ان هى الا مقتضيات تبسيط البحث وتنظيمه دعتنا الى تسميته تكاملا معنويا تمييزا له من الفروض المادية المقررة للتكافل المادى بين أفراد الاسرة، والتى لايترك الامر فيها لسلوك الفرد وعواطفه ، كما لايمكن أن ترتهن باعتباراته الشـخصية ، واندفاعاته الوجدانية ••

وفى مجال التكافل الاسرى المادى نجد ان نظام التوريث فى الاسلام يبرز عمق ملامحه ، وحقيقة ابعاده • ولا حاجة بنا فى هذا الصدد الى تفصيل القـول فى نظام التوريث الاسلامى ، وتعيين انصبة الوارثين ، لان هـذا باب انتهى القول فيه الى فصـل الخطاب ، ثم هو مما يخرج عن نطاق هذا المبحث القصير • بيد اننا نشعر ان حاجتنا شديدة الى توكيد ان هذا النظام المرسوم لتوريث المال من سابق الى لاحق فى دائرة الاسرة لايؤدى بالضرورة الى مايمكن أن نسميه بالانانية الاسرية أو الاثرة العائلية كما لا يمكن أن يفضى الى حصر المـال فى دائرة محدوده لايخرج منها الى صعيد الحياة المنبسط لكى يقوم بدوره الاجتماعى فى تطويرها . وتشييد الحضارة الانسانية الشاملة • والعاصم من هذه النتيجة الخطرة فى رأينا امران حددهما الاسلام تحديدا واضحا لا اثر فيه للظلال • أولهما : ان نظـام التوريث فى حد ذاته يضمن تفتيت الثروة وتوزيعها بين الورثة لكى لاتتضخم فى صورة اقطاعية او رأسمالية تؤذى المجتمع ، وتقلب معـايير العدالة فيه • ثم هو يبث هذه الثروة فى ثنايا المجتمع عن طريق التزاوج والمصاهرة • وثانيهما ان نظام التوريث ذاته لم يغلق الباب فى وجه التوصية بشىء من المـال المورث لمن لاينتمون أصلا الى افراد الاسرة ، أو لايستحقون شيئا فيه عن طريق الوراثة ، وذلك لكى يظل باب الانفاق فى وجـوه البر ، والخير مفتوحا على مصراعيه امام المورثين •

« فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعـد وصية توصون بها » ـ سورة النساء ـ •

فاذا أدركنا ان كتابة الوصيه لاتكون عادة الا والمورث مشرف على الموت ، وأضفنا الى ذلك الجهد الجبار الذى بذله الاسلام لايقاظ الوجدان وتنبيهه الى خشية الله ، ولتعبئة العواطف الانســانية بالتواد ، والتعاطف والتراحم فقهنا قيمة المجال الذى فتحه الاسلام بتقرير مبدا التوصية ببعض المـال لغير الوارثين من اقارب وأباعد ، أو اجانب لاينتمون الى الاسرة بغير سـبب الانسانية والجوار •

من هذه النقطة ، او هذه المنارة السامقة ، يبعث الاسلام بانواره ، ولالائه الباهر ، لكى يكشف الطريق وينيرها أمام نوع آخر من التكافل أوسع مدى ، وارحب افقا ، هو التكافل بين الفرد والجماعة • وحين نقـول الجماعة لانقصد الجماعة القريبة من الفـرد فى بيئته المحدودة ، ولا نقصد جماعة المسلمين مهما بعدت بينهم الشقة ، واشتط بهم المزار بل نقصد الجماعة الانسانية على وجه الاطلاق سواء كانت من وطن الفرد ودينه او كانت من غير هذا الدين أو ذاك الوطن • ويضع الاسلام هذا التكافل بين الفرد والجماعة فى نفس المستوى الذى يضع فيه التكافل بين الفرد وأسرته ويجعله لاحقا به ومتمما له •

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شـيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصـاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، ان الله لايحب من كان مختالا فخورا » ـ سورة النساء •

وليس ابلغ فى الدلالة على تشابك المصالح وتوحدها فى المجتمع ، ولا اقوى فى تصوير الخطر الناجم عن الحرية الفردية حين تضرب عرض الحائط بمصالح الجماعة من الحديث النبوى الشريف « ان قوما ركبوا سـفينة ، فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل منهـم موضعه بفاسه ، فقالوا له : ماتصنع ؟ قال : هو مكانى اصنع فيه ما أشاء . فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا » وهى صورة جميلة ، بلغت الغاية فى دقة التعبير ، وحسن الدلالة : فالكون خضم لجى ، والحياة البشرية سفينة تمخر عبابه ، والناس هم أولئك الركاب الذين لهم حق اقتسام هذه السفينة ، وتوزيع متاعها فيما بينهم • ولكن هذا الحق ليس مطلقا يتصرف فيه صاحبه كيفما شاء ، وعلى النحو الذى اراد • بل ان هذا الحق مرتهن باستغلاله لصالح الفرد وصالح المجموع ، وعلى الناس أن يكفوا صاحبه عن أى تصرف أخرق قد يكون فيه هلاكه ، كما قد يكون فيه بوار المجموع • وهذا هو التكافل بين الفرد والجماعة فى أعلى مراتبـه ، وأسمى معانيه •

ولا يكتفى الاسلام بتقرير التكافل بين الفرد والجماعة سلبا ، بمعنى أن يكف الفرد أو تكف الجماعة ، مجـرد الكف عن القيـام بعمل من شانه أن يعرض مصالح أحدهما للخطر • بل يتخطى هذه المرحلة بقفزة اصلاحية شاملة ، ويقرر التكافل بينهما ايجابا بمعنى انه يحض الفرد على العمل الايجابى من اجل الجماعة ، ويفرض هذا العمل عليه ، ويكلفه به •• وفى مقابل ذلك يكلف الجماعة بالعمل الايجابى من اجل تحقيق ذات الفـرد ، والوفاء بحاجاته • « ارأيت الذى يكذب بالدين • فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » ـ الماعون ـ • وفى الحديث الشريف « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وكالذى يقوم الليل ، ويصوم النهار » فالجماعة كلها مكلفة باطعام المساكين وتوفير حاجات المعوزين وعليها أن تتحاض على ذلك ، وتتداعى اليه ، والا حقت عليها كلمة الله ، ان اصبحت منكرة للدين ، مكذبة به • وفى الحديث : « ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » • بل يصل الامر الى حد مطالبة الامـة بالقتال عند الضرورة ذودا عن الضعفاء ، وصونا لصالحهم وكرامتهم « ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ـ سورة النساء ـ •

وبازاء هذه الحقوق التى تترتب للفرد قبل الجماعة نفرض عليه واجبات يتعين عليه القيام بها لصالحها • فكل فرد مكلف باتقان عمله وتجويده ، لان ثمرات هذا

العمل تعود فى النهاية على الجماعة وتتساقط فى افواهها .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » – سورة التوبة – .

وكل فرد مكلف ان يزيل المنكر الذى يراه ، حتى لاتشيع الفاحشة فى المجتمع ويدب فيه الفساد فتتحطم دعائمه . « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وهو أضعف الايمان » . وعلى هذا فان سكوت الفرد على المنكر القائم فى المجتمع ، الناخر فى أوصاله ، يجعله شريكا فيه ، مستأهلا لان يصيب من عواقبه الوخيمة ، وشرابه المر . « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » – سورة الانفال – .

فاما المؤمنون حقا فهم الذين يتناهون عن المنكر ، ويأتمرون بالمعروف ، ويتعاونون على البر والتقوى ، فى سبيل اصلاح المجتمع ، وتقويم مابه من أمت واعوجاج . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » – سورة التوبة – .

وهكذا فان هذا التكافل الاجتماعى الوثيق بين أفراد المجتمع الواحد يفرض عليهم واجبات مشتركة ، ويرتب لهم حقوقها متبادلة . فيتشابكون ، ويترابطون ، ويتوحدون ، ويكون لهم فى نهاية المطاف مصير واحد ، ان خيرا وان شرا ..

ثم ماذا بعد ان يقر الاسلام مبدا التكافل بين الفرد ونفسه ، وبين الفرد وأسرته وبينه وبين المجتمع بوجه عام ويلح به الحاحا . ويؤكده تأكيدا ، من شأنه أن يلقيه فى أعماق القلوب ، وينفذ به الى اغوار الضمائر والاخلاد ؟ اليس اقرار هذا المبدا غاية مازالت تشرئب اليه اعناق بنى البشر على اختلاف مشاربهم ، ومذاهبهم وتباين اجناسهم والوانهم ؟

ولكن الاسلام ليس مذهبا ، وليس فكرة ، ينسحب عليه ماينسحب على المذاهب والفكر من عجز ، واقليمية وقصور . انه دين الله الذى ارتضاه لعباده ، ولن يقبل منهم غيره ، وبهذه الصفة يأبى الاسلام الا أن يوفى على الغاية التى ليس بعدها غاية ، ويتسنم القمة التى لاتطاولها أو تدانيها قمة ..

من أجل ذلك لاينظر الاسلام الى التكافل بين الفرد وذاته ، وبين الفرد وأسرته ، وبينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه الا باعتباره تمهيدا لازما ، ومقدمة ضرورية ، للتكافل الاوسع والاشمل بين بنى الانسانية جمعاء من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ومن أول جيل عاشه آدم الى آخر جيل يعيشه أبناؤه حتى يرث الله الارض ومن عليها . وكلما كان التكافل بين أفراد المجتمع الواحد كاملا ، وثيق العرى . كانت فرص التكافل بين الامم المختلفة ، والاجيال المتعاقبة ، أسنح واكبر . ومثل الاسلام فى ذلك كمثل من يبغى تشييد عمارة ضخمة فلا بد له من التمهيد باقامة أساس متين ، أو كمثل من يبغى النهوض بمشروع كبير ، جم الفوائد ، فلا بد من الاستعداد له برصيد مالى مدخور ..

وتتركز فكرة الاسلام عن التكافل بين الامم المختلفة فى الحقيقة التى أكدها من أن الله قد خلق شعوبا مختلفة لا لتتناحر ، وتتفاخر ، ويتعالى بعضها على بعض ، بل لتتواد ، وتتراحم ، وتتعاطف ، وتتعاون فى سبيل تقدم البشرية ، والارتقاء بها الى الافق العالى الجدير بالانسان الذى خلقه الله ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلقه تفضيلا .

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » – سورة الحجرات – .

ولايمكن أن يؤدى هذا الاتصال والتعارف بين الشعوب والامم الى التواد والتعاطف الا اذا كان قائما على العدل مؤسسا على انعدام البغى من أمة على امة اخرى أو افتياتها على حقوقها الانسانية المشروعة .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

... « ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »

والعدل هنا هو العدل بين الناس جميعا بغير تمييز او تفرقة بسبب لون أو جنس أو لغة . ولو وقف الاسلام عند هذا الحد ، لكان قد أصاب غاية مازالت الانسانية تلهث عبثا بغية الوصول اليها ، ولكنه يترفع بالعلاقة بين الشعوب والامم ، ويسمو بها فوق أن تكون مؤسسة على مجرد العدل الذى تنظمه وتحكمه القوانين الجافة الجامدة ، ويتجاوز فى انطلاقته الهائلة نحو الآفاق العليا ، هذه القمة الشاهقة ليصل الى ذروة أعلى وأسمق ، هى قمة الاحسان القائم على التحمس الذاتى ، والتطوع التلقائى لأعمال الخير ، والبر ، والمعروف ..

فاين من هذا التكافل الجامع الشامل ، الضارب فى الآفاق الانسانية الرحيبة التى ليس لها حد أو غاية ، تلك القولة البذيئة الوضيعة التى أدلى به بومة الحرب مونتجومرى ، وهو بصدد معارضة الغاء قوانين التفرقة العنصرية فى بريطانيا « ليس من الممكن ان يحول الناس كلهم من ذوى الالوان المختلفة الى أناس متجانسين بقرارات برلمانية ، وستبقى الحقيقة المؤلمة ، لتؤكد ان الناس جميعا ليسوا سواء » ..

ويبقى علينا ، نحن الملونين ، طبقا لهذا المنطق الاستعمارى السقيم أن ننتظر مشوقين ملهوفين ، قرارا برلمانيا بريطانيا يرخص لنا الانتماء الى زمرة بنى البشر ، ابناء آدم وحواء ، ويجب علينا أن نتأكد أولا وقبل كل شىء ان اللورد مونتجومرى بالذات كان من بين المؤيدين لهذا القرار حتى لايجىء فيما بعد ويسحب منا الترخيص العجيب ، ويطردنا من جملة الآدميين ؟!

***

لاتكمل حلقات التكافل الاجتماعى فى الاسلام بعد كل ماقدمناه الا باقرار التكافل بين الاجيال المتعاقبة لان أمور الحياة نفسها لاتستقيم الا اذا كان الجيل القائم مسئولا عن الجيل القادم ، بقدر ماكان هو نفسه نتاجا روحيا ، ونفسيا ، وماديا للجيل الذى سبق . ولك ان تتصور الأخطار والمزالق التى كان يمكن أن تعترض طريق البشرية لو أن كل جيل انفصل عن ماضيه بما يزخر به من تجارب وعبر ، وأغمض عينيه عن المستقبل بما فيه من احتمالات وتوقعات ، ولم تعد له الا الساعة التى يحياها، يعمل لها ، ويغنى فيها . اذن لانتكست الانسانية ، وترديت فى مهاوى التخلف والهمجية وطمست امامها معالم الرقى ، والتقدم والحضارة ..

البقية ص ١٥٩

ندوة الشهر

تعدد الزوجات

يقدمها:
عبد الرحمن الشربيني

على حافة الصحراء .. وعلى مسمع من التاريخ المطل عليها من خلال اربعين قرنا تربعت على قمة الهـرم الاكبر ..

كانت ندوة الشهر عن تعدد الزوجات فى المجتمع العربى ..

وكأنما ضاقت المدينة بالآراء الكثيرة حول هذا الموضوع المتشعب الجوانب ، فانتقل المتحدثون فى هذه الندوة الى الصحراء التى تشبه فى لانهايتها تلك الآراء المختلفة المتباينة حول موضوع تعدد الزوجات ..

وكأنما ضاق المتحدثون بآراء المدينة التى لم تنته بالمشكلة عند حد ، فراحوا يلتمسون هـذا الحد لدى الهـرم العتيق .. أو على الأقل راحوا يناقشون عنده عقيدة الفراعنة التى كانت تقول ان الزوجة الأولى هى الزوجة الشرعية .. وان ما عداها ليس كذلك ..

وهناك ...

كانت الندوة التى اقامتها بمقر جماعة الرواد بالهـرم الدكتورة فتحية سليمان عميدة كلية البنات .. لتهيىء الاستفادة من مناقشة هذا الموضوع الخطير فى جو يبعث على أن تمتلىء القـلوب بكل ما بسط فى الندوة من آراء .

وهناك أيضا ..

اطل التاريخ من فوق الاهرام لينظـر أى الرأيين فى الندوة سينتصر .. تعدد أو لا تعدد ..

١ ـ رأس الندو وعقب عليها الدكتور حسن الساعاتى استاذ الاجتماع بكلية آداب جامعة عين شمس .

٢ ـ الدكتور خيرى عيسى استاذ بكلية اقتصاد جامعة القاهرة .

٣ ـ الدكتور بدر الدين على مدرس الاجتماع بكلية بنات جامعة عين شمس .

الدكتور حسن الساعاتى
يتحدث عن الجانب الدينى

ـ كثر الحديث عن هذا الموضوع فى أزمنة مختلفة .. وجدد مناقشته هذه الأيام حلقة مؤتمر مكافحة الجـريمة حيث كان موضوع تعدد الزوجات من المشـاكل التى ناقشتها لجنة الاسرة بالمؤتمر .

تفسير التعدد

وسنعتمد فى مناقشة الموضوع على ما ورد فى القـرآن الـكريم من آيتين : « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم » .. « ولـن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ..

هاتان هما الآيتان اللتان تتعرضان للتعدد .. وسنعرض وجهات النظر المختلفة فيهما .

ان خفتم ألا تقسطوا .. ان خفتم ألا تعدلوا فى مهورهن والنفقة عليهن .. طاب لكم .. حل لكم .

واليتيم فى حجر وليها يعنيه مالها فيريد أن يتزوجها فلا يعدل فى صداقها ، فأمر الله أن يعطيها أكثر ما يمكن من صداق .. فان خفتم العدل فى صداقهن فتزوجـوا غيرهن مثنى وثلاث ورباع .

وهناك مذهب الرافدة أى مذهب الخوارج . هـذا المذهب يفسر قول الله تعالى «مثنى وثلاث ورباع» على أنه اثنتين وثلاثا وأربعا فيكون المجموع تسع زوجات .

أما مذهب الظاهرية فيفسر العدد فى الآية الكريمة على أنه تضاعف لكل عدد فتكون الزوجات ثمانى عشر .

غير أن الذى جرى عليه التفسير اللغوى عند العرب هو أن يكون العدد أربع زوجات .

أما زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من تسـع زوجات فان كتب الدين كلها تجمع على أنه من خصوصياته .. وكان لها ظروفها السياسية الخاصة فى تأليف قلوب الصحابة حول الرسول فالرسول عندما تزوج بعائشة بنت أبى بكر ورأى أن ابنة عمر قد تأذت بهذا الزواج اضطر لأن يتزوج منها لما لأبيها عمر من منزلة فى الاسلام .

فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. والعدل يقصد به الميل ، والعشرة ، والمحبة ، وقسم الليالى بينهن ، وقسم المعاشرة الجنسية . ان خفتم فتزوجوا واحدة .. ومنع من الزيادة التى تؤدى الى عدم العدل فى القسم .

وآية أخرى فى القرآن الكريم تؤيد الزواج من واحدة وهى : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج .. الخ »

هذه الآية معناها عدم التعدد .. لان من أراد أن يتزوج بأخرى فليستبدلها بزوجته الاولى ويطلقها .

من مزايا التعدد

ان موضوع تعدد الزوجات يمس نقطة على جانب كبير من الأهمية .. تلك هى علاقة الرجل بالمرأة واشتهاؤه لها .. ان التعدد يمنع من الاشتهاء . ولذلك أبيح التعدد الى أربع .

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة .. » وهكذا فان من يرى أن فى التعدد منعا للاشتهاء فهو صحيح فى رأيه الى حد ما .

ومن الناحية الاجتماعية نرى أن تعدد الزوجات أمر محمولا ولابد منه .. واذا ما خير الانسان بين التعدد والمخادنة الى جانب الزوجة كما نلمسه ، فلا شك أن كلا من الرجل والمرأة سيفضلان التعدد .. وقد بدأت فى ألمانيا حركة علنية تدعو الى المصادقة فى حدود ٥٪ من مجموع سكان ألمانيا الغربية البالغ عددهم ٥٠ مليونا مما رؤى معه تفضيل تعدد الزوجات على الدعوة الى المصادقة .

وفى انجلترا قام القسس الانجليز يؤيدون تعددالزوجات .. فقد أعد تقرير بذلك من تسعة عشر أسقفا من كبار رجال الدين تحت اشراف أسقف كانتبرى .

أسباب التعدد

ان الذين يحبذون التعدد انما تسندهم فى ذلك ظروف قاهرة واستثنائية مثل حالات الحروب التى يفنى فيها الكثير من الرجال وهو أمر له خطورته الاجتماعية التى يجب أن نعترف بها .

ان هذا النظام أمر محمود فى الشريعة الاسلامية ، ومحمود عندنا .. ومع أننا نعيش فى ظل حرية التعدد فان جميع الاحصاءات الرسمية تدل على أن نسبة التعدد اجمالا لم تجاوز ٢٣/٤٪ .

وعلى الرغم من الاباحة وترك المسألة ذات صبغة شخصية فان الزيادة فى نسبة التعدد فى الأيام الأخيرة راجعة الى ظروف الحرب الماضية وما أعقبها من فناء بعض الرجال .. وما تخلف عنها من ثراء مفاجىء لبعض الناس جعلهم يلجأون الى تعدد الزوجات ..

كذلك قد تكون كثرة الحيض عند المرأة أو طول فترة النفاس لديها دافعا للرجل الى أن يتزوج بغيرها .

الدكتور بدر الدين على يتحدث عن الجانب الاجتماعى

ـ بدأ ببعض الاحصاءات عن التعدد من واقع عقود الزواج فتدرج بها من ٨٩٪ سنة ٤٨ حتى انتهى الى ٧٥٪ سنة ٥٧ .. ومعنى ذلك أن النسبة فى تناقص مضطرد لا يوحى بالاطمئنان .

حق بشرط

واستطرد يقول ان التعدد من الوجهة الشرعية يكاد يتفق جميع العلماء فى أنه حق أباحته الشريعة بشرطين أساسيين : الضرورة .. والعدل ..

أما الضرورة فهى مثل المرض، أو انجاب الاطفال، أو عقب الحروب .

هناك أقلية تنادى بالتعدد وهو ما يتنافى مع الشرط الثانى وهو العدل بين الزوجات .. واذا كان من اليسير توفير الشرط الأول فانه من الصعب توفير الشرط الثانى ..

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا .. » .. فاذا عدل فى المال فلن يستطيع ذلك فى الميل أو الحب أو المعاملة بين الزوجات المتعددات .

هذا الشرط فيه أكبر تقييد للتعدد ، فاذا ما طبق باخلاص لما احتاج أولو الامر الى أن يتدخلوا فى الموضوع.

وعلى هذا نستطيع القول بأن التعدد يبدو أنه غير مشروع اذا كان بقصد الكيد أو المنفعة المادية .

وهناك نوع آخر من التعدد بقصد تفادى الطلاق .. ان الاحصاءات من سنة ١٩٥٤ الى ١٩٥٧ تبرر أن التعدد فى حالات كثيرة لا يمت الى الضرورة التى ذكرناها من قبل .. وأن أغلبية حالات الطلاق كانت بسبب عدم طاعة الزوجة واهمال مصالح الزوج .

التعدد والطلاق

وهناك أيضا من الأزواج من يفضل التعدد تفاديا لتكاليف الطلاق .

وثمة نوع آخر من التعدد هو ما يراه البعض خيرا من أن يتخذ الزوج خليلة أو عشيقة ..

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال عن الطريقة التى يمكن للرجل أن يعدل فيها بين زوجتين احداهما قديمة دفعته الظروف والملابسات التى تحيط بها الى أن يتزوج عليها ، والاخرى جديدة أغرم بها وشغف بها ؟!

ما من شك فى أن التعدد نعمة بوضعه المشروع .. اما التعدد غير المشروع ، المقصود به الكيد أو التحايل أو الاشتهاء المؤقت الى غير ذلك فهو المشكلة بعينها .

ورطة اجتماعية

لابد اذن من دراسة ، لان هناك سوء فهم للحق الذى شرعه الله .. الامر الذى سيؤدى بنا حتما الى ورطة اجتماعية سحيقة الغور .

مضار التعدد

واذا كان هناك من يرى أن للتعدد مزايا .. فلا شك أن هناك مضارا كثيرة كذلك .. لاستحالة العدل بين الاولاد .. وغرس التنافس والكراهية فى نفوسهم .. وفتح أبواب الشقاق بين الاخوة وسوء تربيتهم .. وتصدع الكيان الاقتصادى للاسرة .. كل هذه مضار كثيرة تصل الى حد المشكلات اذا لم تكن هى المشكلات بعينها ..

وضرر آخر كبير .. سمعة بلادنا بين سائر الدول الأخرى ، فكثير من الامم تعتبر ذلك تخلفا منا يفتح أبواب المطاعن على ديننا الحنيف .

سمعتنا فى الخارج

حدث بينما كنت جالسا مع جمع من الاساتذة والطلبة فى الولايات المتحدة أن وجه لى أحدهم سؤالا عجيبا قال..

متى يرجع الدكتور بدر الدين الى بلده لكى يتزوج بنسائه الأربع ؟ مشيرا بذلك الى أن التعدد مسألة شائعة لدينا دعته أن يتهكم بها .

فقلت له : ومتى تنوى أن تطلق زوجتك ؟ مشيرا بذلك الى أن الطلاق أمر شائع الوقوع فى أمريكا .

واتبعت سؤالى له بشىء من الايضاح .. افهمته أن التعدد عندنا شىء أباحته الشريعة للضرورة وهو أمر لم يزد على ٢٪ ، بينما الطلاق عندكم يكاد يكون أمرا عاديا بسبب أو لغير سبب حتى بلغت نسبته ٣٠٪ ، فاحتمال طلاقك أكثر بكثير من احتمال زواجى .

تلك هى مجرد فكرة للصورة التى تبدو فى الاذهان عن مجتمعنا فى الخارج .

ما هو الحل ؟

انها مشكلة ذات أهمية بالغة فماذا نفعل ازاءها ؟..هل نترك الأمر وشأنه على أنه سيتضاءل تدريجيا بعد الذى ظهر من نهضة المجتمع ، ونهضة المرأة ، ونهضة الحركة الصناعية على أن نكتفى بمجرد اخطار الزوجة الاولى وكذلك الزوجة الجديدة عند توقيع العقد ؟

أم لابد من اتخاذ خطوات ايجابية نحو تقييد التعدد درءا لاستفحال المساوىء ، وابقاء على السمعة الاسلامية والعربية بين سائر بلاد العالم ؟

ان التقييد والتنظيم لا شك أنهما مشروعان ما دام الغرض منهما الضرورة والعدل .. ولا شك أن لولى الأمر أن يتدخل فى تنظيم المباح اذا لم يترتب عليه مفسدة اكبر من تلك التى يسببها التعدد نفسه .. ومن حق الدولة أن تلجأ الى منع كل زواج لا يراعى فيه حدود الله .

وانواع التقييد كثيرة غير أن من اهمها وأحسنها علاجا للمشكلة :

١ - اخطار الزوجين للعلم بوقوع الزواج الجديد .

٢ - شرط الحصول على موافقة الزوجة الأولى .

٣ - شرط الحصول على اذن القاضى فى بعض حالات التعدد .

٤ - فرض مهر تصاعدى بعد الزوجة الاولى .

الدكتور خيرى عيسى
يشرح الناحية الاقتصادية

التعدد فيه زيادة للأعباء المالية على الزواج ، وفى التصرف الاقتصادى للفرد تاثير كبير على الاقتصاد العام للشعب .

فالرد يتصرف على أساس أوجه انفاق استهلاكيةوأوجه أخرى انتاجية يدخرها لاعادة بناء دخله وكيانهالاقتصادى فى المستقبل ..

التعدد والانتاج

ولقد كان على الفرد أن يوازن بين انفاقاته المختلفة .. وذلك حتى لا تزيد أوجه الانفاق الاستهلاكى على الذين يرعاهم ويعولهم ، حتى لا تقلل أوجه الانفاق الانتاجى من قدرته على ادخار ما يجب أن يستغله فى مشروعات المستقبل .

ومن هنا كان التعدد عبئا كبيرا تحمله المجتمع الاقتصادى .. وكان عقبة فى سبيل تمكين الدعائم الخاصة بالامكانيات الانتاجية .

وهناك علاقة وطيدة أقامها الاقتصاديون بين الحالة الاجتماعية والمقدرة الانتاجية .. وقد ثبتت هذه العلاقة واضحة بعد عدة دراسات فى الدول المتقدمة اقتصاديا .

ففى دولة ما يرتفع فيها مستوى معيشة الفرد نجدها تنتج سلعة أقل ثمنا من دولة أخرى يقل فيها مستوى معيشة الفرد .. والسبب هو ان القدرة الانتاجية للعامل الذى دخله مرتفع تكون أكثر من قدرة العامل ذات الدخل الاقل .. ذلك لأن قوى الانتاج تتفاعل مع قوى كثيرة .. فهى فى وقت ما كانت تعتمد على القوى الجسمية فحسب بينما بالنسبة للتطور الحديث أصبحت تتمثل فى القدرات الذهنية والعلمية والعقلية ومدى تفاعلها مع الطبيعة ..

ما دخل التعدد اذن ؟.. انه يتعارض مع الفكرة الاقتصادية ..

فالفرد الذى يتزوج باكثر من واحدة تتعدد أولاده .. وتضعف العلاقة النفسية بين الأولاد الكثيرين من زوجات اخر .. فيتعرض الطفل وهو القوة العاملة المستقبلة لمؤثرات تضر بقواه المستقبلة ..

ولعل هذا هو ما حدا بالدول الصناعية الكبيرة مثل أمريكا وانجلترا أن توفر الرفاهية النفسية للعامل أثناء العمل حتى يستريح ذهنيا فتزداد قدرته الانتاجية فى العمل .

واذا كانت الدولة توفر للعامل ذلك .. فان الطفل الذى لا يتوفر له فى أسرته قدرة تفكيرية سيتأثر بها تكوينه الانتاجى فى المستقبل .

وهذا من ناحية الاولاد ..

التعدد والمرأة العاملة

أما من ناحية المرأة نفسها .. فقد أصبحت المرأة اليوم عاملا من عوامل الانتاج بعكس المرأة القديمة التى كان مكانها البيت ..

بعض الصناعات تتخصص فيها المرأة لأنها أقدر عليها وأصلح لها .. ودخل هذه الصناعات تعتمد عليه الدولة كقوى انتاجية .. واذن يهم الدولة أن تحافظ على هذا العامل لتأخذ منه أكثر ما يمكن . وعلى الدولة أن توفر لهذا العامل جميع الظروف التى توفر القوى الانتاجية الاقتصادية للدولة .. وأول هذه الظروف هى الراحة النفسية التى يجب أن توفر للمرأة حتى ترتفع كفاءتها الانتاجية .. الراحة النفسية فى المنزل أولا وقبل كل شىء .

أما التعدد .. فيقضى على الكثير من هذه الراحة .. لأن المرأة التى يتزوج عليها الرجل لايمكن أن تشعر بصفاء كتلك التى لم يتزوج عليها زوجها .

التعدد والاشتراكية

واذا ما نظرنا الى التعدد من زاوية التطور الاقتصادى .. نجد أن الدولة أخذت بتطبيق نظام اشتراكى يقرب الينا مستويات الدخول المختلفة للشعب .. ومن هنا يختفى منطق الذين يبررون تعدد الزوجات على أساس المقدرة المالية التى تبيح للقادر ذلك .. ستزول يوما ما هذه المقدرة المالية التى تميز رجلا عن رجل فى ظل النظام الاشتراكى فلا يقوى على حمل عبء بيت آخر بسبب تعدد الزوجات .

ومثل هذا النظام الاشتراكى سوف يحتم على المرأة فعلا المساهمة فى الانتاج حتى تتمكن من ايجاد دخل يساعد على الصرف على العائلة . ومن هنا كان على المرأة أن تواجه هذا المستقبل الاشتراكى الاقتصادى . ومن هنا أيضا كان على الدولة أن تشعر المرأة بان المنزل العائلىلها وحدها ولزوجها معها .. والا لو تصورت أن الدولة لم تعطها مثل هذا الضمان فلن يكون لديها الدافع الحقيقى للانتاج .

أما فى حالة التعدد .. فستركن المرأة الى المنزل .. لينفق عليها الرجل أسوة بزميلتها الاخرى دون أن تتعب نفسها .

الدكتور حسن الساعاتى
يرد على المتحدثين

● موضوع التعدد ولو انه أثير كثيرا الا انه لم يبحث من الناحية العلمية .. ونحن فى حاجة الى أبحاث قائمة على استقصاء حالات الزواج المتعددة وغير المتعددة .

● سخرية الشعوب من بعض الشعوب التى فيها التعدد أمر لابد منه لانها سخرية حضارة من حضارة أخرى وهذا بدافع الاعتداد الحضارى .

● بالنسبة للقول بأن التعدد لا يوفر الراحةالنفسية فانا أسال هل الراحة النفسية موجودة اطلاقا فى الزواج الفردى أو هى متوفرة بشكل مطلق لغير المتزوجين ؟!

● مسالة العبء الاقتصادى على الرجل بسبب تعدد الزوجات أرد عليها بان رجلا شكا فقره الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له تزوج .. فعاد اليه يشكو الفقر ثانيا فقال له تزوج .. وثالثا فقال له كذلك حتى بلغت

الزوجات أربعا .. وعندما نظر الزوجات الاربع الى مافيه زوجهن من فاقة قامت كل منهن بعمل يدوى يدر على الأسرة ربحا .. فتحسنت الحالة الاقتصادية للأسرة وزال ما كانت به من فاقة وبؤس .

وختم حديثه قائلا ان مسألة علاج الموضوع بالشريعة أو عدمه ، تتصل اتصالا وثيقا جدا بهل نقضى على هذا النظام ؟.. انه نظام من الانظمة الاجتماعية .. وأى نظام فى المجتمع له وظيفته فيه.. فنظام الطلاق يؤدى وظيفته .. وتعدد الزوجات يؤدى وظيفته .. هو بمثابة صمام أمن أو شباك فى غرفة ننفذ منه حينما يعجزنا الوصول اليها من بابها .

ان منع الطلاق يؤدى الى الاضمحلال .. ومنع تعدد الزوجات يؤدى الى خلل اجتماعى .

فان كان التعدد بسبب مكيدة فيمكن للزوجة الاولى أن تطلق .. وعندئذ لن يكون الطلاق خلعا .. وانما سيكون نتيجة لضرر ..

ان المجتمع مع الوعى المتجدد سوف ينظر الى تعدد الزوجات كما سبق أن نظر الى الرق .. سينظر اليه نظرة غير مريحة ثم يقضى عليه فى النهاية ..

ولننظر الى نتيجة التشريع .. اذا أراد الانسان أمرا فلا يمكن للتشريع أن يثنيه .. واذا تعرض له التشريع نجد حوله افتراءات توجه للدين والتشريع .

والخلاصة .. ان التعدد نظام اجتماعى ومسألة فردية جدا لها محاسنها ولها مساوئها .. أما التوازن بين المحاسن والمساوىء فهو للعلم وللبحث العلمى أولا وأخيرا ..

***

وبعد ...

فليس الأمر مقصورا على رجل وامرأة ..

انه متعلق بأشياء كثيرة منها رعاية الاولاد والابقاء على الكيان السليم للأسرة ودفع عجلة الانتاج .

اذن .. لابد أن يتدخل التشريع لتنظيم هذا المباح صيانة للاسرة وصيانة للمجتمع ..

أما تلك الضرورات التى أرادوا بسببها أن يجعلوا التعدد مباحا دون قيد أو شرط .. فتلك حالات فردية لا يمكن أن يقف تقديرنا لها حائلا دون الحفاظ على كيان مجتمع بأسره .

لقد أمرنا الله فى كتابه العزيز بأن نقطع يدالسارق رغم ما فى قطع اليد من التشويه الخلقى للفرد وما ذلك الا صيانة للمجتمع من جريمة السرقة .. فكانت مصلحة المجتمع فوق مصلحة الفرد ..

وكذلك فى موضوع تعدد الزوجات . لتكن مصلحة الأسرة وكيان المجتمع هما الابقى مهما تعارض ذلك مع مصلحة الافراد .

والذين ينادون بترك الأمر الى الوعى والى التوجيه عن طريق الثقافة والارشاد .. فالرد عليهم اننا نسمع القرآن الكريم صباح مساء منذ مئات السنين .. وفيه الكثير من الآيات التى تحض على الفضيلة وتنهى عن الرذيلة فهل قضى على الرذيلة من المجتمع ؟!!.. لا ..

بل الواقع غير ذلك ..

كلما زادت المدنية .. كلما زاد معها انتشار الرذيلة..

اذن ...

لا سبيل الا أن يتدخل التشريع بما يرغم الناس على فهم تعاليم الشريعة السمحاء .

انطلاقة الوجدان

«بقية المنشور ص ١٥٥»

لم يغفل الاسلام عن هذا الخطر الداهم ، وماكان له ان يغفل .. فأكد أن الاجيال البشرية على اختلاف ازمانها مترابطة المصالح ، متضامنة فى المسئولية عن مستقبل الاكوان والحياة ، متكافلة فى الحقوق والواجبات بمثل ما يتكافل به الفرد وأسرته ، بل الفرد وذاته ..

وفى المجال المادى يتجلى اول مظهر لهذا التكافل فى النظام الاسلامى للتوريث الذى سبق أن أوضحناه آنفا ، من حيث أنه يشكل المسئولية المادية التى يتحملها جيل الآباء ازاء جيل الابناء . فالابناء يجنون وفق هذا النظام ثمار جهود ابائهم او يعانون نتائج خمولهم وكسلهم .

وقد ضرب القرآن مثلا للتكافل بين الابناء والآباء فى قصة موسى مع عبد « من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما .. « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان ابوهما صالحا، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » .

وهكذا انتفع الغلامان بصلاح الوالد وماله ، حيث ورثا هذا وذاك .

ويتجلى هذا التكافل ثانيا فى المجال العقائدى والفكرى فتكون الاجيال المختلفة مسئولة مسئولية مشتركة عن التداعى الى الخير ، والتنادى الى جادة الصواب ، حتى اذا ماقصرت فى ذاك او تراخت فيه . تضامنت فى تحمل التبعة ، ومعاناة سوء المنقلب .

« قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون . وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » - سورة الاعراف -

ومن لغو الكلام الذى لاطائل تحته ولا جدوى فيه ، أن يسأل سائل : ماذا أغفل الاسلام من مبادىء التكافل العملية ، ومثله العليا ، فلم يفصل فيه القول ، أو يحدد ملامحه ، وطرائق تنفيذه ؟

فالاسلام لم يغفل شيئا ، ولم يترك فى هذا المجال ، ولا فى غيره ، دقيقة ولا جليلة الا احصاها ، وعالجها علاج الدارس المفكر والواقعى الحصيف . واذا كان هذا المقال لم يحط بجميع أطراف التكافل الاجتماعى فى نظر الاسلام ، فذلك لعجز ينسب لكاتبه ، دون سواه .

وانما السؤال الجدير بالتوجيه هو : ماذا طبقت الانسانية من مبادىء التكافل التى قررها الاسلام نصا وفعلا منذ مئات السنين ؟ أو ماذا قدر لها من حلول بديلة ، ما دامت قد صرفت عن معينه الغزير الفياض ؟..

والجواب المحزن ان لاشىء .. وان الاثرة والانانية ، والتخبط لاتزال تحكم العلاقات بين الناس اجمعين ، على مابينها من تفاوت فى الحدود والابعاد .

بل الجواب الاكثر ابتعاثا للأسى هو أن الانسانية ستظل فى تخبطها ، وحيرتها بين المذاهب الوضعية القاصرة ، عاجزة عن التقدم والارتقاء ، مالم تدرس الاسلام دراسة الاريب اللبيب ،وتأخذ بتعاليمه الغراء التى بغيرها لا يتحقق تقدم ، ولا يكون ارتقاء ..

فهل آن الاوان .. ؟؟؟

من ذخائر المكتبة الإسلامية

عرض وتلخيص : محمد بهى الدين سالم

تحفل المكتبة الاسلامية بالعديد من المؤلفات التى تتحدث كلها عن الاسلام فى قيمه ومثله العليا وشريعة الحق شريعة الله .

ومن بين هذه المؤلفات اخترت لكم كتابين أحدهما : السلام فى الاسلام لمؤلفه الاستاذ محمد فرج وثانيهما . اشتراكيتنا العربية فى ضوء الاسلام والواقع العربى ـ للاستاذ : محمود عبد المجيد

اما الكتاب الاول فقدمه المؤلف بالآية الكريمة « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

تلك حقيقة واضحة لا سبيل الى انكارها وهى أن الاسلام لم يكن دين اعتداء ، بل كان وما زال دين سلام وتسامح ومودة يهدف الى أن يعيش الناس جميعا أخوة متضامنين متحابين يسعون فيما بينهم الى تقدم البشرية وتأكيد معانى الانسانية وتحقيق المثل الفاضلة من أجل رفعة الانسان وتقدمه .

هذه الحقيقة يجب أن يدركها المسلمون وان يدركها هؤلاء الذين لم يؤمنوا بعد بأن الاسلام دين سلام .

ويقسم الكتاب الى عدة أبواب

الباب الأول : عن مقاومة الدعوة الى الاسلام وما لاقاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من عنت واضطهاد ، واضطرارهم الى الهجرة الى الحبشة فى أول الامر ثم خروج الرسول مع أصحابه من مكة الى المدينة بعد ان قضى بها ثلاث عشرة سنة حاربته فيها قريش حربا لا هوادة فيها .

اما الباب الثانى : فموضوعه : لماذا شرعت الحرب ؟

قدم له المؤلف بالآية الكريمة « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »

لقد شرعت الحرب فى الاسلام دفاعا عن المسلمين ، ولم تكن بقصد الاعتداء أو الاكراه على الدين، وانما كانت تهدف الى صد الاعتداء ومنعه ولم تكن فى يوم من الايام للاجبار على الدخول فى الاسلام ، فلقد شاءت قريش أن تستمر فى عدائها للرسول ودعوته الجديدة وخاصة أنها رأت فى هجرته ورجاله الى المدينة خطرا يهدد حياتها ودينها ، فقد كان الرسول يزداد قوة وكلما مر الوقت زاد أنصاره عددا وزاد الداخلون فى الاسلام ، كما ثبت بالدليل القاطع ان الرسول لم يكن معتديا .

وواقع الامر أن الاذن بالقتال نزل بعد ان أعلنت قريش الحرب عليه حربا عنيفة قاسية لا هوادة فيها ، لذا لم يكن هناك مفر من أن يقرر الاسلام .

« فان قاتلوكم فاقتلوهم » « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

هكذا فرضت الحرب فى القرآن على المسلمين وهم نافرون منها ، ولهذا بذل الرسول الكريم أقصى ما فى

وسعه من جهد للحد من فظائعها ولحصرها فى أضيق نطاق مستطاع .

ثم يقدم لنا فى الباب الثالث من الكتاب كيفية تهذيب فكرة الحرب فالاسلام حياة جامعة لا تقاس بزمان ولا تحد بمكان وهو دين الفطرة التى فطر الناس عليها كذلك وهو كذلك دين الحق والحرية والقوة والنظام .

لذا قامت الحرب فى الاسلام لدفع الظلم ، والبغى والاضطهاد للمسلمين واغاثة المظلومين من المؤمنين ، كما قصرت الحرب على الجيش المحارب ، وحرم التمثيل بالقتلى واتلاف الاموال وتجويع الاعداء والاحسان الى الأسير والوفاء بالمعاهدات ، ومن ذلك يتضح مدى تهذيب فكرة الحرب .

ثم يبين لنا المؤلف منزلة المجاهدين فى الاسلام وكيف أن الجهاد واجب على كل مسلم قادر عليه ، كما قرر القرآن للمجاهدين آدابا كثيرة لابد أن يعملوا بها مثل السمع والطاعة والوفاء بالوعد والصدق والثبات عند اللقاء وما يكون عليه القائد من حنكة وسمو فى الأخلاق .

ويختم الكتاب بصفحات تحت عنوان **« الاسلام دين السلام »** وحقا فالاسلام سلام فى اسمه سلام ساعة نزوله سلام فى سلامه .

تلك كانت صفحات كتبت ليعرف كل مسلم حقيقة دينه ويعلم من ثم أن ترهات المرجفين صيحات حقد مكبوت وضغن موروث **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »** .

ولنمض معا الى **الكتاب الثانى** والذى بدأه مؤلفه بهذه الفقرة من الميثاق الوطنى التى تقول :

« ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على ارضه بالحرية والحق ، بالكفاية والعدل ، بالمحبة والسلام .

ان شعبنا يملك من ايمانه بالله ، وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .

ثم يستهل حديثه بقوله :

الاشتراكية التى نتحدث عنها فى هذا البحث المحدود هى الاشتراكية العربية التى يجرى تطبيقها فى الجمهورية العربية المتحدة هى تلك الفلسفة الاجتماعية التى تم التمهيد لقيامها فى أعقاب ثورة ١٩٥٢ وتجسمت فى القرارات الاشتراكية فى ١٩٦١ وفى مبادىء الميثاق الوطنى ١٩٦٢ تحقيقا للثورة الاجتماعية التى تستهدف توكيد الحرية السياسية وتثبيت مبادىء العدالة والمساواة وفقا لما نادى به الدين الاسلامى الحنيف الذى صبغ التراث العربى بصبغة اسلامية منذ نزوله على قلب الرسول الأمين محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى يومنا هذا وتلبية لاحتياجات الواقع العربى .

وحول معانى الاشتراكية هذه والدين والواقع والوعى يدور حديثنا فى الصفحات التالية ايمانا بأن جوهر الدين لا يتصادم مع حقائق الواقع ، وانه يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية وأن الاقتناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان .

هكذا يمضى بنا المؤلف ليقدم لنا فكرة عامة عن الاشتراكية منذ مهدها الاول ثم يرسم لنا مقومات المجتمع الاشتراكى وكيف تبلورت هذه المقومات والمبادىء فى ميثاق العمل الوطنى التى أفسحت نصوصه حرية تطوير المبادىء لجماهير الشعب المتحالفة عن طريق منظماتها الشعبية ومجالسها النيابية .

ثم نجد المؤلف وقد أفرد جزءا كبيرا للحديث عن الأسس المادية للتنظيم الاجتماعى بما فيه من تعاون فى ضوء الميثاق وما أوضحه وهى فى جملتها تتخلص فيما يأتى :

لا يستدعى تأميم كل وسائل الانتاج . كما لا تلغى الملكية الخاصة ولا يمس حق الارث الشرعى .

ثم هناك التعاون وهو :

حق كل مواطن فى الرعاية الصحية ، وحقه فى العلم ، وحقه فى العمل المناسب مع كفايته .

ثم نتابع المؤلف فى التحدث عن السياسة الخارجية وما تقوم عليه سياسة الاشتراكية العربية على أساس الوحدة العربية بين دول العالم العربى وأجزائه المختلفة من المحيط الى الخليج وشعار هذه الوحدة التى تنشدها الاشتراكية العربية وحدة الهدف مقدمة على وحدة الصف ، ثم هى تشمل كذلك خطوطا عريضة أهمها :

الحرب ضد الاستعمار ، العمل من أجل السلام وعدم الانحياز ثم التعاون الدولى والتعايش السلمى .

وعندما يصل الكاتب الى هذا الحد من القول نراه يلقى ضوءا على الاسلام وكيف أنه دين عام شامل ونظام كامل يقرر علاقة العبد بربه وعلاقات الأفراد فى مختلف معاملاتهم ، كما أن الاسلام عقيدة تقوم على الايمان والأخلاق والدعوة الى التحرر والمساواة الاجتماعية ، ودعوة الى الحق والخير والفضيلة . والتحرر فى الاسلام هو تحرر من العبودية ، ومن الفقر ومن الجمود ، تحرر من عبودية المال ، من أسرار الشهوات ، وتحرر الوجدان والشعور .

ويمضى بنا المؤلف مبينا موقف الاسلام من نظام الطبقات وحق الملكية الفردية ، ثم عدالة الاسلام الاجتماعية وتكافله .

وفى نهاية الكتاب يعقد المؤلف موازنة بين واقعنا قبل عام ١٩٥٢ وما كنا عليه من حالة اقتصادية سيئة جربها الاستعمار ، ولم يكن ذلك بالنسبة للاقتصاد فقط بل بالنسبة للحالة الاجتماعية والسياسية كذلك .

ثم ينتقل بنا المؤلف الى الوعى العربى ومقوماته وأهميته وكذلك الحقيقة التى نلمسها فى الواقع والوحدة العربية ، وأن كل عربى ليشعر باتحادية هذا الواقع رغم التفرق الظاهرى بين الأقاليم الحالية القائمة فى المنطقة العربية وما هى العوامل الاساسية التى تمسك بوحدة هذا الواقع .

اللغة والأصل والتاريخ والمصير ثم المصلحة المشتركة والعوامل الثقافية والدينية .

وقد جاءت الفقرة التالية من ميثاقنا الوطنى مؤكدة هذا المعنى .

« ان هذه القيادات الشعبية مطالبة الآن أن تتأمل تاريخها وأن تنظر الى واقع عالمها ثم تقدم صنع مستقبلها واقفة فى ثبات على أرضها » .

وهكذا وبعد أن تعرفنا فى هذه السطور على ملامح الاشتراكية العربية فى ضوء المنابع التى استمدت منها مبادئها وأساليبها وهى فى جملتها مبادىء أساسية فى كل من الاشتراكية العربية والاسلام وهى ضمانا لوجود الحلول الناجحة للمساوىء التى عانى منها مجتمعنا العربى .

تلك كانت جولتنا مع كتابين من بين الكتب العديدة التى صدرت عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

أيها الثائر العظيم

شقلاوى

في عيد ثورتنا الحادى عشر

ارتفع بهذه التحية إليك يا زعيمى

يا جمال

الشاعر عبد الله شمس الدين

يا زعيمى .. وأنت خير زعيم   ولِىَ الفخر أن تكون زعيمى

أَيُّهَا الثائر العظيم : من الشعب   سلامًا . فى عيد مصر العظيم

يا عميد الثوّار : حسبك منا   قبلةُ الحب والولاءِ العميم

أَنت للنور ثورةٌ قد أَطاحت   بدجى الغاصب الحقود الظلوم

وقهرتَ الطغيان . حتى تلاشى   وهو تذروهُ ريحُنا كالهشيم

وطويْتَ الإقطاعَ وهو جحودٌ   صَدَّ عن سائلٍ وعن محروم

ومحوْتَ الأَلقاب حتى تلاقى   كلُّ حُرٍّ على اخاءٍ كريم

ومشت مصر كلُّهَا تتغنى ... بمناها فى موكب التأميم
وعلى السَّدِّ مهرجانُ الأمانى ... قام يشدو بموْجه المنغوم
واستعاد الفلَّاحُ باسمك ... دنياه سعيدًا ببسمة التكريم
أرضه أصبحت عليه حلالًا ... بعد حرمانه الطويل الأليم
ومضى العامل المجالد للمجد ... رَضِىَّ الفؤادِ غَيْرَ زَءُومِ
صار حُرًّا بظلِّ مصْنَعِهِ الحُرِّ ... شريكًا بعزمه الموسوم
أنت حقَّقْتَ يا «جمال» مُنَاهُ ... يا نصير المسكين والمظلوم
وبإفريقِيَا . أهَبْتَ . فقامت ... لعلاها فى وثبةٍ كالجحيم
تصهر القيْدَ فى أتون لظاها ... وهى تُودى بلَيْلِهَا المشؤوم
وتهاوى استعمارها . وتداعى ... فوق أشلاءِ كيْدِهِ المحطوم
وعلى مشرق التحررِ غنَّى ... كل صُبْح حُرٍّ ومجد عظيم

* * *

يا زعيمى : رعاك ربك للحق ... ضياء يودى بكلِّ الغيوم
قد عرفناك «يا جمال» يقينا ... صادق العزم فى الطريق القويم
كلُّ ما فيك واضح وصريحٌ ... رغم دسِّ العدا وكيْدِ الخصوم
رَجُلٌ أنْتَ . والرجولةُ حِصْنٌ ... يحفظ العهد للصديق الحميم
فيك نور الإيمان يشرق بالصفح ... وبالحب فى إخاءٍ رحيم
فامض يارائد العروبة منصورًا ... إلى غاية الكفاح العظيم
أنت فوق الذى يعاديك حقدًا ... أوْ يرائيك فى نفاقٍ أثيم
إنَّما الله حافظ ونصير ... هُوَ يرعاكَ بالسنى المعصوم
يا زعيمى وأنت خير زعيم ... ولِى الفخر أن تكون زعيمى

من وحي ميلاد الرسول

للشاعر حسن فتح الباب

خطرتْ فى الوجود روح السلامِ ... واستفاض السنا على الأَيامِ
وتجلت كالآى مزدهرات ... ذكريات الجلال والإعظام
مُثل من فضائل وعظات ... بينات تجلى على الأَفهام
بُعثتْ فى الدُّنى منار هداةٍ ... وسبيلا إلى الهدى للأَنام
خالدات على مدار عصور ... تتوالى عاما على إثر عام
تهب السارىَ الشّرودَ ضياءً ... يتراءَى فى الأُفق كالأَعلام
وتقيه على الدُّجى عثراتٍ ... من ضلال النفوس فى الأَوهام
كل يوم لها شعاع سنِيٌّ ... من صفاءٍ وأُلفة ووئام
وأَريج مشعشع قُدُسىّ ... فاغم النور عاطر الأَكمام
وصدى رائع النشيد شجىّ ... آسر الوقع ملهم الأَنغام
وحياة جديدة يفتديها ... كل داع إلى نشور السلام
تتفانى العهود وهى تراث ... سرمدىّ الإِيحاءِ والإِلهام
ينشر المكرمات فى الكون برّا ... غامر النفح ريّق الأَنسامِ
يدع الروح فى جلال التأَسِّى ... تنهل الصفو من سناه السامى
ويوافى النُّهى بآمال عهد ... زاهر الخير باهر الإِنعام

تلك ذكرى الميلاد تغشى البرايا فترد الشَّجَى عن الأَقوام
وتحيلُ العزم الكليل قضاءً مستشارا يفرى كحدِّ الحُسام
توقظ البِشْر فى ضمير المُعَنَّى وتُروِّى بالهَدْى قلب الظامى
وهى فى قَسوة الحياة عزاءٌ عن زحام الحياة بالآلام
وهى للمصلحين آىُ جهاد فوق أَرض تضج بالآثام
وهى للكادحين آىُ اصطبار آسيات جراح روح دامى

* * *

رَبُّها هزَّ عالما من سبات ذاهل فى عبادة الأَصنام
وحداه إلى سماءٍ تعالت بمعانى السلام والإسلام
ومضى فى الجهاد حرا أَبيا فى إِهاب من عزمة الإِقدام

* * *

يا يَتيمٌ بين العباد فقيرا هلّ منك السَّنَى على الإِظلام
يا قوىٌّ بالحق والحق حصنٌ لا تدانيه صائبات السهام
يا أَبا الناس كلهم فى حياة أَو ردًى .. عُرْبهم أَو الأَعجام
أَنت أَنقذتهم من البَغْى يرعى روحهم كالسُّمَامِ فى الأَجسام
أَنت أَنقذتهم من الشَّرِّ يُرْدِى أَمْنَهُم قاتلا بغير حسام
أَنت أَيْقَظْتَ غَافِلِيهمْ فَشُدَّتْ عزمات تفُلُّ سيف الحِمام

* * *

إِن ذكرى الميلاد كالإِلهام فى نفوس الأَفراد والأَقوام
فلْتكن فى حياتنا عزمات لجهادٍ ماض على الأَعوام

قصة العدد

بسمات القدر

الأستاذ حسين القبانى

((حدثنى صديق لم أعهد فيــه الكذب بهذه القصة التى وقعت له ، وأستطيع أن أؤكد بضمير مستريح انها خاليـة تماما من لمسات الخيال))

كنت جالسا فى غرفة الاستقبال بمسكنى ، وحيدا ، مطرق الرأس ، ممتقع الوجه ، تريد الدموع المتجمعة فى حنايا صدرى أن تنطلق ، ولكن عوامل الرجولة الكامنة فى أعماق النفس تأبى على الانطلاق ٠

ودقت الساعة الكبيرة فى الصالة تعلن انتصاف الليل .. وعندئذ شعرت كأن يدا باردة تعتصر قلبى ، وتملأ نفسى بالضيق ، وتفعم صدرى بالاختناق .. فهـا هى ذى الساعة تعلن بدء اليوم الاخير فى العـام المنصرم .. اليوم الواحد والثلاثين .. اليوم الذى سيحتفل الناس فى نهايته بتوديـع عام واستقبال عام .

وتضاعف الانقباض فى حنايا صدرى وانـا اذكر هذا العام الجديد الذى سيبدأ بعد اربعة وعشرين ساعة تماما .

ترى اى مصير ينتظرنى فى هذا العـام الجديد ؟

وزفرت من قلب مثقل بالهموم ، ونهضت فى تكاسل ، وعقدت يدى وراء ظهرى ، وشرعت اذرع الغرفة جيئة وذهابا .. وكلما وصلت الى بابها ، ارهفت اذنى ، فاذا أنا أسمع أنات زوجتى ، فأهز رأسى فى ألم ، وأشعر بضغط الدموع على عينى ، ولكن عوامل الرجولـة فى نفسى تقاومها ، ثم أعود مبتعدا عن الباب وأنا اهمس فى ضراعة :

— كن معى يا رب ..

ذلك أن زوجتى كانت فى دور المخاض بين يدى والدتها والطبيبة

وقد كان هذا المولود — اذا شاءت ارادة الله ان يخرج الى الوجود — سيكون سـادس ابنائى .. اربع بنات وطفل .. ثم هذا الذى لم يزل فى عالم الغيب ..

ولم يكن انقباض صدرى راجعـا الى ان زوجتى توشك أن تضع مولودا جديدا ، لا .. ابدا .. فقد كنت قبل اسبوع واحد منشرح الصدر ، مبتهج النفس ، قرير العين ، ناعما

بحياتى العائلية المستقرة راضيا بما أتيح لى من نجاح وتوفيق ..

ولكن ..

يا للالم العميق الذى يحز فى صدرى وأنا استعيد فى ذاكرتى تلك اللحظات الرهيبة التى مرت على منذ أسبوع !!؟

فمنذ أسبوع تماما ، وفى تمام الساعة السابعة مساء ، استدعانى المدير الانجليزى لفرع الشركة التى أعمل بها فى القاهرة ، وقال لى :

ـ كم عدد الأبناط التى أحرزتها فى مبيعات مجموعة الشهور الثلاثة الأخيرة ؟

وادركت من نبرات صوته الهدف الخفى الذى يرمى اليه ، ومن ثم أحسست فى تلك اللحظة ، لأول مرة ، بهذه اليد الباردة الخفية وهى تعتصر قلبى . فقد كنت أنا أحد اربعة مندوبين بقسم المبيعات لآلات المحاسبة التى يوزعها فرع الشركة بالشرق الأوسط . والمفروض على كل مندوب بالقسم أن يظفر فى كل ثلاثة اشهر بثمانمائة «بنط» على الأقل أى أن يبيع من الآلات ما يساوى ثمانمائة جنيه . فاذا لم يحرز هذه الأبناط فى اى مجموعة ثلاثة اشهر ، جاز للشركة ـ بنص العقد ـ أن تفصله دون ان يكون له الحق الا فى مكافأة لا يزيد مقدارها عن مرتب شهر واحد ..

اى نحو اربعين جنيها ..

والله يعلم ما بذلته من جهد جهيد لأظفر بهذه « الأبناط » الثمانمائة قبل نهاية مجموعة الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام المنصرم . فقد كنت أعلم أن مدير الشركة كان يتحين الفرصة لفصلى ، اذ كنت ، أولا ، المصرى الوحيد فى ذلك القسم ، وكان ثانيا ، يسمع عن مبلغ حماسى وسعادتى بالعهد الجديد ، عهد الحرية والكرامة والاباء .. العهد الذى أرغم جنود الاستعمار على أن يحملوا اوزارهم فوق ظهورهم ويرحلوا ..

وقد حاول هذا المدير نفسه ، ذات يوم ، ان يثبط من حماسى ، ويخفف سعادتى ، فقال لى :

ـ ماذا تفعلون لو أن الشركات الأجنبية اغلقت أبوابها ورحلت ؟!

ـ لا شىء .. خير لنا ان نعيش فقراء مع الحرية والكرامة ، على أن نعيش اغنياء مع الذل والاستعباد ..

ـ هذه كلمات جوفاء لا تمثل الواقع ..

ـ وكذلك أيها السيد المدير .. افتراضك لا يمثل الواقع .. فلولا الفوائد الكبيرة التى تعود على الشركات الأجنبية من بقائها فى وطنى ، لما بقيت لحظة واحدة ..

ـ كيف تقول هذا عن الشركة التى توفر لك حياة مادية كريمة !

ـ انها فى ذات الوقت تستفيد من جهودى أضعاف ما أستفيد !

وقد كان فى مقدورى أن أحنى راسى لهذا المدير ، وأن أتملقه ، وأن أجاريه فيما يريد أن يقول حتى أكتسب مودته ، وعطفه ولكن عز على أن أحنى رأسى ، وأنا فى وطنى ، لرجل يريد أن يمن على هذا الوطن الذى أواه ، وافسح له صدره ، وهيأ له من العيش أرغده ..

ولكن .. شاء القدر أن يضعنى فى قبضة هذا المدير الموتور ، حين عجزت عن الحصول على الأبناط الثمانمائة ، فى مجموعة الأشهر الثلاثة الأخيرة ، رغم ما بذلت من جهد ، وما سكبت من عرق ، وهكذا وجدت نفسى أجيب على سؤاله قائلا :

ـ ثلاثمائة بنط ..

وعاد المدير يقول بوجه ينم عن التشفى :

ـ هل تعرف أن لديك عجزا يزيد عن خمسمائة بنط فى مجموعات الشهور التسعة الماضية ؟!

ـ نعم اعرف .. ولكن جنابك تعلم ان هذا العجز لا يرجع الى تقصير من جانبى ، وانما الى ظروف خارجة عن ارادة البشر ..

فهز المدير رأسه ساخرا وقال :

ـ هكذا تقولون جميعا .. ان هذه العبارة .. عبارة الظروف الخارجة عن ارادة البشر قد تهلهلت من كثرة الاستعمال . ان البائع البارع يستطيع ان يحرك السوق الراكدة ، وان يخلق أسواقا جديدة وان يبتكر فى وسائل الاغراء والاقناع .. ولكنكم ـ

ثم هز كتفيه دون أن يتم عبارة الاستدراك .. ولكننى لم أكن بحاجة الى اتمامها فأنا

أعلم ماذا يقصد المدير منها .. فهو يقصد أن كل مندوب فى قسم المبيعات مطمئن الى الأربعين جنيها التى يتناولها كل شهر سواء باع آلة واحدة أو عشر آلات ، هذا فضلا عن عمولته عن كل آلة يبيعها .

وعاد صوت المدير يرن فى أذنى كأنه نذير القدر الرهيب :

— أريد أن أكون عادلا معك .. ولهذا سوف نتجاوز عن الشهور الماضية على أساس أن تتاح لك الفرصة لتعويضها فى العام التالى .. أما عجز مجموعة الشهور الأخيرة التى ستنتهى يوم السبت الآتى وينتهى معها هذا العام ، فلن نستطيع التجاوز عنه .. أمامك ستة أيام .. اذا لم تظفر بالابناط الخمسمائة الباقية خلالها ، فسوف تكون أوراق اعفائك من الخدمة ، والمكافأة ، معدة لتوقيعك فى تمام السابعة من يوم السبت الاتى ..

وأبيت أن أناقش المدير فى عدالة هذا الأمر .. أبيت مرة أخرى أن أحنى راسى لهذا الرجل الذى يمن على وطنى وهو يعيش فى خيراته ، وليس هذا فحسب ، وانما كنت واثقا أن المناقشة لن تجدى .. فقد استطاع اخيرا أن يظفر بى ، وأن تتاح له الفرصة لفصلى من خدمة الشركة ، ولعله أراد أن يبين لى أن حياتى ، وسعادتى ، مرتبطة بهذه الشركة التى يراس هو فرعها فى القاهرة ، وأن حماستى للعهد الجديد ، العهد الذى قضى على الاستعمار والاستعباد ، لن تشبعنى من جوع ، ولن تكسونى من عرى ..

ومع هذا فقد غادرت مكتب المدير وأنا أحس باحساس المتهم الذى حكم عليه وعلى أولاده — ظلما — بالسجن . وكنت أسير خارج مقر الشركة بخطوات مترنحة ، وكأنما الأرض تضطرب تحت قدمى اضطراب المستقبل الذى ينتظرنى .

ولكنى أذكر تماما انى لم أشعر فى تلك اللحظات بالحقد على المدير او على الشركة نفسها .. فأنا لم أنكر يوما أنها كانت تعاملنا ، نحن موظفيها ، بكرم .. فهى تجزل لنا المرتبات ، وتشجعنا بالمكافآت حتى نستشعر بالاستقرار المادى الذى يجعلنا نركز كل جهودنا وتفكيرنا لخدمتها والاخلاص لها . ولهذا السبب كان الكثيرون من ذوى المؤهلات العالية يتمنون الظفر بوظائفها الشاغرة . ولهذا السبب أيضا كنت أعتقد أن الحظ السعيد هو الذى جعل الشركة تقبلنى — مع ثلاثة آخرين — لتدريبهم على وسائل البيع لمدة ثلاثة أشهر بنصف مرتب .. وانى ، حتى هذه اللحظة لا أدرى كيف قبلت الشركة طلبى من بين مئات الطلبات المقدمة اليها من ذوى المؤهلات العالية ، بينما أنا لم أكن أحمل غير شهادة الابتدائية .. وشهادة اخرى يعترف بها الجميع .. وهى الأمانة المطلقة .. لا شك انها كانت احدى بسمات القدر ..

فقد دعت ظروف مادية قاهرة الى نزولى فى معترك الحياة وأنا فى الثالثة عشرة من عمرى فاشتغلت خطاطا ، ثم كاتبا لمحام ، ثم صاحبا لمتجر صغير ، ثم كاتبا لمحام ،

وكانت « شهادة الأمانة المطلقة » تدفعنى الى الأمام خطوة خطوة ، وكان شغفى بالاطلاع وقراءة الكتب الأدبية والمجلات المحترمة تزودنى بالتجارب النظرية التى أستفيد منها فى حياتى العملية ، كما كانت تعيننى على مواصلة الانتقال من مرحلة دراسية الى أخرى من الخارج .. ولم أكن أطمع وأنا أواصل دراستى من الخارج الى الحصول على شهادات تتيح لى وظيفة حكومية ، لا .. وانما كنت اهدف فقط الى تزويد نفسى وعقلى بألوان من الثقافة والعلم .

وبسبب ما عرف عنى من أمانة مطلقة ، اختارنى أحد أقاربى لمعاونته فى اصدار مجلة شهرية ، ولكن المجلة لم تلبث أن توقفت عن الصدور بعد عامين ، وهكذا وجدت نفسى فجأة بغير عمل ، وفى عنقى زوجة وثلاث بنات ..

ومرت أشهر رهيبة كنت أنتزع فيها الرزق من أنياب الجهد والألم والعذاب ، حتى اذا قرات عن حاجة الشركة الى اربعة مندوبين لقسم المبيعات لفرعها الجديد فى القاهرة ، بادرت بتقديم الطلب وأنا اعتقد أن قبوله سيكون فى حكم المعجزة ..

وشاء القدر أن يبتسم لى ، فوقعت المعجزة وقبل الطلب .

وقد رأيت ابتسامة القدر بقلبى وأنا أستلم خطاب التعيين بعد ساعات من ولادة الابن الأول الذى كنت أرجوه بعد ثلاث بنات .

ولن أنسى كيف أمسكت بخطاب التعيين وقد رفعت وجهى الى السماء وأنا أهمس فى خشوع « وفى السماء رزقكم وما توعدون »

واستقرت حياتى المادية ، فانتقلت الى سكن لائق ، ورحت أوفر لزوجتى وأبنائى أسباب العيش والرخاء ، فلا أبخل عليهم بشىء ولا أدخر لهم الا « العمل الصالح » وكنت ، كعادتى ، التزم حدود الأمانة المطلقة فى دقة بالغة ، فلم أحاول يوما أن «أقترض» من مال المبيعات فى أواخر الشهر لأرده فى أول الشهر كما كان يفعل زملائى الثلاثة الذين انكشف أمرهم ، الواحد بعد الآخر ، فكان مصيرهم الفصل ، وتعيين غيرهم ..

وانى أومن بأن الأمانة ليست مجرد كلمة يتشدق بها الناس ، وانما هى صفة تسرى مع الدماء ، وتنمو مع الجسم والنفس منذ الطفولة بعد أن تغرسها التربية الصالحة .. فأنا ، مثلا ، أرى أنه ليس من الأمانة فى شىء أن يحاول الانسان المراوغة من أجر الركوب ، او أن يقرأ الانسان صحيفة أو مجلةثم يعيدها للبائع بنصف الثمن ، او أن ينفق على ملذاته الخاصة مالا يحتاج اليه أبناؤه وأهله . بل انى أعتبر الطالب الذى يهمل دروسه ! خائنا» فى حق ابيه ، والموظف الذى يهمل فى عمله « خائنا » فى حق وطنه ، والعامل الذى « يغش » العميل خائنا لنفسه ولعملائه .

وانقطع حبل الذكريات فىذهنى وأنا أروح وأجىء فى غرفة الاستقبال عند ما طرقت حماتى الباب ودخلت بوجه كله القلق وبعينين تلتمع فيهما الدموع ، فهمست ملهوفا :

ــ ماذا جرى ؟!

ــ الحالة متعسرة ..

ــ رحماك يارب ..

ــ تقترح الطبيبة أن يتم الوضع بالمستشفى ..

وانعقد لسانى من فرط الجزع ، فلم أدر ما أقول ، وعندئذ قالت هى :

ــ سأذهب معها .. وتبقى أنت مع الأولاد .. وعند الله العفو ..

وانطلقت فى الليل البارد المظلم ابحث عن سيارة مأجورة ، فلما عدت بها الى البيت ، عاونت زوجتى المتهالكة على ركوبها وأنا انتزع الابتسام وكلمات التشجيع من شفتى ، فلما أوشكت السيارة على الانطلاق ، همست زوجتى بأنفاسها اللاهثة :

ــ وصيتك الأولاد ..

وتجمعت الدموع فى عينى بعنف ، ولكنى ضغطت عليها بأعصابى قائلا :

ــ اطمئنى .. ان الله معك .. ومعنا ..

ــ كنت اريد أن .. أن أراهم .. قبل .. قبل ..

ــ سأحضرهم اليك غدا ان شاء الله .. بعد .. بعد .. سلامتك ..

وبقيت واقفا أشيع السيارة بعينى حتى اختفت فى جوف الظلام ، ثم أحسست بتلك اليد الخفية الباردة وهى تشتد قبضتها على قلبى ، فلم يسعنى الا أن أرفع عينى الى السماء .. الى أطياف نورانية من الفجر الجديد وهى تسرى فى عروق الظلام ، ثم اذا أنا أحس فجأة بلون من السكينة والهدوء يغمر نفسى وأنا أقول من أعماق وجدانى :

ــ يا رب ..

وصعدت الى مسكنى ، وتسللت الى غرفة أولادى الخمسة .. فوجدتهم راقدين فى فراشهم العريض كأنهم خمسة ملائكة صغار مستغرقين فى النوم ، لا يشعرون بأحداث الحياة وهى تدور حولهم ولا بما يعصف فى قلب أبيهم من هم وقلق ، ولا بما تعانيه أمهم وهى معلقة بخط واه بين الموت والحياة .

وفيما أنا أحكم الغطاء على احدى البنات ، تقلبت الابنة الصغرى ، وبسطت ذراعيها كأنما تريد ان تحتمى بشىء ، ثم تمتمت :

ــ ماما .. اشرب ..

وبادرت فرفعت كوبا بجانب الفراش ، وادنيته من شفتيها وهى جالسة ، حتى اذا ارتوت ، تلفتت حولها وقالت :

ــ أين ماما ؟!

ــ انها آتية حالا .. نامى يا حبيبتى ..

ــ لا .. أنا خائفة .. اريد ماما ..

فخشيت أن يستيقظ أخواتها على صوتها فأخذتها بين ذراعى ، وجلست بجوار الفراش وأنا اضمها فى عطف وحنان ، واستكانت هى الى صدرى ، وفجأة انحدرت الدموع المكبوتة فى أعماق نفسى ، فاذا قطراتها تتساقط على وجه الطفلة ، فاذا هى ترفع عينيها فى دهشة وتتمتم بين اليقظة والنوم :

ــ أتبكى يا بابا !!

ــ نامى يا ابنتى .. نامى ..

وغلبها النعاس ، فنامت ..

ووضعت رأسى بين يدى وأنا أتساءل

ــ هل كان يجب أن أحد النسل خشية هذا الموقف !!

ــ ولكن .. اذا كان تحديد النسل واجبا فى عهود الفساد حتى لا يزداد عدد العبيد المستضعفين للسادة الاقطاعيين ، فهل يظل واجبا فى عهد الحرية والكرامة وتكافؤ الفرص .. فى العهد الذى يحتاج فيه الوطن الى العاملين للنهوض به واستغلال كل امكانياته؟

وخيل الى ، فى سكون الليل ، انى اسمع صوتا يقول لى :

ــ ان خيرات الأرض موفورة لكل انسان ، لو عرف الناس كيف يعملون من أجل السلام ونشر المحبة بين الجميع ..

وارتفعت قبضة اليد الباردة عن قلبى ، وعاودنى مرة أخرى ذلك الشعور بالهدوء والأمن ، فاذا أنا أقول لنفسى :

ــ ان الله لن ينسانا .. ولن يستطيع هذا المدير ان يقطع رزقا يريد الله أن يوصل ، أو يصل رزقا يراد له أن ينقطع ..

ويبدو انى استغرقت فى النوم بعد ذلك لأنى حين فتحت عينى ، وجدت ضوء النهار يتسلل الى الغرفة ، وسمعت صرير المفتاح فى باب المسكن عند ما فتحته حماتى ، وتنهدت فى ارتياح وأنا أرى بسمة الأمل مشرقة على وجهها ، وهى تقبل على ، فقلت لها :

ــ خيرا ..

ــ تم الوضع فى سلامة الله ..

ــ حمدا لله .. وكيف حالها .. ؟

ــ فى خير حال .. والمولود بنت .. تربى فى عزك ان شاء الله ..

ــ مزيد الحمد لله ..

ــ ماذا تنوى أن تسميها .. ؟!

ــ كنت قد اتفقت مع سميرة على .. على ان نسميها .. سعاد .. ولكن ..

ــ ولكن .. ماذا ؟ انه اسم جميل ..

ــ نعم .. انه اسم جميل فعلا ..

ــ قم يا ابنى واستعد للذهاب الى عملك .

ــ سأمر على سميرة وانا فى طريقى الى العمل لأطمئن عليها ..

وذهبت الى زوجتى فى المستشفى ، فوجدتها نائمة والمولودة بجانبها ، فلم اشأ ان اوقظها ، وانما اكتفيت بالوقوف أمام الفراش برهة ، انظر الى هذه الزوجة التى شاركتنى مر الحياة وحلوها ، ثم اتحول بنظراتى الى هذه القطعة النابضة بالحياة التى خلقها الله منى ومنها .. زوجتى .. وكأنما لتزيدنا ارتباطا ومودة ، ولتضاعف شعورنا بالمسئولية نحوها ونحو اخواتها ..

وكان وجه زوجتى الشاحب يشرق ، وهى نائمة ،بابتسامة هانئة .. ابتسامة الانسان الذى تخفف من عبء ثقيل ظل ينوء به اشهرا طوالا .. واحسست مرة اخرى بقبضة هذه اليد الباردة الخفية وهى تعتصر قلبى وانا اتساءل : ترى .. هل ستظل هذه البسمة الهانئة من نسمة على وجه زوجتى حين تعلم ، فى نهاية هذا اليوم ، أو بعد أيام معدودة بنبأ فصلى من الشركة !

كنت قد اخفيت عنها موقف المدير منى وانذاره الأخير لى حتى لا يؤثر الحزن والقلق فى نفسيتها وهى فى أيام الحمل الأخيرة .. بل لقد ضاعفت من نفقات الاستعداد للوضع حتى لم يبق من الجنيهات القليلة المدخرة للطوارىء غير عدد يقل عن عشرة .. ورايت زوجتى تتململ فى نومها وتوشك ان تصحو ، فخشيت ان تنظر الى ، وتفطن الى ما ينوء به قلبى من هم وقلق فى تلك اللحظة ، فبادرت بالانصراف .

وبعد ان سجلت موعد حضورى فى مقر الشركة صباحا ، خرجت لأقوم بجولة فى السوق وأنا آمل أن يتاح لى بيع آلة كبيرة من النوع الذى يتجاوز ثمنه خمسمائة جنيه ، وظللت فى السوق ساعات

طوالا لم أذق خلالها غير قدحين من الشاى وأنا أنتقل من عميل الى اخر باذلا كل ما فى وسعى من جهد .. ولكن .. على غير جدوى ..

وفى نحو السادسة مساء ، عدت الى مقر الشركة وأنا اجر قدمى جرا وقد هدنى الألم والتعب واليأس .. وهناك فوجئت بأحد زملائى يقول لى :

ـ لقد حضر السيد فؤاد الذى بعت له الة محاسبة فى الشهر الماضى ..

فانتعش الأمل فى نفسى وقد خطر لى انه جاء ليستبدل بالآلة الصغيرة التى اشتراها اخرى كبيرة ترفع « أبناطى » بضع مئات ، ومن ثم قلت :

ـ وما سبب حضوره ..

ـ لقد أعاد الالة الى الشركة وتنازل عن القسط الأول الذى دفعه .

ـ آه ..؟

ـ قال ان ظروفا طارئة حتمت عليه الغاء هذه الصفقة !

وهززت كتفى وجلست وانا ابتسم فى شحوب .. ولم اشعر بمزيد من الحزن او القلق او اليأس لأنه لم يكن فى قلبى مجال لمزيد ..

واقبل الى أحد السعاه يطلب منى الصعود لمقابلة «جناب» المدير ، فنهضت متثاقلا ، ومضيت اصعد درجات السلم وانا أشعر كأن أشباح التعطل والفاقة والعسر تتراقص امامى على كل درجة . ولكنى لم ألبث أن رفعت راسى امام غرفة المدير ، وكتمت مشاعرى ، وقررت أن أتلقى الصدمة فى كرامة واباء .

ودخلت بخطوات ثابتة ، وحييت المدير فى ادب وتلطف ، ثم جلست حيث أشار الى مقعد قريب ، وبعد برهة من الصمت الثقيل ، قال :

ـ هل علمت باعادة الالة التى اشتراها السيد فؤاد فى الشهر الماضى :

ـ نعم علمت ..

ـ والان .. ما رأيك ؟

ـ ان ضميرى مستريح بعد أن بذلت كل ما يمكن أن يبذله الانسان من جهد للمحافظة على مركزه ..

ـ ان ادارة الشركة لا تعترف بالعطف والعواطف فى أعمالها التجارية ..

ـ وأنا يا جناب المدير لم أحاول أن استدر عطف أحد .. فان فى قرآننا آية تقول « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »

ـ كأنك على استعداد الان للتوقيع على أوراق الاعفاء واستلام المكافأة ؟!

ـ اذا شئت ..

ـ حسنا .. هذا هو القلم ..

ـ وتناولت القلم بيد ثابتة وأنا أشعر تماما بالهدوء ، والسكينة يغمران قلبى ، فان الله الذى وفقنى الى هذا العمل ، قادر على أن يوفقنى لما هو أفضل منه ..

وفيما أنا أنحنى لأوقع الأوراق ، اذا بالباب يفتح ، ثم يقف فيه أحد زملائى بقسم المبيعات ، فقطب المدير جبينه وهتف

ـ ما هذا !؟ من أذن لك بالدخول !؟

ـ هناك عميل على التليفون يريد الزميل عبده .. الأمر مهم ..

فأحسست بشعاع من الأمل يسطع فى قلبى وأنا أقول لزميلى الوفى :

ـ من يا حمدى ؟!!

ـ السيد ابراهيم أبو العز .

وخيل الى فى تلك اللحظة ان الحلقة الرهيبة السوداء التى كانت تضيق على وتكاد تخنق انفاسى قد تحطمت فجأة ، واذ أنا أتنفس فى عمق وأقول للمدير :

ـ هل تسمح لى أولا بالحديث مع السيد ابراهيم أبو العز ، لقد كنت أفاوضه منذ شهور وأحاول أن أقنعه بشراء آلة من طراز ١٥١ الكبيرة لمشروعه التجارى الجديد .

فابتسم المدير فى غموض وقال :

ـ اننى أريد أن أكون رياضيا معك .. والرياضى الحق هو الذى لا يضيق ولا يسخط بما يتاح للخصم من فرص النصر ..

وبعد .. ماذا أقول ؟!

لقد شاءت ارادة الله فى الساعات الأخيرة من اخر يوم فى العام المنصرم أن أعقد مع السيد ابراهيم أبو العز أضخم صفقة لبيع ثلاث الات من النوع الكبير . وعدت الى بيتى فى اخر الليل ، وأنا أرى بقلبى ، بسمة القدر ، تنير لى الطريق .. طريق الحياة ..

ذكرى ميلاد الرسول وكيف يحييها المسلمون

فضيلة الشيخ عبد الباسط القاضي

كل ذكرى من الذكريات فى تاريخ الانسانية دائرة معارف وتعاليم وارشاد فى المدرسة العالمية وكل دائرة تحمل لنا من المناهج العلمية والعملية التقدمية بقدر مواهب صاحب الذكرى • ومن بدء تاريخ الانسان الى الآن • والذكريات يتلو بعضها بعضا كتعاقب الليل والنهار • أحداث متباينة • وأفعال متغايرة • واختراعات وصناعات تبدو بحسب حاجات البشرية

وفى كل عصر من العصور تبرز أفراد وتسود

المجتمع الانسانى أشخاص وأمم تدفع عجلة التقدم والرقى الانسانى الى الأمام ويسجل التاريخ لها أعمالها . تارة بوضع الاثار . أو تواتر الأخبار . وهى فطرة انسانية وطبيعة آدمية •• وسنة كونية

فطرة الله التى فطر الناس عليها

فاذا تصفحنا صحف التاريخ من يوم أن عرف الانسان قيمة التاريخ . أو تصفحنا الكتب السماوية التى أنزلها الحق جل جلاله هداية للخلق • لوجدنا أن الذكريات التى سجلها التاريخ لأفذاذ الرجال وللامم الراقية هى الجامعة العالمية التى يجب ان يتلقى علومها كل انسان مسئول عن واجبه فى الحياة فمن بداية الذكريات الى ما نحن فيه من الحوادث هى مدارس ودوائر معارف وكليات . من لم يتلق علومه منها . ويسترشد بحاضرها وغابرها . ضل فى عمله . وخاب فى سعيه . وسقط فى ميدان قيامه بواجبه : **فذكرى** الانسان الأول . وهو آدم عليه السلام . فيها

من الارشادات . والتوعية واليقظة . والتحذيرات من كيد العدو ومكره وخداعه • وفيها من فوائد الاعتراف بالخطأ مايرفع قدر المعترف ويرقيه لمنازل الرقى والمعرفة . وفيها ما يفيد أن الانسان اذا جلس على قمة المجد يلزمه ان يحترس كل الاحتراس من السقوط والنزول . ويعمل ألف حساب للنهاية . لا للبداية . ولا للحالة الراهنة . وهذه هى الذكرى الأولى فى تاريخ الانسانية . والكتاب الأول فى المدرسة الابتدائية الآدمية :

وذكرى من بعده من الرسل والأنبياء . والفلاسفة والزعماء . كل منها له شأن فى تطوير المدنية السابقة والحاضرة ، وله أثر خالد فى التربية الانسانية . والتعاليم الأخلاقية • **فذكرى** نوح عليه السلام تعلمنا الصبر والثبات على المبدأ مهما طال الزمن . وامتد الأجل (**فلبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما**) •

كذلك **ذكرى** هود عليه السلام . **وذكرى** ابراهيم الخليل وما عاناه وكابده من الأذى والتغريب والتشريد . والتعذيب والتهديد . وهو ثابت على مبدأ الحق وسبيل التحرر الانسانى من تسلط الظلمة المستعبدين لضعفاء الانسانية . كذلك موسى وعيسى عليهما السلام كانت ذكراهما حافلة بالمبادىء السامية والحكمة العالية . والتعاليم الغالية . والدعوة للحرية والمساواة . ونبذ السيطرة الفردية الهادمة للمواهب الانسانية . والحقوق العامة : كذلك **ذكرى** يوسف الذى جعله الله مثلا وعبرة للمؤمنين :

كانت هذه الأفراد .. وتلك الأفذاذ تظهر على مسرح الوجود بين آونة وأخرى . وتولد فى مهد العصور التى تحتاج الى العلم والنور حتى جاء العصر الـــذى استعدت له العقول الآدميـــة . والمواهب الانســانية والأفكار البشرية . لتلقى العلوم العالية الروحيـــة . والثقافة الفالية الربانية . ومن هنا فتحت المدرسة العالمية والكلية الآلهيـــة .. ولاحت شمس ميلاد الرسول الجامع . والنبى الخاتم بعد أن رقى البيان على منبر البلاغة ولم يجد له من مزاحم . والفلسفة أخذت دورهـا فى الشرق والغرب وطمست جميع المعـالم . والتبست العدالة بالمظـالم . حتى تدخلت السفسطة فى العلوم الالهية . فجعلت الأصنام الحجرية . وسائل للذات الآلهية **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)**

هنا ولد الهدى

هنا كانت الحاجة ماسة جدا الى ظهـــور نور قوى . وسراج شمسى . وكشاف عالمى يتسلط على ظلام هذا الالتباس . فيخـرج الناس من الظلمات الى النور.ظهر هذا النور فى أفق مولود يتيم فقير بعيد كل البعـــد عن الحياة المدنية . وكان دوره الأول فى الحيـاة حال الرضاعة وسن الصبية فى البادية حيث يوجد الانطلاق الكلى والحرية الكاملة البعيدة عن السيطرة الغاشمة والعبودية الـــكاذبة . والكبت التعسفى الباطل الذى يحـــد من انطلاق المواهب العاليـــة ، ويحبس النفوس التواقة الى أبعد هدف فى العلو والمجـــد والحرية :

أسس هذا المولود فى حياته الأولية على أرقى مبدأ من المبادىء السامية . وتولته الطبيعة بحنانها وبرها وعطفها قائمة بدورها منفـذة لمراد خالقها وبارئها ومدبرها . فى وضع هـذا الأساس المتين . أساس الحرية والانطلاق . وأساس الصفا والوفاء والكرم المعهــود فى البادية . والمفقود فى المدنية الجاحدة اللاحدة ومتى كان الأساس من القوى المتين . فلا تستطيع أن تهدمه الأيام والسنين . ثم نقلته الارادة الالهية . ليأخذ دوره فى المدرســـة الانسانية . ليعرف أدوارها وأطـــوارها . وعوائدها وأخلاقها . حتى جاء دور الرجولة وتسلط العقول الكامل . والفهم الشامل .على جميع المقاصد والمآرب والأهداف والمواهب . ففر من عالم الانسانية الى البطحاء . متنسكا متعبدا فى غار حراء . الى أن جـاءه وحى السماء . **(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذىعلم بالقلمعلم الانسانمالم يعلم)** ومنذتلك اللحظة خرج من جميع الدوائر . الى دائـرة العلى القادر . وهنا كان الميلاد الروحى . الذى غير وجه التاريخ الانسانى . وهو الذى يســمى حقيقة .. ميلاد الرسول .. **((وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهـدى به من نشاء من عبادنا)) ..**

من تلك الساعة التى أتاه فيها ملك الوحى صار محمد صورة روحانية ايمانية نورانية . ومثالا أعلى لمراد العلى الأعلى . اقواله من أقوال الكبير المتعال . وأعماله بارشـاد رب العباد . وأحواله صلاح واصلاح . وارشاداته نجاح وفلاح . رسم الله به طريق السعادة . ووضع به شريعة العبادة . من اتبعه ســعد ونجا ، ومن خالف تعاليمه ضـل وغوى . وخسر الدنيا والأخرى :

كيف نحيى ذكرى مولده

ومضى زمن غير يسير والامة الاسلامية فى شهر ربيع الاولتحيى ذكرى ميلاده بأعمال لا تتناسب مع جلال الذكرى وعظمة هذا الميلاد وقد ذكر الله فى كتابه الكـــريم . وقرآنه العظيم أمرا عظيما جعله سبحانه أساسا لتلك الذكرى.وشعارا لها. فقال جلوعلا« **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بـــين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا))** وهذا المبدأ الجليل وضعه الله تعالى علما لذكرى الرسول وهو اتحاد القلوب . وعقد ميثاق الأخوة . والألفة . وجعل الخارج عليها العامل لتفرقه الصف والهدف خارج على تعاليم الاسلام . **قال تعالى « يأيهـــا الذين آمنوا اتقوا اللــه حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مســـلمون .**

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ثم ذكر شعار الذكرى . ورفع علمها ووصف العلم بصفة الوحدة فقال « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم** » ثم وصف الذكرى والتأليف بوحدة الأخوة ثم ذكر بعد ذلك أن المخالف لهذا المبدأ اما أن يكون يهوديا أو نصرانيا فقال : « **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . وأولئك لهم عذاب عظيم** »

أيتها الطوائف الاسلامية والجماعات الدينية والشعوب والدول التى تدعى أنها تدين بدين الاسلام . وتقيم الأفراح والاحتفالات بذكرى الرسول فى كل عام : هذا هو طريق الاحتفال بذكرى مولد النبى عليه الصلاة والسلام . كما بينه لكم الحق فى آيات القرآن . الاحتفال بالذكرى أولا هو احياء مبادىء صاحب الذكرى وأساس مبادىء الرسول هو تأليف القلوب وتطهيرها من العداوة والبغضاء . ووضع مبدأ الاخوة . والمحبة والصفاء مكان العداوة والجفاء ، هذا هو الوضع الذى وضعه لكم ربكم . وتلك هى الذكرى التى أرادها خالقكم الذى أنزل عليكم كتابا ما فرط فيه من شىء بين لكم فيه كل أموركم . وكل شئونكم ، وكل ما تحتاجونه فى جميع أعمالكم

سر انتصار الرئيس

وزعيم مصر الآن . يحيى ذكرى المصطفى فى كل مكان . فى اليمن . فى الجزائر . فى سوريا . فى العراق فى كل شعوب أفريقيا وآسيا . ينادى بضم الصفوف . وتأليف القلوب فى جميع الأقطار . وينادى فيها بذكرى النبى المختار عمليا ، هذه هى الذكرى التى يجب علينا جميعا القيام بها . وبذل النفس والمال فى احيائها . والصدق والاخلاص فى العمل على نوالها **واحياء الزعيم لتلك الذكرى** . هى سر انتصاراته . حيث يقول صلى الله عليه وسلم « **لا تزالون منصورين على أعدائكم مادمتم متمسكين بسنتى . فان خرجتم عن سنتى سلط الله عليكم من يخيفكم . ولاينزع خوفه من قلوبكم الا اذا رجعتم الى سنتى** » : **فاستقبلوا أيام مولد الرسول** . واحيوا ذكراه بما أرشدكم به الله . تنالوا النصر من الله . **قال تعالى** « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » ونصر الله تعالى فى احياء ذكرى الرسول . هو جمع الكلمة وضم الصفوف . وتأليف القلوب وتوحيد الأهداف . ونبذ اهل التفرقة والاختلاف . وبذلك نسود ونعيد المجد الأول .

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع الأول	يوليو	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			ق . س	ق . س	ق . س	ق . س	ق . س	ق . س
الاثنين	١	٢٢	٢٦ ٤	٨ ٦	١ ١	٣٧ ٤	٥٥ ٧	٢٥ ٩
الثلاثاء	٢	٢٣	٢٧	٨	١	٣٧	٥٤	٢٤
الأربعاء	٣	٢٤	٢٧	٩	١	٣٧	٥٤	٢٣
الخميس	٤	٢٥	٢٨	٩	١	٣٧	٥٣	٢٢
الجمعة	٥	٢٦	٢٩	١٠	١	٣٧	٥٣	٢٢
السبت	٦	٢٧	٣٠	١٠	١	٣٧	٥٢	٢١
الأحد	٧	٢٨	٣١	١١	١	٣٧	٥٢	٢٠
الاثنين	٨	٢٩	٣٢	١١	١	٣٧	٥١	١٩
الثلاثاء	٩	٣٠	٣٣	١٢	١	٣٧	٥٠	١٨
الأربعاء	١٠	٣١	٣٤	١٣	١	٣٧	٥٠	١٧
الخميس	١١	أغسطس ١	٣٥	١٣	١	٣٧	٤٩	١٦
الجمعة	١٢	٢	٣٦	١٤	١	٣٧	٤٨	١٥
السبت	١٣	٣	٣٧	١٥	١	٣٧	٤٨	١٤
الأحد	١٤	٤	٣٧	١٥	١	٣٧	٤٧	١٣
الاثنين	١٥	٥	٣٨	١٦	١	٣٧	٤٦	١٢
الثلاثاء	١٦	٦	٣٩	١٧	١	٣٧	٤٥	١١
الأربعاء	١٧	٧	٤٠	١٧	١	٣٧	٤٤	١٠
الخميس	١٨	٨	٤١	١٨	١	٣٧	٤٤	٩
الجمعة	١٩	٩	٤٢	١٨	٠	٣٧	٤٣	٨
السبت	٢٠	١٠	٤٣	١٩	٠	٣٦	٤٢	٧
الأحد	٢١	١١	٤٤	١٩	٠	٣٦	٤١	٦
الاثنين	٢٢	١٢	٤٥	٢٠	٠	٣٦	٤٠	٥
الثلاثاء	٢٣	١٣	٤٦	٢١	٠	٣٦	٣٩	٣
الأربعاء	٢٤	١٤	٤٧	٢١	٠	٣٦	٣٨	٢
الخميس	٢٥	١٥	٤٧	٢٢	٥٩ ١٢	٣٥	٣٧	١
الجمعة	٢٦	١٦	٤٨	٢٢	٥٩	٣٥	٣٦	٠
السبت	٢٧	١٧	٤٩	٢٣	٥٩	٣٥	٣٥	٥٨ ٨
الأحد	٢٨	١٨	٥٠	٢٣	٥٨	٣٤	٣٤	٥٧
الاثنين	٢٩	١٩	٥١	٢٤	٥٨	٣٤	٣٣	٥٦

نهنئ السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

بمناسبة

عيد الثورة المبارك الحادى عشر

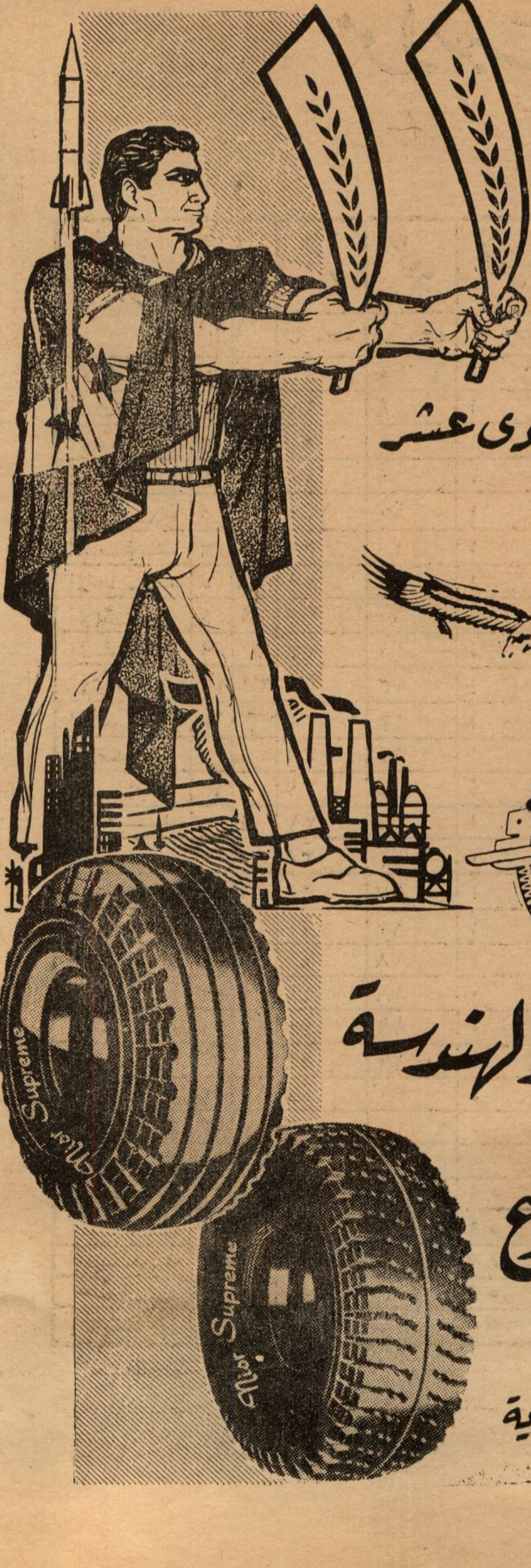

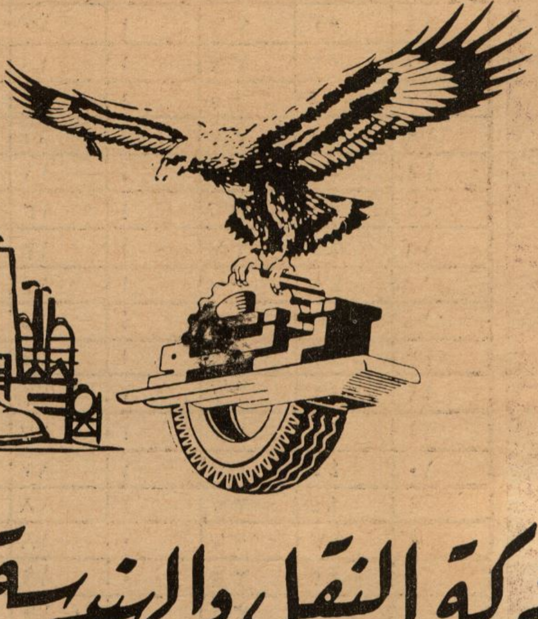

شركة النقل والهندسة

عبد العزيز العلى المطوع

الوكيل العام فى

الكويت . البحرين . السعودية

مدنية الغرب وحضارة الإسلام

الدكتور محمد غلاب

لا ريب أن الحروب الاخيرة ومانشأ عنها ، أو بسببها من انقلابات رائعة ومريعة فى العلوم الطبيعية والكيميائية ، قد تضافرت على احداث ثورات عالمية فى الأفكار والظواهر والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لا تزال تتعاقب تحت أبصارنا وأسماعنا فى صور مذهلة ، وكان من النتائج المباشرة لتلك الانقلابات ، أن جعلت المدنية المادية تغير مقرها ، وطمحت نيويورك وموسكو الى أن تحلا محل باريس ولندن ، وأن تنفردا دونهما بالصدارة والامتياز .. وفوق ذلك فان هناك شعوبا كانت الى الامس القريب تغط فى نوم عميق ، وتترنح فى خمول مرهق غمسها فيهما الاستعمار البغيض ، بدأت تستيقظ فى نشاط وحيوية يتناسبان مع طفرات عصر الوثوب والانطلاق .

وهكذا لم نلبث أن شاهدنا تلك الشعوب تنزلق الى مسرح الحياة العالمية ، وتلعب عليه أدوارا خطيرة فى الجوانب المتباينة الصور والألوان كالهند والشعوب العربية التى حطمت نير الاستعمار ، ونفضت عن كواهلها غباره الى الأبد .. ومن هذا يتبين أن سنن الطبيعة تقتضى أن توجد على هذا الكوكب انقلابات متوالية تنتج فى كل موضع منه تحولات أساسية فى التفكيرات والتصورات التقليدية ، وأن المدنية الغربية التى كانت الى عهد جد قريب تشغل الصف الأول من عقول الناس وقلوبهم ، وقد أصبحت اليوم تشعل لهيب معارك طاحنة لكى تحتفظ لنفسها بتلك الصدارة العالمية لأنها تشعر الآن بأنها مهددة بالفناء والزوال . ونحن لكى نجزم بما اذا كانت هذه المدنية الغربية تستحق البقاء أو الفناء ، ينبغى أن نقف عند تاريخها وقفة عاجلة نتبين من خلالها القيم الأخلاقية والاجتماعية التى تحتويها . وقد أردنا أن نستأنس هنا - فى تعريفنا تلك المدنية - بنص الكاتب الفرنسى الكبير سيجفريد الذى نشره فى مجلة « التبادل » العالمية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ اذ قال :

« تتألف هذه المدنية من ثلاثة أسس ، أولها ادراك المعرفة ، وهو آت عن طريق الاغريق ، وثانيها ادراك الفرد ، وهو آت كذلك عن الاغريق فى بعض جوانبه ، ولكن أهم تلك الجوانب منبثق عن تعاليم الانجيل . وثالثها الاصطلاحات الخاصة الضرورية للانتاج والنابعة من الثورات العلمية والصناعية التى اندلع

لهيبها فى القرن الثامن عشر ، والتى خلقت من الانسان الغربى سيدا لكوكب الأرض بلامنازع، **فطالما أن هذه الأسس الثلاثة تظل مجتمعة ،** تكون المدنية الغـربية موجودة ، بل كاملة • ولكن عندما يلحقهـا التشـوه ، فان شمس حياتها تأذن بالغروب » •١•

مما لا ريب فيه أن هـذا التعريف جدير بالعناية ، لأنه **يسمح لنا بأن نضع أيدينا على مواطن التشوه التى خضعت لها المدنية الغربية فى العصر الـراهن ، اذ أن الإساسين الأول والثـانى** يبدوان فى صورة شاحبة تنم عن الاحتضار ، **بينما** أن الثالث قدخضع لتطورات عملاقية مفزعة توشك أن تكتم أنفاس **السببين السابقين** ، وأن تخلع على المدنية الغربية مظهر العصر الراهن أو المادية المطلقة •

والسر فى ذلك هو أنه يصـعب الآن على العالم الغربى ـ دون نفاق ـ أن يحتفظ فى ادراكه للفرد ، بالصلة بين تعاليم الانجيـل والنظريات المادية الحديثة •

أما المعرفة العقليـــــه المنحدرة من الفكر **الاغريقى** فان كثيرا من النظـريات الفلسفية الحديثة تنبذها باحتقـار وازدراء • وهـنـا نستطيع أن نجزم فى غير مواربة ، **بأن فلاسفة الاسلام هم وحدهم الذين استطاعوا أن يستخلصوا من الانتاج الاغريقى كل ما اشتمل عليه من منطـق قويم سليم وتعقل حصيف جدير بالخلود يتفـق أكمل اتفاق مع الفكر القرآنية الأساسية فى ادراك الكون العام •**

ونحن اذ أردنا أن نتحقـق من هول ذلك الانحدار المتواصل ، فليس علينا الا أن نستمع لتلك الصرخة المفزعة الآتية من لدن المتعقلين الأدقاء من مفكرى الغرب الذين احسوا بخطر الـكارثة قبل غيرهم من المندفعين فى ذلك التيار المادى الأهوج الذى سينتهى الى الـدمار اذا لم يتدارك المهيمنون على شـئون المدنية هــذه الحالة الأسيفة متخذين من مبادىء الاسلام الفطرية مصابيح هدايتهم وارشادهم • وهاك نموذجا من تلك الصرخات المنذرة بالويل والثبور :

يقول « باستور فاليرى رادو » فى كتابه : « أفكار عن المدنية » مايلى :

« ان مدنية الغـــرب تتجه اليـوم الى أن تمنح التطبيقات العملية الصدارة على الفـكر النقية، **فالآلات المكانيكية هى صاحبة السلطان،** اذ أنها لاتحول الحياة المادية فحسب ، **بل هى** تقتاد الحياة العقلية أيضا ، **والباحثـون لم** يعد لهم مهماز يدفعهم سـوى استكشاف آلات جديدة ليستغلوها فتغير العلم والصـنـاعة والحياة اليومية » •

واذا أنعمنا النظر فى نصوص الفيلسوف الفرنسى الروحى **جـاك ماريتان** الواردة فى كتابه : **« درجات المعرفة »** ألفينـاها أصرح وأشد قسـوة فى الحق ، **اذ هو يلاحظ بديا** كيف أن العقل الحديث قد استولى عليه ميل خفى الى المادة والتى لا يعمل الا فيها وحدها ، والتى يستحوذ عليها بوســاطة غزو جزئى هو دائما مؤقت ، ثم يضـيف الى ماتقـدم قوله :

« غير أن هذا العقل الحديث قد ضعف ضعفا أسيفا ، وأصبح أعزل بازاء الموضوعات التى هى من اختصاصه ، والتى هو يتخلى عنها فى وضاعة • **انه صار غير قادر على فهم قيم** عالم اليقينيات العقلية •• يبدو أن زماننا قد وضع من الفلك فى منزلة الفرقة بين الجسم والروح ، ومن الواضـح أن مرور البشرية تحت نظام المـال والميكانيكية يسجل مادية مطردة للعقل وللعالم » •

واذن فنمو هذا التقدم للعـلم التجـريبى والميكانيكية ، هو علامة تشويه تلك المدنيـــة فوق أنه انذار صريح بانهيارها العاجل • ان عقيدة عصمة العلم الواقعى • أو الايمان بأنه هو المنبع اليقينى الوحيد للمعرفة البشرية قد نشأت **فى القرن الثـامن عشر** وتلألأت فى القرن التاسع عشر ، وكان من النتائج الحتمية لهـذا الازدهار **أن نبـذ العلمـاء الواقعيون** جميع المعارف الدينية والميتافيزيقية مادام أنها لا تصلح لتغذية تلك المعرفة •

وماأكثر العلماء الذين آمنوا فى ذلك العهد بأن العلم التجريبى سـيصل الى شرح أسرار

الكون ، وعلى الأخص سر تألف المادة • وليس هذا فحسب ، بل جعلوا يطالبون بحق الانتصار قبل حدوثه الى درجة أنهم أثروا ردحا من الزمن في الجماهير الجاهلة سريعة التصديق وقيدوا الرأى العام فى تلك الحقبة بالانحباس فى نطاق ضيق ، مجمله نبذ كل ما ليس متحيزا ولا ماديا ، وبالتالى التخلص من **الميتافيزيقية** ، وهو يستلزم التخلص من الدين لأن أسمى قمم الميتافيزيقا هى الألوهية العقلية •

ومما **لا سبيل الى الشك** فيه ، أن آمال علماء **القرن التاسع عشر** المفعمة بالطموح ، قد جعلت فى العصر الراهن تنطفىء شيئا فشيئا **لا سيما آمال الطبيعيين** المنحصرين فى محيط المادة •

وقبل أن نودع تلك العقلية المادية الراحلة ترافقها عقيدتها الزائفة ، وأن نستقبل العقلية الطبيعية الجديدة ، كما تطلق على نفسها ، نود أن نقف هنيهة أمام أنصاف المتعلمين من مواطنينا الذين هم - مع الأسف الشديد - مكلفون بتعليم الشباب الساذج يقذفون الى قلوبه وعقوله بآراء لم تعد تستمتع بالحياة الا بين دهماء الجماهير • وهكذا شاءت لهم كرامتهم أن يتيهوا عجبا ومباهاة بارتداء المرقعات التى نبذها أصحابها احتقارا لها وترفعا عنها منذ زمن بعيد •

والآن نعود الى آراء بعض العلماء المعاصرين عن علم الطبيعة الجديد الذى لا يطعن على **الميتافيزيقا** بل يتركها تسير فى طريقها حرة الى حقولها الخاصة التى يعتبرها مباينة لحقوله الى درجة تجعل تعرضه لها ضربا من المشاكسة المؤسسة على الجهل لاشتمالها على الخلط بين طبائع الأشياء ، وبالتالى بين معايير الموجودات • نعود الى آراء أولئك العلماء المعاصرين فنسجل أن العالم الانجليزى الشهير ايدنجتون يقرأ فى كتابه : « **طبيعة العالم المادى** » الذى ظهر فى سنة ١٩٢٩ مايلى :

« نحن نفهم اليوم أن العلم ليس لديه مايقوله عن طبيعة الجوهر الأساسى للذرة أكثر من أنه - ككل شىء فى الطبيعة - عبارة عن سلسلة من أقيسة الكميات ••• وأن البحوث العلمية لا تنتهى الى معرفة جواهر الأشياء ، وأن العالم الظاهرى الذى هو محيط علم الطبيعة قد صار عالما من الظلال » •

وكذلك يقول العالم الطبيعى مايرسون فى مقال نشرته له مجلة « **الشهر** » الصادرة فى يونيو من سنة ١٩٣١ تحت عنوان « **العالم الطبيعى والكائن الواقعى** » مايلى :

« ان العالم المعاصر ، لا يستطيع أن يعين جوهر الكائن الواقعى ، بل ان هذا نفسه هو الذى يميز خطته عن خطط سلفه فى القرن التاسع عشر ، كما يميزها بصورة أوضح عن خطة عالم العصور الوسيطه • العالم العصرى لم يعد يجزم بأنه يستطيع أن يفهم جوهر الكائن الواقعى الذى يبدو له على العكس كأنه محوط بسر عميق »

من هذا يتبين تواضع العلماء الحقيقيين ومعرفتهم قدر أنفسهم ، واعترافهم بأن العلم التجريبى عاجز كل العجز عن كشف أسرار الكون وخفايا الوجود كما يتبين أن الذين يتباهون عندنا بالطعن على الميتافيزيقا ، هم متأخرون حتى فى جهلهم ومضحكون حتى فى تقليدهم ، وأنه يجب على الدولة أن تحمى الشباب من هذه الآراء الزائفة الضالة التى لاتكاد عقولهم الناشئة تتلقاها حتى تتلقفها

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وينبغى أن يستقر فى أذهان ذلك الشباب البرىء ماتوصل اليه أدق علماء الطبيعة فى عصرنا الراهن وهو أن العلم المادى التجريبى غير قادر البتة على ارضاء العقل الذى لا يزال يعذبه الطموح الى ماهو أرفع من واقعه الذى يعيش فيه ، ولا يزال يغريه بأسئلة أدخل فى باب السمو من الظواهر الخارجية وأقدر على جذبه المتواصل الى عالم المعقولات النقية التى أولى وظائف العقل الأساسية هى ادراكها بوساطة المنطق الذى هو أحد الطرق الطبيعية لفهم المبادىء التى أتت بها الأديان ولا سيما الاسلام لأن القرآن قد اشتمل على عدة مناهج متنوعة لفهم أسرار اختص كل فريق من

البشرية بمنهج منها يلتئم مع عقليته [illegible]
« وكل ميسر لما خلق له »

ولكن جميع الذين يسلكون تلك المناهج المختلفة يلتقون عند غاية واحدة مع الفريق الذى أرشده الوحى وحده . وهذا معناه أن الوسائل متعددة والغاية واحدة . **وقد تنبه فلاسفة الاسلام من قبل الى هذه الحقيقة الخالدة التى لا مشاحة فيها ولا نزاع ، فرمز اليها الفيلسوف الأندلسى المسلم ابن طفيل فى قصته الفلسفية « حى بن يقظان » اذ انتهى المؤلف الى تسجيل أتم وئام بين بطل قصته الذى نشأ فى الجبال دون أن يسمع للدين بخبر أو أن يقف منه على أثر ، وصاحبه الذى لم يسترشد الا بهدى الوحى وحده ، فارتضى الاستظلال براية القرآن والاهتداء بأشعته المتشعبة الجوانب ، والمنبثقة من المصدر الآخر الذى هو « مانح كل حق وجوده »** والمنتهية الى الغاية العليا التى اهتدى اليها ذلك الرجلان المتباينان فى نشأتيهما ووسائلهما .

من هذا يتبين أن منهج القرآن هو أن اختلاف الوسائل لا يحول البتة دون الوصول الى الهدف المرموق وهو منهج الفطرة الذى تفرد به فرسم لكل درجة من العقليات الوسيلة التى تلائمها وأبان للانسانية جمعاء مناهج متعددة تهتدى بوساطتها الى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى هو واضح لكل من لم ينحرف عن الصراط السوى **« فطرة الله التى فطر الناس عليها »** .

محمد

صلى الله عليه وسلم

للشاعر عبد الحميد عيسى

أجَفَّ السحابُ وفاضت البيداءُ ... فاسقوا الحيارى أيها الندماءُ

أَغْفَى الربابُ فهدهدوا أحلامهم ... فلقد يتوب عن العذاب شقاءُ

أو ضمِّدُوا نَوْحَ الجراح برحمة ... فجراحهم فى مقلتىَّ بكاءُ

وأنا الذى آسَى جراحاتِ الأسى ... وجراحُ نفسى ما لهن دواءُ

* * *

يا أيها الندماءُ هذا منهل ... لا الكرم يعرفه ولا الشعراءُ

وتفيَّأوا شعرى فان ظلاله ... شماءُ باذخة الذرى غَنَّاءُ

لا تعذلوه إذا تسامَى وازدهى ... فبه لذكر محمد خيلاءُ

ومحمد أنشودة للأَنبياءِ ... وقمةٌ يحبو لها الحكماءُ

ازفَّته للأَرض السماءُ ضنينة ... وعليه من أَلَقِ الجلال رواءُ

فكأَن جوعَ البيدِ حقلُ سنابل ... لما هَمَتْ بمجيئه النعماءُ

وأَكبَّت الأَوثانُ والتفتَتْ لها ... نار تموت .. وغاض منه الماءُ

شابتْ دموعُ التائهين فضمهم ... صبحٌ تألق بالهدى ومساءُ

حتى إذا اتشح الوجودُ بنوره لَهَثَ الدجى واستحزت الظلماءُ
واخضوضرت بالنور وهى عقيمة صحراءُ حُبْلَى بالظما جرداءُ
تستوحش الأيامُ فى بيدائها وتتوه فيها الزعزعُ النكباءُ

* * *

ودعا الخليلُ اللهَ فى وديانها أن يستعزّ بظلها الحنفاءُ
يا ربّ قد أسكنت من ذريتى بلدا على شفتيه يظما الماءُ
حتى أتيتَ فكنتَ أكرمَ دعوة لبَّتْ نداها للخليل سماءُ
الصدقُ فيك سجية وضاءة والنجم والمجد الرفيع وطاءُ
ومشيتَ فى ألق الشباب مطهرا مترفعا عما أتى العظماءُ
فأضأتَ بعدك للشباب منارة ان الشباب توثب وبناءُ

* * *

أرأيتَ أشراف القبائل إذ أتَوْا للبيت .. تحدوا ركبَهم أهواءُ
يتنازعون لمجدهم ووجودهم حَجَرًا تتيه بلونه الظلماءُ
وتنابذوا .. حتى إذا ما استَحْكَمَت بين القبائل فتنة هوجاءُ
استحكموك وأنت أعدل حاكم لا الحقد لامسه ولا البغضاءُ
فجعلتَهم – والله يشهد والورى خَدَمًا .. وأنت لبيته البناءُ

* * *

وذهبتَ تستجلى اليقين وقددَجَتْ فى الناس أرواح وهن ظماءُ
وحوى الوجودَ بنوره وجلاله لما احتواك على الودادِ حراءُ
ورنا لك الرحمنُ من عليائه فعنا الزمانُ وكَبَّر البُشَرَاءُ
واصطفت الملأُ الملائك وانحنى جبريل يدفعه إليك ولاءُ
من عالم فى الغيب دَفَّ جناحُه فتلفَّتَتْ والتَفَّتْ الأَضواء

وأتاك يسعى وهو أكرم من سعى ... فرنا القضاءُ وشاقه الاصغاءُ

يا أيها الأُميُّ .. يانورَ الورى ... بك تستعز على السما الغبراءُ

إقرأْ .. فإنك للوجود معلم ... ومهذب ومشذب ورجاءُ

للعلم جئتَ وباليقين أتيتنا ... ينبوعَ نور حوله حنفاءُ

ضَوَّأْتَ ليلَ الكون وهو محيَّر ... تشكو اليك جراحَه البكماءُ

دقَّتْ أَكُفُّ الفجر أبوابَ الدجى ... وهَمَى على الدنيا سنا وسناءُ

أَنْبَتَّ لِلناس الحياةَ كريمة ... للحب فيها موعد ولقاءُ

وفرشتَ درب الظامئين غمائما ... فتبسَّمَتْ حول الربى الأَنداءُ

ودككْتَ بالنور الرحيم معاقلا ... شابت لديها أنفس صَمَّاءُ

وحَميتَ دمْعَ البائسين وصنته ... أن تسترقَّ دموعَهم بأساءُ

شَبَعُ الغنيِّ وريُّه وجحودُه ... سَوْطٌ يئن لعصفه التعساءُ

والدين نبع والنفوس ظماءُ ... والمسلمون تراحم وإخاءُ

حتى إذا سويتَ بين نفوسهم ... سَعِدَ الغنيُّ وعَزَّت الفقراءُ

أكتاؤهِ الاعصار كان نشيجهم ... حتى أَظلَّتْهمْ يدٌ بيضاءُ

الذكر آيتك التى لا تنتهى ... والله نور فوقها وضاءُ

ولآى ربك يا محمد لم تزل ... تجثو العقولُ ويخشع العلماءُ

أكملتَ آى الأَنبياء بآية ... الحق فى جنباتها لألاءُ

جاؤا هُدَاةً مكرمين وحولهم ... تَدْجَى نفوس للضلال إماءُ

كالليل ترحمه النجومُ ينورها ... حتى تُبَدِّدَ نورَهن ذُكَاءُ

أَتممْتَ ما شاء الهدى فختامه ... مسك :. وشرعك للبقاء بقاءُ

* * *

وإذا سعيتَ مع الزمان لغاية ... كَلَّ الزمانُ وأطرق الإعياءُ

وإذا سطعتَ بآية وبرحمة | شاب الظلام وزغردتْ أضواءُ
وإذا حكمتَ فَمُشَرَّعٌ ومُشَرِّعٌ | تعنو له الأقدار والحكماءُ
وإذا أتيتَ بحكمة قدريَّة | سَجَدَ الورَى وتعلم العلماءُ
وإذا ركبتَ الحربَ كنتَ لواءها | وكأن سيفك للقضاءِ قضاءُ
ما كنتَ سفَّاك الدماء وإنما | تحمى الحقوقَ كتيبة خضراءُ
لما تملكت النفوسَ غوايةٌ | غَسَلَتْ خطايا الآثمين دماءُ
وإذا طغى العضوُ الشرودُ بترتَه | والبترُ فى بعض النفوس دواءُ
وإذا تحكمَتِ القنا ورنا الردى | غنَّى بعفوك فى الوغى الرحماءُ
للرفق فى حَدَّىْ حسامِكَ مولد | وعليه منكَ جلالة ورُواءُ

* * *

يا أيها المَلَكُ التُّرَابِيُّ الذى | لضيائه تَتَفَزَّعُ الظلماءُ
أشكو الطريقَ إليكَ فامْدُدْ راحةً | يرجو نداها تائب خَطَّاءُ
وأعِدْ إلى نور الحقيقة عَالَمًا | قد كبَّلَتْهُ غوايةٌ عمياءُ
عَشِقَ السنا وعليه من إصْرِ الدجى | قيد له عند الضحى أصداءُ
قد خيمَتْ فيه الجراحُ وولولتْ | ريحُ الخطايا .. والمنى أشلاءُ
والذعرُ صار ربابه ونشيده | وبكى عليه الثكل واليتماءُ
سالت دموع النور فوق ظلامنا | وَرَمَتْ شراعَ رجائنا الأنواءُ
والشوكُ أدْمَى الوردَ .. حتى عطره | صَلَبَت رؤَى أحلامه الأرزاءُ
وتوثَّبَ الشرُّ الحبيسُ بعالم | جُنَّتْ بِه الأهواءُ والبغضاءُ
ملأوا سماواتِ النجوم كواكبا | والشرُّ فى جنباتها مَشَّاءُ
فارتاع فى الأُفق السكونُ كأنما | قد فَزَّعتْه حيةٌ رقطاءُ
يا ليتنا والعلم طوع يميننا | والفجرُ بَسَّام السنا غَنَّاءُ

نبنى على العلم السخىِّ لنا غدا الخير فيه رائح غداءُ
ويعود من خلف المدى روّادُه وعلى يديْهم للحياةِ نَماءُ
تَبًّا لعلمٍ لا يُضمِّدُ جرحَنَا ويضىءُ ليلا تحته أُسَرَاءُ
العلم وحى الله بعد كتابه فاحموا سناه أَيها العلماءُ
إنَّا بنو أُمٍّ فما لنفوسنا ترنو اليها لجةٌ حمراءُ
غصن السلام ميتَّم ومكبل بدم الضحايا .. والحروب ظماءُ
لولا مرافىءُ للحياد كريمة لتمرَّدَتْ ذرِّيَّةٌ حمقاءُ
حَوَّاءُ لو علمتْ بِشَرِّ زماننا عَقِمَ الزمانُ ولم تلد حواءُ
بـأَبى وأُمى يا رسول الله هل كنا لنشقى والحياة رجاءُ
وزماننا حَمَّال أثقال كَبَتْ فى ظلها الآمال والنعماءُ
والكون يجتَرُّ الضلال فكن له يا خير من فَزِعَتْ له الغبراءُ
واسكبْ ضياءَكَ رحمةً ومحبة فلغير نورِكَ ما لنا إِسْرَاءُ

* * *

يا أيها الدُّرُّ اليتيمُ تحيةً لا المدح طرَّزَهَا ولا الإِطْرَاءُ
لكنها حب يغرد فى دمى أَخفَى لظاه تـأَدُّبٌ وحياءُ
فإذا شدا بك يا محمد عاشق طافتْ بقلبى غَيْرَةٌ خرساءُ
فهواكَ عندى فوق إدراكِ الهوى هو فى الضلوع تبتُّل ودعاءُ
وأَنا إذا ما طاف ذكرُكَ فى دمى أَو خاطرى .. أَو أَطلعتْهُ سماءُ
تَخْضَرُّ أَوتارى ويشدو طائر بين الضلوع متيَّمٌ بَكَّاءُ
لك يا نبىَّ النور جئتُ وفى يدى ذنبٌ ينوحُ وتوبة ورجاءُ
مالى شفيع للرحابِ وانما بك يستجيرُ وينصر الضعفاءُ
أنا من حسين يا رسول ومن يلذ بحسين هانتْ دونه الشفعاءُ

المرأة والقضاء

تحقيق قام باعداده
عبد الفتاح راضي
بدرت فؤاد بدير

لعل من العجب أن نرى البديهيات مجال مناقشات ومثار انكار واثبات وميدان جدال فقد كان تعليم المرأة مثار نزاع فى مطلع هذا القرن وكانت دعوة بعض المصلحين الاجتماعيين صيحة غريبة على أسماع كثير من معاصريهم كأنما كانوا يدعون الى منكر من القول أو باطل من العمل ثم شقت هذه الدعوة طريقها على الرغم من المعارضات والتمسك بالتقاليد حتى صار تعليم الفتيات حقا مفروضا من حقوقهن وواجبا لهن على المجتمع والدولة .

وكان من ثمرات تعليم الفتيات أن حفلت ميادين الأعمال المختلفة بهن وان ظهر تفوقهن فى كثير مما وكل اليهن فصرن مدرسات ومحاميات واستاذات وطبيبات ومهندسات ومذيعات و ... و ... ثم ساهمن فى الشئون السياسية وتولت احداهن الوزارة .

وهن يطالبن الآن بمنصب القضاء ..!!

ونحن نرى أن هذا المنصب ليس بعيد المنال بعد أن أثبتت جدارة وكفاءة فى كافة الميادين التى شغلتها ولكن يجب الوقوف هنا لحظة لنتبصر الأمر من عدمه ولنضع بعض الشروط التى يجب توافرها فى المرأة التى تعتلى هذا المنصب الجليل نظرا لما تحتاجه من جهود ذات صفات خاصة قد لا تتوافر فى كثير من النساء وان كانت موجودة فى بعضهن .

فالمرأة باعتبارها عضوا فى الهيكل الاجتماعى لها مكانة وهذه المكانة التى اكتسبتها ليست الا اعترافا لمسئولياتها الكبرى التى اضطلعت بها وتقديراً لدورها البناء فى المجتمع .

وقد أولى ميثاق العمل الوطنى المرأة العربية عناية خاصة مستمدة من القانون السماوى حيث أشار الى مساواتها بالرجل : « ان المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة »

فعبارة الميثاق ليست الا أمنية وأملا واعترافا بمكانتها لحاجة المجتمع اليها .

فالمرأة نصف المجتمع وقد تكون أكثر قليلا لذلك يجب أن يعمل لها حساب والا تنتقص حقوقها .. فالميثاق حينما نادى بالمساواة انما أراد ألا يحرم المجتمع من نصف عدده خصوصا وقد نالت الكثيرات منهن حظا لا بأس به من التعليم وفى الوقت ذاته فان عبء النهوض بالجمهورية على كتف المواطنين جميعا وفى هذا تشريف للمرأة مستمد من الشريعة الاسلامية السمحة التى قضت على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة فى القيمة الانسانية المشتركة . كما قضى الميثاق على التفرقة أمام القانون الوضعى وفى الحقوق العامة والواجبات والالتزامات نحو الدولة .

فالمرأة اذن فى نظر الشرائع السماوية والوضعية مصدر اشعاع ومركز توجيه وارشاد ومصنع انتاج فى محيط الانسانية .

ونظرا لما تطالب به المرأة فى أيامنا هذه باعتلاء منصب القضاء استنادا الى نصوص الشريعة الاسلامية وميثاق العمل الوطنى ورغبة منهن فى الحصول على حقوقهن كاملة غير منقوصة رأينا استطلاع آراء بعض السادة المختصين من أئمة الفكر ورجال الدين والقانون لنلقى الضوء على هذه المشكلة ونناقشها بحرية تامة مرحبين بآراء السادة القراء حول هذا الموضوع .

فهل تصلح المرأة فعلا لتولى منصب القضاء ؟

واذا كانت تصلح فهل تعتلى كافة أنواع القضاء ؟

وهل يوجد تعارض بين واجبها كقاضية مع واجبها كربة بيت ؟

تولت المرأة هذا المنصب فى بلاد أخرى ... فما مدى نجاح هذه التجربة ؟

وما هى وجهة نظر الشرع والقانون ؟ وهل يوجد نص يحرم ذلك ؟

● قال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد فرج السنهورى:

فضيلة الشيخ حسن مأمون

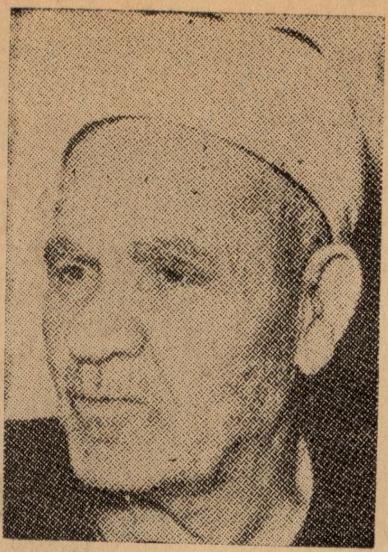

فضيلة الشيخ محمد فرج السنهورى

ان الاصل فى هذا الموضوع هو ما روى فى كتب الصحاح ان - رسول الله صلى الله عليه وسلم - حينما بلغه أن الفرس قد ولوا ابنة كسرى ملكة بعد وفاة والدها قال : « لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة »

وقد اختلف الفقهاء فى هذا الشأن وفى فهم هذه السبل وكانوا فى ذلك على مذاهب ثلاثة :

أما الجمهور فيرون ان المرأة لا تصلح لاى عمل من أعمال القضاء لا فى قضاء الانكحة ولا فى قضاء المعاملات ولا فى قضاء الحدود . وقالوا ان القضاء ضرب من الولاية .

والحديث صريح فى خيبة القوم الذين يولون أمرهم لامرأة وهو شامل لجميع الولايات والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وذهب الحنفية الى أن هذا الحديث خاص بالموضوع الذى قيل فيه وهو الولاية العظمى للدولة ولا يتناول غيرها من الولايات . فالمرأة عندهم بمقتضى هذا الحديث ليست أهلا للرياسة العظمى للدولة أو بعبارة أخرى للامامة الكبرى . أما ولايتها للقضاء فانها تأخذ حكمها مما يشبهها من الولايات الأخرى وهى ولاية الشهادة والله سبحانه وتعالى قد أثبت للمرأة ولاية الشهادة الا فى الحدود والقصاص فتكون المرأة أهلا لولاية القضاء فى غير الحدود والقصاص التى لا تثبت فيها ولاية الشهادة للمرأة .

ونقل عن بعض من أئمة الفقهاء أن المرأة أهل لولاية القضاء فى جميع الانواع فى الحدود والقصاص وفى غيره . وان كانوا لا يقولون بأهليتها لولاية الامامة العظمى ولهم فى ذلك مناقشات طويلة .

وأيا كان الحال فالمسألة اجتهادية وفيها اختلاف الائمة ومن يأخذ بأى رأى مجتهد فلا تثريب عليه .

غير أن تخير الرأى فى المسألة الاجتهادية يوجب النظر فى كل عصر الى المصلحة العامة فى ذلك الحين . فاذا كانت الاعتبارات المختلفة التى تحيط بالمرأة لا تمنع من توليها القضاء فلا حرج فى ذلك . وان كان لهذه الاعتبارات قيمتها ووجودها مانعة من توليها القضاء فلهم فى هذا الكثرة الغالبة التى يعتدون بها .

فالمسئولية الدينية فى هذا تقع على أولياء الامور الذين يجب عليهم دينيا أن يعملوا على تحقيق ما فيه مصلحة الرعية . وكل راع مسئول عن رعيته .

والاسلام قد جاء والمرأة مهضومة الحقوق فرفع من شأنها وأعلى من كرامتها وليس من بين أحكام الشريعة حكم يظن أن فيه انتقاص لحق المرأة يكون سببه كونها أنثى فقط وانما يقوم على اعتبارات اجتماعية واقتصادية من غير نظر الى الرجولة والانوثة فالموضوع اذن ليس موضوع رجل وامرأة وانما هو مسألة سياسية رشيدة حكيمة شرحها العليم الخبير بمصالح العباد .

● وقال الاستاذ المستشار على منصور :

مسألة اشتغال المرأة بالقضاء ليست بالحديثة فقد أثيرت منذ عشرين عاما واشتد الجدل حولها فى العشر الاواخر . وللمسألة عندى وجهان . أولاهما الوجهة الشرعية وثانيتهما الوجهة الواقعية فأما من الناحية الشرعية فقد فسر الفقهاء حديث الرسول الكريم : « لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة » تفسيرات شتى فحسنه بعضهم وخصصه البعض ورده البعض الآخر وكثرت حوله التأويلات والتخريجات فاختلفوا فى شأنه فمنهم من حرم تولية المرأة القضاء ومنهم من أباحه بغير قيد ولا شرط ومنهم من أباحه مقيدا بحيث لا تتولى قضاء الحدود والقصاص (القضاء الجنائى) .

أما السنة الفعلية فلم يؤثر عن رسول الله ان ولى القضاء امرأة ولم يؤثر ذلك عن الخلفاء الراشدين ولا عن جميع خلفاء المسلمين الى اليوم فيما أعلم .

ولعل الذى أثار المسألة هو مطالبة المرأة بحقوقها من حيث المساواة بالرجل . ولقد اشتط البعض فذهب الى مساواتها به فى الارث رغم النصوص القرآنية . وأحرى

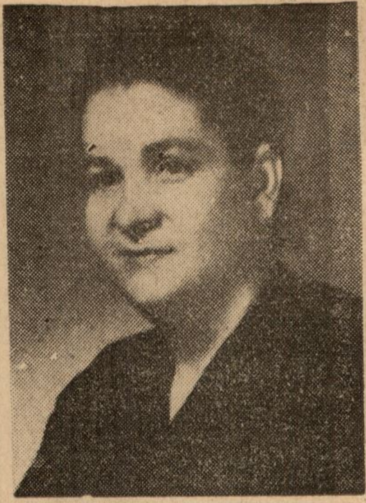

الأستاذة كريمة على حسين

المستشار عبد الجليل الشافعى

بنا أن نقيس الأمرعلى ما اعتنقناه أخيرا من مبادىء منها تكافؤ الفرص امام جميع المواطنين بحسب استعدادها وتخصصها والمؤهلات التى حصلت عليها وليس فى ذلك اهدار لحق المساواة وفى الحديث الشريف عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله : « كل ميسر لما خلق له »

وهنا نكون قد وصلنا الى الناحية الواقعية للمسألة . فهل يصلح الرجل بحكم تكوينه لجميع الاعمال هل يصلح مثلا لحضانة الاطفال والسهر عليهم ؟ ومن قبيل المقابلة . هل تصلح المرأة بحكم تكوينها للحرب والجهاد وعدم القدرة على تحمل المشقة ؟

قد يقول قائل ان ذلك محتمل فى بعض الاحيان وليس ذلك بجواب ولا حجة اذ النادر لا حكم له .

وتسألنى بحكم خبرتى فى عملا لقضاء والواقع يتعارض مع توليه المرأة القضاء فى كثير من الاحوال فالقاضى لا يدخل السلك القضائى قاضيا منذ البداية بل يدخله معاونا فمساعدا للنيابة فوكيلا ولا يصل الى كرسى القضاء الا بعد عشر سنوات على الأقل يقضيها فى عمل يتصل فيه بجميع أنواع المجرمين ويبدأ عمله فى الغالب بالريف فى حياة موحشة خشنة يضطر الى السهر ليالى متتالية دون نوم فى تحقيق قضية واحدة وقد يكون الانتقال الى محل الجريمة أو محل التحقيق سيرا على الاقدام وفى تحقيق جرائم هتك العرض والفسقوا لفجور والزنا ما يحتم عليه أن يخوض فى تفاصيل ارتكاب الجريمة ويناقش ويدقق فى أفعال وأقوال يندى لها جبين المرأة خجلا ويجرح حياءها وعفافها مجرد ذكرها وترك هذه الأمور يجعل التحقيق ناقصا وقد يودى بالدليل فى القضية .

واذا ما تركنا العمل بالنيابة وانتقلنا الى القضاء فيجب أن نلاحظ أن هذا الحرج قائم حتى لو جلست المرأة فى هيئة تكوين المحكمة اذ على الرغم من امكان أن يتولى أحد القضاة من الرجال المناقشة والتحقيق فى الجلسة فان فى المداولة فى هذه المسائل بعض الحرج .

ولا يغيب عن الذهن أن دوائر القضاء معظمها غير ثلاث منذ أن أخذنا بنظام القاضى الفرد وهنا يشتد الحرج ويختل العمل مما قد يضيع العدالة .

● وقالت الاستاذة مفيدة عبد الرحمن المحامية :

أعتقد أن الذى يهم المرأة عدم خروجها عن حدود الدين لان اسهامها فى العمل ليس مجرد عمل ولكنه مشاركة فى البناء وما دام هذا الاسهام متفق مع تعاليم الدين فلا حرج وقد كانت المرأة فى أزهى عصور الاسلام تجلس بين الرجل للفتيا وكان على رأس هؤلاء السيدة سكينة رضى الله عنها ولا تختلف الفتيا عن القضاء فى شىء بل ربما كانت أشق من القضاء . من هنا يبين أن جلوس المرأة على كرسى القضاء جائز لها شرعا

وهو أمر متروك لتقدير شخصية وعلم المرأة التى ترشح لهذا المنصب فهى قد درست من العلم والقانون مايؤهلها لتولى هذا المنصب فالصلاحية واحدة فى كليهما بين الرجل والمرأة وأما ما يقال عن عدم صلاحيتها لعاطفة قد تفسد عليها أداء مهمتها القانونية بالصورة التى تمثل العدالة المنشودة فهذا وهم وافتراء لا أثر له .

ان من الشروط المهمة التى يجب توافرها فى القاضى الرحمة التى يرى المشرع فى كثير من الاحوال أنها فوق العدل وصفة الرحمة والعاطفة لازمة من أهم لوازم القاضى العدل .

وأنا أرى أن عمل المهندسة أو المدرسة أو المذيعة ربما يكون أشق من عمل وكيلة النيابة خصوصا وأن بعض السيدات يسافرن للعمل بالبلاد العربية ولا ضير فى ذلك وأنا كمحامية يستدعى الأمر حضور تحقيقات فى منتصف الليل فى بعض الاحيان .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن فى الصين تولت المرأة منصب قضاء الاحوال الشخصية وهى قطعا على ادراك أكبر فى هذه النواحى المتعلقة بالاسرةو الحضانة والنفقة والطلاق والزواج .

● وقال الاستاذ المستشار عبد الجليل الشافعى :

المستشار على على منصور

الأستاذة مفيدة عبد الرحمن

فى الواقع ان المرأة تصلح لبعض أنواع القضاء مثل قضاء الاحوال الشخصية والاقضية المدنية المعروفة فى الشريعة بالمعاملات . أما بالنسبة للقضاء الجنائىفيحتاج الى نوع من الخشونة والبعد عن الحياء .

ويعتبر الامر تجربة جديدة ولذلك يجب التأنى فيه واخذه بالحذر ولذلك فانا نجد أن معظم البلاد الاجنبية التى أخذت بهذا النظام معدودات وفى بعض أقضية خاصة متعلقة بكيان الاسرة كقضايا الاحداث .

وأما القول بانه كان يباح للمرأة أن تجلس فى مجلس الافتاء فى صدر الاسلام فلا يجب أن ناخذ ذلك دليلا على اطلاقه لان الفتوى غير ملزمة وأما القضاء فملزم للكافة .

● وقال فضيلة الشيخ حسن مامون مفتى الجمهورية العربية سابقا :

هذه المسألة مرتبطة بحق المرأة فى أن تقوم بواجبها فى الحياة بجانب الرجل وقد فتحت أمامها أبواب كثيرة فى العمل وما زال باب القضاء موصدا فى وجهها تحاول دخوله وتقوم فى وجهها عقبات ، لعل أصعب هذه العقبات ان الفقه الاسلامى لا يبيح تولى المرأة القضاء ونجد ذلك متمثلا بصورة واضحة فى كتاب الشرح الكبير لابن قدامه حيث يقول : « ويشترط فى القاضى عشر صفات : ان يكون بالغا ، عاقلا ، حرا ، ذكرا ، مسلما ، عدلا ، سميعا ، بصيرا ، متكلما ، مجتهدا »

فلا تصلح المرأة اذن للقضاء وقد حكى عن ابن جرير ان الذكورية لا تشترط لان المرأة يجوز أن تكون مفتية فيجوز أن تكون قاضية وكذلك أباح الحنفية تولى المرأة القضاء فى غير الحدود . ومن المذاهب الاسلامية التى أباحت تولى المرأة القضاء بدون اثم على من يوليها مذهب ابن حزم .

وانا أرى أنه لا مانع من الاخذ برأى الحنفية وبرأى ابن حزم وأن نبيح للمرأة تولى النيابة العمومية والقضاء فى غير الحدود والقصاص ليوافق هذا اطلاق حرية الفتاة التى تتعلم فى الكليات النظرية وبهذا لا تخرج عن حدود الشريعة الاسلامية مع مراعاة أن يكون ذلك بنسبة معينة وأن نراعى فى الاختيار المرأة التى تتوافر فيهاشروط صحة القضاء وخاصة شرط العدالة .

واعتقد أن هذا يتفق مع سياسة الدولة فى اتاحة الفرصة لجميع الفتيات لظهور الكفايات التى تستفيد منها الدولة .

● وقالت الاستاذة كريمة على حسين المحامية :

لاشك أن المرأة تصلح لتولى منصب القضاء طالما كانت مستوفية لجميع الشروط التى يتطلبها القانون من حيث الثقافة والسمعة . وفى الحقيقة أن وظيفة القاضى ليست جديدة على المرأة بل تولتها فى جميع دول العالم .. فى تركيا .. وفى فرنسا وفى العراق ولم يوجه أى مطعن على عملها حتى يخشى من مباشرة التجربة ولم يوجد الا مطعن العاطفة وهى حجة واهية وأثر من آثار الماضى البغيض ذلك أن القانون نفسه يأخذ بالرأفة والعاطفة .

وعلى سبيل المثال ذلك القاضى الذى بكى وتأثر فى قضايا الاحداث عندما تأثر وتحركت عاطفته وعلى كل حال فهو مقيد بنصوص القانون والعاطفة موجودة سواء لدى الرجل أم المرأة .

والدين الاسلامى كرم المرأة وأعطاها حقوقها وقد كان فى صدر الاسلام سيدات تتصدر مجالس القضاء (السيدة سكينة) مع ملاحظة انه لا يوجد فى قانوننا نص يمنع تولى المرأة منصب القضاء .

ومن الواضح أن المرأة نجحت فى التحقيق كمحققة فى النيابة الادارية وهذا دليل على أنها سوف تقوم باى عمل يتعلق بالقضاء خير قيام .

هذا وقد تقدمنا بطلب للسيد وزير العدل ونأمل نيل هذا المطلب فى ظل الرئيس والميثاق والثورة على الرجعية خصوصا بعد أن أصبحت المرأة وزيرة وعضوة فى مجلس ادارة الشركات فهى لا تقل شانا عن الرجل .

وبعد فقد كانت هذه آراء بعض السادة .. والآن فما هو رأيك أنت .

اعداد نجاة أحمد الزنيرى

المرأة المسلمة .. فى نيجيريا

تقع نيجيريا فى غرب افريقيا ، يمدها من الشرق الكمرون ومن الغرب جمهورية داهومى ومن الشمال النيجر ومن الجنوب المحيط الأطلسى .

تبلغ مساحة نيجيريا ٣٧٥ الف ميل مربع وهى تعادل أربعة أمثال مساحة بريطانيا كلها ، يقدر عدد السكان بنحو ٤٠ مليون نسمة منهم ٨٠٪ تقريبا مسلمون والعاصمة (لاجوس) بدأ الاستعمار البريطانى لنيجيريا فى سنة ١٨٥٥ باعتراف دول اوربا فى مؤتمر برلين فى ذلك العام بخضوعها للانجليز - وبدأت نيجيريا كفاحها ضد المستعمر فى شكل أحزاب شعبية تكتلت تدعو الى تحرير البلاد . وبفضل هذه الأحزاب وتضامنها نالت نيجيريا استقلالها بعد جهاد طويل وكفاح عنيف ومفاوضات عديدة .

هذه هى نيجيريا .. فماذا عن المرأة النيجيرية ..؟

فى هذا العدد نتعرف على الأخت فى نيجيريا .. ونستطلع أحوالها الاجتماعية والثقافية وماتخضع له من عادات وتقاليد .

المرأة فى نيجيريا تعمل قاضية :

قطعت نيجيريا مرحلة واسعة فى التعليم، فالى جانب المدارس الابتدائية والثانوية المنتشرة فى المدن والقرى توجد جامعتان الاولى فى أبادن والثانية كلية نيجيريا للفنون والعلوم والتكنولوجى وكلية التربية ، وقد وصلت المرأة النيجيرية الى أعلى مراحل التعليم. وتتمتع بجميع حقوقها السياسية . فلها حق التصويت فى الانتخابات كما ان لها حق الترشيح ، وهناك حزب سياسى نسائى يسمى (دانمك باتى) ترأسه السيدة / ادوتى - ويوجد بالبرلمان حوالى ٣٥ امرأة عضوات فيه - كما توجد قاضيتان فى محاكم الجنايات وهما لاتقلان كفاءة عن الرجل فى اصدار

الأحكام القضائية وفى الفصل فى أكبر القضايا •

كما أن هناك كلية بوليس نسائية ويبلغ عدد النساء الجنود حوالى ٢٠٠ سيدة والمرأة فى نيجيريا تشغل منصب حاكم •• ومحامية وطبيبة •• كما أن لها نصيب فى مجال الأدب والكتابة والتأليف •

المرأة فى نيجيريا تكاد تحتكر مهنة التجارة:

بلغت المرأة درجة عالية من النجاح فى مهنة التجارة • وتتولى ادارة أكثر المحلات التجارية هناك • وقد تكون حزب اتحاد نسائى تجارى يسمى (حزب اسوق) للدفاع عن حقوق المرأة الاقتصادية فيضمن حقوق العاملات بالتجارة ويضمن لهن شراء السلع بالجملة •

الجمعية النسائية : وفى نيجيريا عدة جمعيات نسائية• مثل جمعية الفتيات المرشدات وجمعية السيدات المسلمات والجمعية الاهلية لتوعية الآباء والأمهات وهذه الجمعية لها دور اجتماعى هام ، فهى تقوم بتوعية الأباء والامهات توعية ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية حتى ينعكس ذلك على تربيتهم لأولادهم • وتحل المشكلات التى تعترض الحياة الأسرية• وهذه الجمعية تمنح المرأة شهادة تدل على نجاحها فى برامج التوعية بعد أن تمضى عاما فى الجمعية •

الحالة الاجتماعية :

لا زال التنظيم الاجتماعى لنيجيريا يأخذ شكل القبائل •• التى يربو عددها هناك على مائة وأربعين قبيلة أهمها •• قبائل الحوسا •• قبائل الكافورى •• قبائل القولة ••• وقبائل البدو العربية •• واللغة السائدة فى نيجيريا هى الانجليزية عدا لغات أخرى أصلية اكثرها انتشارا لغة الحوسا فى الاقليم الشمالى ولغة اليوربا فى الاقليم الغربى ولغة الايبو فى الاقليم الشرقى •• واللغة العربية تزحف بشدة على هذه اللغات بفضل انتشار المدارس الاسلامية التى عنى بانشائها المسلمون لتعليم أبنائهم • وتختلف العادات الاجتماعية فى نيجيريا اختلافا بينا خصوصا بالنسبة لمراسيم الزواج واجراءاته • ففى الاقليمين الغربى والشرقى يحرم زواج الاقارب لاعتقاد الاهالى أنه يؤدى الى النزاع بين القبائل ••وهو اعتقاد سائد منذ العصور القديمة •• ويقدم الزوج لزوجته المهر بدون شبكة ، واقل مبلغ يدفع لايتعدى عشر جنيهات وللزوجة حرية اختيار الزوج الذى تريده •• وسن الزواج بالنسبة للمرأة ١٨ سنة – وللرجل ٢٠ سنة اما فى الاقليم الشمالى ، فرغم تمسك المواطنين بأهداب الشيعة الاسلامية الا انه من العادات التى لازالت مرعية هناك ان الزوجة لاترى زوجها الا يوم الزواج ، تستطيع الفتاة ان تتزوج سن ٩ سنوات – وللرجل ان يتزوج سن ١٥ سنة ، وتعدد الزوجات منتشر بين الطبقات الغير متعلمة • وقد يرجع ذلك الى ان هذا الاقليم أقل تقدما وحضارة من الاقليمين الشرقى والغربى ، فالرجل يتزوج فى العادة ٣ زوجات واكثر ••وتعتبر الزوجة الأولى هى رئيسة الزوجات الأخريات •• أمرها مطاع وتقضى الخلافات التى تنشب بين زوجها وبين الزوجات الأخريات •• فانها تختار عروس زوجها التى يرغب فى الزواج منها فى كل مرة – وهى تسمى بالأم الكبيرة للأسرة •

وتستمر حفلات الزواج عدة اسابيع وتلبس كل المدعوات فى الحفل زيا واحدا ولونا واحدا ويتكفل الزوج بمصاريف الحفل ومصاريف تأثيث بيت الزوجية • ودفع المهر •

ويتم القران عادة فى شهر شعبان لأنهم يتفاءلون به •

وفى يوم الزفاف يقوم أكبر شخص فى الأسرة سنا ومركزا ويأخذ العروس الى بيت الزوجية حيث لايكون العريس هناك – ويتركها وحدها فى البيت – وفى صباح اليوم التالى يذهب العريس الى عروسه فى موكب كبير من أصدقائه يبدأ من منزل والدها •

وتقيم والدة العريس مع العروسين حتى يتزوج مرة ثانية وهنا ترحل عن منزله

وتقوم فى نيجيريا حركات تقدمية تدعو الى تحرير المرأة واعطائها حقا أكثر مما هو متاح لها حاليا ومن أهداف هذه الحركات محاربة تعدد الزوجات وتجد هذه الدعوة انصارا ومؤيدين كثيرين •

أخبار سريعة

رئيس جمهورية النيجر فى القاهرة

زار القاهرة السيد الرئيس عبد الرحمن ديورى رئيس جمهورية النيجر زيارة رسمية وقد وصل سيادته فى الساعة الثامنة والنصف مساء الخميس الموافق ٥ يوليه سنة ١٩٦٣ ، وكان فى استقبال الضيف الافريقى الكبير الرئيس جمال عبد الناصر والسادة نواب الرئيس وأعضاء مجلس الرياسة والوزراء .

مسجد السنغال الكبير

افتتح منذ أيام مسجد الطوبى الكبير فى جنوب داكار عاصمة السنغال وقد استغرق بناء هذا المسجد مايقرب من ثلاثين عاما .. يسع المسجد الكبير ٩٠ ألفا من المصلين ..

صراع على الحكم فى السعودية يؤدى الى محاولة قتل فيصل

من انباء بيروت ان ثلاث محاولات قام بها ابناء سعود لقتل الأمير فيصل ..

تسربت بعض التفصيلات عن هذه المحاولات فقبض على القائمين بها وتم اعدام بعضهم ..

حاول عبد الله بن سعود تنفيذ مؤامرة اخرى بنفسه ولكنه أصيب برصاص حرس الأمير فيصل ونقل على الأثر الى المستشفى.

مدارس لتحفيظ القرآن ومعاهد اسلامية بجنوب افريقيا

زار القاهرة السيد سليمان داكوستا مندوب حزب المؤتمر الاسلامى بجنوب أفريقيا .. بحث مع المختصين احتياجات المسلمين هناك ومن بينها تدريس القرآن الكريم بمدارس جمعياتهم ، وانشاء مدارس ومعاهد تسير على نظام الجمهورية العربية المتحدة ..

افتتاح مسجد الكواكبى فى عيد الثورة

سيفتتح فى عيد الثورة القادم مسجد الفيلسوف الثائر عبد الرحمن الكواكبى بالدقى حيث يعاد افتتاحه للمصلين بعد أن أعيد ترميمه ..

يضم المسجد مصلى خاصا بالسيدات وقاعة كبيرة للاجتماعات .

مكتبتان اسلاميتان لاندونيسيا والملايو

أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبتين اسلاميتين لكل من وزارة الشئون الدينية باندونيسيا وولاية قدح بالملايو .. تتكون المكتبة من خمسة آلاف مصحف وثلاث آلاف كتاب وعشر مجموعات من اسطوانات الصلاة .

مؤتمر عربى لمكافحة الأمية

جميع الدول العربية ستشترك فى أول مؤتمر لمكافحة الأمية وتعليم الكبار ..

سيعقد المؤتمر بالقاهرة فى بداية العام القادم بناء على توصية اللجنة العربية الاستشارية للمركز الدولى لتنمية المجتمع العربى التابعة لليونسكو ..

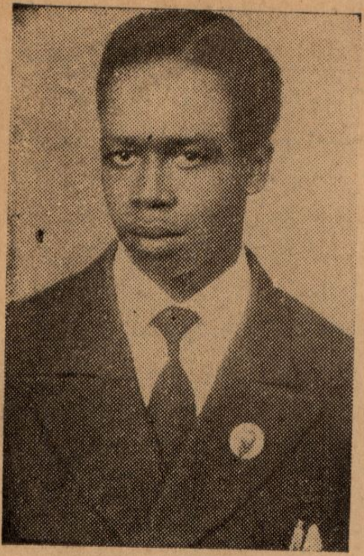

لماذا أسلمت ..

أوكالو أوجوال

الذى أصبح :

جمال عبد الناصر

* ان مؤتمرا يضم سبعين شعبا اسلاميا خير مكان لوحدة المسلمين .
* جمال عبد الناصر رمزا للبطولة والوطنية لشعوب أفريقيا .
* اعتنقت الاسلام لأنى آمنت بأنه خير طريق الى الله .
* عندما أعود الى وطنى سأكون خير داعية لخير دين .
* كنت ضالا فهدانى الله الى الطريق السليم .
* هدية مؤتمر أبى بكر الصديق لشيخ الأزهر اسلام أوكالو .

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ..

القلم يريد أن يسطر نشوة الفرح الدينيه الكبرى التى ارتسمت فى أسمى صورها وأنبل معانيها فى اسلام هذا الأخ الحبيب الذى اعتنق الاسلام فى مؤتمرنا الكبير على هدى من كتاب الله وسنة رسوله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ليتكم كنتم معى أيها المسلمون حين شاهدنا اللحظة المباركة ، لحظة انتصار الحق على الباطل « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » .

ليتكم كنتم معى حينما زغردت الملائكة فى أفلاكها فرحة نشوانة بالاسلام الذى ينتصر لا بحد السيف او اغراء المال . بل بقوته الروحية الصادقة الالهية الرحيمة .

ليتكم كنتم معى حينما جاء جبريل روح القدس فى حضرة ربه القدسية حينما سمع تكبير ألف شاب وشابة من أبناء الاسلام المرابطين فى مؤتمر أبى بكر الصديق رددوا وراءه جميعا فى ايمان أقوى من الزمن . الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله . سيدنا محمد رسول الله .

ليتكم كنتم معى فى هذه اللحظة الخالدة التى عشتها حينما بلغ التأثر أشده على فضيلة الامام الأكبر فانهمرت الدموع من عينيه حينما قدم اليه السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

هدية المؤتمر .. شابا من أوغندة شرح الله صدره فدخل الاسلام عن ايمان وعقيدة .

ليتكم كنتم معى . حينما دوى صوت الملائكة مكبرا الله أكبر . الله أكبر لانتصار الاسلام وانتشاره فى كل مكان .

من مؤتمر أبى بكر الصديق للشعوب الاسلامية .. من المدرسة الاسلامية الخالدة . من هذا المنبع الاسلامى الخالد . من المدرسة الروحية السامية . من هذا المؤتمر الذى يسير على تعاليم الاسلام وهديه .

جاء أوكالو ليعرف ما الذى جمع هذا الشباب . ما الذى يربط هؤلاء القوم الذين اختلفت أجناسهم وألوانهم .. سمع عن المؤتمر وحضر اليه وثنيا وسرعان ما عرف حقيقة هؤلاء القوم . فاعلن رغبته فى الانضمام الى اخوته وأشهر اسلامه .

وجد فى المؤتمر اشراقة شمس الاسلام بمبادئه وقيمه . فهدى الله قلبه . واعتنق الاسلام . دين الفطرة . فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله .

تاقت نفسه بعد صراع عنيف الى نسمة روحية ... فسارع الى الاسلام .

ونترك الأخ جمال ليحدثنا عن حياته ... وعن سبب اسلامه فيقول :

حضرت الى القاهرة منذ شهر للدراسة بها فى كلية الهندسة . ولقد اخترت القاهرة بالذات لاننى وأنا فى أوغنده قرأت فى كتب التاريخ عن مصر الاسلامية . وعلمت انها منبع الحضارات ومهبط الرسالات وأنها مركز اشعاع للعالم الاسلامى كله . فوجود الأزهر الشريف أعظم وأقدم جامعة اسلامية فى العالم جعل منها كعبة لكل من يريد أن يستزيد ويتعلم الاسلام .

حضرت الى القاهرة وثنيا لا أعرف من الأديان ولا عن الرسالات شيئا . ثم التقيت بشاب من أوغندة هو الزميل محمد بيرو . الذى أخذ يحدثنى عن جمال عبد الناصر أمل الاسلام والمسلمين . وأخذ يشرح لى بعض مبادىء الاسلام .

وعرفت منه أن الاسلام دين الله الذى أرسله للهداية والنور والعرفان . ثم دعانى لمقابلة السيد سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . الذى حدثنى كثيرا عن الاسلام وتفضل مشكورا باهدائى نسخة من المصحف الكريم ومطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كما تفضل مشكورا بدعوته لى للاشتراك فى مؤتمر أبى بكر الصديق الذى يقيمه المجلس فى كل عام لأبناء البعوث الاسلامية .

ولقد دهشت حينما حدثنى عن المؤتمر ... فلم يكن يدور بخلدى ان مؤتمرا مثل هذا يجمع

ممثلي سبعين شعبا اسلاميا يلتقون على صعيد واحد . في مؤتمر واحد ؟!

ليتعارفوا ويتآلفوا ويتحابوا في سبيل الله .

ما الذي يربطهم بهذا الرباط الوثيق ، على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ؟ وذهبت الى هناك وفي عقلي صورة كبيرة . وفي أول يوم وصلت تعرفت بالجميع .. من الصومال .. من تشاد .. من سيراليون .. من الجزائر .. من غينيا .. من يوغوسلافيا .. من اليابان .. من شعوب شتى . ولغات مختلفة . ولكن تجمعهم عقيدة واحدة .

وتلاحقت الأسئلة .. الاسلام .. ماهو ؟ ماهى مبادئه ..؟ وسرعان ما تلاحقت الأجوبة .

وجدت الاسلام دينا واضحا .. دين يسر وتسامح .. دينا صحيحا .. فهو يعترف بوجود اله واحد .

وجدت في الاسلام الرحمة فالقرآن الكريم كما علمت يحض على مساعدة الفقراء والمحتاجين .

وجدت في الاسلام اعترافا صريحا بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . خاتم الأنبياء والرسل أجمعين .

وجدت في الاسلام برهانه القوى على وجود الحياة الآخرة وأن الحياة الدنيا ما هي الا متاع الغرور .

وجدت في الاسلام سماحته وعدله . بساطته ووضوحه . حضه على المساواة والاخاء والمحبة والسلام .

وجدت في الاسلام مبدأ عظيما هو عدم التفرقة بين المسلمين . فلا فضل لأبيض على أسود . ولا لعربي على عجمي . ولا لغني على فقير فالكل أمام الله سواسية .

كل هذه الأمور عرفتها ووجدتها في الاسلام فاقتنعت بها . دون احتياج لشرح طويل . فهي حقيقة واضحة .

لقد درست هذه الأمور . أو قل انني اطلعت علميا في هذا المؤتمر خلال يومين . كنت في بحر واسع أنهل منه .. كنت متعطشا لمعرفة أمور الاسلام بعد أن حدثني عنها السيد سكرتير عام المجلس الأعلى .

فوجدت في هذا المؤتمر الكبير مرتعا خصبا لي . لم يضن على فرد بتوضيح شيء . بل التف الجميع حولي . كل يساعدني ويشرح لي ما غمض على . ويفسر لي ما صعب على فهمي . فلم تمض سوى ثلاثة أيام حتى أعلنت اسلامي .. اشهرت اسلامي وانا مقتنع بأنني اخترت الطريق الصحيح .

ثم واتتني الفرصة الطيبة حين شرف مؤتمرنا فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فقدمني اليه السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس هدية له في الافتتاح الكبير .. فكانت كما قال فضيلة الأستاذ الأكبر خير هدية .

هذه هي قصة اسلامي التي ولدت في مؤتمر أبي بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامي وهذه هي نبذة قصيرة عن الأيام التي عشتها في هذا المؤتمر الكبير .. وأود أن أتحدث عن هذا المؤتمر الاسلامي الذي أعتبره في الحقيقة مدرسة اسلامية خالدة .

لقد شعرت فيه بنور الايمان يتلألأ منه ضوء الاسلام . ووجدت فيه فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى .

وجدت شبابا تحابوا في الله . واجتمعوا على كلمة واحدة هي لا اله الا الله . محمد رسول الله . وتمسكوا فيه بحبل الله فكان لهم رباطا مقدسا وصل بهم الى أهداف سامية في سبيل نشر الرسالة المحمدية .

فلولا هذه الأهداف . ولولا هذه الرسالة . ما كان لوثني مثلي أن يقنعه الاسلام . ولولا هذه الأهداف السامية في هذا المؤتمر ماكانت حياتي تغيرت . انني أعلن بقوة أن من كان كافرا وعاش في هذا المؤتمر سوف يعتنق الاسلام بعد فترة قصيرة لأنه سيرى الاسلام في أنبل صوره ، وأجمل معانيه . وسيعتنق الاسلام كما اعتنقته ، لأنه سيرى في هذا المؤتمر صورة مصغرة للمجتمع الاسلامي الصحيح الواضح القوى .

لقد حضرت وثنيا الى المؤتمر . وخرجت منه مسلما .

لقد آلى الجميع على أنفسهم أن يساهموا فى محاولة تعلميى الصلاة واركان الاسلام . الكل يقف بجانبى يقدم لى المساعدة العملية الفعالة حتى أننى تشبعت فى فترة قصيرة بأمور لو ظللت سنين طويلة ما كان عقلى يحتويها .

اننى ساظل فى القاهرة لأكمل دراستى . ثم أعود الى بلدى . وحينما أعود سأكون خير داعية للاسلام . سأنشر الاسلام فى أوغندة وسأحاول اقناع أهلى وأقاربى بالاسلام . بل أقول لك انه قد حضر معى عند قدومى الى القاهرة شابان من أوغنده للتعلم بالقاهرة . ومنذ أن أسلمت وأنا أشرح لهما وأوضح لهما ما علمته وأعتقد أنه لن تمضى مدة طويلة حتى يكونا قد اقتنعا بانهما يعيشان فى ضلال ، ولابد أن يتخذا الطريق الصحيح . طريق الله طريق الاسلام .

ويترك الأخ جمال كتاب الصلاة باللغة الانجليزية الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ليحدثنى عن اختياره بعد اسلامه اسم جمال عبدالناصر

اننى اريد ان أقول لكم اننا فى افريقيا نعتبر جمال عبد الناصر هو البطل الافريقى الحر . وأنه هو أمل الاسلام ورمز السلام .

اخترت اسم جمال لأننى أومن بأن جمال عبد الناصر . رجل يؤمن بربه وبوطنه ويعمل جاهدا على حرية الشعوب فى آسيا وافريقيا وتخليصها من براثن الاستعمار .

اخترت اسم جمال لأننى تشبعت بروحه وبشخصيته . انه اسم يتردد فى افريقيا كل لحظة وعلى كل لسان .

ناصر . محرر الشعوب . ناصر . ناصر القوميات والمنادى بالحريات .

وتركت جمال عبدالناصر الاوغندى مع لفيف من شباب آسيا وافريقيا يشرحون له ماخفى عليه من تعاليم الاسلام .

وشكرت الله على أن حقق مؤتمرنا مؤتمر أبى بكر الصديق رسالته التى أقيم من أجلها . تلك الرسالة السامية التى تعمل على نشر تعاليم الاسلام الصحيحة وربط الشعوب الاسلامية برباط قوى متين . والعمل على ايقاف حملات التبشير المسيحى والصهيونى فى افريقيا .

حمدا لله على ان حقق مؤتمرنا الرسالة . وصدق الله العظيم حيث قال **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** .

أنت تسأل؟ .. والمفتي يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

السؤال الأول :

من السيد/متولى السيد متولى يوسف من ميت مسعود مركز شبين الكوم . تضمن السؤال انه تزوج فاطمة أحمد حسن يوسف بنتا بكرا وأمضيا سبع سنوات حياة زوجية سعيدة أنجبا خلالها ولدا توفى طفلا وانه حصل خلاف بينهما أدى لأن تستصدر عليه زوجته حكما بنفقة شرعية شهرية ، وعلى أثر هذا الحكم وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٦٠ طلقها طلقة رجعية أولى وفى ٨ مارس سنة ١٩٦٠ توفيت الى رحمة الله وتركت ميراثا عقارا ونقدية ، والمطلوب معرفة ما اذا كان للزوج فى هذه الحالة أن يرثها وما مقدار نصيبه فى هذا الميراث ؟ .

الجواب :

اذا كانت وفاة المطلقة رجعية قبل انقضاء عدتها اما برؤية الحيض ثلاث مرات أو بوضع الحمل ان كانت حاملا وقت الطلاق استحق مطلقها فى تركتها الارث بصفته زوجا لها ومقدار نصيبه نصف التركة فرضا ان لم يكن لها ولد أو ولد ابن وان نزل ، وربعه ان كان لها ولد أو ولد ابن وان نزل لقوله تعالى : « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين** » الخ الآية رقم ١٢ من سورة النساء وهو ما نصت عليه المادة رقم ١١ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م . والمطلقة رجعيا المتوفاة قبل انقضاء عدتها حكمها حكم الزوجة فيرثها الزوج وترثه الزوجة ان كان هو المتوفى لأن الطلاق الرجعى عند الحنفية المعمول به للآن لا يزيل الملك ولا الحل ما دامت العدة باقية وتثبت له عدة أحكام منها التوارث بين المطلق والمطلقة ما دامت العدة قائمة فاذا توفى أحدهما أثناء العدة ورثه صاحبه اتفاقا ولا نعلم خلافا بين العلماء فى ذلك ولم يأت قانون المواريث بحكم يخالفه .

السؤال الثانى :

من السيد/حسن اسماعيل الهليس من منشاة الأمراء مركز المحلة الكبرى ، تضمن السؤال أنه كان فى حال غضب مع ابنه فحلف بالطلاق على ألا يعاشره ولا يعيش معه أبدا ويقصد بذلك أنه لا يعيش معه أبد الدهر ، وكان هذا اليمين آخر طلاق بينه وبين زوجته اذ سبق منه طلاقان قبله وردها الى عصمته فهل يجوز بعد أن يقع الطلاق الثالث رد الزوجة الى عصمته أو لا ؟ .

الجواب :

ان الصيغة التى صدرت من السائل من صيغ الطلاق غير المنجز ومعناها تعليق الطلاق على معاشرة ابنه له وقد نصت المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعمول به للآن فى محاكم الأحوال الشخصية على ان الطلاق غير المنجز لا يقع اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير فان كان غرض المتكلم بالطلاق المعلق التخويف أو الحمل على فعل شىء أو تركه وهو يكره حصول الطلاق ولا وطر له فيه كان فى معنى اليمين فى الطلاق واليمين فى الطلاق وما فى معناه لاغ ، وفى هذه الحالة لا يقع الطلاق أما اذا كان يقصد به حصول الطلاق عند حصول الشرط لأنه لا يريد المقام مع زوجته عند حصوله لم يكن التعليق فى معنى اليمين وفى هذه الحالة يقع الطلاق والسائل هو الذى يعرف نيته ومقصده حين الحلف بالصيغة التى ذكرها فى سؤاله ، وطبعا فى الحالة الأولى

لا يقع الطلاق ولو عاشره ابنه باختياره أو بدون اختياره ، وفى الحالة الثانية أى فى حالة ما اذا قصد حصول الطلاق عند حصول الشرط وعاشره ابنه فان الطلاق يقع ويكون طلاقا مكملا للثلاث لسبقه بطلقتين قبله ولا تحل له بعده مطلقته الا بعد أن تنكح زوجا غيره ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يطلقها أو يموت عنها وتنقضى عدتها وهذا الحكم محل اتفاق بين المسلمين وهو ما تقضى به الآية الكريمة : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » .

السؤال الثالث :

من السيد/محمود كامل حسنين من غزة الرمال ضيافة الوليد ــ فلسطين :

تضمن السؤال : « هل يحل للمسلم أن يأكل لحوم المعلبات المحفوظة والمذبوحة على طريقة لا تتفق والطريقة المتبعة عند المسلمين فى ذبح الذبائح » ؟ .

الجواب :

ان اللحوم المعلبة المحفوظة والمذبوحة فى بلاد أهلها غير المسلمين كاستراليا ونيوزلندا لا يحرم اكلها لأنها طعام أهل الكتاب وقد أحل الله لنا طعامهم قال تعالى : « **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** » الخ الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

اما ما جاء فى السؤال من أن الذبائح فى هذه البلاد تتم على طريقة لا تتفق مع الطريقة المتبعة عند المسلمين فان المعمول عليه فى حل الذبيحة ، أن يسيل الذبح دم الذبيحة سواء أكان ذلك بسكين أو بآلة حادة أخرى وتحل ذبائح أهل الكتاب بشرط ألا تكون محرمة مما نص على تحريمه فى قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق** » الخ الآية رقم ٣ من سورة المائدة واذا جهلنا حالة متولى الذبح هل يسمون الله وتحققنا من أن طريقة الذبح تسيل دم الذبيحة حل لنا أكل لحوم هذه الذبائح المحفوظة بالعلب وقد سئل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن طعام يرد الى المدينة من جهة اسلم المشركون من أهلها حديثا ولا يدرى هل يسمون على ذبائحهم أم لا فقال لأصحابه **كلوا وسموا** .

السؤال الرابع :

من السيد/عمر السيد روبى من العجميين فيوم :

يقول السائل ان رجلا توفى ولم يترك أبا ولا أما ولا زوجة ولا أولادا وأقاربه هم أولاد أخيه الشقيق ابنان وبنت ــ وأخت المتوفى الشقيقة وابن أخت المتوفى الشقيقة ويطلب بيان الوارث منهم .

الجواب :

انه اذا لم يكن للمتوفى أقارب سوى من ذكروا فى السؤال يكون الارث لاخت المتوفى الشقيقة بحق النصف فرضا ولابناء أخويه الشقيقين الذكور الباقى بعد النصف تعصيبا بالسوية بينهم ولا شىء من الارث لبنات الأخ الشقيق ولا لابن الأخت الشقيقة لانهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات والله أعلم .

السؤال الخامس :

من السيد/عبد المنعم ابراهيم عزب موظف باسعاف السويس :

يقول السائل فى سؤاله انه فى حالة نفسية شديدة توجه للمأذون وطلب منه اثبات طلاق زوجته وأثبت المأذون فى دفتره أمام الشهود أن الطلقة التى صدرت منه طلقة ثالثة لا تحل المطلقة لمطلقها الا اذا نكحت زوجا آخر وانه لم يسبق له طلاق زوجته من قبل فأراد ان يعيد زوجته الى عصمته دون جدوى ولم يجد حلا ويطلب ردا سريعا .

الجـواب :

انه يظهر من السؤال أن السائل بسبب حالته التى كان عليها طلب من المأذون أن يطلق زوجته منه طلاقا ثلاثا وأن المأذون كتب فى اشهاد الطلاق اقرارا منه بانه طلق زوجته قبل ذلك طلقتين وان الطلقة التى سمعها منه هى الطلقة الثالثة . ونظرا لان اشهاد الطلاق ورقة رسمية يجب العمل بها ولا يقبل انكار ما فيها وانما يجوز الطعن فيهـا بالتزوير فليس أمام السائل الا أن يستصدر حكما من المحكمة المختصة بتزوير ما جاء باشهاد الطلاق من انه أقر بحصول طلاقين قبله فاذا اطمأنت المحكمة الى هذا وخاصة اذا ايدته مطلقته فيه فانه يسعها فى هذه الحالة أن تلغى ما جاء فى الاشهاد من أنه الطلقة الثالثة فاذا صدر حكم بهذا وصار نهائيا وسع السائل أن يعيد زوجته الى عصمته بعقد ومهر جديدين بدون حاجة الى أن تتزوج غيره ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يطلقها أو يموت عنها وتنقضى عدتها .

السؤال السادس :

من السيد/محمود محمد اسماعيل الفراش ــ طما سلمون :

يقول السائل فى سؤاله :

رجل وأخته شقيقان مات والدهما وأمهما من زمن بعيد وفى السنة الماضية مات عمهما وليس له أولاد ذكور أو اناث ولا زوجة لأنها توفيت قبله فهل يرث الرجل وأخته عمهما أو يرث الرجل وحده دون أن ترث أخته معه شيئا ؟ .

الجـواب :

انه اذا كان المتوفى عما شقيقا أو لأب كان ارثه لابن أخيه الشقيق أو لأب ، ولا ميراث لبنت الأخ الشقيق أو لأب ، لانهـا من ذوى الارحام المؤخرين فى الارث عن أصحـاب الفروض والعصبيات ــ وان كان العم المتوفى عما لأم وكان الرجل وأخته ولدى اخوين من الأم فان ميراث العم يكون للرجل وأخته « **للذكر مثل حظ الانثيين** » لأنهما من الصنف الثالث من أصناف ذوى الارحـام ونصت المادة ٣٤ من قانون المواريث رقم ٧٧ على أن أولاهم بالميـراث أقربهم الى الميت درجـة فان استووا فى الدرجة وكان فيهم ولد عاصب كان أولى من ولد ذى الرحم والا قدم أقواهم قرابة فان اتحدوا فى الدرجة وقوة القـرابة اشتركوا فى الأرث .

السؤال السابع :

من السائل سعيد ابراهيم رمضـان من ميت محسن مركز ميت غمر :

يتضمن السؤال أن سيدة أرضعت ابن اختها مرتين فقط وهو فى سن الرضـاعة وكان ارضاعها له مع ولد ذكر أكبر من البنت التى يريد أن يتزوج منها فهل يحل له زواج بنتها نسبا أو لا يحل على اعتبار أنه أخوها رضاعا ؟ .

الجـواب :

انه برضـاع الولد الذى يريد الزواج من بنت السيدة التى رضع منها يصير أخا لهذه البنت رضاعا قل الرضاع أو كثر وفقا لأحكام المذهب الحنفى ولا يمنع التحريم أن يكون الولد قد رضع من أم البنت قبـل أن تولد البنت لأن هذه السيدة أم له رضاعا وأولادها جميعا اخوة له واخوات من الرضاعة ولا يثبت التحريم بالرضـاعة فى مذهب الشافعى الا بخمس رضعات مشبعات وهى رواية عـن الامام أحمد أيضا وعلى هذا فلا تثبت الحرمة برضاع الولد من أم البنت مرتين فقط وهو ما نميل الى الأخذ والفتوى به دفعا للحرج عن الناس .

السؤال الثامن :

من السيد/محمد حسين حسن ــ شـبرا القاهرة :

يقول السائل انه قال لزوجته اذا دخلت « فلانة » احدى قريباتها هنا بالشقة التى نسكنها تكونى طالقة ثلاثا فهـل اذا دخلت فلانة هذه يقع الطلاق أم لا ؟ .

الجـواب :

ان الطلاق بهذه الصيغة معلق على شرط غير منجز ، وقد بينت المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ فى سنة ١٩٢٩ م حكمه وهو عـدم

وقوع الطلاق به اذا قصد به الحالف الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير فان كان السائل يقصد منع زوجته من دخول احدى قريباتها المعينة الشقة التى تسكن فيها مع زوجها لا غير وقد حلفها وهو يكره حصول الطلاق فانه لا يقع الطلاق اذا دخلت هذه القريبة الشقة . أما اذا قصد حصول الطلاق عند حصول الشرط لأنه لا يريد المقام مع زوجته عند حصوله ودخلت القريبة الشقة يقع الطلاق ويكون طلاقا أول رجعيا ما لم يكن مسبوقا بطلاقين قبله .

السؤال التاسع :

من ١٠١٠١م - ١٣ - ش النصر باسكندرية :

تضمن السؤال ان عليه كمبيالتين ب ٤٥ ج يحل أداؤهما فى آخر فبراير وعشرة مارس وليس معه هذه النقود ولم يجد من يقرضه هذا المبلغ وليس أمامه سوى التعامل بالربا فماذا يفعل ؟ وهل الاقتراض بالربا حلال أم حرام ؟ .

الجواب :

ان القرض بفائدة من أحد البنوك او غيرها حرام وننصح السائل بأن يتفق مع الدائن على تقسيط الدين على أقساط مريحة له دون الحاجة الى الاقتراض بفائدة .

السؤال العاشر :

من السيد/السباعى ابراهيم نصار - هورين منوفية :

يقول السائل ان رجلا توفى وترك زوجة وأخا من الأب وابن أخ شقيق وبنات أخ شقيق ويطلب بيان الوارث وغير الوارث ؟ .

الجواب :

ان صح ما جاء فى السؤال يكون لزوجة المتوفى ربع تركته فرضا لعدم وجود فرع وارث والباقى بعد فرض الزوجة يكون للاخ من الأب تعصيبا ولا شيء من الارث لابن الأخ الشقيق لانه محجوب بالاخ من الأب ولا شيء أيضا من الارث لبنات أخ المتوفى الشقيق لأنهن من ذوى الارحام المؤخرين فى الأرث عن أصحاب الفروض والعصبيات والله أعلم .

المسابقة الصيفية الثالثة

لطلبة الجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف

إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بالجمهورية العربية المتحدة :

رغبة منه فى تربية جيل من الشباب يجمع الى جانب دراساته الحديثة معرفة عميقة بالثقافة الاسلامية والعربية فى عصورها المختلفة .

- وجريا منه على تعويد الطلاب على البحث المنظم المثمر الذى يقوم على كشف كنوز المعرفة واستجلاء روائعها ودراسة كافة علومها .
- وتشجيعا على شغل فراغ الطلاب أثناء العطلة الصيفية بما ينفعهم ويدرأ عنهم عواقب الفراغ والقراءات الضارة .
- وحرصا منه على أن يكون هناك ارتباط بين الطلاب وبين أحداث مجتمعنا الاشتراكى وثورتنا المباركة .
- لذا قرر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية اجراء مسابقة لطلاب الجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف وأقسام الدراسات العليا وطلاب البعوث الاسلامية بالجمهورية العربية المتحدة فى الموضوعات الآتية :

١ الاسلام دين المساواة

٢ الاسلام دين الوحدة

٣ شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤمن بوحدة عربية ويؤمن بجامعة افريقية ويؤمن بتضامن أسيوى افريقى ويؤمن بتجمع من أجل السلام ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى ويؤمن بانتمائه الى الأمم المتحدة وولائه لميثاقها (من الميثاق) .

٤ دور المرأة فى الحروب الاسلامية

٥ أثر التقاليد الغربية فى انحلال الأسرة المسلمة ووسائل العلاج

٦ اعجاز القرآن الكريم فى النواحى الاجتماعية .

٧ الثورة العربية يجب أن تتسلح بقدرات ثلاث : الوعى . والحركة السريعة . ووضوح الهدف (من الميثاق)

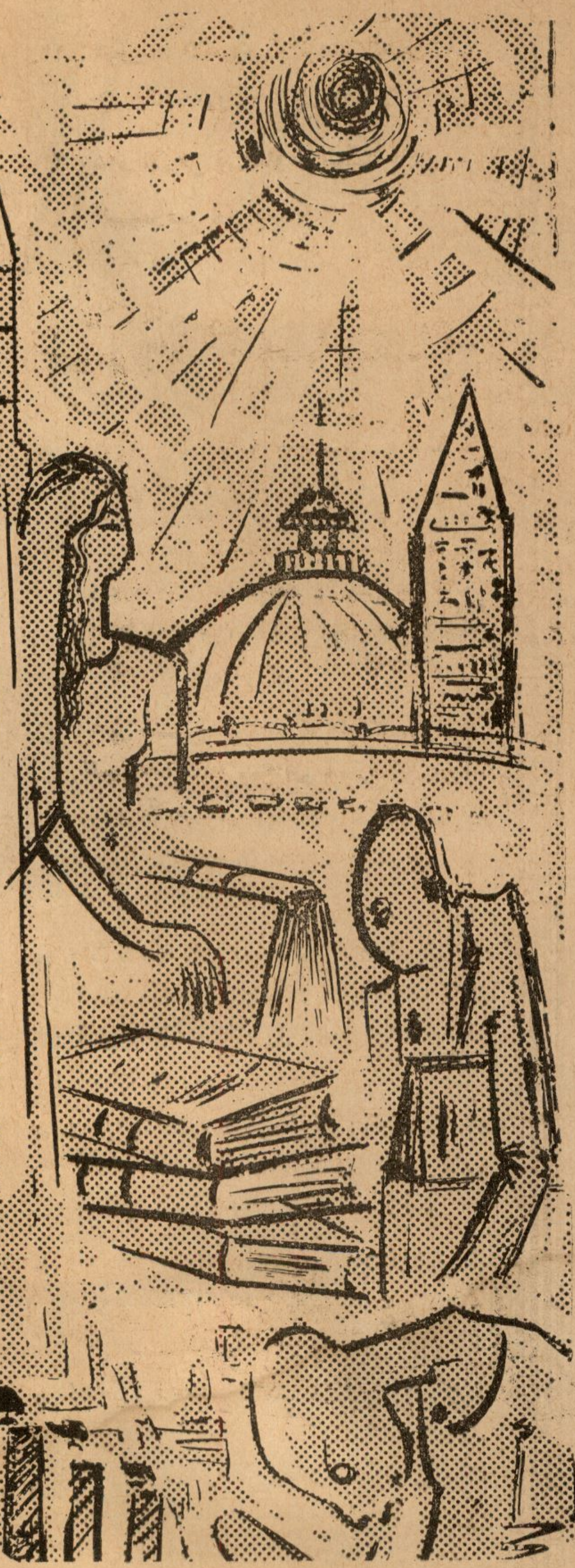

٨ القصص فى القرآن الكريم .

٩ العمل وحقوق العمال وواجباتهم فى الاسلام .

١٠ ابن رشد الطبيب وأثره فى أوربا .

١١ ابن بطوطة الرحالة وكيف صور المجتمع الاسلامى فى عصره .

١٢ الليث بن سعد الفقيه المصرى

١٣ الآداب الاجتماعية فى سورة الحجرات

١٤ القرآن والأخلاق

١٥ ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة (من الميثاق) .

١٦ المبادىء الاشتراكية كما تؤخذ من القرآن والسنة .

١٧ الاسلام فى الشعر الحديث

١٨ النظام الاقتصادى فى الاسلام .

١٩ واجب الشباب فى بناء المجتمع الاشتراكى

٢٠ العرب فى صقلية ودورهم فى نشر الثقافة الاسلامية

٢١ موقعة نهاوند .

٢٢ الزمخشرى مفسرا وأديبا .

٢٣ القرطبى ومنهجه فى التفسير .

٢٤ ابن القيم فقيها مجددا .

٢٥ الاسلام والوفاء بالعهود .

٢٦ ان الجمهورية العربية بالذات طليعة النضال العربى التقدمى وقاعدته وقلعته المحاربة (من الميثاق) .

٢٠٢.

٢٧ الشريف الادريسى وأثره فى الجغرافيا .

٢٨ الاسلام والعلم لا يتعارضان .

٢٩ دور الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية

٣٠ السيد عمر مكرم .

شروط المسابقة

١ يختار كل طالب موضوعا واحدا من موضوعات المسابقة .

٢ لا يزيد عدد صفحات البحث على خمسين صفحة من الفولسكاب ولا يقل عن ثلاثين بشرط أن تكون الكتابة على وجه واحد وبخط واضح أو على الآلة الكاتبة .

٣ يجوز لكل من سبق له الاشتراك فى المسابقات الماضية أن يشترك فى هذه المسابقة .

٤ آخر موعد لتقديم البحوث يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٣ وترسل بعنوان السكرتيرية العامة للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٣ ـ شارع الأمير قدادار . ميدان التحرير . القاهرة .

٥ الرسائل التى تنال التقدير يجرى لأصحابها اختبار شخصى فى موضوع البحث لترتيبهم .

٦ الجائزة للموضوع الواحد قدرها :

٥٠ جنيها للفائز الأول

٣٠ جنيها للفائز الثانى

٢٠ جنيها للفائز الثالث

١٠ جنيهات للفائز الرابع

١٠ جنيهات للفائز الخامس

٥ جنيهات للفائز السادس

٥ جنيهات للفائز السابع

٥ جنيهات للفائز الثامن

٥ جنيهات للفائز التاسع

٥ جنيهات للفائز العاشر

مع القراء

يحرره : حسين السكرى

عزيزى القارىء : من امجادنا العريقة وبطولاتنا الرائعة وتاريخنا المجيد يشع نور الحق والعدل والايمان ، وتنبثق معالم الحرية والوطنية ، ويقوم صرح الاشتراكية العادلة قويا شاهقا يتحدى الزمن ويطاول سماء الخلود .

عام جديد :

السيد / مصطفى سالم نصار

ان عبير الذكرى المحمدية يعطر الكون ويهدهد الخاطر ويجعل الطرف يمتد عبر الزمن البعيد ليستطلع آيات العظمة الانسانية ويكتشف روائع تلك العبقرية النورانية فلا غرو عندما نراك تهتز لهذه الذكرى العطرة وتجود قريحتك بتلك الأبيات .

عد عيد رأس السنة — للأمة المحسنة
باليمن والاقبال — وبالغنى والسعة
فأنت رمز التقوى — للأمة المؤمنة

بداية :

الأستاذ محمد حسن نافع

معهد دسوق الدينى

لقد سرنى اعترافك بأنك فى البداية وأن هذا الشعر هو الباكورة الأولى لانتاجك وهذا لايضيرك فان كل شىء أصله البداية فلا تتعجل وامش فى تؤدة وصبر ولابد من التزود بالقراءة وثق بعد هذا انك ستصبح ناضج الفكر واسع الأفق خصب الخيال .

فى موكب النور :

السيد / محيى الدين الباز

المدرس بمدرسة المعلمين ببيلا

فى موكب النور يسير الأحرار وأصحاب الرسالات السامية التى تستهدف خير البشرية واسعاد المجتمع ، وسيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — هو زعيم هذا الموكب بلا منازع !! وهاك بعض النبضات الحية التى سطرها يراعك .

ولدت فأضحى الشرق للحق معبدا
وقامت به آى الفضيلة شهدا
ودالت من الدنيا الضلالة والهوى
فلم يبق للأصنام بأسك موردا
أتيت فحررت الحياة ، وسدتها
وما عرفت من بعد غيرك سيدا
وأرسلت من قلب الجزيرة صيحة
تغنى بها الأحرار غيبا ، ومشهدا

حول تاريخ المغرب :

السيد محمد الغالى زمامه / مكناس بالمغرب الأقصى .

المجلة تحييك وتشكرك على هذه الثقة الغالية وعلى اعجابك بما يكتب تحت عنوان « ممالك اسلامية قديمة » وتأكد أن السيد الكاتب سيواصل كتاباته بنفس الهمة والنشاط المعروف عنه ونرجو أن تبعث لنا بصورتك ومعها البيانات كاملة حتى نتمكن من نشرها فى بريد التعارف

الشعب الشقيق :

السيد / زكى حسيب تعلب رئيس المخازن بتحضيرات النسيج / شركة مصر وحلوان للغزل والنسيج

شعور طيب وأحساس نبيل أن تغضب تلك الغضبة من أجل شعب الأردن الشقيق ثم تصبها فى ذلك القالب الزجلى لتعرب بها عما يدور فى نفسك من أسى كامن وحزن دفين على مصير هذا الشعب الذى يقوده ذلك الملك اللعين !!

بريد التعارف

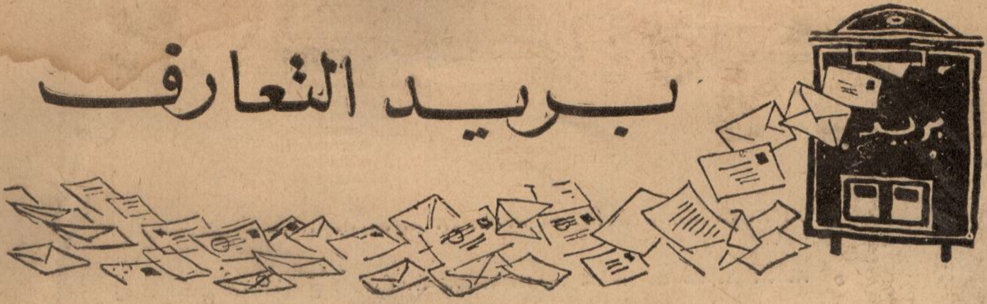

الاسم : رشاد محمود عبد المجيد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٨ سنة
المهنة : موظف بمؤسسة دار الهلال
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : امبابة شارع المنيرة حارة على ابراهيم رقم ٥

الاسم : سلام ابراهيم محمد فرج
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٤ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الرياضة ، الرماية والسباحة والمراسلة
العنوان : ٥ ش هارون بالدقى ـ القاهرة

الاسم : احمد سلطان جبريل ابوصوان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمدرسه المعادى الثانوية النموذجية
الهواية : مراسلة الشباب المسلم من الوطن العربى وجمع الطوابع
العنوان : ٣ ش سلطان جبريل ـ عزبة جبريل ـ المعادى بالقاهرة

الاسم : محمد سلامة عبد الغنى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بكلية الآداب جامعة القاهرة
الهواية : قراءة الكتب الدينية وعمل الابحاث العلمية
العنوان : القاهرة ـ كلية الآداب جامعة القاهرة

الاسم : مصطفى شاهين الدربالى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمدرسة قويسنا الثانوية
الهواية : تبادل المراسلة مع شباب العالم الاسلامى فى الاقطار العربية وقراءة الكتب الدينية
العنوان : شرانيس ـ قويسنا ـ منوفية

الاسم : محمد محمد العنانى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بكلية التجارة جامعة القاهرة
الهواية : بحث احوال المسلمين فى جميع انحاء العالم والمراسلة
العنوان : القاهرة ـ المنيرة ـ ٤ ش حلوان

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ٥

لا طبقية فى الاسلام ... ... السيد الاستاذ حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس ... ...

الرياسة ٩

تحقيق مع وزير الشباب ... ... قام به عبد العظيم ملوك ١٤

فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت يفتتح مؤتمر ابى بكر الصديق ... ١٧

المسلمون فى الفيلبين ... ... بقلم السيد أحمد دوموكاو النتو

زعيم مسلمى الفلبين ٢٢

حديث مع سفير العراق ٢٦

اهداف الاسلام الكبرى ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٢٨

الوشيجة الروحية بين الله والناس ... ... فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ٣٣

أكاذيب على الاسلام ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٣٧

كلوا من الطيبات ... ... الاستاذ البهى الخولى ٤٤

مقارنات بين الشريعة الاسلامية والقوانين ... ...

الوضعية ... ... المستشار على على منصور ٥٠

التشريع الاسلامى بين التشريعات الحديثة الدكتور محمد يوسف موسى ٥٤

من وحى القرآن ... ... الاستاذ محمد سلام مدكور ٥٧

أصالة المسلمين فى التفكير العلمى ... ... الدكتور محمود قاسم ٦١

من توجيهات الاسلام ... ... الدكتور عبد العظيم شرف الدين ٦٥

على هوامش التفسير ... ... الدكتور أنور عبد العليم ٦٨

اشتراكيتنا اسلامية ... ... الاستاذ عبد الغنى عوض الراجحى ٧٠

عناصر الحيوية ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ... ٧٣

الرسول خطيبا ... ... الدكتور محمد كامل جمعة ٧٦

ماذا صنع الاستعمار بثقافتنا ؟ ... ... الاستاذ محمد عبد الهادى ٧٩

الشجاعة المحمدية ... ... الاستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى ٨٢

		صفحة
يا رسول الله	الاستاذ ابراهيم أبو الخشب	٨٥
بطولات اسلامية	الاستاذ محمد فرج	٨٨
اجتهاد الرسول	الدكتور محمد سعاد جلال	٩٣
تحت راية الاسلام	الاستاذ عبد العليم المهدى	٩٩
أخلاقيات الاشتراكية العربية	الدكتور أحمد الخشاب	١٠٣
العالم الاسلامى يقاوم الاستعمار	الاستاذ أنور الجندى	١٠٦
« صبح الاعشى » للقلقشندى	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١١٠
من عبير الذكرى الطاهرة	الدكتور عبد السلام سرحان	١١٨
دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام	الاستاذ حسنى عبد المجيد	١٢٢
من اعجاز القرآن الكريم	الدكتور حفنى شرف	١٢٤
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	١٢٨
تنظيم الجمعيات الاسلامية	الاستاذ عبد الله امام	١٣٠
جمال الدين الافغانى	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٣٣
من تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى الكريم	الاستاذ حسن الشيخة	١٣٦
شهر ربيع الاول شهر الذكريات العطرة	الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٣٨
فى رحاب القرآن الكريم	الاستاذ عبد العزيز العلى	١٤٠
يوسف بن تاشفين	الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى	١٤٣
الليث بن سعد	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٤٥
التربية الدينية والتشريعات الاقتصادية	الاستاذ أحمد زكى الامام	١٤٧
انطلاقة الوجدان وأثرها فى التشريع	الاستاذ عبد الفتاح العدوى	١٥٢
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٥٦
من ذخائر المكتبة الاسلامية	الاستاذ محمد بهى الدين سالم	١٦٠
ايها الثائر العظيم « شعر »	للشاعر عبد الله شمس الدين	١٦٢
من وحى ميلاد الرسول « شعر »	للشاعر حسن فتح الباب	١٦٤
بسمة القدر « قصة العدد »	الاستاذ حسين القبانى	١٦٦

صفحة

ذكرى ميلاد الرسول ... ... قفضيلة الشيخ عبدالباسط القاضى ١٧٢

مواقيت الصلاة ١٧٥

مدنية الغرب وحضارة الاسلام ... ... الدكتور محمد غلاب ١٧٧

محمد صلى الله عليه وسلم « شعر » ... ... للشاعر عبد الحميد عيسى ١٨١

المرأة والقضاء ... ... تحقيق قام به عبد الفتاح راضى

... ... وبدرت نوال ١٨٦

المرأة المسلمة ... ... اعداد نجاة أحمد الزنيرى ١٩٠

اخبار سريعة ١٩٢

لماذا أسلمت ١٩٣

انت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الشيخ حسن مأمون ١٩٧

المسابقة الصيفية الثالثة ٢٠١

مع القراء ... ... الاستاذ حسين السكرى ٢٠٣

بريد التعارف ٢٠٤

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يقدم إلى العالم الاسلامي مكتبة اسلامية باللغة الإنجليزية

THE SUPREME COUNCIL FOR ISLAMIC AFFAIRS OFFERS THE MUSLIM WORLD A GREAT ISLAMIC LIBERARY;

			P.T.
1	AL SIYAM	Al Bahai Al Kholi	3
2	AL HAJJ	Al Bahai Al Kholi	3
3	AL SALAT	Dr Mohammad Ghali	3
4	CONCEPT OF WAR IN ISLAM	Mohammad Abu Zahra	5
5	MODERATION OF ISLAM	Mohammad El Madani	5
6	COSMIC VERSES IN QURAN	Dr Mohammad El Fandy	5
7	ISLAM AND CONTEMPORARY ECONOMIC THEORIES	Ibrahim Mohammad Ismail	5
8	IBN KHALDOUN	Mohammad Khalifa El Tawansy	5
9	EDUCATION IN ISLAM	Mohammad Attia El Ibrashi	5
10	ARAB IMPACT ON EUROPEAN CIVILIZATION	Abbas El Akkad	20
11	ISLAM AND HUMANITY'S NEED OF IT	Dr. Mohammad Youssef Moussa	40

SUPREME COUNCIL FOR ISLAMIC AFFAIRS CAIRO, U.A.R.

These books are ready for Sale at 76 Gamhoria St. Cairo. U.A.R.

مطابع شركة الاعلانات الشرقية